جامعة باتنة 1

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

جيوبوليتيكا السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية: نحو فهم واقعية روسيا المشروطة

Geopolitics Russian Foreign Policy towards the Arab Region: Toward Understanding the Contingent Realism of Russia

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم السياسية

تخصص: علاقات دولية

إعداد الطالب الباحث:

السعيد لوصيف

تحت إشراف الأستاذ:

أ.د /جندلي عبد الناصر

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ زياني صالح	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسًا
أ.د/ جندلي عبد الناصر	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفًا ومقررًا
أ.د/ راقدي عبد الله	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	ممتحنًا
د/رحموني فاتح النور	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	ممتحنًا
د/دمدوم رضا	أستاذ محاضر أ	جامعة قسنطينة	ممتحنًا
د/مباركية منير	أستاذ محاضر أ	جامعة عنابة	ممتحنًا

السنة الجامعية: 2019/2018

جامعة باتنة 1

كلية الحقوق والعلوم السياسية

قسم العلوم السياسية

جيوبوليتيكا السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية: نحو فهم واقعية روسيا المشروطة

Geopolitics Russian Foreign Policy towards the Arab Region: Toward Understanding the Contingent Realism of Russia

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في العلوم السياسية

تخصص: علاقات دولية

إعداد الطالب الباحث:

السعيد لوصيف

تحت إشراف الأستاذ:

أ.د /جندلي عبد الناصر

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د/ زياني صالح	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيسًا
أ.د/ جندلي عبد الناصر	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفًا ومقررًا
أ.د/ راقدي عبد الله	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	ممتحنًا
د/رحموني فاتح النور	أستاذ محاضر أ	جامعة المسيلة	ممتحنًا
د/دمدوم رضا	أستاذ محاضر أ	جامعة قسنطينة	ممتحنًا
د/مباركية منير	أستاذ محاضر أ	جامعة عنابة	ممتحنًا

السنة الجامعية: 2019/2018

شكر و عرفان

قد لا نفشي سرا إن اعترفنا بأنه لم يكن بمقدورنا -فيما مضى البتة- أن نعي جيدًا معنى أن ينهي المرء معركة ختام تمامًا كهاته المعركة ، إنها فعلا محاورة ذهنية صعبة غائرة في الماضي ، معانقة للحاضر و أكثر من ذلك ..متطلعة إلى المستقبل ..تماما "كروسيا"، ضحاياها كثر و قاماتها أكثر و أبطالها لفيف من البحاثة و ثلة من المتخصصين و بضع من الرسل و عصابة من الأحبة و الأخيار، و الحال كذلك...فإنه لمن قبيل الإيمان و التواضع اسداء بالغ المحبة و الشكر و التقدير و العرفان لمن كان أول و أقرب الواقفين على عتبة هذا البحث اشرافًا و تشذيبًا، جرحًا و تعديلًا، إخراجًا و تأصيلًا...الأستاذ الدكتور المحترم "جندلي عبد الناصر"، فله منا كل الاعتراف و المحبة.

كما كل الأبحاث والدراسات، مسارات وشيكة صعبة وشاقة، بيد أن الله قد يحدث بعد ذلك أمرا...فقد كان مسار هذا البحث مسارا حافلا بالكثير من الأمزجة والأحداث، ووقائع تقهقر وانتصار وغضب و"جبن" ويأس...ومع ذلك، فقد حظيت في مواقف عديدة منها حتى اللحظة بفريق لامع من الأصدقاء والأساتذة والمربين والباحثين داخل الوطن وخارجه، إنه فريق عمل فوق العادة، فشكري البالغ موصول إلى أسرتي العلمية بكل من قسمي العلوم السياسية –جامعة باتنة 1- وقسم العلوم السياسية بجامعة طاهري محمد - بشار. وأخص هنا بالذكر الدكتور المحترم "الهندي هشام" أستاذ الهندسة الرياضية بقسم الرياضيات بنفس الجامعة على مساعدته و اهتمامه البالغين، والشكر موصول أيضا للدكتور "وليد عبد الحي" –جامعة اليرموك- اربد- الأردن- لقاء احتفائه بالعمل ومساعدته لنا ما أمكن ،فقد حصل لنا شرف مقابلته مرتين بمكتبه الخاص بكلية اللغة و آدابها خلال 2013 و 2014، و كذا للدكتور المحترم "محمد المصالحة "من قسم الدراسات الدولية بالجامعة الأردنية على اهتمامه البالغ، و للأخ "جمال فودة" من المكتبة العامة لجامعة اليرموك على مساعداته القيمة، و الشكر موصول أيضا للقائمين على إدارة "المعهد الفرنسي للجيوبوليتيك" على حسن الاستقبال و التوجيه، كما لا يفوتنا الثناء على جهود الدكتور "هواري غزالي" الباحث والمدرس للغات الأجنبية بجامعة باريس 8 ،فقد كان لنا معه لقاء خاص في مايو 2016 تكلل بدعوتنا إلى المشاركة في عمل جماعي ، و قد كان مولعًا بأبحاث معجمية الألفاظ بما فيها تلك الواردة في بحثنا فله منا كل التقدير، و مع ذلك تحية تقدير و اكبار لزوجة متعاطفة مثقفة تحلت هي الأخرى طيلة مشوار هاته المعركة بالصبر و العقل النقدي ...فقد كانت بحق ممن هذب و شرح و انتقد نقدا جارحا هذا العمل ،و في الأخير كل المحبة و الاحترام لكل من كانت له يد في اعداد هذا العمل كتابةً وطباعةً واخراجًا.

اهداء

إلى الوالدين الكريمين... دام ظلهما

الإخوة الأعزاء...

الزوجة الكريمة والأبناء...

"سيف" و"شيماء"

الأهل والأقرباء...

...إلى كل هؤلاء...

...أهدي ثمرة هذا الجهد.

السعيد لوصيف*

شتاء 2019- باتنة-

*البريد الاليكتروني: sdloucif@gmail.com

ملخص:

تأتي هذه الأطروحة على خلفية زخم هائل من الدراسات والأبحاث الأكاديمية المتخصصة الأكثر اهتماما بتحليل "حركة – مجال" الفواعل السياسية ونظاميتها؛ وطبيعة مؤشرات ومحددات فضاءات الصدام الجيوسياسي الكوني بين الشرق والغرب، فضلا عن إطلاق مقاربات تتبنى التحليل الجيوبوليتيكي وتدافع باقتدار عن الجيوبوليتيكا والنيوجيوبوليتيكا، مؤسسة بذلك لاعتقاد جديد راسخ مطلع القرن الحادي والعشرين يحتمل مجددًا فكرة انتعاش القصة الرمزية للجيوبوليتيكا .

تدعي هذه الدراسة بأن تحليل "نظامية و حركية" روسيا الاتحادية داخل فضاءاتها الحيوية "الخارج القريب و الخارج البعيد" يمثل على الأرجح أحد أبرز وأهم مفاتيح فهم اللوحة التصورية الجيوبوليتيكية العالمية الراهنة؛ ومع ذلك، وإذ تتعدد وتتضارب التحليلات و المقاربات و الرؤى الاستراتيجية حيال جيوبوليتيكا توجهات السياسة الخارجية الروسية تجاه مناطق و أقاليم كثيرة من العالم؛ تأتي المنطقة العربية بكل مكوناتها الحضارية ، الدينية و الاثنوغرافية ، السياسية و الاقتصادية و الثقافية ذات الأهمية الجيواستراتيجية لتمثل أيضًا أحد أهم و أبرز فضاءات ذلك الصدام الجيوسياسي العالمي، مما دفع بمسار هاته المحاولة البحثية نحو التأسيس لافهامات جديدة حول توجهات موسكو الخارجية في بعدها الجيوبوليتيكي تجاه المنطقة العربية، و تحديدا خلال فترتي حكم الرئيس "بوتين" الأولى و الثانية، مفسرة بذلك محددات صعود الدور الروسي في الفضاء العربي ؛وكذا تدخل روسيا الاستراتيجي المباشر في الشرق الأوسط عبر سوريا، اختبارا لمدى رسوخ الجيوسياسة الروسية في التقليد الواقعي البراغماتي العقلاني و الواقعي المشروط حصرًا، و من ثم قراءة القدرة التفسيرية للنظرية الواقعية على اعطاء فهوم أكثر تماسكا من ناحية نظرية لسلوك روسيا الخارجي، فضلا عن تأكيد تراجع درجة تأثير الدور الايديولوجي الاشتراكي العقائدي على توجهات و قرارات موسكو الخارجية الجديدة مؤخرا خاصة تجاه منطقة الخليج العربي و الشرق الأوسط تحديدا، و بالمقابل سعي موسكو نحو تغليب عامل المصلحة الوطنية و انتهاج سياسة الدفاع الهجومي والاستخدام المباشر للقوة موقفيًا، مع تبني سياسة العون الذاتي و الدبلوماسية متعددة الأطراف.

نظرًا لضبابية و تتاخم حدود المشهد التحليلي للأبعاد الجيوبوليتيكية للسلوك الخارجي الروسي، فإن هاته الدراسة تلجأ إلى اقحام الهندسة الرياضية و الاحصاء الاستدلالي كمداخل كمية لإعطاء تفسيرات مختلفة جزئيا، و ذلك من خلال ضبط أهم مؤشرات بعض الفضاءات الجيوبوليتيكية التحليلية كالفضاء "ديمو-بوليتيك" و "دبلو-استراتيجيك" و الفضاء " الاقتصادي" ؛ و على الأرجح، فإن الأطروحة تحاجج مبدئيا بأن تدخل روسيا العسكري المباشر في سوريا مؤشر حقيقي على عودة روسيا فعليا إلى المنطقة العربية، ما يسهم نظريا في انتعاش القصة الرمزية للجيوبوليتيكا (التحليل الجيوبوليتيكي)، وأن تعدد وكثافة تنويعات المقاربات الخطابية الجيوبوليتيكية العالمية المعاصرة، لم يلغيا تأكيد الثنائية الصراعية القارية الراسخة بين الأطلسيين والأوراسيين تحديدًا ، اضافة إلى أن السلوك الخارجي الروسي – لفترات سابقة -هو محصلة محددات عديدة مختلفة واقعية و ليبرالية و قومية، غير أن كاريزما الرئيس "فلاديمير بوتين" كانت ولاتزال بمثابة محدد أساسي في ذلك ، كما ترى بأن التحليل الجيوبولتيكي للسلوك الخارجي الروسي تجاه المنطقة العربية ينبئ عن وجود علاقة تناسبية معقدة بين مؤشرات الفضاءات التحليلية تأكيدا لوحدة الهدف على مستوى القرار الخارجي، وأخيرا: فإن القرار الخارجي الروسي يحتكم عادة إلى عامل المصلحة القومية العليا مع تغليب منطق القوة، ما يؤكد بصورة أوضح أن خطاب روسيا الجيوبوليتيكي الخارجي لا يزال راسخًا بعمق في التقليد الكلاسيكي الواقعي النظري والتقليد الواقعي المشروط تحديدًا.

أفضت الدراسة إلى اعتبار القرن الحادي والعشرين قرنًا للجيوبوليتيكا بامتياز، مؤكدة بأن "حركة – مجال" روسيا تجاه المنطقة العربية وغيرها من المناطق في العالم ما هي سوى محصلة و انعكاس واضح لطروحات و مقاربات الأوراسيين الروس الجدد، كما أنها مجرد دليل حقيقي يؤكد مدى رسوخها و بعمق في التقليد الواقعي الكلاسيكي البراغماتي العقلاني المشروط، و بالمقابل بداية تخلي موسكو عن جدوى الآلية الإيديولوجية الاشتراكية العقائدية تجاه مواقع كثيرة من العالم ، ذلك أن خطاب الجيوسياسة الروسية لم يعد قائما على الايديولوجيا الشيوعية القومية، بل على البراغماتية الواقعية الدفاعية الهجومية المشروطة، وأن من دوافع الجيوسياسة الروسية وتوجهاتها الخارجية الراهنة، دافع ملء الفراغ والتطلع إلى المشاركة في حل ومعالجة القضايا الدولية، واعتبار روسيا شريكا مهما وأساسيا، سعيا نحو بناء عالم متعدد الأقطاب بدلا من استمرار هيمنة القطب الواحد ، و هو ما يؤكد مرة أخرى أن روسيا في علاقتها الجيوسياسية الراهنة مع المنطقة العربية و غيرها لم تعد دولة الوضع القائم No Status- quo State في النظام الدولي الجديد .

Abstract:

The thesis comes on the back of a huge amount of specialized academic studies and research most interested in the analysis of the "Movement - Field" political fads and system and the nature of indicators and determinants of the spaces of the geopolitical clash between “The East And West”, as well as the launch of approaches that adopt geopolitical analysis and can effectively defend “Geopolitics And New Geopolitics” thus establishing a new and firmly established belief at the turn of the twenty-first century, the idea of a rebirth of the symbolic story of geopolitics is again likely.

This study claims that the analysis of the "systemic and dynamic" of the Russian federation within its vital spaces " is the outside is near and far away” probably one of the most important and important keys to understanding the current global geopolitical conceptual painting. However, as many analyzes, approaches, and strategic visions of geopolitics contrast with the orientations of Russian Foreign Policy towards many regions and regions of the world, The Arab Region, with all its cultural, religious, ethnographic, political, economic and cultural components of geo-strategic importance, the most prominent spaces of that global geopolitical clash, which led to a research attempt towards the establishment of new ambiguities on the orientations of Moscow's external geopolitical dimension towards the arab region, and specifically during the terms of the rule of president "Putin" first and second, explaining the determinants of the Rise of the russian role in the arab space and russia's direct strategic intervention in the middle east via syria, a test of the extent to which russian geopolitics is rooted in the pragmatic, rational and realistic contingent, and thus the interpretive ability of real theory to give a more coherent idea of russia's external behavior ,as well as to confirm the decline in the degree of influence of the ideological socialist role on the new directions and decisions of moscow's new foreign especially in particular to the gulf region and the middle east specifically, in contrast moscow's pursuit of giving priority to the factor of national interest and the adoption of the policy of offensive defense and the direct use of force position, policy of self-help and multilateral diplomacy because of the blurry and bordering the analytical landscape of the geopolitical dimensions of russian external behavior, this study uses mathematical geometry and explanatory statistics as quantitative inputs to give partially different explanations by controlling the most important indicators of geopolitical spaces such as "demographic-political", "diplomatic-strategic" and "economic" "space; and most likely. the thesis argues in principle that Russia's direct military intervention in Syria is a real indicator of russia's actual return to the arab region, which theoretically contributes to the recovery of the geopolitical story of geopolitics and that the multiplicity and intensity of the variants of contemporary global geopolitical discourse approaches have not negated the assertion of the established continental dichotomy between the atlantic and the eurasian in particular. In addition, Russian external behavior - for earlier periods - is the result of many different determinants of Realism, Liberalism and Nationalism; however, President Vladimir putin's charisma was and remains a key determinant. The geopolitical analysis of russia's external behavior towards the arab region suggests a complex proportional relationship between the analytical space indicators to confirm the unity of purpose at the external decision level finally, the Russian Foreign Decision usually governs the factor of supreme national interest with the superiority of the logic of power, which makes it more clear that russia's external geopolitical discourse remains deeply entrenched in the classical, theoretical and contingent realistic tradition Specifically.

The study led to the twenty-first century as a century of geopolitics excellence, asserting that the "movement - field" Russia towards the arab region and other regions of the world is only the outcome and a clear reflection of the proposals and approaches of the New Russian Eurasians, and it is just a real proof of its depth and depth in the realistic pragmatic contingent tradition, and in contrast to the beginning of moscow's abandonment of the usefulness of ideological social mechanism to many sites of the world russia's geopolitical discourse is no longer based on nationalist communist ideology, but on pragmatism. The motives of Russian geopolitics and its current foreign policy are to fill the vacuum and to aspire to participate in solving and addressing international issues; Russia is an important and fundamental partner in a bid to build a multipolar world instead of continuing the hegemony of the one pole. This confirms once again that Russia in its current geopolitical relationship with the Arab region and others is no longer the state of the status quo in the new international order.

خطـــة البحـــــــث

مقدمة

الفصل الأول:

الجيوبوليتيكا : مدخل إلى "النظرية و الخطاب" المعاصرين

المبحث الأول : النظرية الجيوبوليتيكية المعاصرة : رؤية ابستيمولوجية

المطلب الأول: العلاقات الدولية بين وهج الخطاب الجيوبوليتيكي و فوضى النقاشات

الفرع الأول: حدود الحاجة إلى "نظرية جيوبوليتيكية" في مطلع القرن الحادي و العشرين

الفرع الثاني: الجيوبوليتيكا و"فوضى" التنظير " في حقل العلاقات الدولية

المطلب الثاني : النظرية الجيوبوليتيكية : إشكالات ابستيمولوجية

الفرع الأول: خاصية"Relativisation" الفاعل و إشكالية "الدينامو- جينيك"

الفرع الثاني: التكوين و الديناميكية المكانين للنظام الدولي

الفرع الثالث: الجيوبوليتيكا علم الفضاء – السياسي / Systémographie الفضاء العالمي

المبحث الثاني : الخطابات الجيوبوليتيكية الكبرى المعاصرة : مرحلة الحرب الباردة و ما بعدها

المطلب الأول: مضامين الخطابات الجيوبوليتيكية الأطلسية المعاصرة

الفرع الأول: "تمييع الوسط" و تطور "نوموس البحر" ضمن خطاب "كارل شميدت"

الفرع الثاني: بين نبوءتين: "الغرب و البقية"و"العالم واحد"

" The West And The Rest " و " One World "

الفرع الثالث: صدام الحضارات : أطلسية هنتنغتون الجديدة

المطلب الثاني: خطاب العولمة : تحدي التحول نحو تعددية جيوبوليتيكية

الفرع الأول: رؤية الدور المزدوج و منظور التقارب ضمن خطاب " بريجينسكي" الجيوبوليتيكي

الفرع الثاني: نهاية التاريخ ضمن خطاب فرانسيس فوكوياما

الفرع الثالث: التحول من الثنائية إلى التعددية الجيوبوليتيكية: سيناريو "كارلو سانتورو"

الفرع الرابع: تراجع تنافسية الخطاب الأيديولوجي : " الجيوايكونوميكا " بديلا

المطلب الثالث: نحو اعادة منهجة الخطاب الجيوبوليتيكي: تعدد الرؤية الأوروبية.

الفرع الأول: الجيوبوليتيكا التطبيقية الداخلية : مدرسة Yves Lacoste

الفرع الثاني: الخطاب الجيوبوليتيكي الأوروبي: "اليمينيون الجدد" و مشروع الجيوبوليتيكا القارية

المطلب الرابع : خطاب " الأوراسية الجديدة " الجيوبوليتيكي

الفرع الأول: دورة "الأثنو- جينيتيك" و ملامح الفلسفة العضوانية لدى "ليف غوميليوف"

الفرع الثاني: تنويعات خطاب " الأوراسيون الروس الجدد " الجيوبوليتيكي

الفرع الثالث : نظرية " الثنائية القطبية الجديدة " الأوراسية

خطـــة البحـــــــث

الفصل الثاني:

الأطر النظرية و الفكرية للسياسة الخارجية الروسية: جدل الأولويات والمحددات، الواقعية و الواقعية المشروطة

المبحث الأول: جدل أولويات و محددات السياسة الخارجية الروسية: مدخل إلى الأطر الفكرية الكبرى

المطلب الأول : جدل النخبة السياسية الروسية "الجيوسياسي" حول توجهات و أولويات السياسة الخارجية

الفرع الأول: تعددية التصنيف النموذجي لمدارس النخبة السياسية الروسية

الفرع الثاني : المدرسة الجيوبوليتيكية : أولوية أوراسيا و معضلة الشرق و الغرب

المطلب الثاني: أولويات و محددات السياسة الخارجية الروسية: ثلاث مدارس فكرية رئيسية

الفرع الأول: "ميدفيديف " والمدرسة الليبرالية: "الإصلاحيون الراديكاليون" و التوجه غربا

الفرع الثاني: المدرسة الواقعية : "بوتين" و مبدأ "التعددية القطبية"

الفرع الثالث: "القوميون" و "القوميون المعاصرون": أولوية روسيا القومية الأصيلة *"Russkiy"*

المبحث الثاني: الواقعية/ الواقعية المشروطة و تحليل السياسة الخارجية: رؤية مفهومية

المطلب الأول: العقلانية التفسيرية "التأسيسية" ضمن الفكر الواقعي : مدخل تيبولوجي

الفرع الأول: "المدرسة الواقعية" بين اتجاهين "تفسير السياسة الدولية " و "تحليل السياسة الخارجية"

الفرع الثاني: الفكر الواقعي الكلاسيكي: الخلفية الفكرية، الافتراضات و الأسس

المطلب الثاني: مقاربات المنظور النيوواقعي البنيوي Neo Structural Realism : مفهوم الأمن ، القوة، الواقعية المشروطة

الفرع الأول : التمييز بين "الأمن" و "القوة" ضمن النقاش الواقعي "البنيوي" : نزعة "الهجوميين" و منطق "الدفاعيين"

الفرع الثاني: الواقعية المشروطة : "غلاسر" و مقاربة الأمن "المشروط / الأمن الناعم "

الفصل الثالث:

حدود الواقعية الجيوسياسية لروسيا الاتحادية في المنطقة العربية: مقاربات تحليلية

المبحث الأول: مقاربة اقتصادية لخطاب روسيا الاتحادية الجيوبوليتيكي تجاه المنطقة العربية: محددات واقعية

المطلب الأول: اخراج بياني لعملية تحليل"حركة – مجال" السلوك الخارجي الروسي ومحدداته: ملاحظات منهجية

المطلب الثاني: تحليل مؤشرات الفضاء الاقتصادي: روسيا – المنطقة العربية

Analysis Of Economic Space Indicators

الفرع الأول: الواقعية الجيوسياسية الروسية في الشرق الأوسط: سوريا، مصر، العراق

الفرع الثاني: : الواقعية الجيوسياسية الروسية في منطقة الخليج العربي: الأردن و دول مجلس التعاون

المبحث الثاني: تحليل مؤشرات الفضاءين "ديمو- بوليتيك"- "دبلو- جيواستراتيجيك": روسيا- المنطقة العربية

Analysis Of Political - Demographic & Geostrategic - Diplomatic Space Indicators

المطلب الأول: الواقعية الجيوسياسية الروسية في الشرق الأوسط: سوريا، مصر، العراق.

الفرع الأول: "النموذج السوري" في الجيوبوليتيك الروسي – الشرق أوسطي.

الفرع الثاني: الخطاب الجيوسياسي الروسي تجاه مصر بين سياستين: "البراغماتيزم / ملء الفراغ"

خطــة البحـــــــث

الفرع الثالث: الاتجاه العراقي في الجيوسياسة الروسية : نحو منظور تعددي " الغرب و آخرون"

المطلب الثاني: روسيا– المملكة العربية السعودية: في التنافس الجيوسياسي و شروط التقارب الواقعي /البراغماتي

الفرع الأول: روسيا – المملكة العربية السعودية: علاقات ما قبل "الربيع العربي"

الفرع الثاني: روسيا– المملكة العربية السعودية: علاقات "الربيع العربي"الخلافية.

الفرع الثالث: محصلة التنافس الجيوسياسي و التقارب البراغماتي /الواقعي على المحور"موسكو –الرياض".

الفصل الرابع:

حدود العلاقة التناسبية العاملية وآفاق الواقعية الجيوسياسية الروسية المعاصرة: نحو إعادة هندسة الوضع القائم

Limits Of The Proportional Relationship Of Factors And Prospects Of Modern Russian Geopolitical Realism: Towards Re-Engineering The Status quo

المبحث الأول: حدود العلاقة التناسبية العاملية بين الفضاءات الجيوبوليتيكية: مدخل جيومتري احصائي.

المطلب الأول: مضامين نظريات المرجح Barycentres

المطلب الثاني: "مرجح" مؤشرات العلاقة التناسبية بين الفضاءات الجيوبوليتيكية: "محور موسكو–المنطقة العربية"

المطلب الثالث: معامل الارتباط Coefficient De Corrélation

المبحث الثاني: آفاق الواقعية الجيوسياسية الروسية المعاصرة : نحو إعادة هندسة الوضع القائم

المطلب الأول: استمرارية توجهات "الحفاظ على الوضع القائم" : **سيناريو خطي**

المطلب الثاني: استراتيجية التحول نحو"تعديل الوضع القائم" : **سيناريو إصلاحي**

المطلب الثالث: الاندفاعية الواقعية نحو "تغيير الوضع القائم": **سيناريو راديكالي**

المطلب الرابع: نحو إعادة هندسة الوضع القائم: **سيناريو تأليفي/توليفي**

خاتمة

مقـــــدمـــة:

لعقود من الزمن، ظلت **الجيوبوليتيكا** Geopolitics دون هامش أكاديمي يذكر، وقد تم استبعادها لحظة اقترانها بالنزعة النازية العنصرية، بعد ذلك نُظر إليها بداية ظهورها بالكثير من الحقد العلمي على أنها **الإبن غير الشرعي لمجموع العلوم الجغرافية وللجغرافيا السياسية تحديدًا**، فضلا عن دعاوى شيطنة نصوصها؛ مع ذلك، تستمر اليوم أغلب المشاهد السياسية والاستراتيجية والدينية والإثنوغرافية، ومعها الصحف والمقالات والصوت والصورة لعقود طويلة أيضا؛ من لحظة نهاية الصراع في أوروبا إلى لحظة الانهيار الإيديولوجي وصولا إلى أحداث أزمة القوة العالمية اليوم، في إحياء وتأكيد قداسة التفسيرات والتحليلات الجيوبولتيكية (**الجيوسياسية**)، هذا كما أكد عديد الباحثين الجيوسياسيين على غرار "**جيرار دوسوي**" أنه من أجل فهم طبيعة و حجم التوازنات الدولية الجديدة، يفترض **أن ننظر إلى الأحداث العالمية و إلى العالم بعيون رجال الفضاء** ما أعطى فرصة جديدة لاعادة احياء منهج التحليل الجيوبوليتيكي **(الجيوسياسي)** للفضاءات المهيأة **(تحليل مجال – حركة الفواعل)**.

تاريخيّا، لم يكن لينظر إلى الحرب الباردة خارج الهامش الجيوسياسي، فشروط معادلة تلك الحرب الإيديولوجية مقرونة ابتداءً بنِّدية ثنائية قارية جيوبوليتيكية في بعدها العالمي، في صورة صراع **التالاسوكراتيا والتيليروكراتيا**، ومع ذلك لا يكف أغلب الجيوسياسيين المحدثين المعاصرين عن الاعتقاد أن **مركز القوة الجيوسياسي** لايزال غربيًا بكل إحداثياته، فضلا عن إقرارهم بانعدام إمكانية انتقاله، وفي حال تحوله نحو الشرق، لن يكون بمقدور أي قطب آخر استيعاب طاقته المتوهجة ولا احتواء تداعيات قوى طرده المركزية المتأصلة في الغرب .

حقيقة نلحظ مجددًا فصيل لامع لجيوسياسيين كثر يتجهون في كتاباتهم ورؤاهم الاستراتيجية نحو تبني الاعتقاد بأن العالم يواجه فعلا أزمة نفوذ وقوة ناجمة عن التحول الجذري المثير لمركز ثقله من الغرب نحو الشرق، إضافة إلى بزوغ عامل صحوة سياسية دينامية في أغلب المواقع الاستراتيجية في العالم. و**روسيا** كغيرها من الدول على غرار الصين والهند تمثل أحد تلك القوى الجديدة البارزة التي يمكن أن تحتضن بكل ثقة المركز الشرقي للقوة العالمية في غضون عقود لاحقة.

روسيا الاتحادية وريثة الاتحاد السوفياتي تتطلع في الفترة الراهنة و تحديدا خلال فترتي حكم الرئيس "فلاديمير بوتين" الأولى و الثانية ؛ إلى لعب أدوار جديدة في مناطق كثيرة من العالم المعاصر، أشَّرت على ذلك خارطة جيوسياسية جديدة ؛ تمتد حدودها من الشمال الروسي الكبير **(الأركتيك)** إلى شبه جزيرة القرم(**جورجيا، أوكرانيا**)، إلى الخاصرة الجنوبية مع إيران وتركيا والعالم العربي(**المنطقة العربية**)، ومنطقة

حوض البحر الأبيض المتوسط، والأحداث الأخيرة مثل أحداث الخارج القريب الروسي في كل من جورجيا و أوكرانيا، أو الخارج البعيد الروسي مثل ثورات ما يسمى بالربيع العربي بالإضافة إلى مشهد التدخل العسكري الروسي في سوريا في سبتمبر 2015 ، والتي لامست العمق الإستراتيجي والإثنوغرافي لمنطقة الشرق الأوسط والخليج العربي و المغرب العربي ، لم تكن من ناحية جيوسياسية **سوى انعكاس واضح لتأثير الطُعم الذي استدرج روسيا وقادتها (بوتين)– مثل نفثة عاطفية روسية اثنية أصيلة جديدة** – نحو المجال الحيوي التاريخي للأطلسية والغرب عمومًا، ومع ذلك لم يكن التدخل العسكري المباشر في سوريا مثلًا؛ سلوكًا روسيًا خارج الحسابات الجيوسياسية المركزة بقدر ما هو استجابة نافذة جراء عوامل بارزة متوزعة كمحددات جديدة راسخة في السياسة الخارجية الروسية.

المنطقة العربية كانت ولاتزال المجال الجيوسياسي لأغلب القوى االكبرى وفوق الكبرى، خاصة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وروسيا فضلًا عن أوروبا، مع ذلك، نلحظ حاليا تدهورًا في أداء أمريكا على الصعيدين الداخلي والدولي، ضف إلى ذلك مشهد التشققات العميقة في جدار الوحدة الأوروبي، بالمقابل، نلمس حيوية جيوسياسية جديدة غير معهودة لروسيا في مناطق عدة **(الخارج القريب – الخارج البعيد)** سعيًا نحو تعددية أقطاب أخرى تسعى روسيا من خلالها –على الأرجح –**إلى تخفيف وطأة قوة الطرد المركزي الجيوسياسي لقوة مركز الثقل العالمي.**

التعريف بالموضوع:

تقع هذه الدراسة من حيث توجهاتها البحثية ضمن نطاق المحاولات الدراسية الجيوبولتيكية على المستويين النظري المقارباتي والامبريقي الواقعي، بحيث تسعى إلى محاولة إبداء مستوىً تحليليًا أكثر حيادية حيال موضوع "**الحركة– المجال**" أو الجيوبوليتيكا أو الجيوسياسية، وذلك فيما يتعلق بدولة كبرى أو فوق الكبرى كروسيا خلال فترتي حكم بوتين تحت عنوان عام تضبط خطه البحثي جملة مصطلحات مفتاحية، والموسوم بـ: **"جيوبوليتيكا السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية: نحو فهم واقعية روسيا المشروطة"**. كما يتضح من العنوان، فإن هاته الدراسة تتمثل فهم "**حركة– مجال**" روسيا من خلال سلوكها الخارجي تجاه المنطقة العربية مع تأكيد حصر الدراسة في جزء مهم من المنطقة العربية وليس كلها، خاصة فيما يتعلق بدول منطقة الشرق الأوسط بالمفهوم الأنجلوساكسوني، كسوريا ومصر والعراق وبعض دول الخليج العربي مثل: السعودية والأردن تحديدا. وهو ما يستدعي بناء تحليليا على أساس تفكيك مؤشرات الفضاءات المختلفة كل من الفضاء "**الاقتصادي**" والفضاء "**ديمو–بوليتيك**" والفضاء "**دبلو–استراتيجيك**" دون التأكيد على تحليل الفضاءين الآخرين

كل من الفضاء المادي **الطبيعي** والفضاء الخامس الافتراضي "**السيبراني**"، كما أن هذه الدراسة تتبنى مسألة اختبار مدى القدرة التفسيرية للنظرية الواقعية بأطيافها المختلفة و كذا حدود قوتها كمقاربة أصيلة في فهم وتحليل السياسة الخارجية الروسية في نفس الاتجاه، مع تأكيد مناقشة طروحات **الواقعية المشروطة** كمقاربة ملطفة للمعضلة الأمنية، خاصة في الفضاء الكلي للتنافس بين القوى الكبرى أو فوق الكبرى إلى جانب روسيا في المنطقة العربية لاعتبارات مصلحية، وصولا إلى تأكيد وجود امكانية ما لاقحام **الهندسة الرياضية** كبديل تقريبي لمجمل التحليلات والدراسات السابقة للموضوع؛ وتأكيد وجود فضاء مشترك بين أغلب الفضاءات الأخرى، سعيًا نحو وضع معادلة مرجح واحدة نهائية تحمل خصائص لمؤشرات مشتركة يمكن على أساسها فهم مدى ومستوى تحكم العامل الجيوبوليتيكي في تحديد خارطة توجهات روسيا تجاه المنطقة العربية.

أهداف الدراسة:

رغم قلة المهتمين بموضوع **الأهمية الجيوسياسية للمنطقة العربية في السياسة الخارجية الروسية،** بالإضافة إلى بعض المواقف والإدعاءات السلبية لبعض الدراسات والتوجهات إلا أنه –في نظرنا– كان من الضروري خاصة مع التحولات العميقة التي تعرفها بنية النظام الدولي في الفترة الراهنة جراء متغيرات جديدة في المنطقة العربية بحضور روسيا القوي أن نتجه أكثر نحو الادعاء بأن النخبة في العالم العربي على وجه الخصوص وفي العالم الغربي أيضا بحاجة إلى:

1– بيان أهمية الخطاب الجيوبوليتيكي والنظرية الجيوبوليتيكية المعاصرة، ومن ثم فهم الدور المركزي للعامل الجيوبوليتيكي كأهم محدد في توجيه السياسة الخارجية الروسية ومدى تحكمه وتأثيره في بناء الاستراتيجيات الدولية.

2– تحليل توجهات السياسة الخارجية الروسية نحو المنطقة العربية اعتمادا على تحليل مدى تأثير العامل الجيوبوليتيكي (الجيوسياسي)، وهذا خلال فترتي حكم الرئيس **"فلاديمير بوتين"**.

3– إثبات أو نفي مدى واقعية السلوك الروسي الخارجي تجاه المنطقة العربية خاصة من خلال دور روسيا في الأزمة السورية الحالية، ومن ثم الوقوف على مدى القدرة التفسيرية للنظرية الواقعية بكل تنويعاتها ومقارباتها على فهم وتفسير ما يجري ضمن "**حركة–مجال**" روسيا كفاعل قوي في النظام الدولي الجديد تجاه المنطقة العربية خاصة خلال فترتي حكم **"فلاديمير بوتين"** الأولى والثانية.

4- بناء تصور أوضح للخطاب الروسي الجيوبوليتيكي الجديد من حيث "**الحركة-المجال**"، ومن ثم تصور انعكاساته على الواقع العربي الاقليمي خاصة فيما يتعلق ببعض الدول العربية المحسوبة على الشرق الأوسط وبعض دول مجلس التعاون الخليجي المحسوبة على الخليج العربي.

5-لفت انتباه الباحثين والمهتمين إلى أهمية اقحام المناهج والمقاربات الكمية في الدراسات الاجتماعية والأبحاث التي تتسم نتائجها البحثية بالنسبية، توخيا للدقة من حيث التعميمات المتوصل إليها، وتفاديا لتضارب وفوضى التحليلات القائمة على مناهج غير كمية.

6- بالموازاة مع إطلاق جملة أبحاث غربية ومشاريع عمل جماعية حول الجيوسياسة الروسية في الشرق الأوسط، تأتي هاته الدراسة البحثية بالمقابل مثل عمل نقدي لعديد التوجهات الغربية آخذة بعين الاعتبار الأبعاد والخصائص التي يتسم بها النظام الإقليمي العربي، ومعتدة بالخصوصية الثقافية والجغرافية لروسيا في تحليل العلاقة القائمة خاصة في فترتي حكم "بوتين".

7- جراء القلق النخبوي السائد اليوم حيال المستقبل الجيوسياسي للعلاقات الخارجية الروسية والعربية معا وما سيؤول إليه الوضع من توازنات وصدامات؛ فإن الدراسة تستأثر بإقحام حس استشرافي لسيناريوهات تنبؤية قد تشي بالكثير من الايماءات لصالح صناع القرار الخارجي لأغلب الدول والقوى الإقليمية في المحيط الجيوسياسي العربي.

أسباب اختيار الموضوع:

إلى حد ما، شكلت تلك الإهتمامات البالغة من قبل عديد منظمات ومراكز البحث العالمية منها والاقليمية وكذا المراكز المتخصصة مثل المنظمة البحثية غير الربحية RAND Corporation و معهد واشنطن Washington Institute و دراسات مجلس الشؤون الدولية الروسية Russian International Affairs Council بدراسة موضوع التحليل الجيوسياسي كمنهج رائد لفهم طبيعة توجهات السلوك الخارجي الروسي- ليس فقط تجاه المنطقة العربية بل على وجه الخصوص تجاه أوروبا والولايات المتحدة وغيرها -دافعًا قويًا لبحث و دراسة الموضوع ، كما قد خلقت لدينا مستوى من الوعي بأهمية الأكاديمية، ومع ذلك هناك جملة أسباب أخرى ذاتية وموضوعية تمثلت في:

الأسباب الذاتية:

1- توافر نزوع بحثي شخصي نحو دراسة المواضيع ذات الطابع الاستراتيجي والجيوسياسي توافقًا مع التخصص العلمي للباحث.

2- نظرة الباحث إلى المنطقة العربية **كمتغير مستقل** من ناحية عمقها الاستراتيجي في السياسات الدولية والتوجهات الجيوسياسية الغربية والشرقية على السواء، وذلك على عكس ما تصوره بعض الدراسات على أنها

مجال تابع، أو **متغير تابع**، فعلى أساسها –كما يعتقد الباحث– تتغير بوصلة السياسة الدولية عن طريق محركات مختلفة لقوى مختلفة.

3– تبلور تصور منهجي شخصي يتبنى قناعة مفادها أن انهاء الجدل والخلاف التحليلي على مستوى العلوم الاجتماعية النسبية حيال عديد القضايا والشؤون البحثية خارج الدائرة الكمية المجردة للفهم؛ ما هو في الحقيقة سوى **محاولة يائسة باثولوجية** لدحض **الأسس الوجودية الحيوية** لكيانات تلك الافتراضات والعلوم.

الأسباب الموضوعية:

1– عودة روسيا وتدخلها في سوريا، وطول عمر الأزمة مع سكوت الغرب غير المبرر خاصة الولايات المتحدة، هذه الأحداث بمثابة متغيرات جديدة غير اعتيادية خاصة مع تأكيد وجود عداء تاريخي من أيام الحرب الباردة بين كلا طرفيها، ما دفع نحو ضرورة الكشف عن الأسباب الكامنة خلف ذلك.

2– كون الباحث جزء من الوطن العربي، وانتماؤه الجغرافي يحتم عليه كمتخصص في الدراسات الاستراتيجية تبني تحليل ما يجري في المحيط القريب دون اغفال البعد الدولي للموضوع، خاصة مسألة تأثير التنافس الغربي على روسيا في المنطقة العربية باعتبارها ملتقى قوى التنافس والهيمنة العالمية.

إشكالية الدراسة:

مباشرة بعد تبلور ارهاصات مرحلة فتور هيمنة الوضعانين **(الوضعيين)** على مسار التنظير والاقتراب للنظام الدولي والعلاقات الدولية، برزت مخرجات جديدة لكم هائل من الأبحاث وأوراق العمل الأكاديمي لرواد بارزين خارج التصنيف الوضعي، ركزت هي الأخرى على الأبعاد التأملية للعلاقات الدولية وتبلورت كما هو معلوم عدة نقاشات محتدمة جراء ذلك، لكنها لم تفلح في انهاء الخصام البرادايمي وبقي يتدرج على طول سلم غير منته من المادة والمعايير والنصوص، كذلك الجيوبولتيكا كعلم بقيت هي الأخرى لعقود حبيسة المقولة الشهيرة: **الجيوبوليتيكا هي الإبن غير الشرعي للجغرافيا السياسية** خاصة بعدما تمخض من نتائج مصيرية لألمانيا مع الحلفاء، وكتب بعد ذلك حول الموضوع عديد المقالات تنهي أو تدعي نهاية الجيوبولتيكا ونهاية الجغرافيا.

بعد نهاية فترة النقاش الايديولوجي، ومباشرة مع وصول الرئيس **فلاديمير بوتين** إلى السلطة في روسيا **(نظرا لخصائص الرئيس بوتين السيكولوجية ومجموعة محددات أخرى)**؛ برزت روسيا إلى الساحة الدولية وخرجت من عزلتها لتتحول إلى قطب دولي جديد يبحث عن مكان لروسيا بين باقي الأقطاب الأخرى على أن **روسيا** من القوى التي لديها إرث تاريخي وسياسي واستراتيجي كبير إضافة إلى الميراث الثقافي والايديولوجي الذي ورثته عن الاتحاد السوفياتي سابقا. لذلك روسيا اليوم تبحث عن مكان جديد لها لكن ليس من خلال

الايديولوجيا الشيوعية، بل عبر **الايديولوجيا الاستراتيجية الجيوبولتيكية الواقعية البراغماتية** تجاه كل من "خارجها القريب" و"خارجها البعيد" وعلى كل المستويات المحلية والاقليمية والدولية، وعودتها إلى المنطقة العربية تأتي كحلقة جديدة تضاف إلى حلقة شبه جزيرة القرم، أوكرانيا، جورجيا، الشيشان وأخيرا سوريا، ناهيك عن مواقفها **الواقعية المشروطة** الرافضة لأي تدخل في الشؤون الداخلية للدول وفي بعض القضايا المصيرية؛ إنها تبحث عن مكان دولي لقراراتها ومعنًى عالميًا لإشراكها من خلال إعلامها بالقضايا المصيرية تأكيدًا لاحترامها.

وعليه ومن خلال هذا المعطى التمهيدي تتحدد إشكالية البحث في الآتي:

ما حدود تحكم العامل الجيوبوليتيكي في رسم خارطة توجهات السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية خلال فترتي حكم الرئيس "فلاديمير بوتين" الأولى و الثانية؟ و بناء على ذلك : ما حدود القدرة التفسيرية للنظرية الواقعية / الواقعية المشروطة على بناء تفسير عقلاني تأسيسي متماسك لتلك التوجهات؟

أو بالأحرى: ما مدى "مشروطية" واقعية جيوبوليتيكا السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية خلال فترتي حكم الرئيس" فلاديمير بوتين" الأولى والثانية؟

- الأسئلة الفرعية:

- ما الجيوبوليتيكا؟ ما هي أهم اشكالاتها الابستيمولوجية؟
- لماذا نظرية جيوبوليتيكية معاصرة في القرن الحادي والعشرين؟
- هل تنهي الجيوبوليتيكا أزمة التنظير في العلاقات الدولية؟
- ما هي فضاءات وعناصر التحليل الجيوبوليتيكي؟
- ما مضامين الخطابات الجيوبوليتيكية العالمية الكبرى المعاصرة؟
- ما هي أهم الأطر الفكرية للنخبة السياسية الروسية؟
- ما هي أهم المؤشرات الضرورية للفضاءات المختلفة المتحكمة في جيوبوليتيكا (جيوسياسة) روسيا تجاه المنطقة العربية؟
- هل هناك من معادلة مرجح نهائية من خلالها نفهم كيف تتصرف روسيا تجاه المنطقة العربية؟

فرضيات الدراسة:

1- استمرار الخلاف البرادايمي حول تحليل النظام الدولي و العلاقات الدولية، فضلا عن بلوغ العلوم الاجتماعية ككل مرحلة **التفكيكية** ، أسهما نظريا بقوة في انتعاش القصة الرمزية للجيوبوليتيكا **(التحليل الجيوبوليتيكي)**، بما يثبت أهمية **خطاب/نظرية جيوبوليتيكة** معاصرة للقرن الحادي والعشرين تخنق صراع النماذج المعرفية المختلفة.

2- إلى حد ما، تعد أحداثا عالمية ذات أبعاد جيوسياسية على غرار الأزمة في العلاقات مع الغرب **(أحداث الميدان الأوروبي)** و أحداث **الربيع العربي** و كذا إعادة انتخاب "**بوتين**" لفترة ثانية محددات أساسية للصعود الروسي في الفضاء العربي ، و على الأرجح فإن **تدخل روسيا العسكري المباشر في سوريا** ليس إلا مؤشرا حقيقيا على ذلك.

3- رغم كثافة وتعدد تنويعات المقاربات الخطابية الجيوبوليتيكية العالمية الكبرى المعاصرة، والتي تمتد من **خطاب الأطلسية المعاصرة إلى خطاب العولمة، ثم خطاب الأوروبيين إلى خطاب الأوراسيين والأوراسين الروس الجدد**، إلا أنها تنحصر عمليا ضمن ثنائية صراعية راسخة بين الأطلسيين والأوراسيين تحديدًا في شكل صراع جيوبوليتيكي قاري ثنائي وشبه تعددي؛ **التالاسوكراتيا** ضد **التيليروكراتيا**.

4- السلوك الخارجي الروسي – لفترات سابقة –هو محصلة محددات ومدخلات مختلفة (داخلية وخارجية/اقليمية وسيكولوجية)، مع ذلك فإن كاريزما الرئيس "**فلاديمير بوتين**" كانت ولاتزال بمثابة محدد أساسي في صنع القرار الروسي خلال فترتي حكمه .

5- ينبئ التحليل الجيوبولتيكي للسلوك الخارجي الروسي تجاه المنطقة العربية وفي الفضاءات المختلفة **(الاقتصادي + الديمو-بوليتيك + الديبلو-استراتيجيك + الفيزيائي)**؛ عن وجود علاقة تناسبية معقدة وجد متداخلة ما بين تلك الفضاءات بما يثبت وحدة الهدف على مستوى القرار السياسي الروسي الخارجي.

6- يحتكم القرار الخارجي الروسي عادة إلى عامل المصلحة **القومية العليا** لروسيا الإتحادية مع تغليب **منطق القوة**، ما يؤكد بصورة أوضح أن سياسة روسيا الخارجية ومن ثم خطابها الجيوبوليتيكي الخارجي لا يزال راسخًا بعمق في **التقليد النظري الكلاسيكي الواقعي النفعي؛ والتقليد الواقعي المشروط** تحديدًا.

حدود الدراسة:

كما يبدو من خلال عنوان الأطروحة:"**جيوبوليتيكا السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية: نحو فهم واقعية روسيا المشروطة**"، فإن حدود الدراسة تقع بين اطارين عامين يمثلان سلما زمكانيا ضابطا للمساحة البحثية هما:

1-**الاطار المكاني للبحث:** و الدراسة هنا تم حصرها ضمن بعدين مكانيين هما كل من البعد الافتراضي للعلاقة الجيوسياسية على المحور "موسكو-المنطقة العربية" ، و هنا نكون معنيين بتحليل المتغيرات اللامادية المؤسسة للتوجهات الخارجية سواء بالنسبة لروسيا أو لمجموع الدول العربية(مكونات النظام الإقليمي العربي)، بالإضافة إلى البعد الفيزيائي المادي و الذي ينحصر جيوسياسيا في المنطقة العربية من ناحية إقليمية ؛على أننا قد قمنا بحصر الدراسة في مستويين اقليميين فقط هما بعض الدول العربية المحسوبة على منطقة الشرق الأوسط مثل سوريا و العراق و مصر، بالإضافة إلى بعض دول الخليج العربي كالسعودية و الأردن، و من مبررات ضبط هذا الاطار المكاني العام للدراسة عامل الخصوصية النمطية للمكونات الأساسية للنظام الإقليمي العربي، إضافة إلى صعود الدور الروسي الاستراتيجي مؤخرا بصورة ملفتة في المنطقة العربية و انتهاج روسيا لسياسة خارجية ذات أدوات ووسائل واقعية.

2- **الاطار الزمني للبحث:** و قد تم حصر المرحلة الزمنية للبحث بصورة ضمنية بين مرحلة بوتين "الأول" من 2000 إلى غاية 2008 ثم مرحلة بوتين "الثاني" من 2012 إلى غاية 2018 ، على اعتبار أن المنطقة العربية بالنسبة لروسيا الاتحادية لم تكن ذات أهمية قصوى خلال فترة "**بوريس يلتسين**" فضلا عن كونه ذو توجه ليبيرالي أكثر مما هو واقعي أو قومي، على عكس ذلك خلال فترتي حكم الرئيس "بوتين" رجل المخابرات القومي و الواقعي و الليبيرالي و كذا رجل التفكير الجيوسياسي و الجيواستراتيجي ، أين أصبحت المنطقة العربية و خاصة قضية "سوريا" اليوم تلعب كورقة روسية مربحة مع الغرب ، كما أنها باتت المساحة الاستراتيجية للمناورة الروسية ضد القوى و العوامل الخارجية المهددة لأمن روسيا (خاصة دول أوروبا و الولايات المتحدة الأمريكية) و ذلك لصالح حسابات و مصالح جيوسياسية.

مبررات خطة البحث:

لمعالجة الإشكالية المطروحة آنفًا تبنينا خطة عمل من **أربعة فصول رئيسية** بحيث: الفصل الأول يرد تحت عنوان: **الجيوبوليتيكا: مدخل إلى النظرية والخطاب المعاصرين**، ويرد تحت هذا الفصل مبحثين مهمين، **المبحث الأول** بعنوان: **النظرية الجيوبوليتيكية-المعاصرة: رؤية ابستيمولوجية** والذي يتضمن بدوره مطلبين مهمين، الأول يتناول بإسهاب العلاقات الدولية بين وهج وانبثاق وصعود الخطاب الجيوبوليتيكي وفوضى النقاشات والتنظير السائد ضمن الحقل المعرفي للعلاقات الدولية، وقد طرحنا تساؤلين مهمين من خلاله عن جدوى نظرية جيوبوليتيكية معاصرة للقرن الحادي والعشرين، خاصة في ظل احتدام النقاشات وتصاعد الخلاف البرادايمي وأفول التحليلات الجيوبوليتيكية مرحليا ما بعد نهاية الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفياتي، ثم تساؤل ثان يتبنى الاجابة ولو بصورة جزئية عن حدود قدرة التحليل الجيوبولتيكي على إنهاء أو تجاوز فوضى

التنظير في الحقل المعرفي للعلاقات الدولية.أما المطلب الثاني فيتناول أغلب الاشكالات الابستيمولوجية حول النظرية الجيوبوليتيكية وهو يركز بصورة معمقة على محاولة فهم ترجمة أعمال واسهامات "**جيرار دوسوي**" واعطاء ترجمة صحيحة لطروحات وأفكار جديدة مثل إشكالية **دينامو–جينيك الفواعل و Systèmographie الفضاء العالمي، Relativisation الفواعل** بالإضافة إلى **نمط التكوين والبنية التحتية الجيوبولتيكية والإتساق الذاتي الطوبوغرافي** وغيرها من الاشكالات **كالنظامية المكانية** ، بالإضافة إلى تعرضه إلى مفهوم **الجيوبولتيكا الابستيمولوجي.**

أما **المبحث الثاني** فيرد تحت عنوان: **الخطابات الجيوبوليتيكية الكبرى المعاصرة: مرحلة الحرب الباردة وما بعدها،** يضم بدوره أربع مطالب رئيسية، بحيث يتناول المطلب الأول مضامين الخطابات الجيوبوليتيكية الأطلسية المعاصرة من خلال طروحات "**كارل شميدت**"، مع الإشارة إلى كل من أطروحة صدام الحضارات "**صموئيل هنتينغتون**" (أطلسية هنتغتون الجديدة)، بالإضافة إلى خطاب"**فرانسيس فوكوياما**" حول نهاية التاريخ و ذلك كله فيما يتعلق بالأبعاد الجيوبوليتيكية لكلا الأطروحتين، ثم المطلب الثاني متحدثا عن خطاب العولمة وتحدي التحول نحو تعددية جيوبوليتيكية، بالإضافة إلى مطلب آخر يشرح مرحلة التحول نحو إعادة منهجة الخطاب الجيوبوليتيكي في اشارة إلى تأكيد تعددية الرؤية **الجيوبوليتيكية الأوروبية؛** سواء **الجيوبوليتيكا التطبيقية الداخلية** منها أو **الجيوبوليتيكا الإليكترونية،** بالإضافة إلى خطاب "**اليمينيون الجدد**" الأوروبي، بالإضافة إلى المطلب الأخير من هذا الفصل والمتضمن لخطاب **الأوراسية الجديدة الجيوبوليتيكي** والذي يكتسي بالغ الأهمية فيما يتعلق بموضوع بحثنا، باعتباره يجسد أحد المقاربات النظرية التي على أساسها تبنى التوجهات الروسية الجديدة، خاصة ما يتعلق بفكرة الثنائية الجيوبوليتيكية الجديدة.

بالنسبة **للفصل الثاني** و الموسوم **بـ: الأطر النظرية و الفكرية للسياسة الخارجية الروسية : جدل الأولويات و المحددات، الواقعية و الواقعية المشروطة** فقد ارتأينا أن نضمنه مبحثين مهمين على أنه كان من الضروري معرفة القناعات النخبوية السياسية و توجهاتها الفكرية داخل روسيا خاصة تجاه التوجهات الملائمة الجديدة لروسيا فيما يتعلق بخارجها القريب أو خارجها البعيد ، باعتبارها محركًا أساسيًا مساعدًا على تنفيذ قرارات الكريملين و الرئيس الروسي الحالي "**فلاديمير بوتين**" ، هذا على الرغم من الكاريزما التي يتمتع بها الرئيس ، اضافة إلى عدم اغفال تأثيرات بعض التيارات المحسوبة على الأوليجارشيا و رجال المال و الأعمال داخل روسيا**(جماعة السيلوفيكي)**، أو ممن هم محسوبين على الكنيسة الأورثوذكسية أو المحافظين أو غير ذلك ، و قد اتضح أن هناك مدرسة **جيوبوليتيكية أوراسية جديدة و ثلاث مدارس عريقة** في روسيا تمثلت في المدرسة الواقعية و المدرسة الليبرالية و القومية اليسارية، هذا كما أنه كان من البديهي أن نتحدث عن بعض الاشكالات المقارباتية اللصيقة بمنظور فكري أصيل كحكمة أزلية في حقل العلاقات الدولية و هو

المنظور الواقعي ، مع محاولة ضبط بعض المفاهيم المتضاربة (الأمن، القوة، الغش، المكاسب النسبية، الأمن الناعم، الأمن الخشن) فضلا عن ضرورة بحث مسألة القدرة التفسيرية للنظرية الواقعية على فهم وتفسير السلوك الخارجي الروسي اليوم ؛علمًا أنه من ناحية نقاشية ينظر في الغالب **للنظرية الواقعية كنظرية كبرى لتحليل السياسة الدولية و ليس كنظرية جزئية لتحليل السياسة الخارجية للدول أو حتى كإحدى نظريات الصف المتوسط حسب بعض الرؤى**، اضافة إلى محاولة تتبع المسار الفكري للتقليد الواقعي حسب الأفكار و القيمة المعرفية التي تفيد الاستمرار في دفع موضوع بحثنا بالاتجاه الصحيح خارج حدود التضارب في الطروحات(التعارض بين" **كينيث والتز**" و "**كولين إلمان**" مثلا) ، مؤكدين بذلك أن محاولتنا البحثية قد تنجح منهجيا في حال لجوئنا إلى مناهج كمية كالهندسة الرياضية و الاحصاء، فكان من الضروري إذًا اثارة الأفكار الواقعية في بعدها التفسيري التأسيسي العقلاني.

مع ذلك ، لم يكن الموضوع قد بلغ مرحلة الاسقاط النظري و التحليل في المستوى الامبريقي على أساس الاخراج الانتقائي للمشاهد الأكثر وضوحًا والأشد ضبابيةً و الأكبر وزنًا بالنسبة لطبيعة إشكالية البحث ، ما تطلب **فصلًا جديدًا ثالثًا** يتألف من **مبحثين** رئيسيين ، يرد الفصل تحت عنوان: **حدود الواقعية الجيوسياسية لروسيا الاتحادية في المنطقة العربية: مقاربات تحليلية**، ذلك أن التحليل الجيوبوليتيكي يقوم أساسًا على التحليل المساحي للظواهر و الأحداث ما استدعى **مبحثًا أولًا** بعنوان: **مقاربة اقتصادية لخطاب روسيا الاتحادية الجيوبوليتيكي تجاه المنطقة العربية: محددات واقعية** باعتبار الفضاء الاقتصادي أحد أهم الفضاءات الجيوبوليتيكية الأساسية سواء من ناحية منهجية أو من حيث واقعية تفسير "**حركة– مجال**" روسيا تجاه المنطقة العربية عبر جملة المؤشرات الحقيقية، مع الأخذ بعين الاعتبار حصر الحالات الدراسية للمنطقة العربية في كل من سوريا و مصر و العراق و دول الخليج العربي مثل الأردن ؛ و على وجه التحديد المملكة العربية السعودية باعتبارها نموذجا قد يصلح للتعميم على باقي دول مجلس التعاون الخليجي ، و حصر الدراسة هنا يأتي على خلفية بعض الصعوبات التي صادفت البحث اضافة إلى خصوصية العلاقات الروسية العربية في مناطق مثل الشرق الأوسط أو منطقة الخليج العربي، ولم يكن ذلك عن تقصير منا بقدر ما هو عامل مساعد على ضبط عينات دراسية بصورة مدققة قد تقبل نتائج تحليلها عملية تعميمها على منطقة حوض المتوسط مثلا أو المنطقة المغاربية أو حوض النيل أو غيرها من المناطق. هذا بالإضافة إلى **مبحث ثان** يتمثل في تحليل مؤشرات كل من الفضاء "**ديمو–بوليتيك**" والفضاء "**دبلو–استراتيجيك**" وهو يرد تحت عنوان: **مقاربة ديمو– بوليتيك– دبلواستراتيجيك لخطاب روسيا الجيوبوليتيكي تجاه المنطقة العربية: محددات واقعية**، نبحث من خلاله أيضا نفس الحالات الدراسية السابقة ولكن من خلال استخراج المؤشرات مع ضبط متغيراتها المختلفة الداخلية منها و الخارجية، سواء بالنسبة للفضاء "الديموغرافي–السياسي" أو الفضاء "الدبلوماسي–الاستراتيجي"

و كل من هذين المبحثين يساعدنا بصورة عملية على بناء تصور أوضح لاخراج انتقائي للمَشاهد ؛ بما يضمن امكانية اختبار حدود القدرة التفسيرية للنظرية الواقعية بتنويعاتها المختلفة **خاصة المشروطة** منها على بناء افهامات متماسكة حول محددات السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية.

في الواقع ، و نظرا للوقوف مرات عديدة – خلال مسار هذا البحث– على عديد الخلافات و التناقضات و الأحكام المسبقة بين أغلب الدراسات التحليلية للموضوع و من زوايا أخرى ، قد تكون مختلفة أو متضاربة بالمقارنة مع زاوية الدراسة التي تبنيناها، كان من الضروري السعي من ناحية منهجية تحليلية إلى ضرورة اضفاء الصفة التعديلية و محاولة امتصاص فوضى التحليلات أو على الأقل التقليل منها خاصة فيما يخص الملف السوري العالق، و هو ما أيد فكرة اقحام المنهج الهندسي الرياضي كمنهج استنباطي مع اشارات احصائية مثل طريقة ناجعة في فك لغز روسيا الجيوسياسي في المنطقة العربية **(مدخل جيومتري احصائي)** ، لذلك ارتأينا اقحام **فصل رابع** أخير تحت عنوان : **حدود العلاقة التناسبية العاملية و آفاق الواقعية الجيوسياسية الروسية المعاصرة: نحو اعادة هندسة الوضع القائم** ، و الذي تبنينا من خلاله محاولة حساب أو تحديد معادلات رياضية، انطلاقا من تصورات هندسية للعلاقة التناسبية، القائمة حصرا بين الفضاءات الثلاث، التي قمنا بضبط مؤشراتها و متغيراتها الحقيقية، كل ذلك نابع بالأساس من تصور وجود مساحة عامة شاملة تحمل الخصائص المتضمنة داخل كل فاعل أو حقل أو فضاء من تلك الفضاءات التحليلية و هي معادلات تضبط نقطة مركزية تسمى **المرجح أو مركز ثقل** كل المؤشرات، و من ثم كل الفضاءات، على أساس تلك المعادلات من زاوية افتراضية، يمكن فهم "**حركة–مجال**" روسيا تجاه المنطقة العربية، و بالتالي الوقوف على التفسير الصحيح انطلاقا من مؤشرات تخضع لحالة من **التتاخم و التداخل و التعقيد من كل الجوانب ، هذا فضلا عن الضبابية التي تكتسي فعلًا تصرفات روسيا و قراراتها في المنطقة و العالم هذا من خلال المبحث الأول**، و للرد على بعض القلق الذي يعتري النخبة العربية و الغربية على السواء حيال التوازنات الجيوسياسية الجديدة في المنطقة العربية و العالم خاصة مع التغيرات الحاصلة على المستويين الإقليمي و العالمي، فضلا عن سلسلة الانكسارات في بنية النظام الدولي القائم ، خاصة مع الحسابات الروسية غير المعتادة و " حركة –مجال" روسيا غير القابل للتفسير الأحادي الخطي. ومنه، وانطلاقا من بعض التحليلات والرؤى والقناعات السائدة؛ حاولنا ضبط مسار "حركة – مجال" روسيا مستقبلا بالنسبة للمنطقة العربية فحسب، وذلك من خلال **مبحث ثان** وأخير بعنوان: **آفاق الواقعية الجيوسياسية الروسية المعاصرة: نحو اعادة هندسة الوضع القائم.**

المقاربة المنهجية للدراسة:

اعتمدنا في دراستنا للموضوع محل البحث عدة مقاربات ومداخل وأدوات منهجية مهمة وضرورية، وذلك توافقًا مع طبيعة إشكالية البحث ومضمونها، تمثلت أهم تلك المداخل والأطر المنهجية في:

- **المنهج التاريخي (Historical method):**

تحدد لدينا الدور الأساسي للمنهج التاريخي ؛ كتقنية أساسية من تقنيات تقديم المعلومات و التي يُنظر فيها إلى الموضوع من حيث مراحله الأولى ويتم اتباعه في مسار تاريخي من خلال تطوره و تطوره اللاحق ، فقد ساعدنا على الاطلاع على المسارات الكرونولوجية للأحداث فيما يتعلق بسياسة الاتحاد السوفياتي السابق ، والوقوف على الأسباب المباشرة و غير المباشرة لانهياره ومن ثم قيام ما يعرف اليوم بروسيا الاتحادية اختبارًا لدور العامل الجيوبوليتيكي تاريخيًا، كما أن المنهج التاريخي –من ناحية أخرى–مكننا من اعادة الاطلاع على مسار العلاقات التاريخية القائمة بين روسيا و المنطقة العربية جيوسياسيا خاصة فيما يتعلق ببعض الملفات المهمة ضمن فضاءات بعينها، على أن تاريخ دولة امبراطورية بحجم روسيا من ناحية هووية اثنوغرافية تاريخ حافل بالأحداث و المكاسب و الانكسارات أيضا ؛ فحري بمن يبحث مواضيع بهذه الطبيعة أن يتبنى المنهج التاريخي.

- **منهج التحليل الجيوبوليتكي (Geopolitical Analysis Methodology):**

التحليل الجيوسياسي يجب أن يحدد حقائق وأهداف مشكلتنا الرئيسية، و على وجه الخصوص فإنه يعين **حدود المركب أو الهيكل الجغرافي** (مساحة النظام الكلي) ، فالهيكل والمفاهيم والشروط تشكل المنطقة الجغرافية المراد تحليلها"المنطقة العربية ضمن بحثنا"، و هو بذلك **يضبط لنا المنطقة (الداخلية أو الخارجية) للهيكل الجغرافي** أي مجال الاهتمام "كمجال توزيع أو إعادة توزيع القوة" بسبب تأثير عامل جيوسياسي معين"إشارة إلى الفضاءات التحليلية المختلفة"، هذا بالإضافة إلى **الوقوف على العامل الجيوسياسي(المؤشر الحقيقي) الذي يمكن أن يؤثر على توزيع القوة** في المجال الداخلي أو الخارجي للمجمع أو المركب الجغرافي المعطى"**معادلة المرجح النهائية الصماء المحددة بصورة افتراضية للمؤشر الحقيقي المشترك**".

بالنسبة لموضوع بحثنا "**جيوبوليتيك السياسة الخارجية الروسية** تجاه المنطقة العربية"، فإنه يجب وصف الديناميات الجيوسياسية، وكذلك تبيان كيف يؤثر "**عنصر القوة**" في "العامل الجيوسياسي" قيد الدراسة على سلوك النظام محل الدراسة في إطار النظام الأعلى(H). وتجدر الإشارة إلى أنه في هذه المرحلة من الدراسة، كما في أي مرحلة أخرى من التحليل الجيوسياسي، لا نقدم أي مقترحات(توصيات) وبذلك سوف نكون معنيين بكشف ووصف «**الهياكل، والإجراءات، والوظائف، والتأثيرات، والأشكال، وديناميكيات العامل**

الجيوسياسي" **أي تحليل حركية و نظامية الفاعل** "روسيا"**من حيث المحددات و الأهداف فقط**، وكذلك كيف يتصرف النظام بسببها فالتوصيات لا تشكل جزءًا من التحليل الجيوسياسي حسب كثير من الباحثين، وهي بذلك تشكل جزءًا من **منهج جغرافي استراتيجي** يمكن تنفيذه إذا طُلب ذلك ومن خلال الاستفادة من نتائج التحليل الجيوسياسي الذي تم إجراؤه مسبقًا، و هنا يمكن أن نشير إلى أننا لسنا مطالبين – من خلال بحثنا هذا– **بتقديم حلول لما يجري سواء لصالح روسيا أو دول المنطقة العربية.**

منهج التحليل الجيوبوليتيكي قائم أساسًا على عملية تحليل مساحي للأحداث و الظواهر من خلال عناصر مهمة ينبغي بحثها تتمثل في تحليل **عامل الحدث** و **جوهر الحدث** و **بيئة الحدث** ، اضافة إلى اعتماد تحليل مكونات و مؤشرات الفضاءات أو المجالات المهيأة، و هي أربع فضاءات رئيسية تتمثل في الفضاء الاقتصادي و الفضاء "الديموغرافي–السياسي" و الفضاء "الدبلوماسي–الاستراتيجي"، غير أن دراسات أخرى تتحدث عن وجود فضاء افتراضي خامس يتعلق بالفضاء السيبراني الاليكتروني، و تحليل الفضاءات ينبؤنا بدينامو–جينيك و Systémographie الفواعل داخل النظام فضلا عن تحديد طبيعة البنية التحتية الجيوبوليتيكية و الاتساق الذاتي الطوبوغرافي و غير ذلك من المكونات ، وهو ما تبنيناه فعلا ضمن مساحة البحث حول حدود الجيوبوليتيك الروسي الواقعي المشروط تجاه المنطقة العربية.

- **المنهج الاستنباطي (الهندسة الرياضية (Geométrie The deductive Method**

اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج الرياضي الاستنباطي، و تحديدا تم الاعتماد على الهندسة الرياضية الاسقاطية كتطور جديد للهندسة الرياضية المعاصرة، و هي تختلف عن الهندسة التحليلية من حيث كونها دون قياسات أو خطوط متوازية ، فهي تهتم فقط بدراسة علاقة النقاط الهندسية ببعضها، و قد اعتمدنا في دراستنا على تعيين معادلات المرجح النهائية بغية التأكيد على أن لكل حالات الدراسة معادلة مرجح لنفس الفضاء الخاص بها ، ثم هناك مرجح نهائي لكل الفضاءات مجتمعة مع بعضها البعض بما يثبت وجود مساحة مؤشرات كلية شاملة مشتركة (المبحث الثالث ضمن الفصل الثالث) بين جميع الفضاءات تثبت وجود مؤشرات مشتركة ضمن مكون واحد يحمل خصائص كل أو بعض منها.

- **منهج الاحصاء الاستدلالي (Methodology of explanatory statistics):**

و هو يختلف عن منهج الاحصاء الوصفي، بحيث ساعدنا على وضع اقتراح منهجي لبحث الموضوع قيد الدراسة عن طريق حساب معامل الارتباط "**r**" بين الفضاءات، ثم بين المؤشرات و التي قد تشكل في حالات معينة "**سحابة**"Nuage بحسب الرسوم البيانية التصورية، و هو اقتراح بحثي مهم يحدد طبيعة العلاقة القائمة و يحدد معامل الارتباط و طبيعته بين أغلب الفضاءات بصورة مجردة، لكن من خلال وجود قيم و نسب و فروض احصائية صفرية أو بديلة، علما بأن موضوع بحثنا يجب أن يخضع لأساليب استدلالية

"**لابارامترية**" (لا معلمية) نظرا لعدم وجود قيم واضحة و معالم محددة، و فضلا عن عدم استيفاء شرط التوزيع الاعتدالي لمجتمع البحث.

- **المنهج الاستشرافي (Predictive Method)**:

اعتمدنا "**استشراف المستقبل**" أو ما يعرف بمنهج الدراسات المستقبلية باعتباره مجموع الدراسات والبحوث التي تكشف لنا عن مشكلات محتملة في المستقبل، وتتنبأ بالأولويات التي يمكن أن تحددها بوصفها حلولا لمواجهة هذه المشكلات، وقد ساعدنا هذا المنهج على وضع تصورات تنبؤية للجيوسياسة الروسية في بعدها الواقعي تجاه المنطقة العربية من خلال رسم بعض السيناريوهات والاحتمالات التنبؤية.

الأدبيات السابقة:

وجد موضوع: "**جيوبوليتيكا السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية: نحو فهم واقعية روسيا المشروطة**" مشتتًا و موزعًا عبر الكثير من الأبحاث والدراسات وأوراق العمل خاصة الغربية منها، بما في ذلك بعض الأعمال التي دفعت أهميتها الدارسين إلى الإسراع في ترجمتها واخراجها إلى المتلقين على اختلاف اهتماماتهم، بيدَ أن أغلب تلك الاهتمامات البحثية و الدراسات السابقة لم تتبن المنهج الرياضي الهندسي في التحليل الجيوبولتيكي للفضاءات ، فضلًا عن أن معظم تلك الدراسات الغربية تركز دوما على العلاقة القائمة بين روسيا والغرب سواء أوروبا (الاتحاد الأوروبي أو الولايات المتحدة الأمريكية) اعتبارا لأهمية الموضوعات البحثية و ثقلها الأكاديمي ، غير أنها–من خلال ذلك– **هي تهمل الدور العربي على أهميته القصوى في انتعاش مشروع الهيمنة العالمية** وتبلور الواقعية البراغماتية الجديدة لروسيا الجديدة في المنطقة العربية، مع ذلك، فقد بحثت بعض الدراسات المتخصصة – بصورة محدودة– توجهات السياسة الخارجية الروسية تجاه كل من "خارجها البعيد" و "خارجها القريب" بما في ذلك المنطقة العربية، ومن أهم تلك الدراسات :

- دراسة جيوبوليتيكية تأصيلية جد مهمة (كتاب) "**لألكسندر دوغين**" بعنوان: " **أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي**"، ضمنه المؤلف ثمانية أجزاء رئيسية أَصَل من خلالها لعلم الجيوبوليتيكا، كما تطرق بعمق إلى أهمية الجيوبوليتيكا و التحليل الجيوبوليتيكي ، مشيرا إلى أن **لروسيا القوة الأوراسية** جيوبوليتيكيا داخلية وأخرى خارجية ، و من بين فرضياته الرئيسية اعتقاده استمرار الصراع و الصدام الجيوسياسي العالمي الجيوبوليتيكي الذي تعكسه فعلا ثنائية "**الأوراسية ضد الأطلسية**" ، كما ينظر إلى أنه يجب على روسيا أن تتبنى مشروع **تجميع الامبراطورية** من أجل روسيا المستقلة في القارة المستقلة، عبر بناء تحالف يشمل أوروبا و آسيا و جزء من العالم الإسلامي ضد التالاسوكراتيا، وبالنسبة للعالم العربي فهو يؤصل لما أسماه "**جيوبوليتيكا الخلافة**" ، وصولا إلى الفترة الراهنة التي يتحدد من خلالها وضع العالم العربي؛

بالإضافة إلى النموذج الايراني "**الديني**" ودور إيران في بلورة توجهات روسيا من خلال المحور"**موسكو–طهران**".

- كتاب آخر مهم لـ **س.غ. لوزيانين**"، "**عودة روسيا إلى الشرق الكبير**"، ترجمة هاشم حمادي، 2012. حدد من خلالها مفهوم الشرق الأدنى الموسع والشرق الأوسط والشرق الكبير، وهي دراسة مهمة بحيث تتناول موضوع المنطقة العربية مثل ترانزيت لروسيا في المنطقة، مع دراسة كل منطقة على حدا بالإضافة الى تعدد الحالات الدراسية للدول في علاقاتها مع روسيا اعتبارا لمحددات اقتصادية وسياسية واستراتيجية جد متداخلة، يهدف هذا المرجع إلى الكشف عن الخصوصية المعاصرة لسياسة "بوتين" في الشرق و ذلك من خلال الاجابة عن الأسئلة التالية: – بماذا تختلف الاستراتيجية الشرقية الحالية للدولة الروسية عن نظيرتها في عهد "يلتسين"؟ ثم هل هناك فعلا مشروعا استراتيجيا دوليا جديدا لفلاديمير بوتين يعرف باسم "عودة روسيا إلى الشرق"؟هل سيسمح تنفيذ هذا المشروع لروسيا بتبوء مكان مناسب في الشرق و استعادة النفوذ و الهيبة السابقين؟بالاضافة إلى محاولة المؤلف استقراء السيناريوهات المحتملة لتطور السياسة الروسية في الشرق في عامي 2007–2008.

- دراسة ابستيمولوجية لـ **Gérard Dussouy**، بعنوان:**.Quelle Geopolitique Au Xxe Siecle** "**أية جيوبوليتيك للقرن العشرين**"، (كتاب بصيغة **pdf**) ، بحيث أن "دوسوي" قد أشار إلى الجانب الابستيمولوجي للجيوبوليتيكا **كعلم المكان السياسي**، مؤكدا وجود اشكالات منهجية و مفهومية معرفية تتعلق بجملة عناصر و مكونات ضرورية، لتحقيق مستوى من الفرز المفاهيمي بين الجيوبوليتيكا **كعلم المكان السياسي** و الجيواستراتيجية ذات الصلة بمفاهيم دلالية أخرى مختلفة، كما تطرق إلى مسألة **النظامية المكانية و البنية التحتية الجيوبوليتيكية**، فضلا عن الاشارة إلى وجود جانب من **الاتساق الطوبوغرافي الذاتي** في مسألة تفاعل و تموضع الفاعل محددا أربع فضاءات مهمة في التحليل الجيوبوليتيكي (الفضاء الاقتصادي و الفضاء الفيزيائي، و الفضاء الدبلوماسي–استراتيجي، و الفضاء الديموغرافي–السياسي" .

- دراسة أخرى مهمة (ورقة عمل) للباحثة **آنا بورشيفكايا**، باحثة في معهد واشنطنWashington Institute، بعنوان: "**روسيا في الشرق الأوسط": الدوافع – الآثار– الآمال**"،2016. وهي دراسة جد قيمة تحمل اضافة مهمة لموضوع العودة الروسية إلى المنطقة العربية، بالإضافة إلى بحث محددات السياسة الخارجية الروسية تجاه دول منطقة الشرق الأوسط، مع وضع جملة نتائج وتوصيات جد هامة لصالح الولايات المتحدة في مواجهة روسيا خاصة في سوريا بالتحديد.

- دراسة ثانية (ورقة عمل) لنفس الباحثة: **Anna Borshchevskaya** بعنوان: "**روسيا في سوريا (جزء 1): تراجع القدرات العسكرية لن يعيد موسكو، 8 سبتمبر 2015**"

"Russia in Syria (part 1): Declining Military Capabilities Won't Hold Moscow Back, September 8, 2015"

- دراسة مهمة في شكل مقال لمنظمة **RAND** البحثية التعاونية غير الربحية بعنوان: "**السياسة الخارجية الروسية في السياقين التاريخي والحالي**" لمجموعة مؤلفين: أولجا أوليكر" Olga Oliker"، وكريستوفر إس تشيفيس "Christopher S. Chivvis"، وكيث كرين "Keith Crane"، وأوليسيا تكاشيفا "Olesya Tkacheva" و "Scott Boston" سكوت بوسطن، تثير مسألة أو أزمة أوكرانيا ودور الاقتصاد الروسي في السياسة الخارجية الروسية كما تبحث الدراسة تأثير دور النخبة والرأي العام، اضافة إلى دوافع الرئيس "بوتين" واختياراته.
- دراسة أخرى لمنظمة **RAND** البحثية بعنوان: "**الاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط**" **(منظور تحليلي)**، للمؤلفين Ben Connable (بِنّ كونّابل) و Becca Wasser(بيكّا واسّر) و(جيمس سلادِن) James Sladden، و (Clement Sarah Grand) (سارة غران– كليمان).
- مؤلف آخر (كتاب) بعنوان **La Russie Pour Les Nuls** لـ: **Eugène Berg** يتناول قوة روسيا الناعمة و الصلبة، كما تتناول الدراسة موضوع خلفية الثورات الملونة (أوكرانيا ، جورجيا)، كما تبحث المكانة الاقتصادية العالمية لروسيا، بالاضافة إلى بحث آفاق روسيا في منطقة "الأركتيك" (الشمال الكبير).وهي دراسة تفترض أنه ما من جدوى لروسيا جراء ما تقوم به من توجهات في أماكن كثيرة من العالم.
- دراسة لـ **Pascal Marchand** بعنوان "**جيوبوليتيك روسيا**" **Géopolitique De La Russie .2007.**
- مؤلف آخر(كتاب) يحدد مفاهيم ومسار تطور علم الجيوبوليتيكا، بالإضافة إلى دراسة بعض التحولات الكبرى ذات الأبعاد الجيوسياسية على مستوى السياسة الدولية للمؤلف باسكال بونيفاس Pascal Boniface بعنوان: **الجيوبوليتيك، 42 ورقة مواضيعية وموثقة لفهم الأحداث،2016.**

La Géopolitique, 42 Fiches Thématiques Et Documentées Pour Comprendre L'actualité,2016.

- مرجع (كتاب) بعنوان "**ماذا يريد بوتين؟**? **Que Veut Poutine** للمؤلف **Jean Robert Jouanny**، وهي دراسة مختصرة و دقيقة تتألف من ثلاث أجزاء وسبع فصول، يتساءل المؤلف من خلالها عن وحدة روسيا المزيفة في الداخل الروسي، كما يشير إلى عدم قابلية المعادلة الداخلية الروسية للحل، مع بحث الأسس الفكرية للنظام الروسي وتأثير البوتينية على السياسة الخارجية الروسية محددا بذلك توجهاتها الكبرى ، وكذا دور روسيا في كل من الخارج القريب والخارج البعيد، ليختم المؤلف بحثه بالأزمة الروسية في الفكر الأوروبي مشبها ذلك بالأزمة الألمانية في الفكر الأوروبي.
- دراسة أخرى لـ: **Arnaud Leclercq** بعنوان: "**روسيا قوة أوراسيا . التاريخ الجيوسياسي من الجذور إلى(حتى) بوتين**". **La Russie Puissance D'Eurasie. Histoire Géopolitique Des Origines à**

Poutine، تتناول الدراسة علاقة روسيا بمجموعة الدول المستقلة CEI(الخارج القريب)، و كذا العلاقة مع بيلاروسيا و اليابان و الولايات المتحدة الأمريكية من خلال استعراض احداث الحرب الباردة تاريخيا، بالإضافة إلى مشكلة دول البلطيق و مشكلة كلينينغراد.

- دراسة لـ: **David Teurtrie** تحت عنوان : **جيوبوليتيك روسيا ، التكامل الإقليمي ، قضايا الطاقة ، التأثير الثقافي** **Géopolitique De La Russie, Intégration Régionale, Enjeux Energétiques, Influence Culturelle**، تعرض من خلالها المؤلف لموضوع التكامل الاقليمي مع الخارج القريب و كذا التحديات الطاقوية أمام روسيا (طرق الامداد و العبور) ، بالإضافة إلى التأثير الثقافي على توجهات روسيا (العامل الاثنوغرافي) و هي دراسة مهمة تفيد في الاطلاع على طبيعة المتغيرات أو المحددات الداخلية للسياسة الخارجية الروسية.
- عمل "جماعي" أيضا مهم من تأطير وتوجيه **Hélène Blanc** بعنوان: **وداعًا بوتين: الاتحاد الأوروبي – روسيا – وأوكرانيا**. **Goodbye, Poutine: Union Europeenne-Russie-Ukraine** ، يبحث من خلاله مجموعة من الباحثين تداعيات وتحديات التوجهات الخارجية الروسية على منطقة شبه جزيرة القرم من خلال أزمة التدخل في أوكرانيا كما يثير اشكالية الهوية الروسية و علاقة ذلك بسياسات دول أوروبا الغربية و دول الاتحاد الأوروبي عموما، فضلا عن بعض النقاشات حول تداعيات توسع حلف الأطلسي شرقا و مخاوف روسيا تجاه ذلك التوسع، اضافة إلى مناقشة الدور المحوري لشخصية الرئيس "بوتين" و ثقلها في الأبعاد الجيوسياسية لتوجهات روسيا خصوصا تجاه اوروبا.

صعوبات البحث:

1- ضمن الفصل الأول (الشق الابستيمولوجي)، صادفتنا صعوبة إيجاد الألفاظ المناسبة باللغة العربية والمرادفة لبعض المصطلحات والألفاظ باللغات الأجنبية بما يضمن المعنى الحقيقي لتلك الألفاظ، وذلك رغم ثراء اللغة العربية باعتبارها لغة البحث الأساسية، و يتعلق الأمر هنا بمسألة صعوبة تعريبها أو ترجمتها، منها على سبيل المثال لفظة Relativisation و هي تحمل معنى "**إضفاء طابع النسبية على حركية الفاعل و نظاميته**" كما لا يمكن هنا للفظة "نسبية" أو "تنسيبية " أن تؤدي نفس معنى الجملة المذكورة باللغة العربية، ما زاد من صعوبة الفهم الحقيقي لمادة النص الأصلي، و ينسحب الأمر ذاته على كل من لفظة Systèmographie و لفظة Dynamo-Génique. و Recontextualsation التي تعني "**إعادة سياقية دائمة لتكوين الفواعل**" ، هذا، بالإضافة إلى صعوبة بناء تصور افتراضي لبعض التحليلات و الإشكالات الابستيمولوجية الأكثر تعقيدا كأن نتحدث عن خاصية "**الكتامة** " Imperméabilité ضمن

الأفعال الإنسانية المسبقة التشكيل ، كعامل مؤثر على تصور الفاعل للبنية التحتية الجيوبوليتيكية، و غير ذلك من التصورات التحليلية.

2- صعوبة ضبط الحالات الدراسية للمنطقة العربية اعتبارا لعدد الأقاليم والمناطق التي على أساسها تم تقسيم المنطقة العربية، **(منطقة الشرق الأوسط، الخليج العربي، منطقة حوض النيل، المغرب العربي، حوض البحر الأبيض المتوسط، شمال افريقيا...)**، بالإضافة إلى الاختلاف القائم بين الباحثين والمختصين حول نشاط وفعالية السياسة الخارجية الروسية في بعدها الجيوسياسي ضمن تلك التقسيمات والفضاءات العربية المختلفة، فضلا عن أهميتها المتفاوتة بالنسبة لروسيا.

3- اختلاف زاوية بحث الموضوع مقارنة بمواضيع أخرى، وكنتيجة لذلك كان من الصعب الوقوف على عملية **ضبط المؤشرات الحقيقية بمتغيراتها، وتصنيفها ضمن خارطة عمل تقنية** تسمح لنا نسبيا باستبعاد بعض الاهتمامات البحثية الأخرى خارج نطاق المأخذ التقني للتحليل.

الفصل الأول:

الجيوبوليتيكا: مدخل إلى "النظرية والخطاب" المعاصرين

الفصل الأول: الجيوبوليتيكا: مدخل إلى "النظرية والخطاب" المعاصرين

المبحث الأول: النظرية الجيوبوليتيكية المعاصرة: رؤية ابستيمولوجية

في مطلع القرن العشرين، تبلورت في أوروبا فهوم جديدة حول الحرب والصراع والقوة والأمن، ولم يكن بمقدور الفكر الغربي– حتى تلك اللحظة– أن ينضج خارج حاضنة الجغرافيا السياسية، أو الجغرافيا العسكرية على أكثر تقدير، بيد أن حدثًا عالميًا بحجم الحرب الأولى في أوروبا بسبب صعود النازية كان كفيلًا بميلاد **معهد ميونيخ للجيوبوليتيكا** بقيادة العسكري والرجل الأكاديمي الألماني "**كارل هاوسهوفر**"، لتصبح الجيوبوليتيكا بعد ذلك **علمًا للمكان السياسي** إن لم نقل هي **علم مقومات قوة الدولة وبقائها.**

المطلب الأول: العلاقات الدولية بين وهج الخطاب الجيوبوليتيكي وفوضى النقاشات.

تشير بعض الأدبيات المتخصصة ضمن حقل العلاقات الدولية، إلى أن "الطبيعة المركبة و متعددة التخصصات لمادة العلاقات الدولية هي التي جعلت من البحث عن نظرية عامة فعالة للعلاقات الدولية "**مهمة مستحيلة**" [1]، كما أنها تقر بأن "مدارس الفكر الرئيسية التي توضع على أساسها نظرية عامة في مجال العلاقات الدولية لم تثبت بأي شكل علمي، بل إنها تمثل **طرقا لفهم العلاقات الدولية** ، أو **صورا تشبيهية أو نماذج تلقى قبول المقتنعين بها لأن تلك هي الطريقة التي يفضلون رؤية العالم بها...**"[2] ، و تأسيسا على ذلك يمكن أن يبحث هذا الفصل بأكمله **حدود قوة الاقتراب الكامنة لعلم الجيوبوليتيكا** مثل ابن حقيقي و شرعي لمجموع العلوم الجغرافية؛ ليؤكد مجددا بأن اللاتوافقية القائمة كخلاف نقاشي برديمي داخل حقل العلاقات الدولية ما هو في واقع الحال، **سوى انعكاس صريح لاستثناء المكان و استبعاد المكون الفيزيائي للأحداث و الوقائع أثناء تناول الظواهر البحثية للعلاقات الدولية.**

---

[1] **بول ويلكينسون، العلاقات الدولية**، ترجمة لبنى عماد تركي، مراجعة هبة عبد العزيز غانم، القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، ط1 2013، ص 10.

[2] نفس المرجع، ص 10.

الفرع الأول: حدود الحاجة إلى نظرية جيوبوليتيكية في مطلع القرن الحادي والعشرين

" في مطلع القرن الحادي و العشرين "يجب علينا التفكير بجرأة في بعض النظريات، فبعض النماذج تتوافق مع أوقات معينة و التي تعطي بدورها الرؤية الأنسب، لأنها أقرب إلى قيم و مفاهيم و مصالح هذه الأوقات"[1]

> *" Il faut oser penser que certaines théories, certains paradigmes correspondant à certains époques dons ils donnent la vision la plus adéquat par ce que la plus proche des valeurs, des concepts, des intérêts de cette époque"*

لعل جملة التغيرات و المستجدات الحاصلة عبر الفضاءات العالمية المختلفة، دفعت أكثر نحو التوجه إلى الجيوسياسية (الجيوبوليتيكا) بغرض التنظير أو من أجل تفسير طبيعة النظام الدولي و فهم العوامل الرئيسة الفاعلة و آليات عملها، فالجيوبولتيكا أصبحت " تشهد تقبلا لا لبس فيه و هي تفرض نفسها و تدافع عن ذاتها حتى من قبل المعلقين على الأخبار الدولية ؛ ذلك أن ظاهرة وسائل الإعلام و انتشار الأطالس الإستراتيجية و المقالات الصحفية تحاجج و تدافع معها عن ذاتها، كما أن تكرار البرامج التلفزية يشير أكثر أو أقل إلى دورها ، فانتصار الاتصالات بالصورة و انتشار بطاقات المساعدة البسيطة يدعو إلى إمكانية أن يتحدث المرء تقريبا من خلال "المسرح الجيوسياسي"[2]. و في نفس السياق :**"قد لا يكون من المبالغة القول بأننا نعيش فترة ثورة الجيوبوليتيكا، فهذه الكلمة لا تغيب عن الأسطر الأولى في الصحف و لا عن شفاه المذيعين ،و على الرغم من أننا و على نحو ما كانت الأمور عليه في السابق ، لا نجد إلا القلائل فقط ممن يضمنون هذه الكلمة المعنى الذي يحمل في الواقع علاقة بالمسلمات الانطلاقية الأساسية لمنهج الجيوبوليتيكا، فإن الاهتمام الشمولي بها لا يمكن إيقافه هذا يعني أن فهمها المدقق الصحيح قادم بالتدريج".**[3]

إن الهوس الاجتماعي والتقني المتعلق بالاتصال، إضافة إلى أسباب أخرى أقل أهمية في السنوات الأخيرة كانهيار وزوال الإتحاد السوفياتي فقد أدى إلى تغير عميق في النظام الدولي، هذا الوضع الجديد يتطلب التحليل الدقيق للبيئة العالمية، وإلى أقصى حد ممكن آفاقها المستقبلية وذلك بغرض فهم العلاقات الدولية.

---

[1] Gérard Dussouy, Quelle Geopolitique Au Xxe Siecle ? , Paris : Les Editions Complex, 2001, Collection Theorie Politique, P15.

[2] Ibid.

[3] ألكسندردوغين، أسس الجيوبوليتيكا، مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، تعريب وتقديم الدكتورعماد حاتم، (بيروت: دار الكتاب الجديد، ط1 2004)، ص 39.

في الواقع، كان التأكيد على تخصص "العلاقات الدولية" International Relations كفرع مستقل في العلوم السياسية بعد الحرب العالمية الثانية ، و لكن الجيوبوليتيكا الناشئة كانت آنذاك بمثابة محاولة ضرورية لأن تكون منهجًا شاملًا للحياة الدولية؛ التي وقفت على التاريخ الدبلوماسي ، الذي كان حكرًا على أعمال الأرشيف، **فقط** إذًا هكذا مسعى يمنح و يؤكد الشرعية للمادة **(الفضاء الجيوسياسي)**.[1]

كما هو الحال في مجالات أخرى ، فإن الطرح الإعلامي لموضوع الجيوسياسية أدى إلى إظهار عيوبها و جعل موضوعها أكثر سطحية، بالتالي ما أدى إلى استخدام مصطلح بمعنى أوسع و أكثر غموضا و بدقة أقل، بحيث تثار ردود أفعال عادة ما تكون متناقضة لا تؤدي إلى الإعتراف بالجيوبوليتيكا بما فيه الكفاية، كما قد ولد ذلك التطور في التعامل مع المصطلح جانبًا عدائيًا سواء للطروحات الكلاسيكية أو الجديدة ذات التصور الجيوبوليتيكي، و رغم ذلك لا يمكن أن نعترف بأن الجيوبوليتيكا يمكن أن تكون شيئا آخر من **الشرعية البسيطة** لسياسات القوة الدولية أو **خطاب دعائي** خاضع **لقوة** ما.[2]

إلى جانب ذلك، فإن العديد من المفكرين و الباحثين غير موافقين على الإعتراف بتحديد منهج معين لبيان الجوهر الجغرافي ، و الذي يركز تحليله على البعد الإقليمي للسياسة مع الميل إلى المبالغة دوما أكثر أو أقل في تقدير التأثير من هذا الجانب ، فهم – مبدئيا– يركزون بصورة مسبقة على منطق "**الإقليميين**"[3] هذا الأمر أصبح إلى حد ما عرضة لقوة و حيوية فعلية لمتغيرات تحليلية جديدة ، مما يعني إنتهاج طريقة أكثر خطأً لأن أحد الإنتقادات الأكثر شيوعا الموجهة في معظم الأحيان إلى الجيوبوليتيكا القديمة تشير إلى افتقادها للمنهج، لكن رغم الإنتقادات الموجهة للجيوبوليتيكا و روادها إلا أنها هي ذاتها ساهمت في بلورة وإعادة تأهيل هذا التخصص **(الجيوبوليتيكا)** ، خاصة بمناسبة الأزمة النفطية المزدوجة في مطلع السبعينيات من القرن العشرين؛ و التي أظهرت التحدي الذي يمثله الشرق الأوسط جيوبوليتيكيا، من خلال إطلاق التحليلات الأنجلوساكسونية لـ: "**النفط – قلب العالم الحديث** ".

منذ ذلك الحين إنتعشت القصة الرمزية الجيوبوليتيكية ، و وجدت نفسها محدثة خلال حرب الخليج الثانية 1990-1991 ، إلى جانب استخدام الموارد الطبيعية كأداة سياسية ، إضافة إلى الإرتباك الحاصل لدى كثير من المراقبين من خلال مساعي التغلب على مخططات مسبقة و المتعلقة بظاهرة حتمية " **العولمة القومية** " .[4] و من المفارقات أيضا –في إطار تنامي العامل الجيوسياسي– نلحظ فجأة و في كل مكان

[1] **Gérard Dussouy**, op.cit, p 15.
[2] Ibid,p16.
[3] Idem.
[4] Ibid,p16.

خصوصا بعد زوال الإتحاد السوفياتي وتفكك منظومته الاشتراكية ، دوافع انفصالية استقلالية أو وحدوية تحررية حتى في قلب أوروبا . حيث أن استمرار فكرة الوطنية يمنع تحقيق الوحدة في إشارة إلى الإتحاد الأوروبي* ، فضلا عن أن انبعاث القومية قد رافق اغتراب العادات و أساليب الحياة التي هي نفسها مرتبطة بالتدويل المتزايد للإقتصاد ، في حين أن الإعتماد المتبادل بين الدول يتجه نحو مواءمة السياسات الخارجية و الإدارات المحلية الوطنية على نفس المسعى حول " **أولوية السوق**".[1]

دومًا و في سياق تنامي القصة الرمزية للجيوبوليتيكا كضرورة خلال مطلع القرن الحادي و العشرين– رغم الإعتقاد جزئيا بأنه يمكن عقلنة الحياة الدولية عبر تأكيد حصر المستقبل في يد فاعلين أساسيين هما: "**الإقتصاد**" و "**الإتصالات**" ، و من ثم الإدعاء بنهاية التاريخ و نهاية الجيوبوليتيكا– فإنه يقع خلط كبير بين صور من العالم من خلال التغطية الإعلامية المكثفة للعلاقات الدولية و التي تضع مشهدا من الإنطباعات الخاطئة ، و منع أي تسلسل هرمي للأحداث و الوسائل المنشورة من طرف المعلومات ، و انتشار مؤشرات " **معلومات إجبارية** " فقدت الحس الواقعي من قبل بحيث هي " **أكثر واقعية من الواقع الذي يفترض أن تعكسه** " ، فمثلا قبل عام 1985 كان المحللون يخشون التهديد السوفياتي ، و منذ 1989 نفس الأشخاص أو غيرهم يعتقدون اكتشاف " **تجاوز جديد**" ضمن إقتصاد العالم أو السوق (اقتصاد السوق) ما يؤكد طابع التصورات غير الرسمية. [2]

يشير " **جيرار دوسوي** " Gérard dossouy إلى أنه وراء حرب الصور ينشأ خلاف برادايمي مثل ما يحدث في كل العلوم الإجتماعية ، و الجيوبوليتيكا في غضون ذلك أعطت إنطباعا لفترة طويلة بأنها الجغرافيا الأسطورية للهيمنة و التوسع الإقليمي ، و الذي أكده بعض المفسرين لها ، مما أدى بخصومها إلى التحول نحو إضفاء الشرعية على استخدام العنف في السياسة الخارجية، كما يضيف أنه و مع ذلك نستشف عند الجيوبوليتيكيين الأوائل فكرة علم الكونيات العقلاني une Cosmologie Rationnalle كأن يفهم **أن الكون فضاء مغلق ، منته و منظم بمصير لا يمكن التنبؤ به**، كما هو الحال بالنسبة للجغرافي الإنجليزي"**السير هالفورد ماكيندر**"(1861–1947) صاحب نظرية "**المحور الجغرافي للتاريخ**"، و الذي يشرح العلاقات الدولية خارج

*على سبيل المثال سياسة "**البريكست**" المنتهجة من قبل بريطانيا اليوم مع دول الاتحاد الأوروبي و التي لها تداعيات ايجابية وأخرى سلبية سواء على الطرفين ، فضلا عن سلسلة المطالبات بالانفصال و الاستقلال في بعض الدول مثل محاولات اقليم "كاتالونيا" مع اسبانيا ، هذا مع جملة الاستفتاءات المسبقة لمرحلة ما قبل البرلمان الأوروبي ؛ كل ذلك يثبت فعلا الدور السلبي /الصحي للعامل "القومي الوطني" و "الاحساس بالهوية" في طريق الوحدة الأوروبية، و من أجود ما كتب حول الموضوع مقال لـ"خافيير سولانا"، يحلل بصورة أكثر عمقا دور تلك العوامل مثل متغيرات جديدة في العلاقات الدولية.أنظر:

[1] **Gérard Dussouy**, op.cit, p16.

[2] Ibid.

نطاق القانون و النهج التاريخي، و كان من الأوائل الذين اقترحوا "نموذجًا" تفسيريًا و الذي كان ناجحًا و قيمًا أكثر مما ساهم به الأمريكي"**ألفريد ماهان**" (1840 –1917) ، و قد حاول "هالفرد ماكيندر" حقيقة تصور نهج شامل للعلاقات الدولية في بعدها الكوني ؛ و الظاهر – من ناحية أخرى– فإن الميل و النزوع نحو الدراسات الجيوبوليتيكية بمثابة نزوع نحو الإهتمام بعلاقات القوة، مما جعلها تنحاز و تقترب من المنهج الميكيافيلي أو واقعية العلاقات الدولية ؛ لذلك تلك الدراسات مستمرة للفصل في هذا الموضوع إلى حد إعطاء مفهوم آخر للعلاقات الدولية يصبح مهيمنًا في وقت لاحق، و هي ترفض ابتداءً مفهوم الإعتماد المتبادل[1].

لقد تم التطرق في الكثير من الدراسات ضمن حقل العلاقات الدولية إلى الصراع البرادايمي و النقاشات أو المحاورات الأربعة أو الخمسة المعروفة ، و عادة ما يتم الإشارة إلى عدم وجود نظرية ما، وسطية عامة و شاملة في شكل خطاب معرفي في نفس الوقت عدا ما يشار إليه عادة بـ:"النقطة المضاءة من المعرفة"، أو كما تعرف في بعض الكتابات الغربية العالمية بـ:"**كافيتيريا الوسط**"، و قد يشار أيضا إلى أن التأرجح بين البرادايمات (النماذج المعرفية) المختلفة تلك ؛ قد يمكن تفسيره بسببين مهمين[2]:

أولا: ما يتعلق بالبعد الأخلاقي أو العقائدي الذي يسكن كل نظرية أو كل منظر، و انخراط أغلبية الباحثين في إحدى القناعات التي بإمكانها طرح اتجاهات طويلة أو قصيرة الأمد مثل إسهامات Klaus Gerd Giesen حول النظريات الأنجلوأمريكية*.

ثانيا: المجيء و الذهاب بين ذا و ذاك، بين هذا و الآخر، بين نظرية و أخرى ، لأن صعود واحد (نظرية x) لا يزيح الآخر (نظرية y)، ما يعكس الصعوبات لحساب العلاقات الدولية**.

أيضًا ، من المفارقات التي تحسب في تعقيداتها لصالح عودة الجيوبوليتيكا – كنقطة مضاءة من المعرفة– هي أن العالم الذي نعيش فيه على الرغم من الإعتماد المتبادل و ترابط الأنشطة البشرية ليس عالما

---

[1]Ibid,p16 .

[2]Ibid .

* في نفس السياق، يمكن الإشارة إلى أن أغلب نظريات حقل العلاقات الدولية تتسم من خلال مقارباتها المختلفة للظواهر بنفس الأبعاد الأخلاقية و العقدية لروادها، ليست النظريات الأنجلوأمريكية فحسب؛ بل أغلب رواد النظريات الأخرى كالنظرية النقدية الإجتماعية و التي يعد روادها سواء الأجيال الثلاثة المعروفة من أكسل هونيث إلى هوركهيمر مرورا بهبرماس أغلبهم أوربيين ألمان و يهود، و للمزيد من التوسع حول النظريات الأنجلو–أمريكية يمكن الإطلاع على المؤلَف:

- **Giesen ,G ,K,** L'ethique Des Relation Internationales Contemporaines, Les Theories Anglo-Americaine. 1992 Bruylant,Bruxelles.

**ضمن نفس التفسير الذي يؤكده "دوسيو"، فإنه يفترض أن تعدد المنظورات ضمن أي حقل معرفي يساعد بصورة ما على فك شيفرة الظواهر المختلفة عبر أدوات معرفية و منهجية تحليلية عدة، لكن– من جهة ثانية– تجدر الإشارة إلى أن هذا التعدد ضمن حقل العلاقات الدولية ليس تعددا متناهيا أي/أو ليس منتهيا، كما أنه تعدد تتضارب ضمنه المقاربات بصورة منهجية و إقناعية مربكة، مما يجعل الكثير من الظواهر البحثية تستحيل –على إثر ذلك التضارب– إلى ظواهر غير قابلة للفهم أو الحل بصورة أوضح.

إقتصاديا فحسب ، و على الرغم من ظهور مجتمع دولي معقد يتجاوز المستوى "بين–دولتي"، لا يزال مسرحا للصراعات و المواجهات و "من أي نوع" بين وكلاء مع قدرات غير متكافئة للغاية، و على الرغم من تطور جميع الأشكال المتصورة للتعاون الدولي في إطار التكامل، يثبت فرضية: ليس هذا هو المطلوب من قبل الجميع أو حتى المرغوب فيه ، لأنه مثلما يكتب "**جان ديبوى**"Jean Dupuy René "**المجتمع يزيد أخطار الاحتكاك و الحرب**"، كما أن عمليتي "التبادل و التحويل بين الفواعل ضمن المجتمع الدولي – باعتبارها ناقلات للإعتماد المتبادل– تصبح مصادر لعدم المساواة و الإحباط و الصراعات، إذا هي عوامل التخصيب و التحرر، و بالتالي تصبح وسائل للضغط أو هي تسبب نقل و تحويل القوة بالمعنى الجيوبوليتيكي.[1]

لعل الحاجة إلى فهم حجم و طبيعة التداخل الحاصل ما بين الوطني (المحلي) و الدولي، بغرض إعطاء مفهوم أو تصور دقيق للنظام الدولي بمثابة سبب رئيس يدفع نحو الإهتمام و العودة القوية إلى تخصص الجيوبوليتيكا كسياق معرفي جديد بالواقع، و من ناحية تاريخية، فإن "جان بيار فيرنان" Jean Pierre Vernant يشير إلى أن "الإغريق كانوا يعيشون حالة الخوف و القلق، في حين أن Milesians قد أدركت أولى الخرائط للعالم المسكون،...كما أن هيبوداموس hippodamos كان أول من فكر في العلاقة بين الفضاء (المجال المكاني) و السياسة، أما "شيلدون وولين" Wolin Sheldon فقد بين كيف أن تصميم "المجال" أو "الفضاء السياسي" كان موجودا في بداية الحضارات الأولى؛ عندما كان لدى الجماعات البشرية المنظمة "إحساسا و معرفة بهويتهم"، و كانوا يميزون بين "ما لهم" و "ما لنا" داخليا و خارجيا، فكل مجتمع كان يضطر إلى هيكلة المجال (الفضاء) الخاص به في "الأماكن المغلقة و الهواء الطلق"[2]، و قد أوضحت ذلك كل النظريات السياسية،لكن ضمن الإهتمامات الجيوبوليتيكية و أعمالها قامت بمنهجة و تنظيم العلاقة القائمة بين الفضاء "المجال المكاني"و "السياسة" و تنظيمها و النزول بها إلى معنى الإقليم أوما يعرف بالمجال أو الفضاء الفيزيائي المادي، و نظرا لهذه الخاصية و رغم كل شيئ؛ لا يزال طمس هذه المنهجة أو التنظيم قائما حسب"دوسيو"، كما تجدر الإشارة هنا إلى أن مختلف العلوم الإجتماعية قد بلغت طور الحركة التفكيكية كمرحلة فكرية جديدة تتعلق بالطابع البنيوي للفضاءات والظواهر قيد البحث، فقد أشار "Philippe Braillard" إلى أن:"**دراسة العلاقات الدولية اليوم تهتم أكثر باستعادة صورة حقل مفكك، أين تتنافس نماذج تفسيرية و مناهج نظرية من الصعب المصالحة بينها، بإعتبار المنطقة المضاءة من المعرفة تلك التي هي عناصر تندرج ضمن عملية متماسكة**

[1] **Gerard dussouy**,op,cit,p17.
[2] Ibid.

تراكمية "**تحمل نهج تراكمي**"[1]، فإلى أي حد إذن يمكن إعتبار الجيوبوليتيكا بمثابة "**الدواء الشافي**" للعلاقات الدولية بإعتبارها نظام "تمثيل و تصور و تكوين" النظام الدولي؟ و ما مستوى قراءة النهج الأصلي لهذا التخصص، و مدى التطابق النظري مع علم السياسة ؟ ثم ما أهمية موضوعها؟ هل يجوز اعتبارها علم "الفضاء/ المجال السياسي"، أو بمثابة علم "سياسة الأمكنة والفضاءات"؟ ثم هل الجيوبوليتيكا كعلم بإمكانها استيعاب تجميع " **وجهات النظر حول العالم** " المختلفة؟

الفرع الثاني : الجيوبوليتيكا و"فوضى" التنظير " في حقل العلاقات الدولية

إذا كان هناك من نظرية معرفية عامة متماسكة ضمن حقل العلاقات الدولية، فهي النظرية التي يجب أن تخنق ابتداءً "**لا توافقية**" جميع النقاشات السائدة ضمن نفس الحقل، و إذا كان هناك من براديم معرفي (ابستيمولوجي) جديد وسطي يستوعب محصلات التفاعل النقاشية ضمن حقل العلاقات الدولية؛ فهو على الأرجح "**البراديم الجيوبوليتيكي**" الذي يزاوج بين عنصرين يصعب تحليل ارتباطهما "الإقليم أو الفضاء المكاني الفيزيائي) "و السياسة "كفضاء للاختيارات أو مجال للتفكير الاختياري، و ذلك في ثنائية (x . y) في معلم واحد بأربعة فضاءات أو خمسة مختلفة.

من ناحية تاريخية، صاحبَ ميلاد "**الجيوبوليتيكا**" منافسة شرسة بين القوى الأوروبية الكبرى في نهاية القرن 19 م، بحيث كانت بمثابة دفعة قوية و حافز جديد مهم في أعين القادة و الجغرافيين و حتى العسكريين، على غرار "**هاوسهوفر**" الرجل الأكاديمي و القائد العسكري الألماني مؤسس معهد ميونيخ للجيوبوليتيكا 1924، كما حركت الرغبة في فهم الجيوبوليتيكا و توضيحها و تنوير القادة فيما يتعلق بالمكان و قيمة التراب الوطني على مستوى الساحة الدولية، لذلك نجد أن جميع القوميات خلصت إلى ضرورة اكتساب "**مواقع السيطرة**" أو "**الأقاليم**" التي تعتبر إلى حد ما مفاتيح استراتيجية ، موافقة لرؤية "باري بوزان" Buzan Barry ": **مشكلة الأمن القومي كانت و لا تزال في قلب نظام العلاقات الدولية ذات الطابع الفوضوي**"[2] ، ما يؤكد أهمية

*ضمن هذا السياق يجب تثمين الدراسات الكمية في العلوم الإنسانية الاجتماعية المختلفة ، مع ضرورة صرف جل تلك الأبحاث و الدراسات عن منهج الإحصاء الوصفي نحو منهج الإحصاء الاستدلالي، و بالتالي تمكين الأبحاث المختلفة من إعطاء توصيات و نتائج دقيقة حيال القضايا المبحوث فيها، و في هذا الصدد تجدر الإشارة إلى ضرورة تثمين آراء الدكتور وليد عبد الحي حينما يؤكد هذه الحاجة الملحة ضمن دائرة الأبحاث في العالم العربي، و التي –حسبه– لا تعدو كونها مجرد أبحاث تنظيرية تتمثل المنهج الوصفي لا غير، بما في ذلك الأبحاث التي تدعي اعتماد المنهج التكميمي، كما يؤكد أن هذا الأمر يعزي في النهاية إلى غياب قاعدة بيانات متاحة و مدققة في العالم العربي إضافة إلى حالة الكسل التي تعتري أغلب الباحثين مع الميل إلى الأبحاث السهلة، كما يضيف عاملا آخر أكثر أهمية يتمثل حسبه في عدم أهلية الباحث العربي و عدم تمكنه من فهم و تعلم طرق استخدام تلك المناهج العلمية الكمية على أهميتها القصوى.

[1] Ibid.

[2] **Gerrad dussouy**, op.cit, p19.

المجال المكاني من الناحية السياسية ، و أيضا تنامي القلق البيئي و التهديد الخارجي لدى القادة و العسكريين ، و هو ما اصطبغت به رؤية الكتاب الأربعة الرئيسيين الأوائل للخطط الجيوبوليتيكية و الجيواستراتيجية العالمية في ذلك الوقت ، كل من "ألفرد ماهان" ، "هالفورد ماكيندر"، "كارل هاوسهوفر"،"نيكولاس سبيكمان" ، كما تستشف تلك الرؤية أيضا من خلال خرائطهم و حافز مرحلة ظهورهم[1].

تأكيداً لادعاء Barry Buzan حول فوضى العلاقات الدولية، فإنه فعلا لا يمكن تجاهل تنامي فكرة المجال الحيوي خلال هذا القرن و لكن بصور أخرى، ناهيك عن مرحلة الحرب الباردة و التي لا يمكن نسيان دور الردع **(توازن الرعب)** في الحفاظ على السلام العالمي لمدة خمسين عاما[2]؛ وإذا كان "باري بوزان" يشير إلى قضية الأمن القومي كقضية جوهرية ، فمن ناحية جيوبوليتيكة لم تعد اليوم مشكلة الأمن القومي ذات أهمية من حيث المبدأ، و قد يشير البعض إلى قيم الحداثة و قيم المذهب الفردي الرأسمالي، قيم الفردانية، و التي بدورها تتسبب في تفتيت المجتمعات المحلية ذلك أن الحداثة نفسها – من حيث مساوئها– ستغير العلاقات الدولية ، كما أنه من شأنها أن تكون عائقا على نحو متزايد مع مسعى تشكيل حقيقي لـ:"**نظام من دول**"، على أن قيم الحداثة من خلال تناقضاتها الخاصة تكشف عن حالة التشبع و الانتشار التي ستكون في حال ما تحقق مفهوم المجتمع العالمي المتكامل، و في هذا الصدد يشير Jean Baudrillard إلى أن الفرد و المجتمعات المختلفة أمام مسؤولية– غير محدودة ؛ فالغريب أن تشبه حرب أهلية دائمة ، لكن من وجهة نظر "**باري بوزان**" فإنه رغم تلك المتغيرات الجديدة في العلاقات الدولية إلا أن مسألة الأمن القومي مسألة محورية ، فالاعتماد المتبادل لا يلغي مشكلة الأمن القومي الوطني، كما أن الضغط الممارس من قبل عولمة الاقتصاد في الوقت الحاضر على المؤسسات التابعة للقطاع الحكومي، ما هو في الحقيقة سوى أصل و سر نجاح فكرة "**الجيوايكونوميكا**"، و منه فإن الاعتماد المتبادل يميز سياق انعدام الأمن الاقتصادي ، و زيادة المنافسة و الضغوط المجتمعية و غيرها ما هي في الأساس سوى **استقراء للجيوبوليتيك المفروضة** من قبل التأثير المعاصر للاقتصاد على النظام الدولي، و رغم ذلك تستحضر دائما القضية الإقليمية التي تختصر كل التحديات الخارجية.[3]

يشير "جيرارد دوسوي" إلى أنه في الغالب يتم التركيز على الجوانب المادية الفيزيائية في التحليل الجيوبوليتيكي ، إضافة إلى وجود حتمية الموقع الجغرافي و نموذجية تحوله، فغالبا ما أيد النضال من أجل الهيمنة على أوروبا كما يوضحه مثلا الشكل البياني المزدوج (الأرض–المحيط) لـ **ماكيندر**، و هو ما شجع

[1] Ibid.
[2] Ibid .
[3] Ibid.

الاستراتيجيين الأمريكان مثلا على التفكير في منطقة الأوراسيا و غيرها، كما أنه و رغم إدانة الجيوبوليتيكا باعتبارها انبثاق صريح عن الجيوبوليتيكا الألمانية Geopolitik، فإن "روبرت ستروز"Robert Hupé Strausz" يعترف أنه منذ ولادة الجيوبوليتيك و خاصة منذ عام 1823 و **إعلان مونرو**، فإن السياسة الخارجية الأمريكية تقرر الاعتبارات الجغرافية[1] ، و في محاكاة لما يطرحه "راينر سبرينغل" Rainer Sprengel في موضوع الجيوبوليتيك الكلاسيكية الألمانية ، يتساءل "دوسوي": **إلى أي مدى تعاق أية محاولة جادة للتنظير؟** ويشير إلى أن هذا التساؤل ينطبق على كل نظريات تنظيم الفضاء والتي تميل إلى تأييد وجهات النظر المتخصصة.

إن الإشكالية الحقيقية للتنظير بالنسبة للجيوبوليتيك؛ تتمحور بدرجة أولى حول "**نسبية المكان أو نسبية الفضاءات**"، فمثلا مفهوم "**اقتصاد–عالم**" في إطار الفضاء عبر الوطني– إشارة إلى نظرية النظام العالمي لـ:"والرشتاين" و التي تحدد دول المركز ودول المحيط (الأطراف) و دول شبه الأطراف – يثير مسألة مدى وجود قوى مستقلة من الناحية الاقتصادية كما يظهر وجود قوى مهيمنة ، و بالتالي يصبح موضوع قراءة التدفقات و حجم التبعيات غير المرئية عبر العالم نسبيًا للغاية، إذن المشكل يتعلق بمسألة ضبط تعريف نهائي "**للفضاء الاقتصادي عبر– الوطني**"؛ و الذي يتضح أنه بسبب نشاط القوى المؤثرة على تكوين النظام العالمي من خلال الشبكات غير المحمية من التمزقات الخطيرة من نواح كثيرة[2]، إضافة إلى ضرورة نقد مدى تماسك مفهوم "**الاقتصاد–العالم**" و أهميته في واقع الاقتصاد العالمي النامي و المتزايد.

ضمن قضايا العلاقات الدولية، يعتبر الفضاء الاقتصادي واحد من العديد من "مساحات مجردة للقوة"، و إذا كان تأثير الاقتصاد على العالم اليوم كبيرًا و معتبرًا فإنه لا يسمح باستبدال "**أحادية اللون**" بشيء آخر، بما يعني القليل من الواحدية "**النظرة الأحادية للعالم**"، و الذي هو ذو خاصية تعددية مكون من أمكنة أو فضاءات متوضعة، متراكبة و متجددة[3]، و في هذا الصدد يمكن القول بأن النظرية الاقتصادية **(المؤقصدة للفضاء الدولي)** تشبه إلى حد ما الحجج و الأطروحات الجيوبوليتيكية التي يفضلها الفضاء المادي الفيزيائي الذي بدوره يقع ضمن خانة مخططات الاختزاليين.

هناك انتقاد مهم يثيره "كينيث والتز" "K. Waltz" ؛ موجه بصورة أساسية للاختزاليين "**الذين يختزلون كل العناصر المكونة للنظام في عامل واحد**"، أي لماذا تطوير رؤية جماعية للحياة الدولية مع الأخذ في الحسبان واحد فقط من المكونات "**العناصر**"؟ أو الأخذ فقط بما هو أدنى من مجموعات عناصر النظام؟ و قد أشار "دوسوي" إلى تلك الإشكالية من خلال قوله بأن :" التعقيد في التفكير العالمي حول العلاقات الدولية

[1]Ibid.
[2]Ibid.
[3]Ibid.

ينتهي اليوم عن طريق فقده معالمه ، و التي تجد ترجمتها الجيوبوليتيكية في تأكيد وجود نظام الفضاءات المهيأة بشكل مختلف في الوقت المناسب، بالتأكيد الميل إلى تفضيل العنصر المهيمن سواء البعد الاستراتيجي، الاقتصادي أو الجيو–ايكونوميكي، يفسر من خلال التحول الواضح من "سياق التقارب" نحو "سياق التوترات"، لكن أصبح تحول تداخلي Interactionniste ، و تحليل تركيبة مختلفة من الفضاءات شيء ممكن ، فالجيوبوليتيكا أصبحت تتجنب تبسيط الواقع".[1]

من خلال ذلك، فإن علم الجيوبوليتيكا أو منهج التحليل الجيوبوليتيكي يدعيان بصورة أوضح الانتقال – ضرورةً – بمستوى التحليل في حقل العلاقات الدولية، من **مرحلة تبني المقترب و المتغير و الفاعل و السياق**، إلى مرحلة تحليل و فهم حجم و طبيعة تداخل الفضاءات المهيأة بشكل مختلف، ما يعني التحول نحو التحليل على أساس تفاعل التناسب المساحي و ليس عبر تفكيك المكونات و تأويل السلوكات، وإنما كذلك من خلال **تفكيك نمط التشكل و طبيعة التكوين و الديناميكية المكانيين**.

المطلب الثاني: النظرية الجيوبوليتيكية: إشكالات ابستيمولوجية

الفرع الأول: خاصية"*Relativisation*" الفاعل و إشكالية "الدينامو– جينيك"

في إطار البحث عن مدى وجود تقارب بين نظرية العلاقات الدولية « **IR Theory** » و النظرية الجيوبوليتيكية بتصوراتها و مناهجها التحليلية المختلفة للفضاءات ، أو ربما وجود و تحقق إمكانية التطابق فيما بينها:" يبدو إجتماعًا لا مفر منه متعدد التخصصات في الواقع **'بالعلوم السياسية'**، حول وجود نظام دولي بالإجماع تقريبا، هذا مع كون جميع الكتاب و الباحثين بعيدين عن تقاسم نفس الرؤية و استخلاص كل النتائج المترتبة عن المفهوم الذي يستخدمونه..." ، لذلك تظهر نقطة مهمة كإشكالية منهجية تتعلق بنسبية المفهوم في حد ذاته حول كلمة "**نظام**" ، و من ثم "**طبيعة التكوين**" أو " **مفهوم التكوين**" ، و ما يثبت ذلك فعلا هو نهاية توازن الحرب الباردة ، و قد يفرض من ناحية نظرية طرحًا مهمًا مفاده أن النظام الدولي يجب أن يأخذ بعين الأعتبار إشكالية **التغير**.

من الصور التي تحمل دلالات و معنى الاجماع النظري كضرورة ملحة ، خاصة فيما يتعلق باللوحة النظرية الجيوبوليتيكية المعاصرة ، ما أشار إليه "جيرار دوسوي" كفرضية ملزمة للجميع و المتمثلة في أن " **تأثير الفراشة**" لإنهيار القوة السوفياتية لم ينته و لم يستنفد ، فما حدث للعراق كدولة ، كفاعل ضمن النظام الدولي و بصورة معينة كان نطاقا كاملا من التغير الدولي – كأول ضحية– و تتابعت عواقب أخرى في

[1] Ibid.

جنوب أوروبا على وجه الخصوص ، و أخرى ستظهر تقريبا غير متوقعة بحيث:"يبدو الكون كما لو أنه تكوين معقد من العوامل و الفواعل مجموعة في مرة ، تعاونية و صراعية من العقلانية المحدودة ، في كلمة واحدة ، التكوين الدولي بإمتياز "**حواري**" Dialogique ، هذه على الأرجح و من دون شك واحدة من السمات المميزة **لـ" فكر التعقد"**[1]، و فكرة "**النظام**" كإشكالية مفهومية فرضت فعلا توجها معرفيا جديدا داخل حقل الجيوبوليتيك ، إضافة إلى خاصية "التغير" المستمر و غير المحدود، و كذا عامل " **تكوين الفضاءات**" و الذي بدوره غير مكان التبادلات و جمع بين اختلافات و مناهج مختلفة منطقيا ، غالبا ما تكون متناقضة و هي من يحرك جميع النشاطات البشرية و تأخذ هذه التوليفة مجتمعةً– بإعتبارها بنية منهجية تحليلية جديدة– خاصية توافقية أخيرة بين الجيوبوليتيكا المعاد تصورها و نظرية النظم ، و قد تفهم تلك الصيغة على مستويين من التحليل كما يرى بذلك "**كينيث والتز**"، مستوى بنية النظام ، و تفاعل الوحدات و الفواعل ، و ذلك في إطار المفاهيم التركيبية للبنية التحتية و التكوين الجيوبوليتيكي، و ضمن نفس السياق يمكن التنبيه إلى أن هناك و بقدر محدود صيغ مرحلية للتوافق نظريًا بين الجيوبوليتيكا "**كعلم الفضاءات**" و النظرية **الواقعية الكلاسيكية المركزة** كجزء مهم يمتلك قدر من التماسك في التحليل المرتبط أساسًا بعامل القوة و امتلاكها أو التظاهر بها و التأثير من خلالها ، ذلك أن التحليل الجيوبوليتيكي – خاصة بعد 1945 (بعد نهاية الحرب العالمية الثانية) – كان قد اتخذ مختلف التشعبات ، بحيث لمدة ثلاثة أو أربعة عقود كان بقاء الجيوبوليتيكا يعتمد بشكل مباشر على تطوير التحليل الاستراتيجي في العلاقات الدولية ، إنها تتصل و تتشبث أكثر بعوامل القوة ، بالترسانات العسكرية التي تقتضي أسلحة جديدة ، و التي تحدد سلوك الفاعلين و بالتالي كانت الجيوبوليتيكا بمثابة "**إختبار لقياس عامل القوة**"، من هنا يمكن الإشارة إلى أن الجيوبوليتيكا خلال تلك المرحلة تركز في تحليلاتها على الفاعل و بعده الجيوبوليتيكي ، أي **ماذا يريد الفاعل؟** ، و من جهة كان يمكن التحليل من خلال طرح التساؤل: **كيف يتم الفعل؟**

يبدو أنه كان على التحليل الجيوبوليتيكي الانتقال عبر مستويات تفكيكية مختلفة و لكن مترابطة و متتالية و ضرورية ، و في هذا المعنى و خلال مرحلة الستينيات و السبعينيات في الولايات المتحدة كان يفضل– اعتبارًا لما يقر به "دوسوي"– تجاهل بنية (هيكل) العلاقات بين القوى بغرض عرض مخرجات احصائية؛ و العمل على ثبات عامل الفضاء بالنسبة إلى المدى الصاروخي(ثبات البعد الاستراتيجي)، و بذلك فإن التحليل الإستراتيجي يعطي تلك العلاقات تفسيرا من قبل الفاعل و بعده الجيوبوليتيكي؛ بدلا من

[1]Ibid.

محاولة معرفة كيف يسعى كل طرف إلى تحسين أو تعزيز موقعه البنيوي (الهيكلي)، ما يعني أنه داخل النظام بناء على العوامل المتاحة أو بسلوك إستراتيجيات التوازن أفقيا و عموديا بين الفضاءات و الشبكات المختلفة.

إن الغوص أكثر باتجاه عمق البنية التحتية الجيوبوليتيكة للنظام الدولي، و من ناحية ابستيمولوجية يدفعنا نحو الإحساس بالنقص فيما يخص القدرة على استيعاب حجم التشابك في طبيعة السلوكات و الأفعال ذات الخصائص المختلفة المتجانسة منها و غير المتجانسة، و ربما هذا ما دفع "دوسوي" إلى القول:"...**أننا يمكن أن نعين البنية التحتية الجيوبوليتيكية كما لو أنها مزيج من العوامل المورفولوجية للنظام الدولي في فترة معينة، و أنها تعكس واجهات معقدة من جميع الفضاءات المادية المهيكلة من قبل الفواعل**".

الصعوبة التي يصادفها موضوع "مفهوم البنية التحتية الجيوبوليتيكة" في مستواه الإبيستيمولوجي، تضيف شيئا من التعقد على مستوى التحليل الجيوبوليتيكي خاصة و أن البنية يمكن تصورها بشكل مجرد كمكان شامل"Surface Du Glob" **(المساحة الشاملة الكلية)** ،حيث تتقاطع ، تتداخل، تتوافق أو تواجه المنطق الخاص بها للفضاءات المادية أو جعل الأشياء مادية في الحياة الدولية ، حيث تتوضع الفواعل المختلفة في العلاقات الدولية.

على ذكر الفضاءات أو المجالات، فإن أغلب و أهم الأدبيات المنشورة و المواضيع التي كشف عنها من قبل الدراسات المتخصصة ، أو من أبرزها في السياسة الدولية – حسب دوسوي– من المعقول أن تقلل من عدد الفضاءات الحساسة إلى أربعة : **الفضاء "الطبيعي المادي الفيزيائي" (الإقليم)، و الفضاء "الدبلوماسي – إستراتيجيك" و الفضاء "الديمغرافي" أو بدقة أكثر الفضاء "الديموبوليتيك" (الديمغرافي – السياسي)**[1] ، **ثم الفضاء "الإقتصادي"** بمعنى أوسع، كما أن تلك الفضاءات وجدت من طرف الإنسان مباشرة إلا الفضاء الطبيعي، و إن كان هو نفسه متأثر – إلى حدد كبير– متبدل و متغير من طرف الفضاءات الأخرى، ما يترتب على ذلك اعتبارين أساسين[2]:

1– **كل فضاء لديه بنية خاصة (هيكل)** ، في حين أن البنية التحتية الجيوسياسية تضم علاقات الربط (الإرتباط) البيني، و هي علاقات غير حيوية.

2– **تحليل هذا الفضاء سوف يعلمنا بإحتياطات القوة**، و يعلمنا أيضا **بتحديات العالم**، و لكن بصفة خاصة يخبرنا عن **علاقات القوة المتبادلة** و كذا حول **نفوذ الهياكل و البنى** التي تتحكم في التوازنات العالمية الكبرى،

[1] لمزيد من الاطلاع حول مفهوم المجال السياسي وأهم محدداته أنظر:
Stephane Rosière, l'espace politique: quels concepts et quelles échelles ? en: **Stephane Rosiere Et Autres**, Penser. L'espace politique, Ellipses Edition Marketing S.A., Paris, 2009.pp 17-20.

[2] **Dussouy**,op,cit,p27

مثل ما هو واضح على التغيرات التي يمكنها إحداث التأثيرات، و يمكن في هذا السياق تصور **رسم هندسي بياني مبسط و توضيحي** بغرض تعميق الفهم(**الشكل (1)**)، هذا مع تأكيد وجود فضاء آخر خامس يتمثل في الفضاء السيبراني الاليكتروني لم تتم الاشارة إليه من قبل "جيرار دوسوي"، لكن كما سيبدو لاحقا ؛ و على الأرجح فإن نظرية "**كارل شميدت**" حول "**الأيروكراتيا**" و "**الأثيروكراتيا**" سوف تفيدنا بصورة أكثر عمقًا مؤكدة وجود فضاء افتراضي جيوبوليتيكي خامس؛ ألا و هو الفضاء **السيبراني /الاليكتروني**، و على ما يبدو أيضا قد يستحوذ هذا الفضاء بدوره على هامش كبير من المؤشرات التحليلية ضمن العلاقة التناسبية القائمة – فرضًا– بينه و بين باقي الفضاءات الأخرى، فضلا عن أن بنيته هي من أعقد البنى النظامية ضمن دائرة موسعة من البنى الأخرى عبر باقي الفضاءات.

– الشكل (1) : الفضاءات حسب الدراسات المتخصصة.

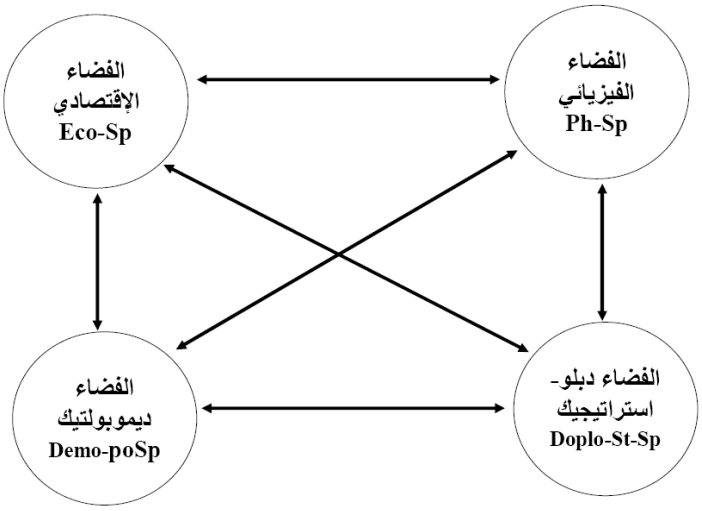

- الشكل التخطيطي من تصور الباحث.

إن حدة المشاكل المعاصرة و "عبء عدم اليقين" حيال مستقبل البشرية ، يستحث العديد من التحليلات متعددة المتغيرات و المتخصصة في كشف العوامل المختلفة ، فقط الإرتباطات الأهم تستحق الإعتبار لأنها تسمح بالتعرف على الفضاءات الأكثر "**دينامو–جينيك**" ؛ أي الفضاءات الأكثر ديناميكية من حيث تغير طبيعتها و أشكالها الهندسية الخارجية ، في إشارة إلى الفواعل المغيرين للنظام الدولي بطريقة أو بأخرى إما لصالح الإستقرار، و إما من أجل التعطيل أو الإخلال بالنظام و بالتالي خلق الفوضى[1]، و الشكل الهندسي التصوري الموالي يوضح المسألة نسبيا.

[1] **Pierre Lellouche**, Le Nouveau Monde. De L'ordre De Yalta Au Desordre Des Nations, Paris,Grasset,1992.

- **الشكل(2): دينامو–جينيك الفضاءات التحليلية.**

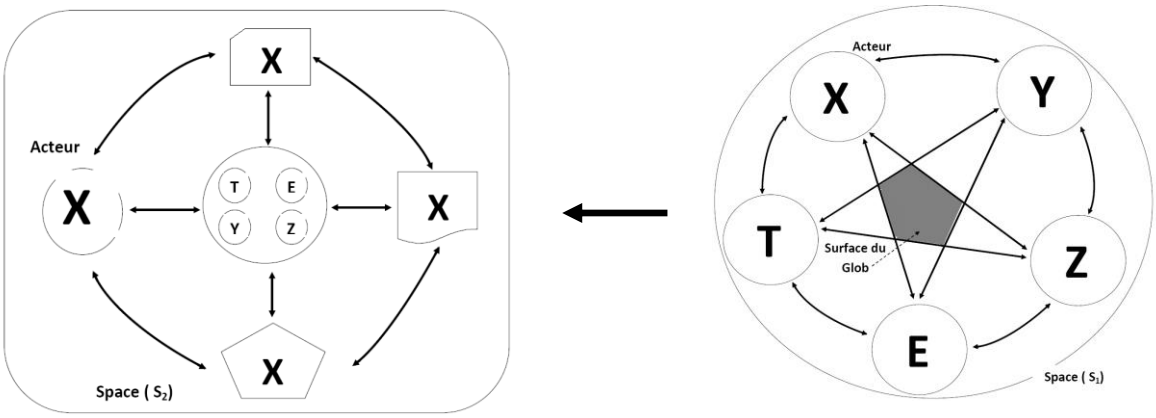

- الشكل التخطيطي من تصور الباحث.

في نفس السياق، يستمر " جيرار دوسوي" في طرح أسئلة تقديمية رئيسية مهمة للموضوع، بحيث يثير نقطة مهمة في التحليل تتعلق بمدى تأثير حركة البنية التحتية الجيوبوليتيكية على تصورات و تمثلات الفواعل للعالم أو النظام الدولي؟ ، و هو تساؤل محوري يبحث العلاقات المشروطة و المكيفة من قبل النظام و كذا من قبل أدوار الفواعل و تصوراتهم تجاه مسألة فهم و تحليل عامل القوة ، و ذلك من خلال العوامل التراكمية المتعددة وحول هذه النقطة يشير البروفيسور Jean Louis Martres في تعريفه "**للتوافقية**" ضمن العلاقات البينية للفواعل في النظام الدولي:"**كل القوة الفعلية و المحتملة للفاعل، تستخدم مع أكثر أو أقل مهارة في لحظة العلاقة المؤسسة (المعترف بها) مع فواعل آخرين من أجل مواجهة تحديات السياسة الخارجية في لحظة معينية و محددة لنظام العلاقات الدولية**".[1]

من خلال الشكلين السابقين (1).(2)، و من أجل فهم سيرورة العلاقات البينية داخل كل فضاء و من ثم الفضاء الإشتراطي التكييفي، فإنه في الواقع كل فاعل يواجه المعطيات الطبيعية أو التاريخية ضمن الفضاء المادي الأساسي، ثم هناك تكييف أو اشتراطية أولى في مرحلة معينية، بيد أن هذه الإشتراطية ليست نهائية لأن البنية التحتية الجيوبوليتيكية فضاء "نسبي" و نظام واجهات، قابلة للتغير بحسب عامل "**دينامو–جينيك الفاعل**". و بذلك فإن الفاعل إذا كان لديه الوسائل الضرورية للفعل، يمكن أن يطمح إلى تغيير معلم واحد أو عدة معالم في إتجاه أكثر ملاءمة لمصلحته، كما أن امتلاك خاصية ال:"Relativisation" من طرف الفواعل في الفضاء الجغرافي الأصلي تعيد هيكلة نفسها من خلال خصائص و عامل إستقطاب الفضاءات

[1] **Jean-Louis Martes**, « L'utilisation De La Notion Systéme En Relations Internationales : L'autoregulation Et Le Changement Du Systeme International », Bordeaux,Actes Polycopies Des Seminaires Du Dea De Science Politique,1976.

متعددة العوامل "الفضاءات العاملية"، و من الصعب تقدير هذا الأمر؛ فالإنزلاق نحو الأدلجة أمر ممكن و سهل للغاية[1]، و خاصة بالنسبة للفواعل المنتمية إلى حلقات قوة أقل أو أكثر هشاشة، إضافة إلى التلاعب في الواقع من قبل أسطورة أو فكرة ناتجة عن منهجية أو تنظيم ذو طابع "**جماعي الرؤية**"، أي من جماعية التمثيل الجزئي أو الظرفي الموقفي المحدود، هذا مع وجود فكرة جوهرية أخرى مفادها أن البنية التحتية الجيوبوليتيكية للعلاقات الدولية في حد ذاتها تفاعلت في تشكيلها مع جملة مفاهيم و أشكال و تصورات الفواعل حيال العالم و شكل العالم ، ما يؤدي إلى ضرورة رفض التصورات و الأفكار غير المرنة ، إضافة إلى حالة أو خاصية الكتامة Imperméabilité ضمن الأفعال الإنسانية المسبقة التشكيل ، كعامل مؤثر على تصور الفاعل للبنية التحتية الجيوبوليتيكية ، لكن رغم ذلك، يقر "دوسوي" بقوله:" **و على العكس، علينا أن نعترف بأن وجهات النظر حول العالم من طرف الفواعل ، استراتيجياتهم ، طموحاتهم ، لا يمكن أن تكون غير مبالية تماما بالشروط البنيوية "الهيكيلية" و الحقائق الواقعية**"[2] ، و قد أبدى السلوكيون الأمريكيون أسلوبا مقنعا حول حقيقة ظهور السلوك الأقل أو الأكثر عقلانية من قبل الفواعل، و لكن هذا السلوك يشكل باستمرار من قبل تصوراتهم و تمثلاتهم.

من هذه المنطلقات النظرية ، من المتصور أن تحدد طريقة معقدة " للنظام العالمي للفضاءات" متحركة باستمرار Mouvement Perpétuel ، هذا ما يعكس فعلا خاصية "**نسبية التكوين**" سواء تكوين الفاعل و شكله الهيكلي أو تكوين الفضاءات المختلفة و أشكالها الهيكلية التفاعلية ، و من ثم النسبية في نمط التفاعل و استخدام القوة ، بما يؤكد خاصية "الدينامو– جينيك" ؛ التي ينبغي أخذها بالإعتبار عندما يراد تحليل و فهم تفاعلات النظام الدولي ، و **الشكل رقم (2)** يوضح تصوريا تغير الأشكال الهندسية للفواعل والفضاءات.

الفرع الثاني: "التكوين و الديناميكية" المكانين للنظام الدولي

كلما اتسعت رقعة التحليل الجيوبوليتيكي للعلاقات الوظيفية التفاعلية ما بين الفواعل داخل الفضاءات المختلفة – رغم حصرها في أربع فضاءات أو خمس– كلما تعقدت الصورة التصورية التشكيلية لإستكمال نموذج موحد تحليلي و دائم للعلاقات الدولية ، و في هذه المسألة على اعتبار أن "**النظام**" في العلوم الإجتماعية مفهوم نظري مجرد من الصعب تحديده، و يفترض أن يتحقق بوجود مجموعة من العلاقات المتبادلة التي يتم هيكلتها في شبكات متشابكة، تبدو مماثلة لفضاءات متعددة التقاطع و التداخل[3]، أما الفضاء **(المجال المكاني)** فيتحدد من خلال الرسم البياني ، على الأقل هو أيضا تصوري، تشكلي، خاصة إذا تعلق الأمر بالفضاءات

[1] **Gerard dussuoy**,op,cit.p25.

[2] Ibid.

[3] Ibid ,p261.

غير المادية و بالتالي العلاقات غير المادية، و منه يمكننا تصور تطوير نماذج جيوبوليتيكية بإعتبارها أداة لتصور العلاقات الدولية كونيا ، و بشكل أكثر تحديدا "**موضوعي**" و منه تفسير النظام بصورة معتبرة[1].

في الواقع، إذا تصورنا أنه يمكننا إسقاط "**مفهوم النظام**" من ناحية اصطلاحية على البنية النظامية للعلاقات الدولية ، فإن النظام الدولي يصبح مفهوما مجملا يدل على وجود منظمة أو سلطة عليا ملزمة للفواعل، تقيد بذلك سلوكات و بالتالي حريات تلك الفواعل، و هي تؤثر عليهم تأثيرا حقيقيا* ، و هنا يمكن أن نتساءل : ما وجه التطابق بين العلوم السياسية؟ و من ثم بين العلاقات الدولية و الجيوبوليتيكا ؟

كما اشرنا في البداية، أن هناك منطقة ما مضاءة من المعرفة المقارباتية ، تسعى أغلب البراديمات إلى الكشف عنها أو تبني و ادعاء القدرة على كشفها، لكن ما مضمون هذه الإشكالية إذا كان و لا بد من الوصول إليها توافقيًا؟

إذًا لا شك أن هناك حاجة ماسة إلى "**مفهوم التكوين**"، مفهوم تكوين النظام الدولي المشكل من الفواعل و الفضاءات و العلاقات ، و هو بمثابة المشهد الكلي الشامل أو بمثابة "**الشخصية الكلية المشتركة**" لكل الفضاءات و الفواعل و العلاقات ، و المشكلة على الخصوص للفواعل في الفضاءات بشكل نهائي من خلال عامل قوة الإرتباط، و لكن أيضا المبادئ التوجيهية و السلوكات الاستراتيجية الرئيسية منها المتأثرة بمصالحها و بالأساطير الإجتماعية[2].

مسألة أخرى ، هي أن التكوين النظامي "**تكوين النظام الدولي**" كمفهوم تحليلي ، يشير إلى العلاقات التقاطعية الحقيقية أو حتى المتخيلة و بصورة نسبية ضمن البنية التحتية الجيوبوليتيكية ، غالبا ما تكون مكوناته و عناصره التأسيسية متضاربة بإعتبارها تمثيل العالم، ما يؤسس بصورة طبيعية لنسبية و لايقينية الإفتراضات فهي بذلك مؤقتة ، و منه غياب أي تفسير نهائي أو حتى وجود تغيرات معرفة مستديمة، ما يعني بأن البنية الجيوبوليتيكية تتضمن صورا و علاقات معقدة قابلة للملاحظة، منها ما هو غير مرئي بصورة مباشرة، إذًا التكوين النظامي ينبغي أن ينبثق عن التفكير الجماعي و عموما من طرف الجميع، و منه لا بد من مراعاة هذا التكوين النظامي المنهجي في منظور نسبي، باعتباره واحد من سلسلة (مجموعة) ذات بناء بديل[3].

---

[1] Ibid.

* إضافة إلى اقرار "دوسوي"، يمكن القول بأنه في مرحلة تحليل و فهم بنية العلاقات الدولية ، ينبغي على الباحث أن يتموقع في منظوره تجاه الأحداث و العلاقات بصورة رأسية و ليس على نحو أفقي، بحيث أن الزاوية التي يلحظ عبرها صورة النظام و تفاعلاته و حركية الفواعل المعقدة بصورة عمودية، تسمح له بضبط حدود المشهد العام للتفاعلات قيد التفسير و التحليل الجيوبوليتيكي.

[2] **Dussuoy**,op,cit,p30.

[3] **Jean-Claude Abric**,« L'etude Experimentale Des Representation Sociales », In Les Representations Sociales, Sous La Diraction De Deminse Jodelet , Paris ,Puf,1991,P188.

يؤكد "دوسوي" أنه إذا كان تطور النظام يعتمد على إعادة الهيكلة الجارية لمحدداته ، فمن المستحيل التكهن (التنبؤ) بالمعنى الدقيق لذلك ؛ فتغير التكوين النظامي (الإعداد النظامي) المنهجي يبدو– في المقام الأول– مثل مجموعة من التوترات بين فواعل (لاعبين) من أنواع و خصائص مختلفة.

لعل من العوامل التحليلية المتحكمة في شكل التكوين أو الإعداد النظامي للنظام الدولي في العالم المغلق و الإتصالي ، خاصة مع مرحلة نهاية الحرب الباردة و تحدياتها المعاصرة العامل الثقافي ، و بالتالي التحليل الثقافي يصبح ضروريا لفهم السلوكات الدبلوماسية و الإستراتيجية للفواعل في النظام الدولي ، و كما أشار "دوسوي"، فإنه من المحتمل أن يولد العامل الثقافي فواعل دولية مكتملة التمرن ، أصيلة ، ما إذا كانت تتخذ شكل جماعات أو تجمعات سياسية... ، و في كل لحظة يمكن وصف النظام الدولي من خلال التمثيل الذي تحدد حالته في وقت معين و لفترة أطول أو أقصر ، و على الرغم من أن "القوة" لم تعد بالإجماع بوصفها مفهوما مركزيا لمجال الجيوبوليتيكا التحليلي دون أي بدائل لا يمكن أن تقاوم ، سوف يعزى تكوينه لـ(هندسة القوة) و في هذه الحالة – حسب دوسيو– هناك حتمية نظامية حقيقية، و التي تميل إلى المحافظة على الفواعل الرئيسية تلبية للمصالح الحيوية ، و هذا لا يخلو من العواقب على الوضع الأبيستيمولوجي " لعلم الفضاء / المجال– السياسي".

الفرع الثالث: الجيوبوليتيكا علم الفضاء – السياسي / *Systémographie* الفضاء العالمي

تفسر – في الغالب– تلك الفوضى التي تطبع وجه العالم، على أنها و في نواح كثيرة نتيجة لإنهيار بنية القوة العامة الشاملة في أعقاب إنهيار الإتحاد السوفياتي ، و في هذا الصدد، فإن هذا الإضطراب بالنسبة للكثير من الجماهير هو بمثابة استراحة و تحرر أي بمعنى "انعتاق"[1]، و يطرح هنا "دوسوي" تساؤلًا مهما حيال ذلك:" **ماذا و كيف ستكون طبيعة تكوين النظام الدولي في القرن الواحد و العشرين؟** و هو يشير بذلك إلى صنفين: أغلب المتفائلين يعتقدون بظهور "إنسانية توافقية متصالحة"، و ذلك بعد فترة مخاض أكثر أو أقل من ممارسة الإستقلالية (الحكم الذاتي)، في إشارة إلى إنسانية "**ذاتية التأسس**"، و هذا من شأنه الميل نحو إثبات أن الإضطراب العالمي شيء آخر غير " النظام المعاكس" على النحو الذي طرحه "**ادغار موران** " Edgar Morin " ، أما أغلب المتشككين فمن المرجح أن يدعموا هذا الأمر و هذا يتوقف على هيكل القوة[2].

[1] **Bertrand Badie Et Guy Hermet**, Politique Comparee, Paris,Puf,Coll. » Themis , 1990,P48.

[2] **Edgar Morin**, « Le Dialogue De L'order Et Du Desorder »,In La Querelle Du Determinisme,Dossier Reuni Par K.Pomian,Paris, Le Debat/Gallimard,1990,Pp 79-101.

إشارة أخرى إلى ضرورة الإعتراف بأنه يمكن إقامة توازن بين قوى "تجانس و عدم تجانس الكون السياسي"، تحت السلطة التعليمية للولايات المتحدة ، أو من خلال محفل يعقد من قبل الكتل القارية، **لكن هل هذا التجانس تجانس مهيمن أم تجانس متعدد الأطراف؟**

يرى "**دوسوي**" بأنه سؤال رئيسي يطرح نفسه أكثر اليوم على المحللين ، و من الواضح أن مرحلة "التفكيكية– إعادة الهيكلة"– التي يحياها العالم الآن و التي تتجه و تتطور نحو الفوضى ؛ من الصعب فك رموزها إذًا: "هل من الضروري في هذه الظروف و الشروط نبذ أية نظرية للعلاقات الدولية؟ و إهمال فكرة محاولة تحديد و ترسيخ "تكوين النظام الدولي؟[1]

حقيقةً، و بالرجوع إلى ما ذكرنا في البداية حول المنطقة الوسطية (كافيتيريا الوسط) للتنظير كمنطقة معرفية مضاءة و توافقية، فإنه ينبغي تبني نظرية توافقية تعددية من حيث المرتكزات و الموضوع، و في هذا الصدد يجيب "دوسوي" بصورة معتدلة:"...**للهروب و التراجع عن هذه الفكرة الأخيرة– أي فكرة نبذ أية نظرية– من المرجح و من دون شك التوجه نحو نظرية تعددية (جماعية) من حيث مرتكزاتها، كما ينادي به "جان جاك روش"** Jean Jacques Roche **حول التعايش بين تيارين: "الواقعية" و "عبر– القومية"**[2]، ثم نحاول بعد ذلك إجراء مقارنة بين التكوينات المنمذجة ضمن مخطط اتساقها الذاتي الطوبوغرافي الخاص بها؛ أي الترابط المكاني لكل منها ، ما يعني أنه يجب علينا مقارنة شروط و ظروف التعايش المنطقية الأكثر أو الأقل تناقضا منها فيما بينها ، و التي تشكل الفضاءات المختلفة الملائمة للفواعل ذات الأنواع المختلفة، و المتغيرة الطبيعة[3].

بحسب وجهات نظر "أدولف غراوبيسكي "Adolphe Grabowski ، فإنه ينبغي أن تكون الجيوبوليتيكا "**منهجية في خدمة علم السياسة**"، و هذا هو القصد الأول لمخترع المصطلح "Rudolf Kjellen" الذي يعتبر هذا التخصص قبل أن يصبح "**تهامي**" و يزعم أنه يستوعب و يفهم الآخرين مثل واحد من خمسة فروع العلوم السياسية"[4]، كما يشير أيضا جيرار "دوسوي" إلى أن هناك فرصة وحيدة للتأكيد على الحاجة إلى بناء "**علم المكان– السياسي**" الفعال، من قبل عدد قليل من الباحثين و الكتاب ؛ و ذلك من خلال التمييز نظريا

---

[1] **Dussouy**,Op,Cit P33 .

[2] **Jean –Jacques Roche** ,Theorie Des Relations Internationales, Paris, Montchrestien,Coll »Clefs Politique, »1994 P.149.

[3] L'expression D'autoconsistance Topologique Proposée Par « Basarab Nicolescu », (In Nous, La Particule Et Le Monde, Paris Le Mail, 1965.

[4] **Ladis K.D.Kristof** , » The Origins And Evolution Of Géopolitics, » « In Journal Of Conflict Resolution , 1960 vol. ,4 N°1.Les Cinq Branche En Question Sont **:** :L'éconopolitique, La Démopolitique, La Sociopolitique, La Kratopolitique Et La Géopolitique.

بين الجيوبوليتيكتا و الجيواستراتيجية، بإستبيان وجهة النظر النسبية،"Généalogique "، فمصطلح أو لفظة "جيواستراتيجية" ظهر في وقت لاحق بعد مصطلح "جيوبوليتيكا" بكثير، و لم يصبح شائعا إلا بعد الحرب العالمية الثانية أساسا في الولايات المتحدة الأمريكية ، إضافة إلى أن الألماني "هاوسهوفر" Haushofer" لم يستخدمه أبدا و لا أحد قبله ، فقد تحدث "هاوسهوفر" عن Wehrgeopolitik (الجيوبوليتيكا العسكرية) كفرع خاص عن الجيوبوليتيكا أو Wehrgeographie (الجغرافيا العسكرية) ، و هو مصطلح شائع أيضا بين كثير من الكتاب[1].

وعليه؛ فإن الإستراتيجية هي من يؤدي إلى استمرار هذا التخصص، لكن مع تغير المنظور Perspective عبر مستوى التكتيك في الإستراتيجية، غير أن الإستعمال الموسع و المطلق للفظة "جيواستراتيجية" في جميع مجالات النشاط البشري، لا يتوافق مع درجة تماسك العلاقة بين "الجيوبوليتيكا" و "الجيواستراتيجية"، و الفرق (البين) الجوهري بين التخصيصين يكمن بشكل ملحوظ في السياق "المكاني– المفاهيمي" للممارسات الجيوبوليتيكية ؛ على أنها تشير إلى كل من تصورات و تمثلات العالم و إلى الحقائق المادية و القيم، أما الخاصية البراغماتية فترى دورا أساسيا على نطاق واسع للجيواستراتيجية، بينما الجيوبوليتيكا تعطي بعدا **أنطولوجيًا** كإنعكاس على تنظيم و مستقبل الأرض[2].

"**الجيواستراتيجية**" كمصطلح – رغم كونه ذو بعد عالمي و استعمال موسع– يحتضن الفضاء العالمي، فإنه ينبغي أن يتخذ كمعنى حياديًا، معياريًا، و بشكل أساسي تقني، فمنذ استخدام مصطلح "الجيواستراتيجية" على نطاق واسع و بصورة مطلقة و الفجوة الدلالية بين المفهومين مع ذلك تتناقص بإطراد ، و الجيواستراتيجية وفقا لذلك هي "استراتيجية" تهدف بدورها إلى عولمة الظواهر، و إلى تكامل أبعاد النشاط البشري من أجل تحقيق المنطق الجماعي العام، و من هنا يشير "دوسوي" إلى أنه يصعب الفصل بين "الجيوبوليتيكا" و "الجيواستراتيجية" ؛ خاصة و أن فهم النظام الدولي "هو من فهم "**الهندسة المعمارية**" رغم التمايز الإبيستيمولوجي الناشئ في مستوى ما[3]، و انطلاقا من كون الإختلاف يشمل من يركز على "النظام" كإطار مفاهيمي و الذي يشير من ناحية جيوبوليتيكية إلى معنى الترتيب المكاني

> "...يمكننا القول أن الجيوبوليتيك هي دراسة الكائن "الفاعل" من الفضاء العالمي من حيث تنظيمه و حركيته مثل الأوضاع الخاصة للفاعلين و مواقعهم، بينما تمثل الإستراتيجية العامل المؤدي للفعل، ما يعني أحداث وسلوكات إستراتيجية تؤخذ بعين الإعتبار عالميا أو بصورة فردية."

[1] **Karl Haushofer**,Wehrgeopolitik,Berlin ,1932 Seconde Edition 1949,Voir: Dussouy ,Op,Cit,P35.

[2] Ibid.

[3] Ibid.

للفواعل، و من يركز على "الفاعل" فإن الجيواستراتيجية تمتاز بكونها "**إشتقاقية**" Etymologique، ما يعني فهم و تفسير الفعل الإستراتيجي ضمن الفضاء أو المجال و على سطح الأرض، و على هذا النحو فإن "جيوبوليتيكا الفاعل" تعني تحديدا تحليل وضعه البنيوي بالنظر إلى الموقع الجغرافي كمكون واحد في النظام الدولي، في حين أن جيواستراتيجية الفاعل تعني ما لهذا الفاعل من سلوكات إستراتيجية في المجالات الجيوبوليتيكية المختلفة، على أنه مهما كانت طبيعة الفاعل فإنه ينبغي التمييز بين المفهومين،"...**يمكننا القول أن الجيوبوليتيك هي دراسة الكائن "الفاعل" من الفضاء العالمي من حيث تنظيمه و حركيته مثل الأوضاع الخاصة للفاعلين و مواقعهم، بينما تمثل الإستراتيجية العامل المؤدي للفعل، ما يعني أحداث وسلوكات إستراتيجية تؤخذ بعين الإعتبار عالميا أو بصورة فردية**، و بذلك فإن الجيوبوليتيكا اعتبرت علما مهيمنا إلى حد ما و لكن مع ذلك، الجيوبوليتيكا تثير تساؤلات ابيستيمولوجية هامة، و التي تقلل من مكانتها ضمن مجمل التخصصات، رغم ذلك فهي لا تقلل من فائدته المبررة من قبل الإهتمام و الحرص ، أين تتطلب الديناميكيات النظامية المعاصرة فهم العلاقة (**فضاء–سياسة**)، وهذا ما يصلح و ينطبق على المستوى الجزئي (القضايا الإقليمية كالهجرة على سبيل المثال)، و المستوى الكلي (تصورات و تمثلات جيوبوليتيكية "ما فوق– دولتية" Supra-Etatique"، مقاربة إقليمية للنظام الدولي...)[1].

إن النظرية الجيوبوليتيكية المعاصرة لكي تكتسب قوتها، قيمتها و شرعيتها – كتخصص– و بصورة كاملة بإعتبارها **معرفة الأمكنة السياسية** Spatio Politique ، فإنها تقتضي توحيد حقل العلاقات الدولية، و هي مرحلة ممكنة من ناحية نظامية أو إصلاحية، مفتوحة على نماذج مختلفة في وقت واحد، و هي مقاربة شاملة كلانية كونها ثرية بنتائج ملموسة ، و أنها ابستيمولوجيا مقاربة تحليلية أو "**ذرية**" Atomistiqu .

يضيف "دوسوي" – من جانب آخر – أن هناك تحد كبير لهذه المقاربة أو النهج يتكون في أعقاب "الروح العلمية الجديدة" لتمثيل الجيوبوليتيكا، و ذلك من أجل عملية " Systemeographie**" الفضاء العالمي** ؛ أي اخضاع الفضاء العالمي لنظامية جغرافية أو قانون نظامي جغرافي للفضاء، و هذا يدعو إلى توليف النوع الدلالي من أبعادها المختلفة، و من أشكالها المكانية المتغيرة، و التي يجب أن تأخذ بعين الأعتبار تداخل ثلاثة مستويات، جزئية ، متوسطة و كلية ، و القطع أو العناصر المشكلة للتكوين النظامي ينظر إليها بإعتبارها أداة نظرية مناسبة للنماذج الأساسية المختلفة المشكلة لتلك المستويات، كما أنه – بغرض بناء Systémeographie حقيقي و مرجعي جيوبوليتيكا– لا ينبغي الإقتصار على صورة بسيطة من النظام الفضائي العالمي، فآليات العمل في جميع أبعادها يجب أن تشارك في نهج أو مقاربة شاملة للنظام العالمي، و في هذا

[1] Idem.

المنظور الإبيستيمولوجي يمكن النظر إلى **التحليل الجيوبوليتيكي** كما لو أنه محاولة بذل جهد بغرض "**إعادة سياقية دائمة** Recontextualsation **لتكوين الفواعل**"، و في هذا الصدد فإن المعرفة التجريبية لمختلف فضاءات الجيوبوليتيكا بإعتبارها بناءات لا غنى عنها، تسمح بإحداث عدة علاقات فعالة لتقييم مصداقية النماذج المختلفة التي تحكم تشكيل الإعدادات أو التكوينات البديلة، و هو ما يؤكد وجود مساحات أو فضاءات عاملية للنظام الدولي[1].

في الغالب، فإن الحديث عن وجود نظامية ما و كذا تحقيق مفهوم تكوين نظامي واحد من ناحية جيوبوليتيكية، يصطدم في الحقيقة بعدة معضلات أولها معضلة الإتساق الذاتي الطوبولوجي للسياقية المسلماتية Contextualité Postulable أو السياقية المسلماتية الإفتراضية ، إضافة إلى العلاقات الشكوكية القائمة بين الأبعاد النظامية المختلفة رغم وجود قوة ثابتة ما، ثم من حيث إمكانية تكاثر و انتشار الحالات المشابهة (الجنيسة)، و"...لحسن الحظ تواجه هذه المعضلة المزدوجة اللعبة "بين–نموذجية"– Inter Paradigmatique ؛ ترصد من قبل المنطق الذي يواجه التجانس و عدم التجانس في العالم، هذه ابيستيمولوجيا تشغيل منظور الجدل الثلاثي Trailectic ، و هي مخالفة لما كتبه الأنثروبولوجي Durand Gilbert على إثر أعمال المناطقي **(عالم المنطق)** Stéphane Lupasco على حد تعبير "جيرار دوسيو"[2].

رغم كل تلك المعضلات، فإن العالم اليوم يبدو أكثر قابلية للإنخراط في هذا النهج Méthode ؛ في تعدديته و تنوعه من حيث اختلافاته و تباياناته، كما انه يسمح في كل الحالات بالتركيز على ثلاثة تكوينات دون أن يكون محتملا بنفس القدر (بالتساوي) أوحصريًا للآخرين *être Sans Equiprobable* ، لديه ميزة القيام بدور فيما يخص الإشكالات الجيوبوليتيكية الراهنة و التي هي من عالم متجانس بشكل متزايد تحت تأثير السوق و القيم الغربية ، و من الإنقسامات التي لا حصر لها و الصراعات نتيجة التوترات السائدة و المهيمنة، ذلك أنه من الممكن ظهور توازن إقليمي عالمي محتمل، هذا أمر بالغ الأهمية عندما لا يهدف إلى التوصل إلى نظرية محدودة، كما هي عليه اليوم أغلب مساعي التنظير ضمن حقل العلاقات الدولية و عبر النقاشات و المحاورات داخل الدائرة البرادايمية الكثيفة.

[1] **Dussouy**,Op,Cit,pp31-32 .

[2] Ibid.

المبحث الثاني :الخطابات الجيوبوليتيكية العالمية المعاصرة: مرحلة الحرب الباردة و ما بعدها

المطلب الأول: مضامين الخطابات الجيوبوليتيكية الأطلسية المعاصرة

يقع تطور الخط الفكري الجيوبوليتيكي الأمريكي الأطلسي أساسا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية؛ ضمن مشروع تطوير أطروحات "نيكولاس سبيكمان"، الذي تولى بنفسه تصحيح نظريات الأنجليزي عالم الجيوبوليتيكا الشهير و صاحب نظرية "المحور الجغرافي للتاريخ""هيلفورد ماكيندر"، و من أتباع "سبيكمان" نجد: **د.أ.مينينغ، وأ .كيرك، و س.ب .كوين، و كولن . س.غراي، و هنري كيسنجر** .

يشير "ألكسندر دوغين" أنه خلال 1956 قدم تلميذ سبيكمام "د. ماينينغ" نصاً بعنوان الـ: " **Rimland و Hertland " في التاريخ الأوراسي**" أكد من خلاله أن: "**المقاييس الجبوبوليتيكية يجب أن تضع في الحسبان التوجه الوظيفي للسكان و الدولة، و ليس فقط العلاقة الجغرافية الصرف للأرض باليابسة و البحر** "[1]، و حسب "ماينينغ" ؛ فإن مساحة "الـ:Rimland الأوراسي" بحسب توضعها الوظيفي الثقافي تنقسم إلى ثلاثة نماذج[2]:

1- الصين، منغوليا، فيتنام الشمالية، بنغلاديش، أفغانستان، أوروبا الشرقية، بما في ذلك روسيا، دول البلطيق و كاريليا، و هي بمثابة الأراضي المائلة عضويا إلى Hertland .

2-كوريا الجنوبية، بورما، الهند، العراق، سوريا، يوغسلافيا و هي الأقاليم المحايدة جيوبوليتيكيا.

3- أوروبا الغربية، اليونان و تركيا و إيران، باكستان و تايلاند و هي أقاليم ميالة إلى الحلف التالاسوكراتي أي المناطق الشاطئية Sea Power .

أصدر "**أ.كيرك**" (تلميذ آخر لسبيكمان) - خلال سنة 1965 -كتابًا يعيد من خلاله صياغة عنوان مقالة ماكيندر الشهيرة " المحور الجغرافي للتاريخ"، و قد طور "**كيرك**" نظرية سبيكمان المتعلقة بالأهمية المركزية لـ:" Rimland"، من أجل التوازن الجيوبوليتيكي للقوى إعتمادا على تحليل "**ماينينغ**" الثقافي – الوظيفي و قوله بأفضلية "مناطق الحواف" بالنسبة للتوضع **التيليروكراتي أو التالاسوكراتي.**

قدم "**كيرك**" أنموذجا تاريخيا، تلعب فيه الحضارات الشاطئية الدور الأهم ، و التي تنطلق منها التدفقات الثقافية إلى داخل القارة بدرجة من النشاط أعلى أو أقل ؛ و بذلك يتم الإعتراف بالصيغ الثقافية الأعلى ذات البادرة التاريخية تالاسوكراتيًا حسب "ماينينغ"، كما نجد من ضمن إسهامات خطاب الأطلسية المعاصرة كتاب

[1] الكسندر دوغين، الكسندر دوغين، أسس الجيوبوليتيكا، مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، تعريب و تقديم الدكتور عماد حاتم،(بيروت : دار الكتاب الجديد ، ط 2004) ، ص ص 145-149.

[2] نفس المرجع .

"**الجغرافيا و السياسة في عالم مجزء**" للأمريكي "**سول كوين**" ، و الذي يضمنه تصنيفا إضافيا قائما على تقسييم الوقائع الجيوبوليتيكية إلى "نوى، Nucleus و إلى "أحزمة متقطعة "، و بحسب و جهة نظره يمكن تقسييم كل إقليم على الكوكب إلى أربع قطاعات جيوبوليتيكية[1]:

1- الوسط الخارجي البحري (المائي) المرتبط بالأسطول البحري و الموانئ.

2- النواة القارية (Nucleus) و تتطابق مع " Hinterland " ، و هي المناطق الداخلية البعيدة عن الشاطئ

3- الحزام المتقطع (القطاعات الشاطئية – الموجهة إلى داخل القارة أو منها).

4- المناطق غير المرتبطة جيوبوليتيكيا بهذه المجموعة.

كإنعكاس مباشر لفكرة الأحزمة المتقطعة جيوبوليتيكيا و واقعيا، فقد إلتقط الإستراتيجيون الأمريكيون البارزون أمثال "هينري كيسنجر" فكرة الأحزمة المتقطعة على اعتبار مدى توافق الإستراتيجية الأمريكية تجاه المناطق الشاطئية المتقطعة و مسألة ربطها ببعضها في كل موحد، بما يمكن للأطلسية من فرض هيمنتها على أوراسيا السوفياتية، و قد سميت هذه النظرية بـ:"Linkage" أي ربط أو تحلقة ، (Link) و عمليا طبقت هذه الفكرة في الحرب الفيتنامية و في العلاقات الأمريكية الصينيةو مساندة النظام الإيراني (نظام الشاه)،و في دعم القوميين المعارضيين في أكرانيا و مناطق البلطيق[2].

يجد المشروع أو الخطاب الجيوبوليتيكي الأطلسي الجديد نفسه محققا أيضا ضمن إسهامات "**كولن.س. غراي** " في كتابه " جيوبوليتيكا العصر الذري" ، و الذي يقدم من خلاله نظرة إلى الإستراتيجية العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية و حلف الناتو، محددا بذلك أماكن التوضع الكونية للأهداف الذرية إنطلاقا من الخصائص الجغرافية و الجيوبوليتيكية للمناطق، و من خلال التحليل الجيوبوليتيكي لمجريات الحرب الباردة بين القوتين العظميين، فإن الأطلسيين قد كسبوا الحرب الباردة و هو دليل قوي على أن التطور الجيوبوليتيكي للأطلسية قد بلغ ذروته[3].

الفرع الأول: "تمييع الوسط" و تطور "توموس البحر" ضمن خطاب "كارل شميدت"

يشير "دوغن" إلى أن الجيوبوليتيكا الأطلسية التي تجعل Sea Power في مركز تصوراتها هي "جيوبوليتيكا البحر"، و الإستراتيجية الشاملة القائمة على أساس هذه الجيوبوليتيكا أدت بالغرب إلى بناء القوة العالمية ، كما يؤكد أن ما أدى إلى غزو المدى الجوي هو عامل تطوير التقنية ، ما جعل التعامل مع "جيوبوليتيكا" الفضاء أمرا حيويا لكنها غير مدروسة و غير مكتملة الصياغة، غير أن عامل الملاحة الفضائية

[1] نفس المرجع السابق ، ص 149.

[2] المرجع نفسه ، ص 150.

[3] لمزيد من الاطلاع و التفصيل أنظر : أليكسندر دوغين ، نفس المرجع المذكور سابقا، ص ص 150-154.

يضاف إلى اللوحة الجوبوليتيكية العامة، لكن عددا من العلاقات المتبادلة إزاء تفعيل الوسط الفضائي و ما يرتبط به من أنماط التسليح الجديدة كالطيران الإستراتيجي ، و الصواريخ و الأسلحة الذرية عابرة القارات قد تبدل بصورة ملموسة، ذلك أن عملية غزو الفضاء ساوت – إلى حد ما– بين اليابسة و البحر، لأن الفارق بين المجالين ليس كبيرا بالنسبة للطائرات و الصواريخ ، فإختراع حاملات الطائرات قطع القواعد الجوية بصفة نهائية عن اليابسة ، و أنهى إرتباط هذه القواعد بطبيعة سطح الأرض، كما أن تطور قطاع الطيران قد بدل من نسب البعد الكوني، بحيث أصبحت الحدود البرية و القواعد القارية الداخلية أمرا نسبيا إلى حد بعيد، إضافة إلى أن نقل الأسلحة إلى المدار الأرضي، و الغزو الإستراتيجي للفضاء الخارجي هو بمثابة المرحلة الأخيرة في تقليص الكوكب الأرضي و إضفاء النسبية النهائية على الفروق في المسافات ، و على الجيوبوليتيكا العملية أن تضع في الحسبان عفويتين مهمتين هما : "**الجو**" و "الاثير" **(المدى الكوني)** ، هذا بالإضافة إلى **(اليابسة و البحر)** ، كما أن ما يقابل كل من عفويتي الجو و الأثير في المستوى العسكري، كل من السلاح النووي (الجو) و برنامج "حرب النجوم" **(الكون)** ، لذلك الإيروكراتيا تعني **(سلطة الجو)** و الأثيروكراتيا هي **(سلطة الأثير)**[1] .

لخص "كارل شميدت" نظريته عن "الأيروكراتيا و الأثيروكراتيا" من خلال رسم تخطيطي لهذين الميدانيين الجديدين، فضلا عن كون ملاحظته المهمة تشير إلى أن ثنائية "الإيروكراتيا و الأثيروكراتيا" تمثلان معا التطور التالي لـ: "نوموس البحر" دون سواه ، و أنهما الحقبتان المتقدمتان من "التالاسوكراتيا" بالذات ، لأن كل العملية التقنية لغزو الفضاءات الجيوبوليتيكة تدفع نحو "تمييع الوسط" ، و هو ما يترافق حسب "شميدث" مـع العمليات الثقافية و الحضارية المطابقة ، و هو ما يعني أن غزو الفضاءات الجوية الكونية هو إمتداد للتقاليد التالاسوكراتية دون سواها، و منه يمكن إعتبارها المرحلة الأعلى للإستراتيجية الأطلسية بالذات.

ضمن نفس سياق الأطلسية الجيوبوليتيكة للحرب الباردة ، يمكن الاستنتاج أن التنافس لن يكون إلا في إطار مواجهة ذرية بين المعسكرات ؛ عبر شروط تطرحها القوة البحرية على الـ: Heartland المضطرة لقبول شروط المبارزة الإستراتيجية الوضعية التي يفرضها الطرف الآخر ، و يأتي ذلك مترافقا مع منطق تطور العالم الغربي تقنيا و إستراتيجيا، ما يعني الموقف الهجومي للأطلسيين في سياستهم المعتمدة على قطع المناطق الساحلية عن المركز القاري ، و هنا نكون أمام المبادرة الهجومية لأحد المعسكرين (ردة فعل) "وردة الفعل

[1] **Carl Schimitt** ,« Der Nomos Der Erde » Koeln. 1950.

الدفاعية للطرف الآخر، فمن الناحية العقلية – حسب "دوغين" – يبدو أن الأطلسيين يصوغون "**الجيوبوليتيكا الفعالة**" بطريقة نظرية علمية منظمة، و الجيوبوليتيكا لدى الأطلسيين بمثابة مادة علمية تملي الخطوط العامة للإستراتيجية الدولية، غير أنه فيما يتعلق بالمعسكر الشرقي – من حيث لم يجر الإعتراف بها خلال مرحلة طويلة – توجد فقط في صيغة "**رد فعل**" على خطوات **عدو مقتدر** ، فهي جيوبوليتيكا سلبية ترد على تحدي الأطلسية الإستراتيجي وفقا لمبدأ " **قوة الإستمرار لا أكثر**"[1].

في الواقع ، نجد أن الإتحاد السوفياتي سابقا قد نجح ضمن مجال "الأيروكراتيا" –**(حالة السلاح الذري و الطيران)**– في تحقيق تكافؤ نسبي عن طريق شحن كافة موارده و مصادره الداخلية، لكنه عانى من الخسارة الجيوبوليتيكية النهائية (الهزيمة في الحرب الباردة)، و ذلك بسبب حدوث **إنكسار بنيوي في ميدان الأثيروكراتيا**، و هو ما يتطابق مع رؤية " كارل شميدت" على أن " الأيروكراتيا" و "الأثيروكراتيا" ما هما في الحقيقة سوى تطور لـ : نوموس البحر"[2].

الفرع الثاني: بين نبوءتين: "الغرب و البقية (الآخرون) " و " العالم واحد" " The West And The Rest " &"One World "

تشير أغلب الكتابات و الدراسات الحديثة في حقل العلاقات الدولية إلى مرحلة ما بعد الحرب الباردة مرحلة جديدة و حقبة جديدة، و نظرا للتغيرات الحاصلة على مستوى الخارطة الجيوسياسية للعالم أجمع، فهي تتطلب رؤى و نماذج جيوبوليتيكية جديدة و مبتكرة أيضا ، و بغرض تفسير و فهم تغير الوضع الجيوبوليتيكي التقليدي للأراضي و الأقاليم و الدول و الإتحادات ، كان من الضروري قراءة الواقع الكوني بعد انتهاء تلك المرحلة ، على أنه ترسخت لدى العلماء الجيوبوليتيكين الأطلسيين رؤيتين (نبوءتين) مبدئيتين هما:

1– **رؤية تشاؤمية:** تتصل بالخط التقليدي (المواجهة مع الـ: Heartland)، تنبىء بتشكل أحلاف أوراسية جديدة على أساس التقاليد الحضارية البدئية الأخلاقية الراسخة، فهي تعتبر أطلسية جديدة تدعو إلى مواصلة النظر في اللوحة الجيوبوليتيكية للعالم في المنظور التقريبي للثنائية المؤسسة (الإتحاد السوفياتي – الولايات المتحدة الأمريكية) ، كما ترى بإمكانية بروز مناطق جيوبوليتيكية إضافية غير الأوراسيا، بحيث يمكنها في المستقبل أن تصبح بؤرا للمواجهة مع الغرب على غرار طروحات نظرية "صدام الحضارات" Clash Of Civilisations

* رغم ما أكده "دوسوي" سابقا (الفصل الأول)، حول وجود أربع فضاءات جيوبوليتيكية حساسة فقط – حسب أغلب الدراسات المتخصصة– الا أن هناك فضاء آخر مهم، يتمثل في الفضاء الإلكتروني/ السيبراني حسب دراسات حديثة أخرى، و هو ما يستوجب ضرورة أخذه بعين الإعتبار في التحليل الكلي .

[1] دوغين، نفس المرجع السابق، ص 156.

[2] المرجع نفسه.

2- **رؤية تفاؤلية** : و هي نزعة ترى في الوضع المتكون نتيجة إنتصار المعسكر الغربي في الحرب الباردة وضعا نهائيا لا رجعة فيه، فأطروحة العولمة و أطروحة نهاية التاريخ و"العالم واحد" One World المؤكدة على أنه سيتخلص من كافة أشكال التعددية الجيوبوليتيكية الثقافية و القومية و الدينية و الأيديولوجية و الحكومية بشكل نهائي، و تحل حقبة الحضارة الإنسانية المشتركة الواحدة القائمة على مبادئ الديمقراطية الليبرالية، ثم ينتهي التاريخ بانتهاء المواجهة الجيوبوليتيكية[1]، و هذا المشروع الجيوبوليتيكي يقترن بعالم الجيوبوليتيكا الأمريكي "فرانسيس فوكوياما" ، صاحب أطروحة "نهاية التاريخ".

يشير "ألكسندر دوغين" في سياق الموضوع ذاته إلى المنطلقات الأساسية لخطاب "هنتينغتون"، بإعتبارها – إلى حد ما – التطور " فوق المعاصر" للجيوبوليتيكا الأطلسية التقليدية بالنسبة للغرب، و خطابه يأتي في صورة محاورة تاريخية مع خطاب "فوكوياما"، كما يؤكد أن هذا السجال الخطابي القائم ما هو في الواقع سوى انعكاس صريح على المستوى السياسي للسجال القائم بين الحزبين السياسيين القياديين في الولايات المتحدة الأمريكية كل من الحزب الجمهوري و حزب الديموقراطيين، على إعتبار أن فوكوياما يمثل الموقف الإستراتيجي العالمي للديمقراطيين، بينما هنتنغتون لسان حال الجمهوريين، فالأطلسية الجديدة تسير في الخط المحافظ بينما تفضل العولمة رؤية جديدة "[2].

الفرع الثالث : أطروحة صدام الحضارات : أطلسية هنتنغتون الجديدة

أعتبرت أطروحة "صموئيل هنتنغتون" تلخيصا لمشروع جيوبوليتيكي كبير بعنوان "**التحولات في الأمن الكوني و المصالح القومية الأمريكية**" ؛ بحيث أن هذه الأطروحة ترى من ناحية أن الإنتصار الجيوبوليتيكي الظاهري للأطلسية و انهيار الإتحاد السوفياتي سابقا لا يمت بصلة للحقيقة الواقعية القائمة فعلا؛ كما أنها تؤكد من ناحية أخرى؛ بأن النجاح الإستراتيجي لحلف الناتو و الذي يتوافق مع التوجه الإيديولوجي للمعسكر الغربي من حيث معاداة الشيوعية، لا يمس الطبقات الحضارية العميقة، و هو انتصار لا يكتسي الطابع الحضاري؛ ذلك أن الإيديولوجية الغربية "الليبيرالية السوق" أصبحت- حسب دوغن- اليوم بلا بدائل مؤقتا فقط، و مع مرور الوقت سوف تكتسب المجتمعات و الشعوب غير الغربية خصائص حضارية و جيوبوليتيكية جديدة، كما أن مسألة رفض الأيديولوجية الشيوعية و انهيار التشكيلات السياسية و ظهور أخرى لن يؤدي – بحسب هنتنغتون- إلى التراصف الآلي للإنسانية بأسرها على النمط العالمي للقيم الأطلسية، بل على العكس سيعيد تفعيل الرقائق الثقافية الأعمق و التي تحررت من القوالب الإيديولوجية السطحية "، كما يرى هنتنغتون أنه –

[1] دوغين، نفس المرجع السابق.

[2] نفس المرجع السابق.

إلى جانب الحضارة الغربية التي تشتمل على حضارة أمريكا الشمالية و أوروبا الغربية – يمكن أن نلحظ مسبقا الترسيخ الجيوبوليتيكي لحضارات سبع أخرى محتملة هي (**الحضارة السلافية– الأرثوذكسية – الكنفوشيوسية (الصينية)، اليابانية، الإسلامية، الهندوسية حضارة أمريكا اللاتينية، الحضارة الإفريقية)**[1]، و هي حضارات غير متكافئة حسب هنتنغتون، لكنها في تكونها تتخذ مسارا يختلف عن الحضارة الأطلسية و حضارة الغرب ، و الغرب في هذه الحالة سيكون في وضع المواجهة من جديد، و عليه يجب تبني المعادلة الواقعية الأصلح و التي هي : "**الغرب والبقية (الآخرون)**" The West And The Rest ؛ كما أن على الأطلسيين أن يدعموا المواقع الإستراتيجية لحضارتهم ، و أن يستعدوا للمواجهة و ينسقوا قواهم الإستراتيجية، و يبطلوا الميول المناوئة للأطلسية في التشكيلات الجيوبوليتيكية الأخرى، و أن لا يسمحوا بتشكل الحلف القاري شرقا[2].

في سياق آخر، يضيف "**هنتغتون**" بعض النصائح المهمة للأطلسيين و هي – إلى حد ما و من وجهة نظر جيوبوليتيكية– تعتبر امتدادًا واضحًا لنظريتي كل من "**ماهان**" و "**سبيكمان**"، و كذلك يستنتج من تأكيد هذا الخطاب الصدامي للحضارات على "الفروق الحضارية" و خاصة "العامل الثقافي" – على اعتبار أنها العوالم الجيوبوليتيكية الأهم – أنه خطاب جيوبوليتيكي كلاسيكي متطلع إلى الفلسفة العضوية؛ التي تعتبر البنى الإجتماعية و الدول "**كائنات حية عضوية وصيغ حياة**"، و ليست فقط "**تكوينات آلية أو أيديولوجية**"، إضافة إلى أن خطاب هنتنغتون الجيوبوليتيكي يصنف بعض الدول ضمن دائرة العداء المستمر و المحتمل تجاه الغرب (أمريكا + أوروبا)، و بالتالي يعتبر دول مثل الدول الإسلامية (إيران، العراق، ليبيا...) و الصين دولا أعداء أكثر إحتمالا، ذلك أن الخطر الأكبر لا يكمن في الإنبعاث الجيوبوليتيكي لـ: روسيا – الأوراسيا (Heartland) أو أي تشكل قاري أوراسي آخر.

في سياق النظرية الجيوبوليتيكة الأطلسية الجديدة، نجد جملة إسهامات لمستشار الأمن القومي الأمريكي " بول وولفوفيتش " ، حول ضرورة الحيلولة دون ظهور قوة استراتيجية في القارة الأوروبية أو الآسيوية يمكنها أن تقف في وجه الولايات المتحدة الأمريكية، على أن القوة الأكثر احتمالا و التي تؤخذ في الحسبان هي "روسيا"، و أنه من الضروري إقامة " **نطاق صحي**" في وجهها على أساس دول البلطيق، و هنا يكون "وولفوفيتش" أقرب إلى "ماكيندر" منه إلى "سبيكمان" و هو ما يميز رؤاه عن "هنتنغتون.

مثلَ استنتاج مهم في هذا السياق ، أنه برغم جميع تنويعات الخطاب الجيوبوليتيكي الأطلسي المعاصر، فإنها تبدو واحدة في جوهرها، و إن كانت مختلفة من حيث طبيعة النزعة أو التوجه، ذلك أن الحرب الباردة لم

[1] دوغن، نفس المرجع السابق.
[2] المرجع نفسه، ص 157.

تلغ الخطر عن الغرب ؛ و الحديث عن العالم واحد ***One World*** سابق لأوانه، و عليه تبقى المعادلة الأصلح هي تلك التي نادى بها "هنتنغتون" ***The West And The Rest.***

المطلب الثاني: خطاب العولمة : تحدي التحول نحو تعددية جيوبوليتيكية

بعد مرحلة الثنائية القطبية، أصبح من الشائع الحديث بقوة عن مرحلة جديدة بدأت في التخلق ، تحمل في معناها مفهوم "**العالم الواحد**" One World، و ذلك رغم الإشارات التاريخية التي تخص مراحل تبلور فكرة العولمة و من ثم نشوء حقبتها عالميا، فالعولمة من هذه الناحية تعود كخطاب ناشئ إلى مرحلة القرون الوسطى ، و هي تسبق بكثير إذن مرحلة انتصار الغرب على الشرق، و هي تأخذ صيغة غيبية في حيثياتها كما تحمل صيغا عقلانية أخرى، نجد ذلك ماثلا ضمن غيبيات "ليسينغ" الإيمانية و لدى أفكار الحقبة الثالثة لفيلسوف الوضعية "أوغست كونت" العقلانية[1].

يتقاسم العالم بقطبيه و في أغلب أحواله نزعات و ميول و مضامين النص الخطابي والسيميولوجي للعولمة ؛ خاصة الإشتراكيين و الشيوعيين أنفسهم، فالبنسبة للإشتراكيين الأوروبيين (الإنجليز تحديدًا) ، هم ذوو أفكار عولمية مميزة ظهرت ضمن "**الجمعية الفابيانية**"، جمعية المثقفين البورزواجيين الأنجليز خلال 1984، إضافة إلى أن الشيوعيين قد تحدثوا عن الدولة العالمية الموحدة بحيث أقيمت منظمات عالمية منذ نهاية القرن التاسع عشر من قبل رجال أعمال كالسير" سيسيل رودس"، الذي بدوره نظم جماعة الطاولة المستديرة الداعية إلى إقامة نظام للتجارة الحرة على صعيد عالمي، مؤكدا على تقاطع توجهات رجال الأعمال الإشتراكيين مع أفكار الليبيرالية الرأسمالية ضمن فكرة توحيد الكوكب، و في هذا الصدد يشير "دوغين" إلى أن تلك المنظمات سعت إلى تغيير أسمائها مرات عديدة، كالحركة الشاملة من اجل الكنفدرالية العالمية لـ" **هاري ديفيس**"، و الإتحاد الفيدرالي و الحملة الصليبية في سبيل بناء الدولة العالمية لـ "**هنري أسبورن**" 1946[2]، كما يؤكد "دوغين" أن المؤسسات الدولية كعصبة الأمم ثم هيئة الأمم المتحدة ثم اليونيسكو ما هي سوى امتدادات لتلك الأوساط العالمية ذات الأثر البالغ على السياسة العالمية، و من ثم تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية بمثابة هيئة الأركان الرئيسية للعولمة، من خلال انتشار مراكز الدراسات الإستراتيجية و المحللين و المستشارين*.

---

[1] دوغين ، نفس المرجع السابق الذكر ص ص 157-195.

[2] المرجع نفسه.

* هناك ثلاث منظمات عالمية أساسية في الغرب بحسب ألكسندر دوغن و هي:

الأولى : مجلس العلاقات الدولية On Foreing Relations Concil ، أسسه المصرفي الأمريكي " مورغان" و هو مؤسسة غير رسمية هدفه صياغة الإستراتيجية الأمريكية على الصعيد العالمي، و من ثم إقامة الحكومة العالمية، ظهرت هذه المؤسسة عام 1921 كفرع لصندوق كارنيجي للسلام العالمي، و معظم أعضاء CFR من المبجلين رفيعي المستوى في الماسونية السكوتلاندية، و منه يفترض أن تكون مشاريعهم الجيوبوليتيكية تصب في اتجاه توحيد النظرات العالمية لمستقبل الأرض=.

الفرع الأول: رؤية الدور المزدوج و منظور التقارب ضمن خطاب "بريجينسكي" الجيوبوليتيكي

في اشارات تحليلية قوية الدلالة ، ضمن خلاصة مهمة في كتابه "**رؤية استراتيجية: أمريكا و أزمة السلطة العالمية**"[1]، يلخص زبيغنيو بريجينسكي " Zbigniew Brzezinski " مضمون الرؤية التحليلية الجيوسياسية الجديدة التي تتعلق بطبيعة الدور الامريكي المزدوج في مطلع القرن الحادي و العشرين ، و المضطلع بالشرق و الغرب معًا، و في البداية كان قد أشار إلى دواعي تبلور هذا الدور قائلا :" ...أما اليوم، وقد صارت المسافات بلا معنى من جراء الاتصالات السريعة و التعاملات المالية الفورية، فإن رخاء الأجزاء الأكثر تقدما من العالم بات متزايد التبعية المتبادلة اقتصاديا ، وماليا و عسكريا ، ففي زماننا خلافا لما قبل 1500 سنة من شأن العلاقة العضوية بين الغرب و الشرق أن تكون قائمة إما على التعاون المتبادل أو التدمير المشترك ، و هكذا فإن تحدي أمريكا المركزي و رسالتها الملحة جيوسياسيا خلال عدد من العقود القادمة هما استعادة النشاط و الفعالية و المبادرة إلى الدفع نحو اجتراح غرب أوسع و أكثر حيوية مع العمل في الوقت نفسه على تدعيم التوازن المعقد في الشرق وصولا إلى احتواء قامة الصين العالمية الصاعدة على نحو بناء..."[2] .

انطلاقًا من هذه الرؤية الجيوسياسية الجديدة، و المتضمنة لنظرية مهمة ذات حسابات إستراتيجية للدور الامريكي و الذي – بحسب بريجينسكي – يجب أن يكون دورا توازنيا بين الشرق و الغرب و ليس دورا هيمنيا فقط ، فقد اعتبرت نظرية للتقارب من جهة ، و هي من ناحية أخرى بمثابة الصيغة الأولى التوفيقية للخطاب العولمي ، أخرجتها في السبعينيات و في صلب CFR مجموعة المحللين اليساريين بقيادة

الثانية: المنظومة العولمية الثانية 1954 " نادي بيلدربيرغ" أو جماعة بيلدربيرغ، و لم تكن لتضم المحللين و السياسيين و الماليين و المثقفين الأمريكيين فقط ؛ بل و زملاؤهم الأوربيين أيضا، و هي من الجانب الأمريكي ممثلة بأعضاء CFR مما أعتبرت الجماعة امتداد لـ: CFR.

الثالثة: اللجنة الثلاثية (Trilatéral) ، ففي عام 1973 أنشأها ناشطو جماعة "بيلدربيرغ" ، يترأسها أمريكان من CFR ، و هم ضمن جماعة بيلدربيرغ، مكتبها الرئيسي في الولايات المتحدة الأمريكية 345 East[46] The Street New York ، و لها مكتبان رئيسيان آخران في أوروبا و اليابان، و قد سميت اللجنة الثلاثية باسم الأسس الجيوبوليتيكية المؤسسة موحدة تحت راية الأطلسية و الولايات المتحدة الأمريكية، و ذلك في المجالات الكبرى الثلاث الرائدة تقنيا و اقتصاديا، المجال الأمريكي (الأمريكيتين)، و المجال الأوروبي ثم مجال المحيط الهادي، كما يأتي المصرفي و العضو الرفيع ضمن CFR "ديفيد روكفيلر" على رأس المجموعتين بيلدربيرغ و الثلاثية، إضافة ‘إلى كون الإستراتيجيين "زيبغنيو بريجنسكي" و "هنري كيسنجر" عضوين مركزيين ضمن جميع المشاريع الأطلسية الجيوبوليتيكية العالمية ، و كذلك "جورج بول". نقلا عن : الكسندر دوغين، نفس المرجع السابق ،ص ص 163 – 166.

[1] يذكر **"جون فيليب بولون"** أن **"بريجينسكي"** قد أسهم – لحظة فورة و جيشان الطباعة و التأليف لحقبة ما بعد الحرب الباردة- بثلاث مؤلفات ذاع صيتها فيما بعد تمثلت في: مؤلف **"خارج السيطرة"** 1993 **Out Control** و مؤلف **"لعبة الشطرنج الكبرى"** 1997 **The Grand Shess board** بالإضافة إلى مؤلف **"الاختيار : الهيمنة أو قيادة العالم"** 2004 **domination or laedership**.أنظر في هذا الشأن:
Jean-Philippe Baulon, Zbigniew Brzezinski, Une Vision Geopolitique Americaine Apres La Guerre Froide, En : **Herve Coutau-Begarie, Martin Motte**, Approches De La Geopolitique. De L'antiquite Aux Xxie Siecle, Ecoles De Saint-Cyr Coetquidan, 2e Edition pp 738-739.

[2] زبيغنيو بريجينسكي، رؤية استراتيجية: أمريكا و أزمة السلطة العالمية،ترجمة: فاضل جتكر،بيروت: دار الكتاب العربي ،ط 2012 ، ص 210.

" Zbigniew Brzezinski " بحيث – وبحسب دوغين– كان من افتراضاتها الأساسية، امكانية التخلص من الثنائية الإيديولوجية و الجيوبولتيكية التي فرضها منطق الحرب الباردة ، و ذلك عبر تشكيل نمط "**ثقافي– ايديولوجي**" جديد للحضارة يمكن أن يكون بين الإشتراكية و الرأسمالية، بين الأطلسية المحضة والقارية المحضة[1]، ما يؤكد **أهمية الدور الروسي** من ناحية نظرية ضمن أطروحات الأطلسيين والأوروبيين أيضا ، **إضافة إلى ضرورة أن تتطلع أمريكا من خلال هدفها في لعب دور محوري في السياسة الدولية إلى الدور الروسي و ثقل الشرق** ؛ و في هذا الصدد يشير Brzezinski قائلا: "... بالمقابل، من الممكن لأي محاولة أمريكية ناجحة لتوسيع الغرب– بما يؤدي إلى جعله أكثر مناطق العالم استقرارا و ديمقراطية أيضا– أن تلتمس الجمع بين القوة و المبدأ، فغرب أكبر متعاون ، يمتد من أمريكا الشمالية عبر أوروبا إلى قلب أوراسيا محتضنا كلا من روسيا و تركيا في الوقت عينه، سيصل جغرافيا إلى اليابان؛ الدولة الآسيوية الأولى التي عانقت الديمقراطية بنجاح، جنبا إلى جنب مع كوريا الجنوبية، و من شأن ذلك الإنفتاح الأوسع أن يضاعف من إغراء مبادئه الجوهرية لثقافات أخرى؛ بما يقود إلى تشجيع الإنبثاق التدريجي في عقود قادمة لباقة ثقافية سياسية ديموقراطية شاملة متعددة الألوان، في الوقت نفسه، يتعين على أمريكا أن تواصل الإنخراط تعاونيا في الشرق النشيط و النافذ ماليا و لكن المرشح للإضطراب أيضا"[2].

إن مضمون **نظرية التقارب** من ناحية مركزية هو دعوة الولايات المتحدة الأمريكية إلى ضرورة العمل على اكتساب طاقة استقطاب جديدة ثنائية تجمع الشرق بالغرب ضمن مفهوم " **العالم – واحد**" و ليس حسب مفهوم " **العالم – أمريكا** "، و هو خطاب جيوبوليتيكي عولمي بامتياز يوحي بتعددية جيوبوليتيكية عالمية جديدة، و في هذا المعنى فإن نظرية التقارب ترى بأنه يمكن التخلص من ماركسية السوفيات عن طريق تحقيق صيغة معتدلة هي **الإشتراكية – الديمقراطية المحرفة** ، و ذلك من خلال التخلي عن "ديكتاتورية البروليتاريا" ، و " النظال الطبقي " و "تأميم وسائل الإنتاج" ، و "إلغاء الملكية الخاصة"...، كما على الغرب الرأسمالي بالمقابل القيام بكبح حرية اقتصاد السوق مع إدخال التنظيم الحكومي للإقتصاد و لو بصفة جزئية ، هذا إضافة إلى تحقيق وحدة التوجه الثقافي عن طريق تقاليد التنوير لكل من النظم الديمقراطية الغربية، و الأخلاقية الإجتماعية للشيوعية (**الإشتراكية – الديمقراطية المبسطة**)، و هي دعوة إلى العمل على تحقيق مفهوم "**الحكومة العالمية**" المثالي، و من ثم إلغاء عبء التوتر الجيوبوليتيكي الذي كان قائما أثناء الحرب الباردة ، و هنا يشير "دوغين"إلى أنه و بالرجوع إلى فكرة التالاسوكراتيا، **فإن سياسيي العولمة بدأوا ينظرون إلى الكرة**

[1] الكسندر دوغين، نفس المرجع السابق .

[2] زبيغنيو بريجينسكي، نفس المرجع السابق، ص ص210–211.

الأرضية بعيون رجال الفضاء و هم فوق مدار كوني ، على العكس من نظرة سكان القارة الغربية المحاطة بالبحر (أطلسيين تقليديين) ، لذلك كانت تظهر أمامهم –(سياسيي العولمة)– حقبة "العالم – واحد " One Owrld"[1]، كما يشير أيضا إلى تلك القاعدة الذهنية الأساسية للتقارب الكوني كنظرية في أوروبا و القائمة بين الأحزاب اليسارية المتطرفة في أوروبا الغربية و التي مهد لها مدير معهد الدراسات المنهجية في موسكو الأكاديمي "**غويشياني**".

الفرع الثاني: أطروحة نهاية التاريخ ضمن خطاب فرانسيس فوكوياما

من بين التنويعات النظرية الرئيسية لخطاب العولمة الجيوبوليتيكي إلى جانب خطاب " بريجنسكي" التأليفي "، خطاب "**نهاية التاريخ**" لفرانسيس فوكوياما الشهير و الذي احتوته مقالة ذات صدى عالمي عام 1993 [2]، و التي اعتبرت الأساس الفكري للعولمة الجديدة لما بعد الحرب الباردة ، و كذا الصيغة الجديدة للعملية التاريخية، على اعتبار أن الإنسانية تتجه نحو البناء العقلاني المنطقي الذي تجسد في الرأسمالية، الحضارة الغربية المعاصرة ، اقتصاد السوق و الإيديولوجية الليبيرالية – الديموقراطية، كما أن التاريخ و تطوره استمرا على حساب العوامل غير العقلانية لصالح العوامل العقلانية[3]، و يرى "دوغين" في هذا السياق، بأن انهيار الإتحاد السوفياتي يعني سقوط آخر معاقل اللاعقلانية، و هذا ما يعني نهاية التاريخ ، وبالتالي بداية الوجود الكوني الخاص تحت شعار السوق و الديمقراطية ضمن آلية عقلانية وظيفية منسقة أطلسية الطابع، و منه ستبدأ كل الدول و الشعوب في إعادة تنظيم نفسها وفق الأنموذج الجديد لهذا الخطاب الجيوبوليتيكي[4].

الفرع الثالث: التحول من الثنائية إلى التعددية الجيوبوليتيكية: سيناريو "كارلو سانتورو"

يترأس البوفيسور " كارلو سانتورو" معهد الدراسات السياسية العالمية في ميلان (ISPI)، و هو يتبنى من خلال أبحاثه صيغة جيوبوليتيكية مستقبلية يتصور من خلالها طرحا جديدا ؛ ضمن سيناريو أو أنموذج عالمي للوضع الذي ستؤول إليه التنافسية الجيوبوليتيكية في ظل حالة القوى السائدة، كما يتصور أيضا بأن العالم يتحول و ينتقل من وضع الثنائية القطبية إلى التعددية القطبية، و أن المؤسسات العالمية تبدو اليوم عاجزة ، و هي تعكس المنطق الهرم **للجيوبوليتيكا** "**ثنائية القطبين**"، فضلا عن كون العالم كله يحمل الطابع

---

[1] الكسندر دوغين ، نفس المرجع السابق.

[2] لمزيد من الاطلاع أنظر: **Jean-Philippe Baulon**, Zbigniew Brzezinski, Une Vision Géopolitique Américaine Apres La Guerre Froide, En : **Herve Coutau-Begarie, Martin Motte**, Approches De La Géopolitique .De L'antiquité Aux XXIe Siècle, Ecoles De Saint-Cyr Coetquidan, 2e Edition.pp 737-743.

[3] أنظر مثلا: **فرانسيس فوكوياما**، نهاية الانسان وعواقب الثورة البيوتكنولوجية، ترجمة: أحمد مستجير، سطور للترجمة والطباعة، الطبعة الأولى 2002.

[4] الكسندر دوغين، نفس المرجع السابق ، ص 157 .

الثابت للحرب الباردة و التي يبقى منطقها الجيوبوليتيكي مسيطرا ، و ضمن هكذا وضع فإنه لا يمكن إلا أن ينتهي بمرحلة الكوارث الحضارية*

الفرع الرابع: تراجع تنافسية الخطاب الأيديولوجي : "الجيوايكونوميكا" بديلًا

يؤكد **فوكوياما** "Fukuyama"" ابتداءً في مؤلفه La Fin De L'histoire نهاية مرحلة التنافس الإيديولوجي[1]، و في هذا السياق يضيف "**أفيوتيسكي**" أن الأمريكي "**ليتواك ايدوارد**" Luttwark.N.Edward يؤكد أيضا إعادة ظهور التنافسية الإقتصادية في ظل الإقتصاد المعولم، كما أن عولمة السياسة في بداية القرن العشرين تأسيسا على أفكار ماكيندر إلى حد ما يمكن مقارنتها مع عولمة الإقتصاد في نهاية نفس القرن[2]، و في عام 1990 يعرف الجيوايكوننوميكا باعتبارها "منطق صراعي، ترجم من خلال مفاهيم ومصطلحات تجارية"، إضافة إلى أن الباحث الفرنسي"**باسكال لوروت**" Pascal Lorot، يرى من خلال بحثه حول مفهوم "الجيوايكونوميكا" أن :" **الجيوايكونوميكا تعني تحليل استراتيجيات ذات طابع اقتصادي و تجاري، مقررة من طرف الدول في إطار سياسات محددة :**

1- من أجل حماية اقتصادها الوطني أو بعض الخطط الأكثر تعرفا إليها.

2- من أجل مساعدة مؤسساتها الوطنية و ذلك في مستويات عدة ، كالعامل التكنولوجي أو في العلاقة ببعض دوائر السوق الدولية أو التسويق، و كذا الرفع من تنافسيتها و قوتها الإقتصادية و الإجتماعية...

في نفس السياق ، و ضمن كتابه " **خطوط الأفق**"، يشرح " **جاك أتالي**" – مستشار الرئيس الفرنسي "ميتيران" – نظريته عن الجيوايكونوميكا ، معتقدا بأن اللحظة الحالية تشهد حلول عصر ثالث هو " عصر النقود " ، باعتباره المكافئ العالمي للقيمة في إطار معادلة الأشياء بتعبيرها الرقمي المادي مما يبسط عملية التصرف فيها و بعقلانية كبيرة بحسب " دوغين" ، كما يرى " أتالي" بأن العالم اليوم يكتب بنية جيوبوليتيكية

---

* في نفس السياق ، يقدم " **سانتورو**" السيناريو المقترح لهذه الكوارث و يحدده في عدة نقاط:

1- الضمور المقبل لدور المؤسسات العالمية.

2- تفاقم الميول القومية ضمن الدول في حلف وارسو و في العالم الثالث، و هو ما سيؤدي إلى عمليات فوضى.

3- عدم تكامل الأحلاف التقليدية، و هذا ما لا يمس أوروبا ، و كذا التساقط المتتالي للدول القائمةحاليا.

4- بداية حروب من المستوى الصغير و المتوسط، قد تؤدي إلى تشكلات جيوبوليتيكية جديدة.

5- خطر الفوضى العالمية سيضطر الأحلاف المختلفة للإعتراف بضرورة إقامة مؤسسات عالمية جديدة ذات صلاحيات هائلة و هو ما يعني عمليا إقامة الحكومة العالمية.

6- الاقامة النهائية للدول العالمية تحت راية مرجعيات دولية جديدة (الحكومة العالمية)، و وفقًا لهذا السيناريو التصوري، يعقب "دوغين": بأنه **أنموذج وسطي يقع ما بين تفائلية فرانسيس فوكوياما العولمية و تشاؤمية صموئيل هنتيغتون الأطلسية .**

[1] **Viatcheslav AVIOUTSKII**, Geopolitiques Continentales : Le Monde Au Xxie Siecle, Armand Colin ,Paris 2006, P10.

[2] ibid.

جديدة تقوم على أساس " **الجيوايكونوميكا** *Géoéconomie* " ، و هي صيغة جديدة من جيوبوليتيكا العولمة تعطي الأولوية للواقع الإقتصادي المحض في علاقته بالمكان ، بدلا من العوامل الأيديولوجية – الإثنية– الدينية و الثقافية و غيرها ، مع أنها هي من يمثل في الحقيقة جوهر النظرة الجيوبوليتيكية ، و من أسباب بطلان الثنائية الجيوبوليتيكية – حسبه – نجد تأثير الأيديولوجية الليبيرالية الديمقراطية و نظام السوق و تطور التقنيات الدعائية ؛ مما جعل العالم " عالمًا – واحدًا " ، كما وجه كل الخطوط نحو توضع مراكز البورصات العالمية، و الخدمات الطبيعية و المراكز الإعلامية و الصناعات الكبرى، و هو يحدد من خلال نظرته "الجيو– اقتصادية" تلك ثلاث مناطق، بمثابة مراكز المجالات الإقتصادية الجديدة*، و بحسب " أتالي" ، فإن عملية الأنتقال نحو المنطق الجيوايكونوميكي في إطار العولمة الجديدة لم يتحقق إلا بعد التصفية الجيوبوليتيكية الذاتية **للإتحاد السوفياتي– الأوراسي** .

المطلب الثالث: نحو إعادة منهجة الخطاب الجيوبوليتيكي: تعدد الرؤية الأوروبية.

الفرع الأول: الجيوبوليتيكا التطبيقية الداخلية : مدرسة Yves Lacoste

يرتبط التفكير الجيوبوليتيكي الأوروبي أساسًا باسهامات و نشاط العالم الجغرافي "إيف لاكوست" Yves Lacoste مؤسس مجلة " **الجغرافيا و الجيوبوليتيك** " المسماة " **هيرودوت** Hérodote عام 1976، و هو شخص مقرب من السياسيين اليساريين، و إن كانت الأوساط اليمينية القومية الهامشية هي فقط من يهتم بالجيوبوليتيكا[1]، كما أنه و لأول مرة تصدر النصوص الجيوبوليتيكية في أوروبا بعد الحرب طبعا ضمن نفس المجلة، و ابتداء من عام 1983 تم الإعتراف بالجيوبوليتيكا رسميا كمنظومة علمية سياسية خاصة تساعد على التحليل متعدد الجوانب للأوضاع[2].

إن القيمة الفعلية لـ"**إيف لاكوست**" Yves Lacoste هي أنه سمح بإعادة تأهيل الجيوبوليتيكا باعتبارها علم إستراتيجي أو معرفة إستراتيجية، مثله في ذلك مثل جغرافي انخرط في حوار حول نهاية الإستعمار من جهة فيتنـــــــام "**هوشي منه**"[3]، فهو بذلك حاول تكييف المبادئ الجيوبوليتيكية مع الأحداث والأوضاع

---

* تتمثل هذه المناطق في:
1- المجال الأمريكي (يوجد بين الأمريكيتين) منطقة مالية – صناعة واحدة.
2- المجال الأوروبي.
3- منطقة المحيط الهادي، لها عدة مراكز متنافسة مثل طوكيو، تايوان، سانغفورة...

[1] الكسندر دوغن، نفس المرجع السابق ، ص ص173 -175.

[2] نفس المرجع.

[3] **Gerard dussouy**, Theories Geopolitiques, Traite De Relations Internationales (i). Pouvoirs compares. L'harmattan. 5-7, Rue De L'ecole-Polytechnique ; 75005 Paris., P246.En : www.gbv.de/dms/subhamburg/576710172.pdf

المعاصرة ، بحيث لم يكن يتفق مع "المقاربة العضوانية" للمدرسة القارية و لا مع الأراء الجيوبوليتيكية النفعية الآلية و المتعلقة بمنظري Sea Power باعتبارها تصورات تهدف إلى " تحديد الطموحات التنافسية للهيئات السلطوية ، و المتعلقة بمناطق محددة و بالبشر الذين يقطنونها" ، و ذلك فيما يتعلق بالعلاقات الدولية أو القضايا المحلية الضيقة الأبعاد.

ينظر"**إيف لاكوست**" Yves Lacoste إلى "الجيوبوليتيكا" باعتبارها أداة تحليلية لحالات محددة، و من خلال قاموسه الجيوبوليتيكي يعتبرها علما جديا من الناحية الواقعية، لا يتبنى النظرة التحليلية الثنائية الراسخة ضمن الخطابات الأخرى، بقدر ما هو يحافظ على بعض المبادئ و الأنماط المنهجية لـ: " **المدرسة الجيوبوليتيكية الوضعية التقليدية**"[1]؛ و بالتالي العمل عل نقل الجيوبوليتيكا إلى مستوى المنهج التحليلي الضيق ، منهج الجيوبوليتيكا الداخلية Géopolitique Interne، طبعا ضمن المفهوم الموسع لفكرة جيوبوليتيكا الأمة La Géopolitique De La Nation [2].

البند الأول: الجيوبوليتيكا الإلكترونية و ثقل الميدياكراتيا

ضمن سياق المسعى الرئيسي للنظرية أو الخطاب الجيوبوليتيكي التطبيقي الأوروبي ، و المتمحور حول ضرورة إعادة وضع منهجية جيوبوليتيكية جديدة لبحث القضايا و الأحداث داخليا، فإن الجيوبوليتيكا من هذه الزاوية اكتسبت اهتمامات العديد من الباحثين الأوروبيين أمثال السياسي و الجغرافي الفرنسي "**أندريه زيغفريد** " 1857–1959 ، و الذي أثار فكرة مهمة ضمن التحليل الجيوبوليتيكي؛ تبحث العلاقة بين الميول السياسية للسكان و الأرض التي يقطنونها ، على اعتبار أنه صاحب الصياغات الأولى للقوانين التي تقع في صلب " الجيوبوليتيكا الألكترونية" لمدرسة Yves Lacoste، و تأكيدا للفكرة يقول "أندريه" : " **لكل حزب ، و بكلمة أدق ، لكل اتجاه سياسي أرضه المفضلة و من اليسير أنه مثلما توجد المناطق الجيوبوليتيكية أو الإقتصادية توجد هناك أيضا مناطق سياسية...**"[3]؛ إضافة إلى أن هذه النظرية قد لاقت تطويرًا منهجيًا ، و أصبحت أداة سوسيولوجية مألوفة يجري استخدامها على نطاق واسع في التطبيقات السياسية ضمن مدرسة Lacoste.

ضمن نفس مسعى تلك المدرسة الجيوبوليتيكية التطبيقية، يضيف Lacoste متغيرا تحليليا جديدا ألا و هو"مجتمع المعلومات" أو معايير فضاء الميدياكراتيا ، معتقدا بثقل حجم تأثير وسائل الإعلام الجماهيرية

[1] الكسندر دوغن، نفس المرجع السابق .

[2] **Gérard dussouy,** op, cit, pp 246-251.

[3] دوغن، نفس المرجع السابق، ص176.

على العمليات الجيوبوليتيكية، ففي العالم المعاصر ليست الطريقة البنيوية العقلانية هي من تسيطر، بل "**ألق الشخصية**" **أو الايميج/الصورة** ، ذلك أن البث التلفزيوني و الصورة الشخصية الوسطية تمثل التركيز الذري الذي تتركز فيه دفعة واحدة عدة رؤى ؛ الإثنية منها و الإيديولوجية و السياسية، و"**النوعية التركيبية**" للإيميج تقربه من تلك الخصائص التي تعتمدها الجيوبوليتيكا بطريقة تقليدية، وحسب ذلك تصاغ النظرات السياسية و الإيديولوجية و الجيوبوليتيكية، بحيث تقترب مهمة الصحفي من الجيوبوليتيكي ، باعتبار أن "**الريبورتاج الإعلامي**" عليه أن يوزع نقاط تركيزه وفقا للهدف السياسي المعطى بشكل محدد و بناء ، **فوسائل الإعلام ليست عاملا مساعدا فقط، بل تغدو العامل الجيوبوليتيكي المستقل الأوفر قوة و القادر على ترك أثر قوي على المصائر التاريخية للشعوب**[1].

البند الثاني:" بير ماري غولوا " و آخرون : الجيوايستوريك بديلًا ..

على غرار إسهامات الجينيرال" **بواريه**"، و طروحات "**لاكوست**" و تصورات" **أندريه زيغفريد**" ، و من داخل الدائرة المقارباتية للمدرسة الجيوبوليتيكية الفرنسية الجديدة؛ ظهر اتجاه فكري جديد ضمن العملية العامة لانبعاث الجيوبوليتيكا الأوروبية ، يهتم – حسب دوغن – بدراسة و إعادة تركيب تلك المادة العلمية و العمل على المصادر ، و الترتيب الزمني و التصنيف ، و المعطيات البيبليوغرافية و ذلك في إطار عملية "تناول متحفي" للجيوبوليتيكا و أغلب دراساتها[2].

يمثل هذا الخط التاريخي كل من "بير ماري غولوا " و "ايرغي كوتو – بيغاري"، و " جيرار شاليان"، "هانس – أدولف ياكوبسين" و غيرهم ، من خلال جملة الأعمال البحثية التي تهتم أكثر بنشر و إعادة طباعة نصوص الجيوبوليتيكيين التارخيين أمثال " ماكيندر"و " ماهان" و " تشيلين" و " هاوسهوفر"، غالبا ما تنشر في مجلة Hérodote الفرنسية أو المجلة الجيوبوليتيكية الايطالية الجديدة "Limes "، التي يصدرها " لوتشو كارتشولو" و " ميشال كورينمان" بمشاركة "Lacoste " [3].

تقييمًا لإسهامات خطاب الجيوبوليتيكا التطبيقية الأوروبية، فإنها – رغم خطوات إعادة المنهجة و بحث التأريخ المتحفي ، مع إضفاء الطابع السوسيولوجي، فضلا على ضرورة إعتماد الفضاء الإلكتروني و "الميدياكراتيا" – تبقى مجرد منهجية تحليلية سياسية سوسيولوجية لا أكثر ، و مجرد شكل من أشكال المنهجية

[1] المرجع نفسه، ص 177.

[2] نفس المرجع السابق، ص ص 178-177.

[3] لمزيد من الاطلاع حول اسهامات الجيوبوليتيكي **Pierre Gallois** (1911-2010)، يرجى تصفح الفصل المحقق لـ:**Christian Malis أنظر:**
Christian Mali, Pierre Gallois géopoliticien, en : **Herve Coutau-Begarie, Martin Motte**, Approches De La Géopolitique .De L'antiquité Aux XXIe Siècle, Ecoles De Saint-Cyr Coetquidan, 2e Edition.pp 675-689.

الإحصائية السوسيولوجية[1]، أما القرارات و المشاريع الجيوبوليتيكية الواقعية الأوروبية الحقيقية و المصيرية فقد تعكسها إسهامات " بواريه" عند تأكيده التحول من " **الجيواستراتيجية الجزيرية** " إلى "**الجيوبوليتيك – جيواستراتيجيك المعقدة**" de la géostratégie insulaire à la géopolitique géostratégie complexe[2].

الفرع الثاني: الخطاب الجيوبوليتيكي الأوروبي: "اليمينيون الجدد" و مشروع الجيوبوليتيكا القارية

البند الأول : خطاب " آلين دي بينوا" : أوروبا الرايات – المئة

تعد مدرسة "**اليمينيون الجدد**" من المدارس القارية في أوروبا ، و هي من بين القليل من المدارس التي لها صلة بأفكار الألمان القاريين، ظهر هذا الإتجاه في فرنسا في نهاية الستينات ، و يرتبط بشخصية قائد هذه الحركة الفيلسوف و الكاتب الإجتماعي "آلين دي بينوا" ، و في هذا الصدد تتأكد جملة اختلافات بين كل من أتباع هذا الإتجاه الفكري الجديد و اتجاه اليمينيين التقليديين ، و من المبادئ الأساسية لخطاب "اليمينيون الجدد" مبدأ " **الجيوبوليتيكا القارية**"؛ و التي تتبنى رؤية مفادها أن مبدأ الدولة القومية Etat – Nation "**المركزية**" لم يعد مطلبا تاريخيا و أن فكرة " **الآماد الكبرى**" أساس المستقبل، كما أن هذه الفكرة لا يمكن أن تتحقق من انضمام مختلف الدول إلى حلف سياسي نفعي، بل يجب – أكثر من ذلك– خلق وحدة إثنية للمجموعات المختلفة بأبعادها المختلفة ضمن " إمبراطورية فيديرالية" موحدة على أسس متساوية، بحيث تكون الأسس موحدة استراتيجيا ، و تعددية إثنيا ، كما يجب أن تتدعم بوحدة ثقافية مؤسسة[3].

ضمن خطابهم الجيوبوليتيكي، يرجح " **اليمينيون الجدد**" أولوية " **المستقبل المشترك** " لشعوب أوروبا على " **التاريخ المشترك**" ، و إن كان في الحقيقة هم ينظرون من ناحية المنطق البراغماتي في إطار توجهات التكامل الإستراتيجي ، و هم بذلك لا يهملون قيمة الأصل الأوروبي " **الهندو – أوروبي** " في سياق تاريخي ، و منه يرى "**دي بينوا**" أن المبدأ الأساسي الجيوبوليتيكي يجب أن يتأسس على أطروحة" أوروبا الموحدة ذات المئة راية " ما بين اليسار و اليمين في أوروبا[4] .

---

[1] المرجع نفسه.

[2] **Gerard Dussouy**, Théories Géopolitiques, Traite De Relations Internationales (I). Pouvoirs compares. L'harmattan. 5-7, rue de l'école-polytechnique ; 75005 paris. p240.

* يختلف" اليمينيون الجدد" اختلافا حادا عن اليمينين الفرنسيين التقليدين من الملكيين و الكاثوليك، و كارهي الألمان و الشوفينيين و المعادين للشيوعية و المحافظين في كل الجوانب ، فهم أنصار " للديمقراطية العضوية"، وثنيون، محبون للألمان، اشتراكيون حداثيون، نظر إليهم على أنهم و توجهاتهم مجرد " **مناورة تكتيكية** " لكن فيما بعد تمت البرهنة على جدية التطور و تم الإعتراف بهم جميعا و من قبل الجميع. أنظر في هذا الشأن : ألكسندر دوغن ،...

[3] دوغن ، نفس المرجع السابق ، ص 176–178.

[4] المرجع نفسه.

إذًا الأساس الفكري لطروحات " دي بينوا " يتعلق " بمصير أوروبا القاري " على غرار طروحات الألماني "**هاوسهوفر**" ، ما يؤسس لمواجهة صريحة لليمينيين الجدد " أوروبا "مع الغرب الأنجلوساكسوني الممثل بالولايات المتحدة الأمريكية أساسا[1] ، ما يتقاطع مع مشاريع " شارل ديغول" و " فريدريك ناومن"، و كفكرة مهمة ضمن نفس الخطاب – و منذ السبعينيات – ينادي " اليمينيون الجدد " بضرورة حياد أوروبا الإستراتيجي ،علاوة على السعي نحو الخروج من حلف شمال الأطلسي " NATO" و تطوير القدرة الأوروبية المكتفية بذاتها[2]، و المشروع الأوروبي يقع بين خيارين كلاهما يقضي بإقصاء الغرب الأنجلوساكسوني ، و تعبر عنه مضامين الإنتقال من المقولة الكلاسيكية " **لا الغرب و لا الشرق، بل أوروبا** " ، إلى مقولة " **أوروبا قبل كل شيئ ، و من الأفضل حتى مع الشرق، و لا مع الغرب** ".

البند الثاني: خطاب " جون تيريار " الجيوبوليتيكي : أوروبا من " فلاديفوستوك حتى دوبلن "

رغم أن الخطاب الجيوبوليتيكي الأوروبي واحد من حيث المبدأ القاري ، إلا أنه متعدد الرؤى والتحليلات ، و هذا ما نلمسه من خلال خطاب قائد "حركة أوروبا الفتية" خلال مرحلة الستينيات البلجيكي " جان تيريار " 1922–1992 ، ففي حين يتبنى " دي بينوا" صيغة " الآماد الكبرى " في ظل مشروع امبراطورية فيديرالية ، يطرح " جان تيريار " صيغة " الإكتفاء الذاتي للآماد الكبرى" ؛ و لكن ليس – بعد تحقق شرط الوحدة الإمبراطورية – من خلال فيديرالية ذات توجه إقليمي ؛ بل يجب أن تكون موحدة بقوة مركزة على أن تصبح دولة قومية قارية متحدة ، و هذا ما يستدعي ضرورة توفر مدى جيوبوليتيكي كافي في إطار الإمكانات المساحية الكبرى ، و هو ما يثبت فعلا أن المرجعية الفكرية للخطاب الأوروبي هو الخطاب الجيوبوليتيكي الألماني ، إذا ما أخذنا بعين الإعتبار قوانين التوسع المساحي للعالم الألماني " **فريدريك راتزل** ".

خلال مرحلة السبعينيات ، تحول " تيريار" في تحليله الجيوبوليتيكي من المخطط الثلاثي " الغرب، أوروبا ، روسيا " ، إلى الخطاب الثنائي" الغرب ، القارة الأوروبية" ، و سبب هذا التحول هو قناعة " تيريار " بأن حجم أوروبا ليس كافيا للتحرر من هيمنة التالاسوكراتيا الغربية الأمريكية ، و أنه بالمقابل لا بد لأوروبا من التوجه شرقا نحو الإتحاد السوفياتي ، و هذا ما ترجم ضمن مشروع " **الإمبراطورية الأورو– سوفياتية من فلاديفوستوك حتى دوبلن** " [3]، و هو ما يتقاطع من ناحية خطابية مع أفكار " هاوسهوفر" حينما يشير إلى

[1] ذلك أن أوربا تختلف و من نواح عديدة عن الغرب الأنجلوساكسوني ، فهي تشكل جيوبوليتيكي قاري ، يحمل في ثناياه تجمع إثني "هندو–أوروبي" الأصل ذو جذور ثقافية ، أما الغرب فهو مفهوم جيوبوليتيكي تاريخي؛ يرتبط بالعالم المعاصر الذي يرفض التقاليد الإثنية و الروحية التي تطرح المعايير المادية و الكمية للوجود، فالغرب بذلك تعبير عن الحضارة النفعية العقلانية الآلية البورجوازية و المتجسدة بصورة أوضح في الولايات المتحدة الأمريكية.

[2] دوغن، نفس المرجع ، ص 179.

[3] دوغن ، نفس المرجع السابق ، ص 179 .

المعسكر القاري (برلين، موسكو، طوكيو) ، بما يجعلنا نلمس هنا تقاربا نظريا أيضا مع طروحات خطاب الأوراسية الروسية الجديدة ، فضلا عن التقارب من ناحية واقعية بين الحركة الإنشقاقية للوطنيين البلشفيك ، إذا ما أشرنا إلى نشاط جبهة التحرير الاوروبي[1].

البند الثالث : العودة إلى الجيوبوليتيكا التقليدية ضمن خطاب " يورديس فون لوهاوزين"

في كتابه "**رجولة امتلاك السلطة : التفكير عبر القارات** " ، يعتقد "يورديس فون لوهاوزين" Jordis Von Lohausen بأن السلطة السياسية لن تملك فرصة الثبات و الإستمرار لفترة طويلة، إلا عندما يبدأ رجالها بالتفكير لا من خلال المقولات الآنية و المحلية بل عبر آلاف السنين و عبر القارات ، و أن العمليات الإجتماعية و الثقافية والحضارية التي تدور على مساحات كونية لا تغدو مفهومة إلا إذا جرت رؤيتها في أفق " بعيد النظرة " ، و نظرا لقصور النظر التاريخي، يجب أن تسير من طرف مخططات عامة تسمح بإيجاد مكان لهذه الدولة أو تلك في السياق التاريخي الهائل الأبعاد، و من خلال هذا التصور فإنه ينبغي – بغرض تحديد الإستراتيجية السلطوية – الإعتماد على الجيوبوليتيكا الكلاسيكية ذات التحليل القاري و ليس من خلال التحليلات الجزئية الداخلية كما يرى بذلك " لاكوست".

من ناحية أخرى ، يتضمن خطاب " لوهاوزين" الجيوبوليتيكى القاري تأكيدا لدور الإيديولوجيات الجديدة و التحولات التكنولوجية و الحضارية ، و أثرها في تغيير سطح العالم ، غير أنها عاجزة من ناحية أخرى عن أن تبدل عددا من القوانين الأساسية المرتبطة بالدورات الطبيعية و الثقافية التي تقدر بآلاف السنين ؛ كالمدى المكاني ، اللغة، الإثنوس ، الموارد ، و يتصور " **لوهاوزين**" معادلة عامة للسلطة المحققة جيوبوليتيكيا : **العظمة = القوة x مكان التوضع** ؛ مؤكدا بأن التوضع الجغرافي المناسب يمكن من التطوير الكامل للقوى الداخلية.

يتفق خطاب " لوهاوزين " الجيوبوليتيكي إلى حد كبير مع التنويعات الأخرى الأوروبية ، وهذا فيما يتعلق ليس بالمرجعيات بل بتلك القناعات الوحدوية لأوروبا ، و من ثم التوجه نحو ضرورة استقلالية القارة الأوروبية و انفصالها التام عن القوة التالاسوكراتية للأطلسية الأنجلوساكسونية بقيادة الولايات المتحدة ، وبحثا عن اشتراطية الحد الأدنى المكاني لأوروبا ، يدعو " لوهاوزين " إلى توحيد أوروبا في حلف مستقل موحد ، **مع التأكيد على الدور الروسي و حاجة أوروبا إليه و العكس ، مبينا أن هناك أوروبا المعادية و أوروبا الخاضعة**

[1] المرجع نفسه.

و أوروبا المفرغة ، و أوروبا الحليفة ، و على المعسكر الشرقي إذا رغب في تصحيح الوضع الجيوبوليتيكي القاري أن يختار **أوروبا الحليفة**[1].

يتحدث "لوهاوزين" من ناحية أخرى عن دور المكان أو المجال دون ما سواه من العوامل كمحرك فعلي للإنسان، على اعتبار أن أي سياسة ستقوم بدفعه نحو ضرورة "ملء الفراغ" المكاني، مؤكدا دور كل من "**البسيكواستراتيجية**" psychostratégie و " **الجيواستراتيجية**" géostratégie ، فكل سياسة تميل إلى التلاعب بالرجال وملء المساحات ، وليس هناك أي شيء آخر ، روح الإنسان والفضاء ، هذه ساحات المعارك. الإستراتيجية الجيولوجية والاستراتيجية النفسية هما وجهان لعملة واحدة[2].

البند الرابع : معركة الختام Endkampf و رومانسية الخطاب الجيوبوليتيكي عند " جان بارقوليسكو"

على غرار أعمال " **جورج أورويل** " " 1984 الأدبية و المتضمنة للمواضيع الجيوبوليتيكية و لأول مرة ، فقد جعل الكاتب الفرنسي " جان بارقوليسكو " من المواضيع الجيوبوليتيكية ضمن أدبه الفني الجيوبوليتيكي مواضيع مركزية ، و مضمون خطابه من خلال تلك الاعمال هو أن تاريخ البشرية هو تاريخ القوة و السلطة، و ذلك في سبيل الوصول إلى المواقع المركزية في الحضارة بغرض تحقيق أعظم القوى ، كما أنه و في سبيل نفس الهدف تتوجه مختلف المنظمات "نصف السرية" و التي تتجاوز دورات وجودها إلى حدود بعيدة ، كالإمتداد الزمني للإيديولوجيات السياسية الإعتيادية ، الأسر الحاكمة والمؤسسات الدينية و الحكومات و الشعوب ، تلك المنظمات تدخل التاريخ تحت أسماء مختلفة يحددها بارقوليسكو كـ: " **محفل الأطلسيين**" و " **محفل الأوراسيين**" ، يدور بينها صراع يمتد قرونا يشارك فيه البابوات ، و البطاركة و الملوك ، الدبلوماسيون و كبار رجال المال ، الثوار ، الغيبيون ، الجينيرالات ، العلماء ، الفنانون ...[3]، و ضمن خطاب " بارقوليسكو " يلعب الجينيرال " **ديغول**" دورا مركزيا في الموضوعات الأدبية الجيوبوليتيكية ضمن ما أسماه " **الديغولية الجيوبوليتيكية**" ، و مؤدى خطابه من خلال ذلك هو السعي نحو تنظيم المعسكر القاري الأوروبي (باريس – لندن – برلين – موسكو)، كما يؤكد بارقوليسكو على أن المرحلة الحاسمة للصراع الجيوبوليتيكي بين المحفَلَيْن – رومانسيًا– قد قاربت على النهاية في إشارة إلى ظهور ما أسماه (إمبراطورية الختام الأوراسية)، و من ثم تحقق الصدام الختامي مع إمبراطورية الأطلسيين و ظهور "**معركة الختام**"[4] Endkampf.

---

[1] نفس المرجع السابق، ص ص 179-181.

[2] **Antoine Schule De Villalba**, De La Guerre Froide Au XXIe Siècle : La Puissance Selon Jordis Von Lohausen, En : **Herve Coutau-Begarie, Martin Motte**, Approches De La Géopolitique. De L'antiquité Aux XXIe Siècle, Ecoles De Saint-Cyr Coetquidan, 2e Edition 661.

[3] دوغن، نفس المرجع السابق.

[4] المرجع نفسه.

البند الخامس : أهمية المحيط المتوسط / الهندي و دول العالم الثالث ضمن خطاب "روبير ستويكيرس"

من الإسهامات المهمة ضمن الخطاب الجيوبوليتيكي الأوروبي ، خطاب عالم الجيوبوليتيكا والكاتب الإجتماعي البلجيكي " **روبير ستويكرس**" ، صاحب التوجه الأكاديمي العقلاني ، و الذي يعتقد من خلاله أن المشاريع السياسية و الإجتماعية و الدبلوماسية على الخصوص – و لدى مختلف الدول و الأحلاف مهما كانت الصيغة الإيديولوجية التي تكتسي بها – ما هي في واقع الأمر سوى تمثيل و انعكاس للمشاريع الجيوبوليتيكية العالمية ، و ذلك بصورة غير مباشرة على اعتبار أن الأرض بمثابة عامل مؤثر على التاريخ الإنساني ، كما أن الأرض و المكان يجسدان الإنسان في تجلياته الأكثر صميمية.

من التصورات المهمة أيضا في إطار التوجه القاري لـ : "ستويكرس"، أن مصدر العداء لأوروبا هو الأطلسية ، كما يربط رفاه أوروبا بألمانيا و أوروبا الوسطى ، فضلا عن أنه من أنصار التعاون الفعال بين كل من أوروبا **و دول العالم الثالث و بخاصة دول العالم العربي** ، و هو بذلك يولي أهمية قصوى لمنطقة المحيط الهندي و يعرفه بالمحيط " المتوسط " بين الأطلسي و الهادي؛ نظرا لكونه يمتد في الوسط بين الساحل الشرقي لإفريقيا و منطقة المحيط الهادي ، ذلك أن السيطرة البحرية على المحيط الهندي تمثل سيطرة على فضاء مهم للتأثير على أهم " الآماد الكبرى" الثلاثة دفعة واحدة ، و هي : إفريقيا ، الـRimland الأوراسي –الجنوبي ، المحيط الهادي[1] ، و أن الإستراتيجية الأوروبية يجب أن تتركز على تلك المنطقة – المحيط الهادي – بغية التأثير على الولايات المتحدة الأمريكية و الأوراسيا و اليابان، كما أن الصراع الجيوبوليتيكي الذي يحدد ملامح لوحة المستقبل الجيوبوليتيكية في القرن الحادي والعشرين سيحدث ضمن نطاق هذا المجال المكاني دون سواه.

البند السادس:" كارلو تيراتشانو" و الدعوة إلى تأسيس حلف ثلاثي قاري

تعكس طروحات الجيوبوليتيكيى الإيطالي " تيراتشانو" الموقف الأكثر تطرفا للمدرسة الجيوبوليتيكية القارية الأوروبية ، طبعا من خلال أبحاث و أعمال اليمينيين الجدد، فهو يتبنى أفكار ونظريات كل من الجيوبوليتيكيين " ماهان" و " ماكيندر " في إطار الموافقة على المبدأ الثنائي للصراع الجيوبوليتيكي (التالاسوكراتيا و التيليروكراتيا)، كما أنه يربط مصير أوروبا كلية بمصير روسيا والأوراسيا، و ذلك نظرا لكون أوروبا ذات دور ثانوي ضمن ذلك الصراع ، و من جهة أخرى يوافق " تيراتشانو" على تشكل الدولة الأوراسية الواحدة (**الإمبراطورية الأوروسوفياتية)** عبر وجود تعددية **إثنو– ثقافية – دينية**، و من هكذا منطلق ، فإن هذا الأخير يعتقد بأن الدور الأهم في الصراع ضد الأطلسية يعود إلى العالم الإسلامي (إشارة منه إلى التيار الإسلامي الأصولي)، و بخاصة للنظم المعادية علانية لأمريكا كالنظام الإيراني و النظام الليبي و النظام

[1] المرجع نفسه.

العراقي....[1] ، بما يمكن أن يمثل دعوة إلى ضرورة تشكيل حلف ثلاثي يضم: **(روسيا + الإسلام) + أوروبا** ضد **الأطلسية**.

المطلب الرابع : خطاب " الأوراسية الجديدة " الجيوبوليتيكي

الفرع الأول: دورة "الأثنو– جينيتيك" و ملامح الفلسفة العضوانية لدى "ليف غوميليوف"

خلال الحقبة السوفياتية، تمت ادانة تيار "**الأوراسية**" من قبل السلطة في روسيا، فيما بعد تبلور خطاب المؤرخ و العالم الروسي " **ليف غوميليوف**" متمركزا من خلال فلسفته التاريخية حول الأصل العرقي و التشكيلات الإثنية الأوراسية و دورها الديناميكي ،و هي فلسفة تحمل توجها **إثنيًا و بيولوجيًا** *qui lui donne une orientation ethnique et biologiste*[2] ، و هو بذلك يمثل من خلال إسهاماته امتدادا واضحا للمدرسة " العضوانية" ؛ و التي يمثلها كل من " فريدريك راتزل" و "كيلين" و " هاوسهوفر وغيرهم[3] كونه يبحث المراحل القديمة من الخارطة الإثنية للأوراسيا و السهوب و الشعوب الرحالة و حضارتها ، فقد اكتست اسهاماته أهمية بالغة لإعطائها رؤية جديدة للتاريخ السياسي ، تظهر من خلالها الشرق الأوراسي مركزا مستقلا و ديناميكيا للأصل الإثني ، للثقافة و التاريخ السياسي و التطور الحكومي و التقني ، ذلك أن العالم الغربي و تاريخه يظهران في بعديهما النسبيين ، أما الثقافة الأوراسية و مجموعة الإثنيات الأوراسية تتبدى عالما متعدد الأبعاد لم يسبق له أن درس بمقاييسه القيمية ، و قضاياه الدينية و قوانينه التاريخية.

يشير " **ليف غوميليوف** " أيضا إلى نتيجة مهمة ، و هي أن أبناء روسيا الكبرى (الروس) ليسوا فرعا من السلاف الشرقيين فحسب ؛ بل "إثنوسا" خاصا تكون على أساس التذاوب التركي – السلافي ، وهو ما يبرر السيطرة الروسية على تلك المناطق المأهولة بالأثنوسات التركية ، كما أنه على أساس التمازج العرقي التركي – السلافي تكونت حضارة روسيا الكبرى ، و من خلال الخلفية الجغرافية كتحالف تاريخي بين " الغابة و السهب " في صورة تفاعل جيوبوليتيكي، و هو ما يمثل الجوهر التاريخي لروسيا محددا طابع ثقافتها و حضارتها ، إيديولوجيتها و مصيرها السياسي، و من جانب آخر– حسب دوغن– " فإن **غوميلوف** " يضيف

---

[1] لا تعد أحداث مثل عودة روسيا الجديدة إلى المنطقة العربية، وتدخلها في سوريا ومعارضتها للقرارات الأممية تجاه ليبيا أو العراق أو سوريا، فضلا عن فرمتة العلاقات مع المملكة العربية السعودية، سوى مجموع أدلة واضحة على سعي روسيا نحو بناء واستثمار الحلف الثلاثي بين روسيا وأوروبا والعالم الإسلامي.

[2] **Marlène Laruelle**, De L'eurasisme Au Neo-Eurasisme : A La Recherche Du Troisième Continent, En : **Herve Coutau-Begarie, Martin Motte**, Approches De La Géopolitique. De L'antiquité Aux XXIe Siècle, Ecoles De Saint-Cyr Coetquidan, 2e Edition, p712.

[3] على غرار " شبينغلير" و " توينبي" ، يحدد غوميلوف دورات الحضارات و الثقافات و ما يطابقها من الإثنوسات و التشكلات الأثنو – ثقافية ، القوميات ، الدول ، المجموعات الدينية ... ، و هي حسبه شبيهة بالكائنات الحية أو الأعضاء الحية و تمر عبر مراحل الولادة ، و الصبا والشيخوخة ثم تتلاشى و تصبح مجرد " متبقيات "، و هذا ما يؤكد مدى العلاقة بين طروحاته و أفكار الفلسفة العضوية.

فكرة تحليلية أكثر عمقا تتعلق **بأصل نشأة و تخلق الأثنوس** ، مؤكدا على فعالية ما أسماه " **العاطفية** " أو " **الدفع العاطفي** " ؛ باعتبار ذلك نفثة من الطاقة البيولوجية و الروحية التي لا تفسير لها و التي تبث الحركة فجأة في الوجود التاريخي البطيء الإنسياب للشعوب و الثقافات " الهرمة" ، و تستحوذ على المجموعات الدينية و الإثنية المتكونة و المختلفة في دفعة ديناميكية من التطور التقني و الروحي و المدوي ، **بما يؤدي إلى تخلق إثنوس جديد عالي النوعية "اثنوسا ناضرا " ، على أنه و من خلال دورة العملية الأثنوجينيتيكية مثل " الروس " إلى حد ما إثنوسًا " فتيًا " كون من حوله إثنوسًا أعلى ؛ هو روسيا الأوراسيا أو "الإمبراطورية الأوراسية"**[1].

الفرع الثاني: تنويعات خطاب " الأوراسيون الروس الجدد " الجيوبوليتيكي

رغم تعدد أطياف و تنويعات الخطاب الجيوبوليتيكي الأوراسي للمدرسة الأوراسية الجديدة ، إلا أنها من خلال ايديولوجيتها الجيوبوليتيكة جاءت متأثرة إلى حد ما بالإرث الفكري لـ" غوميليوف "، وبحسب " الكسندر دوغين " فإنها تنويعات تنحصر في :

الصيغة الأولى: و تتمثل في تلك الإيديولوجيا الجاهزة التي صاغتها بعض الأوساط السياسية من المعارضة الوطنية ، التي وقفت في وجه الإصلاحات الليبيرالية خلال 1990-1992 ؛ و هم مجموعة من المثقفين ضمن صحيفة " دين" و "**زافترا**" و مجلة " **إيليمنتي**"، و هذا التوجه يعتمد على أفكار "ب.سافتسكي" و " غيرنادسكي الأمير" ، و " ن . تروبتسكوي" و" نيكولاي أوستريالوف" ، و ضمن هذه الصيغة ينظر إلى روسيا على أنها محور " **المدى الجيوبوليتيكي الكبير**" من خلال التوجه نحو الإشتراكية الأوراسية؛ و التي تعتبر الإيديولوجية المميزة للأوراسيين الجدد عن الأطلسيين، كما يتم النظر إلى المرحلة السوفياتية من التاريخ الروسي على أنها صيغة من التطلع الروسي القومي التقليدي نحو التوسع العالمي و نحو " **الشمولية الأوراسية المعادية للأطلسية**" ، هذا إضافة إلى إسهام " ليف غوميلوف" حول " النفثة العاطفية " و كذا بعض أفكار التقليديين حول " أزمة العالم المعاصر" و "انحلال الغرب " " و تدنيس الحضارة "، فهي تعتبر مرافقًا مهمًا في "الأوراسية الجديدة" ، تكمل اسهامات رواد المدرسة الأوراسية الجديدة. يندرج كذلك ضمن هذه الصيغة ، ما يتعلق بدراسة المشاريع الأوروبية القارية لكل من "هاوسهوفر" و " شميدت" و "نيكيش" (طروحات اليمينيين الجدد)، و التي دفعت الأوراسيين الروس الجدد إلى اعتبار أوروبا " قوة قارية محتملة" ، و الإعتراف بالأهمية الإستراتيجية لأوروبا في إطار اكتمال " المجال الكبير" الأوراسي.[2]

الصيغة الثانية: و تتعلق باختيار الدولة الإسلامية و بخاصة "إيران القارية " على أنها الحليف الإستراتيجي الأهم ، إضافة إلى **أهمية الحلف الروسي الإسلامي** في أساس الإستراتيجية المعادية للأطلسية على الساحل الجنوبي الغربي من اليابسة الأوراسية (**مواجهة الغرب العلماني النفعي**) ، سعيا إلى استكمال

[1] ألكسندر دوغين، نفس المرجع السابق.

[2] **Marlène Laruelle**, op.cit., p 695.

بناء لوحة المشاريع الجيوبوليتيكية ضد الأطلسية، كما أن هذه الصيغة تتوافق مع باقي صيغ التوجهات الجيوبوليتيكة المعادية للأطلسية، و في نفس السياق توجد عدة توجهات و صيغ أخرى للأوراسية الجديدة غير أنها أقل منطقية– بحسب دوغن – كما أنها تحاول تكييف الأفكار السابقة ضمن الصيغتين الأوليين "**للأوراسية الجديدة**" مع الواقع السياسي المتغير.*

الفرع الثالث : نظرية " الثنائية القطبية الجديدة " الأوراسية

إذا كان بعض المسهمين الجيوبوليتيكيين الأطلسيين على وجه التحديد ، يتحدثون من خلال كتاباتهم و تحليلاتهم لواقع السياسة العالمية من خلال رؤية تتبنى توجهًا جديدًا شاملًا نحو تعددية جيوبوليتيكية للأقطاب ، مثل "بريجنسكي " حينما يشير إلى " **الغرب المتقهقر** " أو "**انكسار الحلم الأمريكي** " ، أو " **ما بعد 2025 : توازن جيوسياسي جديد** "، فإن الأوراسية الجديدة ضمن خطابها الجيوبوليتيكي تقع نظريا ضمن نفس التحليل ،غير أنها تقف موقفًا ممانعًا للهيمنة الأحادية الجيوبوليتيكية الأطلسية على العالم ، ذلك أنه و رغم هذا التعدد الذي بدأت بوادره تظهر و تتحقق عمليًا كصعود الصين و تصاعد ضغط الفضاء الديمغرافي للعالم الإسلامي جيوبوليتيكيًا، و تزايد تأثير و أهمية منطقة المحيط الهادي و ظهور أقطاب جديدة في آسيا ، فإنه تعدد يبقى– حسبها– تحت راية النظام الأطلسي للقيم ، و هي تعبر عن تنويعات للنظام التالاسوكراتي نفسه، و اختصارًا لمشروع الثنائية القطبية الجديدة و الذي يجد خلفيته ضمن نظرية " المحور الجغرافي للتاريخ "، و المتضمن لفكرة تعدد المنظمات الجيوبوليتيكية ، فإنه ينبغي أن يتشكل بعد زوال حلف وارسو حلفًا قاريًا جديدًا ؛ إما أن يشتمل على أوروبا كلها حتى الأطلسي إضافة إلى عدد من القطاعات الأهم من الشاطئ الجنوبي للأوراسية : **الهند و إيران و الهند الصينية**...– على حد اعتقاد الكسندر دوغين– و إما أن يضمن الحياد الودي لهذه البقاع أي أن يخرجها من تحت الهيمنة الأطلسية (ثنائية أوراسية جديدة)[1].

---

* من بين تلك التوجهات الجيوبوليتيكية الثانوية ما يعرف بالأوراسية الإقتصادية البراغماتية ، من خلال السعي نحو إعادة التأثير الإقتصادي المتبادل بين جمهوريات الإتحاد السوفياتي السابقة (مشروع رئيس جمهورية كازاخستان) ، أو ما يتعلق بالأطروحات التوسعية (مشروع جيرينوفسكي)، أو ما يتعلق " بالجماعة الأوراسية " من أجل الحفاظ على وحدة الأقليات الروسية و القومية (كالترك و المسلمين ...) و غيرها من المشاريع، و في نفس السياق فإن الأوراسية الجديدة ظهرت مثل خطاب جيوبوليتيكي راديكالي سياسي جديد على الساحة السياسية الروسية ما بعد الاتحاد السوفياتي ممثلا بحزبين رئيسيين : الحزب الليبرالي الديموقراطي **LDPR** تحت قيادة "فلاديمير جيرونوفيسكي" **Vladimir Jirinoviski** و الحزب الاشتراكي الروسي بقيادة "غينادي زيوغانوف" **Gennadi Ziouganov**، **أنظر :**

Marlene Laruelle, op, cit, p713.

[1] يشير كل من, **Cf. Myriam Desert** و **Denis Paillard** ضمن عنصر بحثي مهم بعنوان" **التيارات الأوراسية الجديدة (النيو- أوراسية)" Les Courants Néo-Aurasistes** بأن اللوحة الفكرية "للنيو أوراسيانيزم" قد عرفت دورة معقدة ، ففي التسعينيات ادعى التنظير الجيوبوليتيكي مبشرين كبيرين هما كل من :أستاذ الفلسفة السياسية في جامعة موسكو الحكومية "الكسندر باناران" (1940-2003) **Alexandre Panarin** و الكاتب الاستفزازي خصب الخيال"الكسندر دوغين"(1962) **Alexandre Douguine** و الذي استعاد خطابًا جيوبوليتيكيًا مستوحًى من تيار "اليمين الجديد" **المغربن Un Discours Inspiré De La Nouvelle Droite Occidentale**، أنظرلمزيد من الاطلاع:
Marlene Laruelle, ibid, p713-715

الفصل الثاني:

الأطر النظرية والفكرية للسياسة الخارجية الروسية: جدل الأولويات والمحددات، الواقعية والواقعية المشروطة

الفصل الثاني: الأطر النظرية والفكرية للسياسة الخارجية الروسية: جدل الأولويات والمحددات، الواقعية والواقعية المشروطة

في تناولها لمواضيع بحثية سياسية مختلفة وغيرها، دأبت أغلب التحليلات الجيوسياسية والدراسات الإستراتيجية والجيواستراتيجية الأكاديمية الغربية المتخصصة منها على تمثل منهج علمي متماسك؛ تقتضي من خلاله استحضار المقاربات والأطر الفكرية النظرية قبل تبني فحص المشاهد امبريقيًا، بما يمكن الباحثمن امتلاك الأدوات المساعدة على فك لغز الأحداث وفهم مدى نظامية وحركية القضايا والفواعل المختلفة.

المبحث الأول:جدل أولويات ومحددات السياسة الخارجية الروسية: مدخل إلى الأطر الفكرية الكبرى

في الحقيقة ، موضوع الدراسة هذا اقتضى التطرق إلى جملة الإسهامات الفكرية و النظرية على تعددها و تضارب الدارسين لها؛ من حيث توصيفها و تحديد مضامينها ، و من خلال هذا الفصل، و بغرض تفسير و فهم قوة أو ضعف العامل الجيوبوليتيكي المتحكم بصورة أو بأخرى في توجهات السياسة الخارجية الروسية ، و مستوى واقعية السلوك الخارجي الروسي تجاه المنطقة العربية تحديدا ؛ كان من الضروري التطرق إلى مضامين الإسهامات **(القناعات و التوجهات)** الكبرى للمدارس الكبرى ضمن دائرة النخبة السياسية الروسية، بغية الوقوف على أولويات روسيا الجيوبوليتيكية الخارجية بصورة أوسع، باعتبارها نافذة مهمة لفحص المتغيرات الأساسية في التوضع الجيوسياسي الخارجي للسلوك الروسي تجاه المنطقة العربية ، مع تأكيد التركيز و بصورة مدققة على فترة رئاسة "**بوتين**" نظرا لعوامل جديدة و محددات كثيرة لها دور واضح في بناء توجهات جديدة كبرى لروسيا خارجيا، خاصة تجاه المنطقة العربية، بالإضافة إلى ضرورة تسليط الضوء على الأبجديات و النقاشات النظرية التي أثرت بها الواقعية "كحكمة أزلية " المشهد التنظيري للعلاقات الدولية الأكثر تعقيدا ، مثيرين بذلك المقاربة المشروطة للواقعيين"ما بعد البنيويين "Post-structuralists ، كبديل تعديلي ملطف من ضمن ثمان مقاربات للمعضلة الأمنية Security Dilemma ، مثل إطار نظري نكون بأمس الحاجة إليه في فصول البحث اللاحقة.

المطلب الأول: جدل النخبة السياسية الروسية "الجيوسياسي" حول توجهات وأولويات السياسة الخارجية

الفرع الأول: تعددية التصنيف النموذجي لمدارس النخبة السياسية الروسية

لقد كانت السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية ظاهرة معقدة في العلاقات الدولية المعاصرة[1]، هذا ما ساعد على إثراء الجدل الفكري و الخطابي لدى النخبة السياسية الروسية و بصورة جد متنوعة ، و في هذا الصدد ، يمكن الإشارة إلى الدراسات التصنيفية للمفكرين الروس أنفسهم ، ليس ذلك فحسب ، بل تنبغي الإشارة أيضا إلى بعض إسهامات المهتمين و الأكاديميين سواء المعايشين للوضع الداخلي الروسي الاجتماعي و السياسي أو الملاحظين القريبين من الكريملين و المنشغلين بالشأن السياسي الروسي ، ونظرا لكون السياسة الخارجية الروسية لا تزال متجذرة بعمق ضمن ميراث هيمنة الاتحاد السوفياتي خلال الحرب الباردة[2] ، فإن المدارس الفكرية المختلفة و المتضاربة أحيانا يجب عليها ألا تغفل ذلك على الأقل حينما تنظر للسلوك الروسي الخارجي.

يمكن أن نشير في هذا الشأن، إلى بعض أهم الإسهامات التصنيفية للنماذج المختلفة للمدارس الفكرية التي تبنت التنظير للتوجهات العامة للسياسة الخارجية الروسية؛ و أولوياتها الأساسية تجاه الشرق أو الغرب أو الجنوب ، و من بين أهم تلك الإسهامات ما يعتبر أساسا مرجعيا للسياسة الخارجية الروسية ، و في هذا الشأن، نجد التصنيف الصيغي ضمن (الخطاب) أو المدرسة الجيوبوليتيكية الأوراسية الجديدة لـ"أليكسندر دوغين" (يمكن الرجوع إلى الفصل الثاني)، إضافة إلى أنه و في محفل الحديث عن مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي يؤكد "دوغن" بقوله : " **يطرح في مجتمعنا الحالي مشروعان مبدئيان يختصان بالمستقبل الروسي و هما يلمسان بهذه الدرجة أو تلك كافة نواحي الحياة– القومية الاقتصادية – الجيوبوليتيكية و ميدان العلاقات الدولية ، المصالح الاثنية ، التركيبة الصناعية ، النمط الاقتصادي ، البنية العسكرية وما إلى ذلك ، يعود المشروع الأول "لليبراليين الراديكاليين" " الإصلاحيين"... أما المشروع الثاني للمستقبل الروسي فيعود إلى ما يسمى " المعارضة القومية–الوطنية**"...[3]، وتجدر الإشارة إلى أن تقديم هذا التصنيف على غيره يأتي على خلفية الجهود التنظيرية الجيوبوليتيكية الحثيثة لـ "دوغن"، باعتباره إلى حد ما **أب المدرسة الجيوبوليتيكية**

---

[1] **Jacek Wieclawski,"** Contemporary Realism and the Foreign Policy of the Russian Federation", *International Journal of Business and Social Science, Centre for Promoting Ideas, USA, Vol. 2,N, 1,January 2011/16.pdf , p170.* ,in: www. *ijbssnet.com*

[2] Ibid.

[3] اليكسندر دوغين ، أسس الجيوبوليتيكا .مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي ، تعريب و تقديم : عماد حاتم ،(بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة،ط 2004)، ص ص 222-223.

الروسية و مؤسسها الفعلي ، و لكونه يؤمن بضرورة تعجيل التأسيس لـ "طريق ثالث" ، مثل مشروع إيديولوجي خاص ليس "توفيقيا" و لا "وسطيا"[1]، يسمى في الغالب نمط "الأوراسية".

من الإسهامات التصنيفية لمدارس السياسة الخارجية الروسية، ما ضمنه Jean Robert Jouanny في كتابه بعنوان "ماذا يريد بوتين؟ ?Que veut Poutine"، حين يتحدث عن المدارس الثلاث للسياسة الخارجية الروسية مشيرا إلى كل من المدرسة الواقعية و الليبرالية و القومية (الوطنية)، فضلا عن إسهام آخر مهم للباحث و عضو أكاديمية التعليم الروسية" **سهيل فرح**" ، حينما يناقش ملامح قوة و ضعف الجيوبوليتيك الروسي ، محددا ثلاث تيارات فكرية أساسية ناقشت أولويات و توجهات السياسة الخارجية الروسية تمثلت أساسا في التيار السلافياني **(السلافي)** ، والتيار الغربي "الغربنة العقلانية" و التيار الآسيوي–التركي **(الشرقي)**.

ضمن نفس الطرح، نجد إسهاما آخر للباحثة "نورهان الشيخ" يتمحور حول تصنيف آخر للمدارس والتيارات؛ وذلك في معرض حديثها عن النخبة السياسية الروسية تتمثل في مدرسة "الإصلاحيين الراديكاليين" **(اليمين)** وتيار "القوميين والمحافظين والشيوعيين" **(اليسار)**، إضافة إلى اتجاهات "**الوسط**" و "**يمين الوسط**" وأخيرا "**يسار الوسط**".

إذاً، لقد تطرقنا إلى بعض أهم التصنيفات النموذجية للمدارس الفكرية التي تمثلتها النخبة السياسية الروسية، وهذا لا ينفي بدوره وجود الاختلافات الكثيرة بين دارسي تأثير تلك النخبة على عملية صنع القرار الخارجي الروسي، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى تعقد وتشابك العملية السياسية على مستوى مختلف الأجهزة السياسية الروسية، وإن كانت أغلب الاتجاهات التحليلية تصب في صالح الدور الرئيس(المركزي) أولا لشخص الرئيس الروسي.

إعادة التطرق إلى طروحات و تصورات و إسهامات المدرسة الجيوبوليتيكية الروسية؛ إنما هي من قبيل "عود على بدء"، فالمدرسة الجيوبوليتيكية الروسية بأطيافها و تنويعاتها المختلفة عدت إلى اليوم المدرسة الأم في روسيا، خاصة لما يثار موضوع" الشرق و الغرب"[2] ، و احتكامًا لخصائص الطبيعة الروسية من "التاريخ و الثقافة و السياسة و الإثنية ، و الأرض (عامل التضريس) و الاقتصاد...، وهو ما يدل على عمق طرح المدرسة الجيوبوليتيكية مع بعض الانتقادات و العيوب.

لذلك ، ونظرا لكون الدراسة تهتم بالجانب الجيوبوليتيكي (الجيوسياسي) بما يتضمن معنى السعي نحو تفسير و فهم دينامية "حركية" و نظامية (الفعل) ، (المدخل الإبستمولوجي ضمن الفصل الأول) ، أي السلوك

---

[1] نفس المرجع السابق.

[2] **سهيل فرح**، "**الجيوبوليتيك الروسي: ملامح القوة والضعف**"، في: **شؤون الأوسط**، بيروت، مركز الدراسات الإستراتيجية، العدد112، خريف 2003، ص ص 31–35.

الروسي الخارجي تجاه المنطقة العربية، فإنه من الضروري إعادة إدراج مضمون الخطاب الروسي بشكل مقتضب ، بغرض الإقرار بأهمية تلك المدرسة المركزية وذات الأولوية في تحليل السلوك الروسي الخارجي ، إلى جانب بقية المدارس الأخرى منها على وجه الخصوص المدرسة الروسية الواقعية و الليبرالية و القومية (الوطنية)، لذلك فإن السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : **ما هي مضامين طروحات و سجالات تلك المدارس حيال أولويات السياسة الخارجية الروسية عموما؟ هل تتجه روسيا اليوم – من خلال الانعطافة المدوية في العقد الأخير– فعلا نحو نهج المحافظة** Conservatism**؟ كما تشير بذلك بعض الرؤى، أم أنها ماضية نحو اتجاه إصلاحي راديكالي غربي؟ أم أنها سوف لن تكون إلا أوراسية وواقعية كما تحاجج بذلك أخرى؟**

الفرع الثاني: المدرسة الجيوبوليتيكية: أولوية أوراسيا ومعضلة "الشرق والغرب"

البند الأول: في ضرورة التأصيل المنهجي: "دوغن" ومنظور الواقعية التاريخية.

قد لا يكون من الحكمة و نحن نبحث السلوك الروسي الخارجي في مستوياته المختلفة و عبر أغلب الفضاءات المعروفة ، أن نتصرف بصورة مطلقة خارج النطاق المنهجي و الفكري لأطروحات "دوغن"[1]، و هو ما لا يتضمن معنى توافر إمكانية الانصراف عن باقي التصورات الدراسية الأخرى للموضوع باعتبارها على قدر كبير من الأهمية العلمية أيضا.

يؤكد "ألكسندر دوغن" ، أنه لا يجب الخلط بين مستويين على الأقل عندما ندرس علاقة روسيا بالحضارات القارية المجاورة ، قائلا:" **علاقة روسيا بالحضارات القارية المجاورة الرومانو– جرمانية في الغرب و الحضارات التقليدية الثلاث في الشرق(الإسلامية–الهندوسية و الصينية) تتسم على الأقل بمستويين لا يجوز الخلط بينهما بأي حال، لأن ذلك يؤدي بصورة حتمية إلى عدد كبير من الارتباكات، أولا الجوهر الثقافي– التاريخي لروسيا...، أما على المستويين الاستراتيجي و الجيوبوليتيكي المحض فيبدو الوضع مختلفا تماما..."**[2].

لذلك هو يشير – من خلال مقولته– إلى مستويين تحليليين مختلفين نفهم من خلالهما العلاقة القائمة بين روسيا و باقي الحضارات المجاورة ، وبالنسبة للمستوى الأول (الجوهر الثقافي–التاريخي لروسيا) بما يعني

[1] إن قراءة علمية ممنهجة وواقعية سواء للإبداع التنظيري للفيلسوف و المنظر الجيوبوليتيكي الروسي"الكسندر دوغن" ، أو غير ذلك مما كتب – غربًا و شرقًا– مناقشة وتقييما و نقدا و قراءة لإسهاماته التنظيرية ، لتؤسس فعلا لاستثناء علمي منهجي كامن واطلاع فريد نافذ للمفكر حيال الوضع الجيوسياسي لروسيا و غيرها من الأمكنة الحيوية في العالم.

[2] ألكسندر دوغين، نفس المرجع السابق، ص 209.

الخصوصية الروحية و الهوية الذاتية –حسبه– فهي تعرف دون شرط في إطار صيغة "لا الشرق و لا الغرب" أو " لا أوروبا و لا آسيا بل أوراسيا" حسب تعبير " **الأوراسيون الروس**" (الفصل الأول)، وتبعا لذلك فإن [1]:

1– روسيا من الناحية الروحية شيء آخر ،لا يوجد ما يعبر عنه لا في مصطلحات الشرق و لا الغرب.

2– من أولويات روسيا ضرورة الحفاظ على "فرادتها" (تفردها الروحي و الثقافي) و بأي ثمن.

3– الدفاع عن خصوصيتها أمام تحدي الغرب و تقاليد الشرق ، بما لا يعني الانعزالية التامة.

4– ضرورة بناء استقلالية روسيا من خلال الموازنة بين"ما هو لنا و ما ليس لنا".

5– رفض الغرب و الشرق في المخطط الثقافي لروسيا يمثل العنصر التاريخي الثابت لاستقلالية روسيا.

تمثلت واقعية "دوغن" التاريخية حقيقة من خلال رؤيته الاعتقادية للوحدة الثقافية و الروحية الروسية ومن ثم فرادتها ، و كذا من خلال قدرته على بحث سياق جديد نظري يقع بعمق خارج نطاق الخط التأليفي*. ذلك أن المسألة الثقافية لروسيا من أشد القضايا اختلافا**، كما أنه مع الاعتراف بالخصوصية الروسية نجد التوجه الآسيوي (**من الأفضل الانفتاح على الشرق منه على الغرب**)، ويرى التيار الغربي (**الغربيون**) *** عكس ذلك ، أي ضرورة الانفتاح على الغرب بدل الشرق ، بينما يرى آخرون – تيار ثالث– رفض أي نوع من الحوار و هم (**الانعزاليون**)، كما يوجد تيار رابع آخر يقترح انفتاحا متساوي الوتيرة على الجهتين (بعض اتجاهات الأوراسية الجديدة)، و بناء على ذلك توجد ضمن المستوى الأول للتحليل أربع مدارس مهمة تتمثل أساسا في:

1– المدرسة الآسيوية (الشرق).

2– المدرسة الغربية (الغرب).

3– المدرسة الانعزالية (لا الشرق و لا الغرب بل روسيا).

---

[1] نفس المرجع، ص 209.

* ضمن دائرة الدراسات المستقبلية في حقل العلاقات الدولية يتوارث البحاثة عادة منهجية سكونية، لا تكاد تنصرف عن مثلث سيناريوهاتي راسخ يعكس عقيدة خطية أو تصور راديكالي أو مطارحة إصلاحية، وهو في حقيقة الحال نمط بحثي ينزع عن الباحث (المخيال العلمي) أحقية تبني أنماط "دون أو فوق – تأليفية "تتيح له إمكانية بناء نعوت أوسع أفقا حيال مشاهد جديدة، يمكن أن تعري بدورها سكونية التوقعات المحدودة حول مستقبل الظواهر محل البحث.

** في هذا الصدد، فإننا ننوه بتصويب "دوغن" المنهجي العلمي حول بحث السياسة الخارجية الروسية نظريا، نظرا لتعدد وكثرة الدراسات التي قد تفتقد ربما للمنهجية المستصوبة ما يؤدي إلى الخلط بين الرؤى والتصورات النظرية لتوجهات روسيا الخارجية، على إعتبار أن الموضوع لا يقتصر على محور المدرسة الواقعية أو الليبيرالية أو القومية (الوطنية) فقط، بل يجب الالتفات إلى خصوصية روسيا الإقليمية وإلى تصورات المدرسة الجيوبوليتيكية بصورة أدق وبأهمية أكبر.

*** من بين ممثلي تيار الغربيين ضمن النخبة السياسية الروسية كل من: **ب. أنينكوف، ف. بوشكين، ت. غرانوفيسكي، ب. تشاآديف، ك. كاقيلين، م. كاتكوف، إ. تورغينيف.**

4- الأوراسية الجديدة (الشرق+الغرب).

دوماً ، و ضمن الإضافة المهمة لـ"دوغن" على المستوى الجدلي القائم في روسيا حول موضوع توجهاتها الخارجية، فإنه يتطرق إلى المستويين **الاستراتيجي و الجيوبوليتيكي** ، و هو بذلك يقدم توصيفا تحليليًا يحمل جملة مضامين[1]:

1- اختلاف مضمون التحليل تماما في المستوى الأخير عنه في المستوى الأول.

2- بما أنه لا يوجد عدو لـ "**روسيا – الأوراسيا**" في المرحلة التاريخية الراهنة (أي لا تواجه عدوا كونيا) في صورة الحضارات الشاطئية Rimland، و بقدر ما تواجه الجزيرة المقابلة لها (أمريكا الأطلسية) فإن:

أ- الضرورة الإستراتيجية الملحة بالنسبة لها هي تحويل "الأراضي الساحلية" إلى حلفاء لها (لروسيا).

ب- التغلغل الاستراتيجي إلى المناطق الساحلية.

ج- إقامة الحلف الأوراسي العام أو تأمين الحياد التام والصارم لأكبر عدد من Rimland في مواجهة الغرب الأطلسي.

د- الصيغة الإستراتيجية لروسيا يجب أن تعني الشرق والغرب (التكامل القاري)، وفي نفس السياق فإن هذا التصور أو الطرح الجيوسياسي الاستراتيجي يفضي إلى:

1- ضمان الاستقلالية الحقيقية لجميع الشعوب و الدول (دول الأوراسيا).

2- ضمان الحد الأدنى من الاكتفاء الذاتي السياسي و الاقتصادي.

يعتبر هذا إلى حد ما إقرارا بالثنائية الجيوبوليتيكية الجديدة بين قسمين قاريين كبيرين، لكل منهما خصوصيته، غير أنه لا تزال المخاوف من هيمنة عولمية للجزء القاري الغربي على العالم (هيمنة الأطلسية تحت قيادة الولايات المتحدة الأمريكية) ،" فعلى المستوى الاستراتيجي ليس فعالا اليوم إلا هذه المواجهة الواحدة – الوحيدة: إما العولمة (الهيمنة العامة للأمركة و الأطلسية على العالم) أو القارية (تقسيم الكوكب الأرضي إلى مجالين كبيرين أو أكثر لكل منهما استقلاليته السياسية ، العسكرية، و الإستراتيجية الجيوبوليتيكية[2].

يضيف "دوغن" بأنه من أجل أن تصبح روسيا فعلا قوة جيوبوليتيكية قارية مستقلة ، لا بد من استعادة و تحصيل الـ Rimland ، وأنه مع التطور الفاعل للتقنيات العسكرية ، الإستراتيجية و الاقتصادية –حاليا- فإنه لا يمكن أن يكون هناك أي نوع من الاستقلالية غير القارية "...فجميع المشاريع 'الاثنوكراتية' أو 'الانعزالية ' المحضة و الخاصة بحل المشكلة الحكومية لروسيا في الميدان الاستراتيجي ، تقدم نتيجة تتطابق بصفة صارمة

[1] ألكسندر دوغين، نفس المرجع السابق، ص ص 211-210.

[2] نفس المرجع. ص210.

مع المخططات العولمية..."[1]، وهو ما ليس من صالح " روسيا الأوراسيا" كونه يشجع الهيمنة الشمولية في كل المستويات على العالم ككل ، كما يؤكد أن نقل الإشكالية الثقافية – التاريخية لروسيا إلى المستوى الاستراتيجي أو الجيوبوليتيكي أي إسقاط المعنى الجيوبوليتيكي المحض على معادلة " **لا الشرق و لا الغرب**" ليس – حسبه – إلا عملا **تخريبيا سياسيا موجها** نحو تضليل استراتيجي للنهج السياسي الخارجي لروسيا[2] ، و باختصار فإن رؤية دوغن التأصيلية ترتكز بالأساس على ما يلي:

1- روسيا قوة جيوبوليتيكية فعلية = روسيا الشرق + روسيا الغرب.

2- روسيا الشرق = روسيا الغرب.

3- روسيا الشرق أو روسيا الغرب = الهيمنة الشمولية العولمية للأطلسية.

4- الـ Rimland ≠ المفهوم الثقافي/الاثني/القومي...

5- الـ Rimland هو مفهوم استراتيجي جيوبوليتيكي بحت.

6- الواقعية الجيوبوليتيكية الروسية = استقلالية روسيا العظمى و سيادتها و ذاتيتها ، اكتفاؤها الذاتي و حريتها.

7- الواقعية الجيوبوليتيكية الروسية = الدولة المستقلة (روسيا) في القارة المستقلة .

8- الواقعية الجيوبوليتيكية الروسية = تجميع الامبراطورية[3]

ما يهمنا في هذا التأصيل النظري المنهجي لدراسة توجهات السياسة الخارجية الروسية ، وتحديدا تجاه المنطقة العربية – عبر بحث التفاعل الفضائي العاملي للفضاءات المختلفة (الفصل الأول) جيوبوليتيكيًا– هو ما يمكن أن يكون له علاقة بالإجابة عن السؤال التالي: **هل السعي نحو "تجميع الإمبراطورية "يؤسس لحلف – في مضمونه و سياقاته و مقارباته المختلفة و العديدة – يأخذ بعين الاعتبار العالم العربي/الإسلامي كمكون جيوبوليتيكي استراتيجي في منظور و توجهات السياسة الخارجية الروسية ؟**

البند الثاني: المدرسة "الجيوبوليتيكية الأوراسية" الروسية الجديدة: "أوراسيا أولًا"

تتلخص إسهامات الخطاب/المدرسة الجيوبوليتيكية الأوراسية في مجملها ضمن رؤية أساسية مركزية هي "أوراسيا أولا"، وتعتبر الحلف القاري الأوراسي الملاذ الآمن لروسيا الجديدة، غير أنها متعددة التنويعات،

---

[1] نفس المرجع السابق، ص 211.

[2] المرجع نفسه، ص 211.

[3] هكذا عنون "ألكسندر دوغن" فصله الثالث "**تجميع الامبراطورية**"، ضمن مؤلفه الشهير"أسس الجيوبوليتيكا. مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي"، موضحًا أن ذلك في مفهومه الجيوبوليتيكي لا يعد واحدا من الطرق المحتملة للتطور فقط، بل واحدا من العلاقات الممكنة للدولة (روسيا) نحو المدى المكاني، بل والضمانة والشرط اللازم لوجود الدولة المستقلة وفوق ذلك– الدولة المستقلة في القارة المستقلة. لمزيد من الاطلاع والإيضاح ينظر: ألكسندر دوغين، نفس المرجع السابق ص ص 213-212.

والمهم في ذلك هو ضرورة معرفة أهمية العالم العربي والإسلامي في المخطط الجيوبوليتيكي الاستراتيجي ضمن هذه الطروحات، واختصارًا يمكن إجمال أهم تلك الطروحات في الآتي:

1- **دورة الإيثنوجينيتيك** و ملامح **الفلسفة العضوانية** للمؤرخ و العالم الروسي " **ليف غوميليوف**" و هو بذلك يؤسس لفرادة روسيا الروحية و الثقافية و الاثنية تاريخيًا [1]، و هو من خلال ذلك يعتبر روسيا عالما متعدد الأبعاد ، كما أنه يقر بدور "النفثة العاطفية" في تشكيل الاثنوس الروسي ذو النزعة التكوينية السلافية – التركية و الذي مكن بدوره – تاريخيًا – لظهور روسيا الأوراسيا أو الإمبراطورية الأوراسية.

2- وجود صيغتين أساسيتين ضمن سياق النظرية الأوراسية الجديدة:

أ- تقوم المعارضة السياسية الوطنية الروسية بتبني نوع من الايدولوجيا الجاهزة، موجهة أساسا ضد جملة الإصلاحات الليبرالية 1992-1990 تعتمد أفكار : "**ب .سافيتيسكي**"، "**غ .غيرنادسكي الأمير**"، "**ن.تروتسكوي**"، "**نيكولاي أوستريالوف**"، ومضمون تلك الايدولوجيا هو اعتبار روسيا محور المدى الجيوبوليتيكي الكبير ، مع ضرورة تبني الاشتراكية الأوراسية ، ما يعني تطلع قومي حداثوي روسي نحو الشمولية الأوراسية المعادية للأطلسية، إضافة إلى اعتبار أوروبا بمثابة قوة قارية محتملة و الاعتراف بالأهمية الإستراتيجية لأوروبا في إطار اكتمال "المجال الكبير" الأوراسي.

ب- اختيار الدول الإسلامية و خاصة "إيران" القارية على أنها الحليف الاستراتيجي الأهم ، إضافة إلى أهمية الحلف الروسي الإسلامي في أساس الإستراتيجية الروسية المعادية للأطلسية[2].

3- نظرية "الثنائية القطبية الجيوبوليتيكية الجديدة الأوراسية" و يتلخص طرحها في:

أ- ضرورة تشكيل حلف قاري جديد بعد وارسو، إما أن يشتمل على أوروبا كلها حتى الأطلسي إضافة إلى عدد من القطاعات الأهم من الشاطئ الجنوبي للأوراسية (الهند، الهند الصينية، إيران) أو أنها يجب عليها:

ب- ضمان الحياد الودي لهذه البقاع، أي إخراجها من تحت الهيمنة الأطلسية.

---

[1] يضيف "وولتر لاكوير " سببين رئيسيين اعتبرهما من العوامل المؤصلة لفرادة روسيا بل وللتفرد التاريخي و الحضاري الروسي تمثلا حسبه في: قناعة بعض الكتاب الروس(النخبة) الذين كانوا خارج روسيا بأن الروس كانوا أفذاذ فريدين من نوعهم ابتداء، من بين هؤلاء نجد مثلا "أفاناسي نيكيتين" Afanasi Nikitin من إقليم" تفير" Tver كما نجد أيضا "نستور اسكندر" Nestor Iskander و "مكسيم مكسيموس" Maxim Maximus، إضافة إلى ترسخ فكرة ما أسماه "**الروسوفوبيا**" أي اليقين بأن كل الأجانب كانوا ضد روسيا. للمزيد من الاطلاع ينظر: وولتر لاكوير، البوتينية. روسيا ومستقبلها مع الغرب، ترجمة فؤاد زعرور، بيروت: دار الكتاب العربي، ط 2016، ص ص 20- 23.

[2] من خلال مضمون الصيغة الثانية من صيغ المدرسة الأوراسية الجديدة حول أهمية الحلف الروسي- الإسلامي ، فإنه يبدو أن العالم العربي يقع ضمن مكونات هذا الحلف ، كما يمكن أن يستنتج من جهة أخرى بأنه من غير الممكن بحث توجهات روسيا الخارجية جيوسياسيا – حسب طرح الأوراسيين الروس الجدد- خارج معادلة " روسيا ضد أمريكا"، " أوراسيا ضد الأطلسية" بما في ذلك حركية و نظامية سلوكاتها الخارجية تجاه المنطقة العربية، و عليه فإنه من غير الممكن من ناحية منهجية بحث سلوكات روسيا الخارجية ، دون بحث أو معرفة موقع العالم العربي من اهتمامات و تفاعلات تلك التوجهات، ناهيك عن ضرورة تتبع الصيغ و الدينامية الكامنة ضمن تلك النزعة الصراعية الضدية القارية ؛ الجيوسياسية مع الولايات المتحدة الأمريكية أيضا.

البند الثالث: جيوسياسة خطاب النخبة الروسية: معضلة ثنائية " الشرق والغرب"

لقد تعددت أطياف النخبة السياسية الفكرية لروسيا الاتحادية ما بعد السوفيتية، غير أن هذا لا يعني من ناحية تاريخية غياب مثل تلك النقاشات؛ والجدل الدائر حول بحث موقع روسيا وطبيعة سلوكها الخارجي– جيوسياسيا– في أغلب مراحل وأشكال نظامها السياسي ضمن السياسة العالمية ومع ذلك، توجد هناك عدد من الدراسات الروسية تشير إلى أن "الخمسمائة سنة" الماضية من التوسع الجيوسياسي الروسي قد انتهت مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين. وبدءًا من ذلك التاريخ ، تدخل روسيا مرحلة الثبات و لم يبق لها سوى خيار الحفاظ على وحدة أراضيها و ثقافتها و محاولة استعادة بعض مواقع نفوذها التي خسرتها لدى بعض دول الاتحاد السوفياتي سابقاً[1].

في الواقع، مع كل تلك الإقرارات ، فإن الشخصية الروسية اليوم يبدو أنها قد طبعت بطابع الثنائية الطبيعية المتمثلة في "**الشرق و الغرب**"، و التي أفرزت – بدورها– كمعضلة في المستوى الجيوسياسي ثلاث توجهات نخبوية تتضارب بصورة درامية بأبعاد ثلاثة على مسرح السياسة الخارجية الروسية تمثلت أساسا في[2]:

- **البعد السلافياني (السلافي)، ومجاله القطبي البارد المطل على السهوب الواسعة البحار.**
- **البعد الآسيوي–التركي، المتواصل مع الرمال والسهوب المتناثرة بين سلاسل الجبال.**
- **البعد الغربي، الذي لا يحضر في الجغرافيا، وحضوره متفاوت القوة في السياسة والاقتصاد وإلى حد ما الثقافة.**

في حقيقة الأمر ، تعدد أبعاد و منظورات النخبة الروسية ينم عن ثراء هائل للعقيدة أو الإيديولوجية الروسية، و احتوائها على عدة مكونات كالدين (عقيدة الكنيسة الأرثوذكسية ، رسالة روسيا المقدسة، روما الثالثة، القدس الجديدة)، الوطنية/القومية (مع اصطفافات باتجاه الشوفينية)، النمط الروسي من الجيوبوليتيك الأوراسية، شعور القلعة المحاصرة، الزابادوفوبيا (الخوف من الغرب) الذي ابتدعه الفيلسوف و المنظر الإيديولوجي " نيكولاي دانيلفيسكي " كثقافة غربية[3] ،كما أن تعدد أبعاد توجهات النخبة الروسية قد أفرز ظواهر ورموز سياسية و دينية كموسكو الكييفية ، سانبطرسبورغ ، موسكو روما الثالثة، موسكو عاصمة الأممية، موسكو الأرثوذكسية ، روسيا الملحدة ، روسيا السوفياتية، روسيا الأوراسية[4].

يعتقد بعض المتشائمين ممن يحسبون على التيار الروسي المغربن (التوجه غربا)، أن وضع روسيا ما بعد الاتحاد السوفياتي غير مستقر و يفتقر إلى الكثير من مقومات القوة المطلوبة، ذلك أن تعداد السكان في

---

[1] سهيل فرح، نفس المرجع السابق، ص 32.

[2] نفس المرجع. ص 32.

[3] وولتر لاكوير، البوتينية. روسيا ومستقبلها مع الغرب، ترجمة فؤاد زعرور، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط 2016)، ص22.

[4] سهيل فرح، نفس المرجع السابق، ص31.

حال انخفاض مستمر ، و ضعف البنية التحتية الداخلية (خاصة الجانب الآسيوي من روسيا)، إضافة إلى الانشقاقات الفكرية و السياسية و الدينية ، و ضعف كافة المؤسسات الاقتصادية و الأمنية و العسكرية، ناهيك عن حالة الهجرة المتزايدة من قبل الكفاءات و العقول إلى الخارج ، هذا مع افتراق عدد من الدول و القوى الأخرى التي كانت على علاقة عضوية مع روسيا و توجهها شرقا أو غربا إما لتوطيد العلاقة مع حلف الأطلسي ، أو مع تركيا أو الصين أو اليابان أو الولايات المتحدة الأمريكية أو مع بعض الدول الإسلامية[1].

بحسب التيار المغربن، فإن روسيا ليس بإمكانها تجاوز عقباتها و مشكلاتها المذكورة دون الانضمام إلى حلف آمن مع جار قوي، و الجار المرتجى لروسيا هو كل من أوروبا الغربية و الولايات المتحدة الأمريكية، و يستند هذا التوجه على الأطروحات التي تتدعي بأن القسم الأوروبي من روسيا هو الذي يتوجب عليه أن يبادر إلى هذه الخطوة [2]، كونه يمتلك مقومات القوة الحضارية الفاعلة في كل المستويات في شكل أوروبا القوية اقتصاديا و أمنيا و المتماسكة اجتماعيا و ثقافيا و قوميا ، أوروبا المتفتحة ديموقراطيًا و أوروبا المسالمة والمتعاونة دوليا، على العكس من الشرق الذي يمتلك فقط بعض عناصر القوة و هو شرق تعددي إثني ، شعوبه لا تزال بعقلية كولونيالية (استعمارية) ، مع علاقات اثنية و روابط متذبذبة و نزاعية و ذلك في معظم الأجزاء المتاخمة للقسم الآسيوي من روسيا ، و التي تضم مقاطعات القفقاس و جزر الكوريل و سكان جبال الألطاي و كوقا و كالميكيا و تترستان، لذلك يجب على روسيا من أجل أن تحمي نفسها– حسب تيار "الغرب"– من مخاطر قد تهددها من الشرق مستقبلا ، أن تتبنى الخيار الغربي قبل كل شيء[3] ، بما يساعدها فعلا على ترتيب أوضاعها الداخلية و منه تقوية مواقعها الدولية التنافسية بالمقارنة مع باقي الدول مثل الصين و اليابان و غيرها ، ذلك أن الغرب (أوروبا و أمريكا) على المستوى الجيوسياسي بمثابة قوى و أطراف واعدة بالنسبة لروسيا اقتصاديا و سياسيا و ثقافيا ، وأن وضع الحياد أو الصدام مع الغرب ليس من صالح روسيا خلال المرحلة ما بعد السوفياتية ، كما أن تشكيل حلف روسيا – أوروبا سوف يجبر الدول التي تضمر حدا من العداء التاريخي و السياسي لروسيا، على أن تتعامل معها ضمن ارتباط جيوسياسي في إطار هذا الحلف الكبير خاصة منها بلدان الشرق ، و بذلك تتغير المعادلة من بناء علاقة مع **روسيا** "**منهكة**"، باتجاه التأسيس لعلاقة مع "**روسيا قوية** "داخل المجموعة الأوربية المتحدة ضمن المجال الغربي ككل، ومن بين الدول المعادية لهذا الحلف هي الصين بدرجة أولى و الولايات المتحدة الأمريكية وإلى حد ما تركيا[4].

---

[1] نفس المرجع السابق الذكر.

[2] نفس المرجع.

[3] المرجع نفسه، ص31.

[4] نفس المرجع، ص 33.

تعتبر قضايا مثل وجود روس قاطنين خارج روسيا لكن بمحاذاة الغرب ذاته (أوروبا الغربية تحديدا)، كما هو الحال في القوقاز و منطقة "كالينينغراد" ذات الأغلبية السكانية الروسية ، و تدخل حلف شمال الأطلسي في جورجيا و أحداث يوغسلافيا وكذا سعي ألمانيا إلى إحياء فكرة "أوروبا الوسطى" ، مع عدم اعتبار الروس من قبل الذهنية الغربية "أوروبيين أقحاحًا"[1]، و قضايا أخرى كثيرة ؛ بمثابة حجج واقعية ساهمت في بلورة و نضج تيارات فكرية نخبوية أخرى ، كما مثلت إلى حد كبير عوامل فشل نسبي لتيار "الغرب أولا" بما غير من أولويات روسيا الخارجية.

في الواقع، أفرزت ثنائية **(الشرق و الغرب)** في مستواها الجيوسياسي داخل النخبة الروسية السياسية ما يعرف بالتيار القومي اليساري، و الذي يتبنى بدوره خيارات و طروحات تمتد إلى الماضي السوفياتي مثل خيار "السلافية الأرثوذكسية" ، و خيارات إثنية مذهبية أخرى تتسم بالتطرف و ضيق الأفق ،كما أفرزت الخيار الأوراسي المتجدد، في صيغة **[نيوسوفياتية معدلة جغرافيا و منقحة إيديولوجيا و سياسيا و اقتصاديا وثقافيا]** [2]، و الذي تبحث روسيا من خلاله عن هوية حضارية جديدة ، واكتساب مجال حيوي جديد يمتد إلى مجموع الدول المستقلة ليمنح لروسيا حق التصرف بقوة على الساحة الدولية، خاصة و أن هذا المجال الأوراسي الجيوسياسي الواسع دوما تتجاذبه قوى الهيمنة العالمية ؛ خاصة تلك المساعي التي تتبناها الولايات المتحدة في جيوب كثيرة قريبة من روسيا؛ مهددة بذلك أمنها و مصالحها الحيوية هناك، ليست الولايات المتحدة الأمريكية فحسب، بل حتى القوى الإقليمية و الدولية الأخرى مثل الصين و تركيا و اليابان ، مؤكدة بذلك مساعيها الدائمة نحو أداء دور فعال في حل المشكلات العالقة ، لكنها لا تمتلك كل أدوات التصرف بنجاعة دوما ، ذلك أنه داخل لعبة الصراع الجيواستراتيجية ؛ روسيا تبقى الوحيدة من تملك القوة و الحضور الكافيين لمعالجة القضايا الشائكة ، و الواقع الدولي يثبت ذلك و يبرز مدى سعيها الحثيث لأداء و رعاية أدوار مهمة في قضايا تمس جوهر أمنها القومي، خاصة تلك المتصلة بالثروات الطبيعية و حقول الطاقة و الطرق الإستراتيجية وكافة خطوط المواصلات البرية و البحرية و الجوية ، يضاف إلى ذلك خصوصية تلك المناطق و التي تتسم بالتعدد الديني و الإثني و الثقافي باعتباره عامل مشجع على الصراع في الكثير من الحالات.

تشير الكثير من القراءات و الدراسات المهتمة بالشأن الروسي و الجيوبوليتيك الراهن للسلوك الروسي الخارجي على أنه يمكن قراءته كالآتي[3]:

---

[1] المرجع نفسه، ص 33.

[2] نفس المرجع، ص 33.

[3] نفس المرجع السابق، ص 35.

- **غربًا:** تتجه روسيا للتركيز على أوروبا الغربية بدءا من ألمانيا مرورا بفرنسا وأخيرا بريطانيا.
- **شرقاً:** تركز روسيا على الصين وفيتنام وكمبوديا وكوريا الشمالية ومجموعة النمور السبعة.
- **جنوبًا:** تركز على إيران وإسرائيل ثم تركيا مع بعض التخوف؛ لأن تركيا حاضرة بقوة في ثقافة واثنية (هوية) روسيا.

مع ذلك، فإن الأحداث الدولية المتسارعة اليوم ، على مدار العقد الثاني من القرن الحالي في العالم العربي و الشرق الأوسط و الخليج العربي، و باقي المناطق و الأقاليم المنضوية تحت مسمى "العالم الثالث" عموما، غيرت فعلا مجرى السياسة الخارجية الروسية بعض الشيء إن لم نقل تماما ، كما أخرجتها عن نطاقها الدفاعي(الواقعية الدفاعية) المعهود منذ الحرب الباردة، إن على المستوى الجيوسياسي أو الجيواستراتيجي ، خاصة قضية التدخل الروسي بكل الوسائل في سوريا ،كما أنها أثرت بكل معنى على تلك الدراسات الأكاديمية حول السلوك الخارجي الروسي ، مع أن بعضها كان ينظر بنوع من التشاؤم والريبة تجاه الضعف الفاقع في نهجها الجيوسياسي و الاقتصادي و الثقافي ، و الظاهر قبل الآن بشكل جلي في العالم العربي (الحرب الأمريكية – الأنجليزية الأخيرة على العراق)، كما يبرز بشكل جلي أيضا في العدد الأكبر من بلدان العالم الثالث[1]، لذلك فإن تسارع الأحداث الأخيرة من خلال مشاهد تعكس مدى واقعية توجهات روسيا باعتمادها القوة العسكرية و الدبلوماسية معا في قضايا حساسة ، سواء في المنطقة العربية أو في آسيا الوسطى ، كقضية شبه جزيرة القرم وغيرها أثبتت مدى عمق وواقعية الخطط الإستراتيجية؛ كما أوضحت مدى تأثير العامل الجيوسياسي حقيقة في السياسة الخارجية الروسية حاليا.

إذًا تبقى ثنائية "**الشرق. الغرب**" معضلة قائمة باستمرار في مخيلة صانع القرار الروسي رغم وجود عوامل بيئية أخرى، ذلك أن نمط الهوية الجغرافية لروسيا و طبيعة مصالحها التاريخية –جيوسياسيا– عوامل تفرض نفسها بقوة لتفعل البعد الأوراسي من خلال الهيمنة على المجال الكبير الأوراسي ، لكن ليس خارج نطاق أو دون المجال الحضاري "للشرق الكبير"[1] بما في ذلك مكونات هوية المنطقة العربية الحضارية ، فقد أضحى

---

[1] يعرف "س.غ.لوزيانين" "الشرق الكبير' قائلا:[إن الشرق الكبير بالنسبة لروسيا اليوم هو إحدى و خمسون دولة شريكة في منطقة المحيط الهادئ و الشرقين الأدنى و الأوسط و آسيا الوسطى و الجنوبية...، يضم "الشرق الكبير" مجازيا المناطق التالية:1- **منطقة شمال إفريقيا** (الجزائر، تونس، المغرب، ليبيا، موريتانيا)، 2- **منطقة الشرق الأدنى**(مصر، سورية، العراق، إسرائيل، فلسطين، الأردن، لبنان)،3- **بلدان الخليج العربي**(الإمارات العربية المتحدة، المملكة العربية السعودية، قطر، البحرين، عمان)، 4- **منطقة الشرق الأوسط** (إيران، أفغانستان، تركيا)، 5- **منطقة بلدان جنوب آسيا** (الهند، باكستان، بنغلاديش، نيبال، سيريلانكا، بوتان، المالديف)، 6- **منطقة آسيا الوسطى**(كازاخستان، أوزبكستان، تركمانستان، قرغيزيا، طاجاكستان)،7- **منطقة جنوب القوقاز**(أرمينيا، جورجيا، أذربيجان)، 8-**منطقة شمال شرق آسيا**(الصين، الكوريتان، اليابان، منغوليا)، 9- **منطقة جنوب شرق آسيا** (اندونيسيا، ماليزيا، تايلاند، سنغافورة، الفيلبين، فيتنام، لاووس، كمبوديا، مينمار / بورما، برونيه، تيمور الشرقية)]، كما يضيف أيضا بأن تصنيف هذه البلدان حسب الأقاليم يمكن أن يأخذ شكلا آخر ، ففي السنوات الأخيرة ترسخ اصطلاح "الشرق الأدنى الكبير" أو "آسيا الشرقية الكبرى"

الشرق الأوسط كأحد مكونات المنطقة العربية بأحداثه و قضاياه نافذة مفتوحة على سجل روسيا الجيوسياسي ، وكذلك منطقة الخليج العربي و حتى منطقة حوض المتوسط ليبقى النسر ذو الرأسين و تاج الامبراطورية القيصرية– إلى حد ما– أصدق تعبير رمزي بالغ التقدير يعكس بعمق الخليط الفكري للنخبة الروسية السياسية.

المطلب الثاني: أولويات ومحددات السياسة الخارجية الروسية: ثلاث مدارس فكرية رئيسية

الفرع الأول: "ميدفيديف " والمدرسة الليبرالية: "الإصلاحيون الراديكاليون" والتوجه غربا

تتجذر السياسات الحالية لروسيا داخل سلسلة معقدة من العوامل الاجتماعية و الثقافية و التاريخية المتشابكة، و التي يعود معظمها إلى الحقبة ما قبل السوفياتية ، غير أن مرحلة انهيار تلك الحقبة كان قد أعفى روسيا جملة من المسيحية الإيديولوجية (الميسيانية الإيديولوجية)*Messianisme Idéologique*[1] ، هذا مع توافر طروحات أخرى تؤصل في الحقيقة اليوم لثقافة محافظة متأصلة بعمق و هي واسعة الانتشار ، لإيديولوجية انعزالية رجعية مرتكزة على ثلاث دعائم تقليدية طويلة العهد للمجتمع الروسي، وهي إيمان راسخ بالكنيسة الأرثوذكسية، وإحساس بـ "قدر أوراسي" بائن ، ووسواس عصابي قهري من أعداء أجانب[2] ، هذا إلى جانب تصاعد أصوات أخرى في اتجاه الاهتمام المتجدد بتوجهات و سياسات الرئيس الجديد لروسيا منذ عام 2000 تتنبأ بشأن تحرك روسيا نحو قومية جناح اليمين أو ما يسمى "المائة السوداء" *Black Hundred* ، والتي تشير إلى صعود اليمين المتطرف في روسيا[3].

في الواقع ، سقوط الاتحاد السوفياتي فتح الطريق أمام نقاشات و جدل معمق لم يسبق له مثيل حول أولويات و توجهات السياسة الخارجية الروسية ، وذلك بحسب طبيعة الترتيبات و حجم و نوع العلاقات مع الفضاءات لما بعد حقبة الاتحاد السوفياتي ، سواء مع الغرب و درجة الانفتاح الاقتصادي أو مع الشرق والغرب معا أو أوراسيا فحسب، و من ثم روسيا القومية المقدسة (الله و روسيا المقدسة) ، وفي هذا الصدد أشارت الكثير من الدراسات الأكاديمية – على اختلافها– بما في ذلك مدارس الفكر الاستراتيجي الروسي ، إلى أن النخبة السياسية الروسية تتراوح ما بين التوجهات الواقعية أو الليبرالية أو القومية مع تسميات و نعوت أخرى

، و ذلك في ضوء "احتشاد" البلدان الصغرى و الوسطى من حول بعض الدول الآسيوية العملاقة أو مجموعة الدول.ينظر في هذا الشأن : س.غ.لوزيانين،عودة روسيا إلى الشرق الكبير، ترجمة هاشم حمادي، سورية : دار المدى للثقافة و النشر، ط1 2012، ص ص 10–9 .

[1] **Jean Robert Jouanny** ,Que Veut Poutine ?, Editions Du Seuil, 25, bd Romain-Rolland, Paris XIVe Mars 2016.P 71.

[2] يرجى مراجعة المقدمة القصيرة التي تفضل بها الناشر كمدخل متماسك ومهم للغاية خدمة لمؤلف"البوتينية، روسيا ومستقبلها مع الغرب"، مرجع سابق، للباحث في مجال الدراسات السوفيتية 1954، والمحرر المؤسس لمجلة Surveyالمتخصصة في مجالات السياسة الخارجية في أوائل السبعينيات، المفكر "وولتر لاكوبير".

[3] وولتر لاكوير، نفس المرجع السابق، ص 20.

كالإصلاحيين الراديكاليين (اليمين) ، و القوميين المحافظين الشيوعيين (اليسار) ، و اتجاه الوسط ، والتقليديين المتشددين واتجاه البراغماتيين و اتجاه مبدأ تعدد الأقطاب للروس الجدد... و غير ذلك من التسميات.

" *Si Vladimir poutine continue de puiser dans chacun de ces réservoirs doctrinaux en fonction des contingences du moment, on observe toutefois un glissement progressif de son discours du premier de ces courants vers le dernier"*

رغم كل ذلك الزخم الهائل من مقاربات سلوك روسيا الاتحادية الخارجي، إلا أنه على ما يبدو فإن الرئيس الحالي لروسيا الاتحادية "فلاديمير بوتين" سوف يبقى مستمرا في السحب من كل تلك الخزانات العقائدية، و "...إذا ما واصل فلاديمير بوتين الاعتماد على كل من هذه الخزانات العقائدية وفقا لحالات الطوارئ في الوقت الراهن، فإننا نلاحظ، مع ذلك، تحول تدريجي في خطابه من أول تلك التيارات إلى آخرها"، أي أن الرئيس "بوتين" – من خلال خطابه – يتجه من الليبيرلية نحو القومية دون إغفال النهج الواقعي.

مباشرة بعد سياسة "الغلاسنوست و البروسترويكا" في روسيا ، أو ما يعرف بإعادة البناء أو العلاج بالصدمة ، و في خلال السنوات الأولى من رئاسة "بوريس يلتسين" الرئيس السابق لروسيا الاتحادية (مرحلة بداية التسعينيات) ، كانت قد تجسدت فعلا هيمنة النموذج الليبيرالي الذي تبناه الاصلاحيون الراديكاليون أي (اليمين) و المتضمن لجملة شروط منها[1]:

- يجب على روسيا أن تسعى إلى الاندماج في العولمة.
- ضرورة تعزيز التعاون المتميز مع الغرب على أن تصبح روسيا عضو كامل العضوية فيه.
- غير أن بعض ممثلي التوجه الليبرالي يرون بضرورة الاندماج في الاتحاد الأوروبي، وإقامة شراكة مع حلف شمال الأطلسي NATO.
- كما يتفق جميع ممثلي الليبرالية على ضرورة تحديث روسيا وتنويع اقتصادها وتعزيز ديمقراطيتها.

من بين الشخصيات السياسية المهمة المجسدة لهذا النهج نجد "أندريه كوزيريف" وزير الشؤون الخارجية في الفترة 1990–1996 ، و الذي عمل على صياغة علاقات سياسية و اقتصادية قوية مع الغرب ، كما سخر كل الوسائل من أجل العمل على الاندماج السريع في الاقتصاد العالمي، كما نجد أيضا كل من "أناتولي تشوبايس" نائب أول لرئيس الوزراء و "أيغور غيدر " الأكاديمي الذي استعان به الرئيس السابق "يلتسين" ليكون المسؤول عن تنفيذ برنامج الإصلاح الاقتصادي الذي تبناه عقب انهيار الاتحاد السوفياتي،

[1] نورهان الشيخ، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية–الروسية، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998)، ص ص 54–53.

والقائم بأعمال رئيس الوزراء حتى 1992، بالإضافة إلى "غريغوري يافلنيسكي رجل الاقتصاد ورئيس مركز البحوث الاقتصادية و السياسية منذ 1991، و "بوريس فيدوروف" نائب رئيس الوزراء 1994-1992، و "فلاديمير شوميكو" النائب الأول لرئيس الوزراء 1992 ثم رئيس مجلس الفيديرالية 1993- 1995 و رئيس حزب " النهج الجديد" فيما بعد.

على العموم ، فإن النخبة السياسية الروسية ذات التوجه الليبرالي تؤيد بدورها عملية التحول السريع نحو اقتصاد السوق ، و انفتاح الاقتصاد الروسي على فرص الاستثمار المحلي و الأجنبي ،كما يفضل روادها "العلاج بالصدمة"[1]، كأداة انتقال فعالة عبر مشاريع خصخصة الخدمات و التجارة و تحرير الأسعار، لتحذو بذلك حذو التجربة الغربية باعتبارها نموذجا ناجحا، وهذا ليس من الممكن نجاحه دون المساعدات الغربية باعتبارها مساعدات أساسية ضرورية في ذلك.

في الواقع، إذا ما كنا بحاجة إلى قراءة نقدية للتوجه الليبرالي النخبوي السياسي الروسي ، فإننا نتلمس ذلك في خطى الرئيس السابق "ديميتري ميدفيديف"، حينما أعطى لرئاسته في البداية بعدا ليبيراليا في الفترة 2008-2012 على الصعيد الداخلي المحلي كونه يحيط نفسه بـ "**سيفيليكي**"Civiliki [2] بدلا من "**سيلوفيكي**" Siloviki ، ممثلون في Chaperonne و هو معهد التنمية المعاصرة L'institut Du Développement Contemporain[3] ، كمؤشر أول ، غير أنه – رغم جذوره الأولية و رغم الأزمة الدستورية في خريف 1993 فإنه قد ناضل من أجل تحقيق البرنامج الحكومي لدولة روسيا ، و قام بحربين في الشيشان و تخلى بذلك عن مراقبة المصادر الأساسية للاقتصاد لصالح حكم القلة المفترسة (الأوليغارشيا) ، و أصبحت الليبرالية المتهم ببيع المصالح الروسية على نطاق واسع في منتصف التسعينيات ، كما أنها أصبحت مرادفا للمواءمة مع السياسة الخارجية الأمريكية و الاضطراب الاقتصادي و ضعف روسيا[1]، هذا كمؤشر ثان.

مؤشر ثالث مهم حيال أزمات التوجه النخبوي الليبرالي في روسيا؛ هو عدم توافق خطاب "ميدفيديف" في الداخل الروسي مع اقتراحاته و رؤاه خارجيا سواء مع أوروبا أو مع الولايات المتحدة الأمريكية ، ذلك أن البعد الليبرالي باد في خطابه الموجه لمجتمع الأعمال و الشركات الكبرى التي تركز أعمالها و نشاطاتها على

---

[1] " **العلاج بالصدمة** "سياسة اقتصادية تبناها ودافع عنها الرئيس الروسي "بوريس يلتسين"، و معناها الانتقال بالمجتمع الروسي و الاقتصاد الروسي معا من حالة الركود و التخلف و الانغلاق و الأزمة إلى حالة الانفتاح و الخصخصة و الديمقراطية جملة واحدة و بصورة أسرع، دون الأخذ بعين الاعتبار خصوصية المجتمع الروسي و طبيعة الفكر الاقتصادي الاشتراكي المهيمن، وهو ما أدى إلى فشلها المحقق.

[2] **Civiliki** و تعني نخبة روسية تضم مسؤولين من المجتمع المدني الروسي تشمل رجال الاقتصاد و القانون و تتبنى توجه الانفتاح على الغرب والدعوة إلى تحديث استباقي للبلاد. بالمقابل نجد **Siloviki** و هي نخبة روسية موازية، تضم مجموعة من رجال الدولة بمثابة هياكل قوة Structures Force de، ينتمون إلى المؤسسات الأمنية و قطاع المخابرات بالإضافة إلى تكنوقراط و براغماتيين و بيروقراطيين، و تجدر الإشارة هنا إلى أن الرئيس "بوتين "يصنف ضمن هذه المجموعة أما الرئيس "ميدفيديف" فقد صنف ضمن المجموعة الأولى.

[3] **Jean Robert Jouanny**, op .cit.p73.

أوروبا مثل شركة" غاز بروم"Gazprom ، غير أنه في الخارج يظهر تواطؤه مع الرئيس الأمريكي "أوباما" (نراهم يجلـــسون على مائدة عشاء في أرلينـــغتون Arlington ، حول برغر شيدر Burger Au Cheddar في جوان 2010)، ويقترح من فانكوفر إلى فلاديفوستوك De Vancouver à Vladivostok بنية أمنية جديدة تقوم على "معاهدة أمنية أوروبية" Traité De Sécurité Européenne بين دول المنظمة من أجل الأمن و التعاون في أوروبا (التي تضم 57 دولة على جانبي المحيط الأطلسي، وكذا OTSC المنظمة العسكرية تحت رعاية روسيا و الناتو NATO)[1].

يبدو أن الليبرالية النخبوية الروسية في طروحاتها و توجهاتها و هي تداهن الغرب (أوروبا و أمريكا)، تتصرف بحذر شديد مقابل تعاظم مصالح و براغماتية هذا الأخير ، و رغم العداء الذي أورثته الحرب الباردة للروس و الغرب معا حيال بعضهما إلا أن الليبرالية كتوجه تعتبر الحرب الباردة ذاتها عائقا أمام إمكانية إقامة تعاون على أساس المساواة مع الغرب، و كمؤشر رابع تنتقد من خلاله هذه المدرسة ، خطاب "ميدفيديف" نفسه الذي ألقاه في حزيران /يونيو 2008 في برلين ، يطور من خلاله رؤية سلمية للحضارة الغربية ، قائلا: " انتهاء الحرب الباردة قد أوجد الظروف اللازمة (الشروط المساعدة) لإقامة تعاون قائم على المساواة الحقيقية بين روسيا و الاتحاد الأوروبي و أمريكا الشمالية ، باعتبارهم الأقطاب التي تمثل الفروع الثلاثة للحضارة الأوروبية Les Trois Branches De La Civilisation Européennes [2] .

رغم أفكار" الإصلاحيين الراديكاليين" الليبرالية ، إلا أن صعوبة حل المعادلة الروسية على مستوى النقاشات و تعقد الجدل النخبوي حول مصير السياسة الخارجية الروسية ؛ عوامل أبقت على كفاح روسيا من أجل البقاء داخل النقاش الروسي ، و ما يبرر ذلك فعلا هو الفشل الذي مني به – كمؤشر خامس– "بوريس نيمتسوف" قبل أشهر قليلة من اغتياله في توحيد الائتلاف من أجل الخيار الأوروبي Choix Européen Le الذي كان يدعو إليه[3].

يبدو أنه من الصعوبة بمكان أن تتخطى النخبة السياسية الليبرالية الروسية رؤى و توجهات المدارس الموازية ، كل من الواقعية و القومية ، و على سبيل التعقيب– كمؤشر أخير– فإن المثال الجيد لإثبات عدم ملاءمة هكذا نظرية ليبرالية بكل ما تحمله كلمة "ليبرالية "من معنى، هو أن الرئيس مدفيديف نفسه كان رئيسا لعملية أوت 2008 "إجبار جورجيا على السلام "Contraindre La Géorgie à La Paix "، فهو سيحاول بذلك

[1] Ibid.
[2] Idem.
[3] Ibid.

تهديد واشنطن طوال فترة ولايته بنشر "صواريخ اسكندر" Missiles Iskander " في جيب " "كالينينغراد" Enclave De Kaliningrad ردا على مشروع الدرع الصاروخي الأمريكي[1].

الفرع الثاني: المدرسة الواقعية: "بوتين" و مبدأ "التعددية القطبية"

يشتغل هذا الجزء البحثي على قراءة الفكر الواقعي للنخبة الروسية بخصوص توجهات السلوك الخارجي الروسي عامة، وبالرجوع إلى إشكالية البحث الرئيسية، فإننا نسعى إلى فهم مدى ترسخ الطبيعة الواقعية (مع تأكيد أهمية بحث الواقعية المشروطة) في السلوك الخارجي الروسي عمليًا؛ في بعده الجيوسياسي خلال فترة الرئيس الحالي "بوتين" تجاه المنطقة العربية تحديدا.

يمكن أن نلحظ العديد من المشاهد في السلوك الروسي الخارجي عامة ، والتي تثبت مدى واقعية روسيا ، كما أنه بالإمكان القول أن أغلب الآراء تجمع على أن البرامترات التي تميز السياسة الخارجية الروسية قد تراجعت نحو الواقعية ، فقد تطور هذا الخط الفكري اعتبارا لحالة الإحباط الروسي في الجزء الأول من التسعينيات ، يمثله "ايفغيني بريماكوف"Evgueni Primakov وزير الشؤون الخارجية من 1996-1998 ثم رئيس الوزراء بين عامي 1998-1999 من طروحاتها الأساسية[2]:

- إعادة ضبط وضع روسيا على الساحة الدولية من أجل ضمان احترام مصالحها ذات الأولوية في عالم ينظر إليه الآن على أنه متعدد الأقطاب وأنه «لم يعد أحادي القطب ولا ثنائي القطب "
- ***« Non plus unipolaire ni a fortiori bipolaire ».***
- أن الساحة الدولية بالنسبة لممثليها "تنافسية" Concurrentielle ، و يجب على الجميع في إطار الأمم أن يسعى إلى ضمان استقلاليته و دفاعه بوسائله الخاصة (فكرة العون الذاتي) Self- Help، و من هذا المنطلق يجب أن نفهم إعادة استثمار "موسكو" منذ منتصف التسعينيات ، لدوائر " الخارج القريب" L'étranger Proche و دوائر "الخارج البعيد" L'étranger Lointain ، و التي تم التخلي عنها في البداية لصالح الدائرة الأوروبية –الأطلسية وحدها ، و في هذا الشأن فإن" ايفغيني بريماكوف" يعتقد أنه من المهم حقا استعادة حق الكريملين في التدقيق في التطورات في محيط روسيا ، مع ترك مسافة طويلة في نفس الوقت بينها و بين الطموحات التوسعية الغربية.
- في ظل الطموحات التنافسية والتوسعية للغرب، كان لزاما على النخبة الروسية أن تفكر بواقعية، ذلك أنه من الضروري إعادة إقامة روابط مع القوى الإقليمية الكبرى غير الغربية منها، لضمان فرص جديدة للاقتصاد الروسي عند الاقتضاء بهدف رفع الضغوط والمساومة الغربيين الدائمين على روسيا.

[1] Ibid.
[2] Idem. Op, cit, p74.

إن سعي القوى الغربية (أوروبا و أمريكا) الحثيث نحو التوسع شرقا ، سواء من خلال أداة حلف شمال الأطلسي أو نشر القواعد العسكرية بالقرب من المجال الحيوي الروسي بالمفهوم الجيوسياسي و غيره من الأدوات التوسعية على حساب الدور و المصالح الروسيين ، ضف إلى ذلك تهميش دور روسيا و عدم إشراكها في الأشكال القرارية الأممية تجاه قضايا عالمية مختلفة، هي بلا شك من مصادر قلق النخبة الواقعية الروسية، و على الأرجح ، مع ذلك، هناك قلقان رئيسيان بالنسبة للواقعيين الروس يأتيان من خارج روسيا (من البيئة الخارجية) يتمثلان تحديدا في وقف تقدم NATO في أوروبا الشرقية أولا، و الدفاع عن الحق الروسي في المشاركة و الإدلاء بالرأي في الأشكال القرارية للحوكمة العالمية من خلال G8/G20 ، و مجلس الأمن الدولي ثانيا[1] .

في الواقع، هناك من يعتقد "...**أن معظم البلدان ، حتى معظم القوى العظمى قادرة على البقاء والاستمرار من دون عقيدة أو رسالة أو مصير واضح ، ولكن ليس روسيا**"[2] ، ذلك أن روسيا مع قوة تاريخها وقيمها و تفردها الجغرافي ، لديها مسار تنمية خاص بها، ولا يمكن أن تستوعب أية أبوية أو أية وصاية غربية في هذا المجال، و كنتيجة لذلك فإن العقيدة الواقعية للنخبة الروسية تتخلى عن أولوية سيادة ديمقراطية السوق و حقوق الإنسان التي ينادي بها الغرب.

اعتبرت مواضيع مقلقة و مهيجة للنخبة الروسية – منتصف العقد الأول من القرن الحادي والعشرين– تلك المقترنة بالعلاقة بين روسيا و شركائها الغربيين مثل الاعتراف بكوسوفو ، و الثورات الملونة Révolutions de Couleur (قضية جورجيا و أوكرانيا) ، و الدرع الأمريكي المضاد للصواريخ، و توسيع حلف شمال الأطلسي ، و تبعا لمبدأ بوتن حينما يستمر في السحب من كل تلك الخزانات العقائدية –كما أشرنا– ، كانت تلك الأحداث و المواضيع بمثابة دافع قوي لكي يسجل الرئيس نفسه خلال ولايته الثانية (2004–2008) ضمن التيار الواقعي، ففي اجتماع ميونيخ في فيفري 2007 ندد "بوتن" بشدة فكرة " العالم أحادي القطب" Le Monde Unipolaire من خلال قوله : « ***ce lui d'un unique maitre , d'un unique souverain*** » ، أي وجود " **سيد واحد ، سيادة واحدة**"، منتقدا بذلك "دروس الديمقراطية " التي تصرف من الغرب إلى روسيا ، مستعينا – لتنفيذ مبدئه الواقعي ذاك – بثقل المجمع العسكري الصناعي **Complexe Militaro-industriel (MIC)**، وكذا دعم نخبة "السيلوفيكي" **Siloviki** و الشركات الكبرى الموجهة نحو الأسواق الناشئة[3].

[1] Ibid.

[2] وولتر لاكوير، نفس المرجع السابق، ص 22.

[3] **Jean Robert Jouanny**, op.cit. pp74-75.

من المؤشرات الدالة على استمرار العقيدة الواقعية للرئيس الحالي لروسيا رغم انتهاء ولايته الثانية في 2008، و بعد ثماني سنوات من خطابه الأول في ميونيخ، استخدامه نفس الخطاب لتبرير التدخل الروسي في ســـــوريا قائلا:" لقد أدت الجهود بكل الوسائل لتوسيع نطاق الهيمنة من جانب واحد...إلى خلل في نظام القانون الدولي، وقواعد التنظيم العالمي" ، مشيرا من خلال كلمته أمام نادي "فالداي"*Club Valdai* في أكتوبر 2015 إلى "الثورات الديمقراطية" *Révolutions Démocratiques* التي أثارها الغرب بهدف معارضة الدعم العسكري الروسي لقوات الرئيس السوري "بشار الأسد" و تحديدا من قبل الرئيس "بوتن"[1]، بيد أن مؤشرات أخرى كثيرة مصدرها متغيرات جديدة تحدث على الساحة الدولية ، في منطقة الشرق الأوسط و المنطقة العربية ككل (الربيع العربي و الحركات الانفصالية و الجهادية ...)، و حتى على مستوى محيط روسيا القريب و البعيد ، دفعت الرئيس "بوتن" عشية انتخابه في 2012 إلى تعزيز نزعته الواقعية أكثر بقليل ، و مع ذلك ، ورغم فعالية مبدأ تعدد الأقطاب و قابلية اعتناقه الواسعة النطاق لدى النخبة الروسية السياسية، لن يكون من السهل على بوتن أن يستثني بصورة أو بأخرى تلك العقائد الراسخة عضويا في قناعات و ميول نخبة " ذوي الحنين" *Les Nostalgiques* إلى الاتحاد السوفياتي ، القوميين و المحافظين و الشيوعيين (اليسار) في روسيا.

الفرع الثالث: "القوميون" و "القوميون المعاصرون": أولوية روسيا القومية الأصيلة Russkiy

نجد من بين أطياف و تنويعات النخبة السياسية الروسية المدرسة " القومية "، و التي تجمع بين المروجين لفكرة الدولة القومية الروسية الأصيلة و الصحيحة **Russkiy** ، و الذين يعتبرون الاتحاد السوفياتي – تحت راية "الصداقة بين الشعوب"– قد أهمل مصالح الروس الاثنية ، و كذلك "ذوي الحنين" إلى الاتحاد السوفياتي *Les Nostalgiques* الذين يعرضون مشروع "روسيا الإمبراطورية "، و التي من خلالها تظهر حضارتها المهيمنة، لذلك اعتبرت المدرسة القومية مدرسة غير متجانسة و غير منظمة [1]، كما أن "فكرة القومية تتغذى بشكل خاص من خلال لغز (أحجية) " الأرض و روسيا العميقة" ، و استئناف هذه المواضيع الثمينة و المكلفة لدى 'بوكفينيكي' pochvenniki من القرن 19 من التي تصورها الإخوة "دوستويفسكي" Dostoïevski، كما دعا Pochvennichestvo إلى العودة إلى "التربة – بوكفا " 'sol'Pochva وإلى الشعب.Peuple [2] .

في الواقع ، ممثلي النخبة القومية الروسية " Les Nationalistes " يتوقون إلى العودة إلى ما قبل الثورة البلشفية ، ويركزون بقوة على وحدة روسيا، كما أنهم يشككون في نوايا الغرب و يترددون في طلب المساعدة من هذا الأخير، و يفضلون اعتماد روسيا على مواردها الذاتية و حل مشاكلها الاقتصادية ، و في حقيقة الأمر

[1] Ibid, p75.
[2] Ibid.

هم يحسبون كتيار معاد للغرب ، ضد التأثير الغربي في الثقافة الروسية وخصوصية المجتمع الروسي معتقدين بضرورة التمسك بالثقافة القومية الروسية و الدعوة إلى إحيائها، معتبرين بذلك "الأرثوذكسية" الروسية قاعدة معنوية لذلك كما أن وضع الاقتصاد الروسي المتدهور كان ضمن اهتماماتهم، فقد أيدوا فكرة الإصلاح الاقتصادي ، و دعوا إلى الاهتمام بالصناعة العسكرية التقليدية[1].

بالنسبة للقوميين المعاصرين Les Nationalistes Contemporains ، فإنهم يعتقدون بأنه يجب على روسيا أن تسعى إلى توحيد المجتمعات الروسية التي تقطن خارج حدود البلاد و خاصة في روسيا البيضاء Biélorussie ، وشرقي أوكرانيا و شمال كازاخستان ، و للحفاظ على المناطق العازلة **Les Zones Tampons** من "الخارج القريب" التي تضمن حمايتها ، و لتأكيد الوصاية على الأصل الروسي وحمايته ضمن دول الاتحاد السوفياتي سابقا ، خاصة القوقازيين منهم و مواطني آسيا الوسطى (الذين وصفوا عن طيب خاطر بأنهم أكثر شراسة – أثناء عملهم – من "الحمير السود" أو "الأعقاب السوداء" ***"Culs Noirs"*** الخالية من أي شكل من أشكال الحضارة)[2] ، و بالتالي فإن النخبة القومية تتبنى حلا لروسيا من خلال سلوكها الخارجي يمكن أن يحمل دلالات و معنى السعي نحو بناء وحدة روسية اثنية ، وكان قد تجسد هذا الطرح في بعده السوفياتي الجديد Néo-Soviétique من قبل بعض عناصر الحزب الشيوعي ، ومن خلال البديل العرقي القومي Ethno-Nationaliste ، مؤسس و زعيم الحزب الديمقراطي الليبرالي لروسيا(LDPR) "فلاديمير جيرينوفيسكي" Vladimir Jirinovski ، و هو من أبرز قيادات الاتجاه القومي ، من توجهاته رفض العلاج بالصدمة كما أنه يرفض بقاء روسيا مجرد"مستعمرة" في السوق العالمي تصدر المواد الخام و تستورد السلع المصنعة الاستهلاكية، على أنه يجب على روسيا أن تصبح إمبراطورية ، و أنه يجب العودة إلى الحدود التي كانت عليها الإمبراطورية الروسية عام 1900 م (السيطرة على بعض أجزاء بولندا و فنلندا و التوسع حتى حدود الهند)، بالإضافة إلى أنه يعارض قيام الكومنولث باعتباره عمل غير شرعي و غير دستوري ، على أنه يجب قبل كل شيء أن تتغير بنية النظام العالمي و وضع الولايات المتحدة فيه [3].

بالنسبة للمحافظين والشيوعيين الروس، وهم يحسبون على القوميين، فإنهم بالإضافة إلى رؤى نخب روسيا القومية، يفضلون بدورهم العودة إلى النظام المركزي في الاقتصاد، كما يرفضون كل الإصلاحات الخاصة بالتحول إلى اقتصاد السوق، وهم يدعون أيضا إلى ضرورة تنمية القدرات العسكرية الروسية، من أبرز

[1] نورهان الشيخ، نفس المرجع السابق، ص54.

[2] Ibidem, p76.

[3] نورهان الشيخ، نفس المرجع السابق، ص55.

قياداتها " رسلان حسبولاتوف" رئيس البرلمان السابق و "ألكسندر روتسكي" الجينيرال في القوات الجوية، أيضا غينادي زيوغانوف رئيس الحزب الشيوعي الروسي خلال 1993.

تشير بعض الدراسات الغربية إلى بعض الاتجاهات الأخرى ضمن دائرة النخبة السياسية الروسية ، باعتبارها حاضنة فكرية و إطار عام للسلوك الخارجي الروسي ، كاتجاه الوسط و اتجاه "يمين الوسط"، ويسار الوسط ، و بالنسبة لاتجاه الوسط الذي يعتبر هو الآخر اتجاها غير متجانس، فإنه يجمع بين الراديكاليين من جهة و القوميين و المحافظين من جهة أخرى ، و هم يحاولون إيجاد التوازن فيما بينهم **(طريق ثالث)** ورغم صعوبة بناء هذا التوجه – على أقل تقدير– فإنه توجد بعض التوجهات المشتركة و المتمثلة في التوافق حول التحول والتوجه الديمقراطي لروسيا ، و ضرورة الخصخصة والتحول التدريجي إلى اقتصاد السوق ، لكن مع رفض " العلاج بالصدمة" ، كما أنهم يؤمنون بروسيا الموحدة، و بضرورة تجنب أية سياسات قد تؤدي إلى تجزئة البلاد ، إضافة إلى ضرورة الاعتماد على الموارد الروسية و الحد من اللجوء إلى الغرب لتوفير الاستثمارات و المساعدات لروسيا.

كما نجد من أبرز قيادات هذا الاتجاه، " **أركادي فولكسي**" أحد القيادات البارزة في الحزب الشيوعي السوفياتي، وسكرتير مجلس الأمن القومي الروسي خلال 1993 "**أوليغ لوبوف**"، و "**يوري ياروف**" نائب رئيس الوزراء 1992، وكذا «**جورجي خيزا**" نائب رئيس الوزراء 1993–1992.

فيما يخص اتجاه "يمين الوسط"، فإن أنصاره يفضلون السير قدما في مسيرة الخصخصة و التحول إلى اقتصاد السوق لكن تدريجيا و ببطء، مع الحفاظ على دور أوسع للدولة في الحياة الاقتصادية، من أبرزهم "فيكتور تشيرنوميردين" مؤسس حركة "روسيا وطننا" 1995، العامل في مجال الطاقة والذي قد تولى رئاسة الوزراء 1992، بالإضافة إلى كل من "يوري بيتروف" رئيس شركة الدولة للاستثمار 1993، أحد المقربين للرئيس الروسي السابق "يلتسين" ، و نائب رئيس الوزراء 1992 "**سيرجى شاخاريا**".

في الواقع ، أنصار و قيادات تيار "**يسار الوسط**" يعارضون بدورهم "**العلاج بالصدمة**" ، مع عدم معارضة التحول إلى اقتصاد السوق على المدى الطويل، مع ذلك ، في الواقع هم يؤيدون سيطرة قوية للدولة على الاقتصاد و دعم دورها في قطاع الصناعة ، من بين هؤلاء سكرتير مجلس الأمن القومي الروسي 1992، و المقرب من الرئيس "يلتسين" و مستشاره في القضايا الأمنية "يوري شوكوف" ، و الذي تحالف مع اتجاه الوسط و المحافظين المعارضين ضد " يلتسين "فيما بعد ، بالإضافة إلى مؤسس و زعيم الحزب الديمقراطي الروسي 1990، و "فاليري زوركين" الرئيس السابق للمحكمة الدستورية في روسيا بين –1991 1993.

المبحث الثاني: الواقعية / الواقعية المشروطة وتحليل السياسة الخارجية: رؤية مفهومية

المطلب الاول: العقلانية التفسيرية "التأسيسية" ضمن الفكر الواقعي: مدخل تيبولوجي

الفرع الأول: "المدرسة الواقعية" بين اتجاهين "تفسير السياسة الدولية " و "تحليل السياسة الخارجية"

Two Directions of Theory Building: Theory of "International Politics" and Theory of "Foreign Policy"

ضمن الدراسة التي أجراها كل من "Zhang Ruizhuang و Liu Feng " بعنوان " The Typologies of Realism" و المتضمنة بحث افتراضات المدرسة الواقعية "تيبولوجيًا" ؛ فإنه قد تم حصر الجهود العلمية في حقل العلاقات الدولية المعرفي في نوعين متميزين ، في مجالين مهمين ذات صلة هما : السياسة الدولية و السياسة الخارجية[1]، و عموما ، السياسة الدولية تتوقف على دراسة تفاعلات ثلاث دول أو أكثر ونتائج هذه التفاعلات، أما السياسة الخارجية فإنها تبحث و تتعامل من جهة أخرى مع دولة معينة و دوافعها، بالإضافة إلى السياسات و التوجهات و السلوك فيما يتعلق بالشؤون الدولية، و من منظور بناء النظرية توجد العديد من القواسم المشتركة بين هذين المجالين، بحيث أولا : كلتا النظريتين (نظرية السياسة الدولية و نظرية السياسة الخارجية) تبنيان أو يتم بناؤهما على أساس "اكتشاف" أو "التعرف" على الأنماط من ناحية ، وثانيا: تلك النظريات تمثل مطالبة باحترام علاقة عارضة تشرح الأنماط التجريبية من ناحية أخرى.

"Scholarly Efforts In International Relations Consist Of Work In Two Distinct, But Related Fields: International Politics And Foreign Policy ".

Generally: speaking, international politics consists of the study of the interactions of three or more states and the outcomes of these interactions. Foreign policy Research on the other hand, deals with a particular state and its motivations, Policies, directives and behaviour with respect to international affairs. From

The perspective of theory uilding, there are several commonalities in these two areas: first, both the theories are built on the basis of discovery or Recognition of patterns; second, theories represent a claim with respect to a casual relationship that explains the empirical patterns"

في الحقيقة ، و من ناحية أخرى فإننا نجد أن نطاق و مجال الظواهر يتسع ضمن كل تخصص (السياسة الدولية و السياسة الخارجية) ليتم شرحها ، فضلا عن تطبيق النظريات المختلفة وبشكل مختلف بغية ذلك ، و في نفس السياق نجد مثلا أن "كينيث والتز" من خلال توضيحه المنهجي للاختلافات بين الحقلين ، و في نظره فإن موضوع السياسة الدولية هو دراسة النتائج الدولية التي هي نتيجة لسلوك/سلوكات الدول

[1] **Liu Feng , Zhang Ruizhuang,** "*The Typologies of Realism*", Chinese journal of International Politics, Vol. 1, 2006, doi:10.1093/cjip/pol006.pp 117-120.

الفردية (الانفرادية) Individual States و كذا التفاعلات بين الدول و التي يمكن أن تخبرنا عن البيئة الخارجية و الضغوط التي تواجهها الدولة ، أما السياسة الخارجية من ناحية أخرى فهي تبحث في السلوكيات المحددة للدول لتحديد كيفية استجابة الدول للضغوط الخارجية ، و في هذا السياق فإن "والتز" يميز بين هذين النوعين من النظريات باستخدامه قياسا (تشابه جزئي) Analogy على الاختلافات بين نظرية الأسواق Theory Of Markets و نظرية الشركات Theory Of The Firms في تخصص علم الاقتصاد الجزئي[1]، و هنا نلمس توافقا مهما من حيث التوضيح المنهجي لجملة الاختلافات بين كل من "والتز" و "فريد زكرياء" بإعتبار هذا الأخير مثال لأحد الباحثين الذي يحاول بدوره بناء نظريات للسياسة الخارجية ، واصفا بذلك وجهة نظر "والتز" و متفقا معه على أن نظرية السياسة الخارجية تشرح نوايا و أهداف الدول ، و كذلك الاتجاهات فيما يتعلق بكيفية مواجهة الدول للبيئة الخارجية ، دون الحديث عن النتائج ، وذلك لأن نجاح جهود الدولة يعتمد على البيئة الخارجية ، لاسيما الأهداف و قدرات الدول الأخرى[2].

"Theory of foreign policy explains the intent and objectives of states, as well as Trends with respect to how states the external environment, but does not speak of outcomes. This is so because whether a state's efforts are successful depends on the external environment, particularly the objectives and Capabilities of other countries'

إذًا من خلال الإقرار التوافقي بين كل من "والتز" و "فريد زكرياء" حول مضامين نظرية للسياسة الخارجية بما يؤكد تلك الاختلافات القائمة بدورها بين المجالين المذكورين ، و يتيح فرص تنظير جديدة تثري حقل التنظير للسياسة الخارجية ؛ بدل الاهتمام و التركيز ضمن دائرة حقل العلاقات الدولية على السياسة الدولية فحسب ، بما يعني التركيز بصورة أو بأخرى على إقحام افتراضات النظريات العامة أو الكبرى كالواقعية البنيوية أو الهيكلية في تحليل و فهم مجريات السياسات الخارجية للدول ؛ فإن نظرية السياسة الدولية تشرح الظواهر التي تحدث بشكل متكرر، و كذا الأنواع الأساسية من السلوك مثل الحدوث المستمر للحرب ، و الثبات الظاهر لتوازن القوى أو تغير القوى المهيمنة على النظام الدولي ، أما نظرية السياسة الخارجية من ناحية أخرى فهي تشرح دوافع و سلوكيات دول معينة، على سبيل المثال ، دراسة تحت أي ظروف تشكل دولة ما تحالفا (تبني تحالفا) أو عندما تختار التوسع ، و منه تعتبر نظرية السياسة الدولية بمثابة النظرية الكبرى أو العامة، في حين أن نظرية السياسة الخارجية تعتبر بشكل أكثر دقة نظرية المدى المتوسط أو النظرية المحلية، و التمييز عبر هذين الحقلين يعكس في الواقع الاختلافات بين ما تحاول كل نظرية تفسيره[3].

---

[1] Ibid. pp 117-118.

[2] **Fareed Zakaria**, From Wealth to Power: The Unusual Origins of America's World Role (Princeton, NJ: Princeton University Press, 1998), p.14.

[3] **Liu Feng , Zhang Ruizhuang**,op.cit.

في الحقيقة ، منظرو العلاقات الدولية المؤسسين للنزعة التفسيرية أمثال "والتز" و "مورغانتو " و "جيلبن" و على الرغم من مشاركاتهم الفعالة في تطوير النظريات الكبرى أو العامة – كنظريات للسياسة الدولية– وشرحهم للظواهر الكبرى المهمة في النظام الدولي ، فإن ذلك لم يمنعهم من التحليل و التقييم و توقع طبيعة السياسات الخارجية للدول، كما أن ذلك لم يمنع النقاد أيضا من جهة أخرى من أن يقللوا من شأن القدرة التنبؤية للنظرية الواقعية البنيوية مثلا ، و المنسوبة لـ"والتز" لمرحلة ما بعد الحرب الباردة ، حينما اختل ميزان القوى لصالح الولايات المتحدة على مستوى هيكل القوة للنظام الدولي ، غير أنه و بعد اختلال ميزان القوى لتلك المرحلة ، القوى الكبرى لم توسع قواتها العسكرية و لم تحشد مواردها و قدراتها لتشكيل تحالفات للحيطة ضد قوة الولايات المتحدة (بغية استعادة التوازن)، و على هذا الأساس فإنه لا سبيل لنظرية توازن القوى البنيوية (الهيكلية) لشرح أو توقع السياسة الدولية في فترة ما بعد الحرب الباردة أو حتى أعمال الدول و توجهاتها لنفس الفترة[1].

في الواقع ، و بالنظر إلى الاختلافات المنهجية بين نظرية السياسة الخارجية و نظرية السياسة الدولية، تصبح الانتقادات الموجهة لنظرية "والتز" البنيوية غير مؤسسة ، ذلك بأن نظرية توازن القوى هي نظرية بنيوية هيكلية ، كما أن التوازن لا يعتمد على التوازن الواعي بأنشطة الدولة الفردية ، و بدلا من ذلك فإن نظرية "والتز" تتنبأ بذلك التوازن القائم بين القوى على أنه ظاهرة شائعة باستخدام التحليل الهيكلي للنظام و ليس تحليلا على مستوى الوحدة ، كما أن للدول استراتيجيات توازن ، ذلك أنها ستقوم دوما بنشر استراتيجيات متنوعة لبقائها على قيد الحياة ، و أحيانا توظيف استراتيجيات التوازن في أوقات أخرى للتوافق مع قوة كبرى ، بحيث نوع معين من الإستراتيجية التي يتم نشرها يعتمد بدوره على الظروف القائمة و من خلال ذلك فإن نظريات "والتز" البنيوية لا تهدف إلى التنبؤ بالنتائج الفردية على المستوى المحلي و بدلا من ذلك يتم التركيز على الاتجاه نحو توازن القوى في النظام الدولي إجمالًا.

> ***Colin Elman**, who counters waltz by arguing that neo-realism should not pigeon hole itself as theory of international politics. Using a colorful analogy, he argues that the neo-realist 'horse 'should be let to run on both the course of theory of international politics as well as the course of theory of foreign policy, regardless of whether it wins or loses. Waltz countered by arguing that his old horse absolutely cannot run on the course of theory of foreign policy, and if it tries, it is certain to lose'*

رغم الإقرار السابق بالاختلافات المنهجية بين مجال دراسة السياسة الخارجية و مجال دراسة السياسة الدولية ، إلا أن بعض العلماء يثيرون اعتراضات على هذا التمييز بين النظريتين ، بحجة أن الاثنتين ليستا

[1] Ibid.

متميزتين (متمايزتين) تماما ، هؤلاء العلماء يعتقدون أن نظرية واحدة يمكن أن تفسر كل من الظواهر الدولية الواسعة و كذا سلوك الدولة الفردي و ممثل هذا الرأي هو "**كولن إلمان Colin Elman** " ، و الذي يعارض "**والتز**" من خلال الجدال أن الواقعية الجديدة لا ينبغي أن تطغى (تهيمن) بنفسها كنظرية للسياسة الدولية وذلك باستخدام "تشبيه ملون" **Colourful Analogy** ، يجادل بأن "الحصان" الواقعي الجديد ينبغي السماح باستعماله (تشغيله) على كل من مسار (مضمار) نظرية السياسة الدولية على نحو ما ، فضلا عن مسار (مضمار) نظرية السياسة الخارجية ، بغض النظر عما إذا كان سيفوز أو يخسر، ورد عليه "**والتز**" بحجة أن "حصانه" القديم لا يمكن أن يديره قط في سياق نظرية السياسة الخارجية ، وإذا حاولت فمن المؤكد أن تخسر[1].

يضيف كل من Zhang " Ruizhuang ", و Liu Feng " بأن حجة "كولن إلمان" في هذا الصدد "**لا تبدو حجة غير معقولة**" ' Does Not Seem So Unreasonable '، لا سيما إذا ما كان هدفها الأصلي هو تطوير أجندة أبحاث الواقعية الجديدة و توسيع المساحة التي هي قادرة على شرحها و التنبؤ بها ، و للتعمق أكثر في موضوع المناقشة هذا ينبغي –حسبهما– التطرق إلى توضيح الفرق بين "بناء النظرية "و "تطبيق النظرية" ذلك بأن بناء النظرية يهتم بإيجاد و توضيح الأنماط التجريبية ، و البحوث التي تركز على الأنماط نفسها.

أما تطبيق النظرية من ناحية أخرى؛ يتألف من استخدام النظريات الموجودة مسبقا لتحليل حالات خاصة ، تركز البحث على جانب معين أو حالة معينة من هذا النمط، و استطرادًا للموضوع ؛ يقدم كل منهما مثالا جيدا في ذلك ، على أنه بالإمكان استخدام الواقعية البنيوية لتحليل تغير العلاقة الثلاثية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي (سابقا) و الصين خلال ستينيات و سبعينيات القرن الماضي، مؤكدين على أنها – كنظرية للسياسة الدولية – بالإمكان أن تخبرنا عن شيء محدد الاتجاهات و الأسباب العميقة لتعديل السياسة الخارجية الصينية و التقارب بين الصين و الولايات المتحدة خلال تلك الفترة ، فالعلاقات المتغيرة بين الدول الثلاث تتناسب مع النمط العام المتوقع من خلال نظرية توازن القوى ، أن هذه التغييرات ناتجة عن التحول في توزيع القوة الذي يحدث في ذلك الوقت، ومع ذلك فإن الواقعية البنيوية فلا سبيل لها لتوضيح الحركات المفصلة (الحركية و النظامية ، الفصل الأول) أو تعديلات السياسة أو عملية الانحياز التي حدثت خلال "ارتفاع درجة حرارة العلاقات" بين الصين و الولايات المتحدة، كما لا يمكنها تحديد الجدول الزمني المحدد وفقا لذلك و التي

[1] للإطلاع أكثر حول مضامين هذا النقاش أو الحوار و تبين معالجة العلاقة ابين الواقعية الجديدة و تحليلات السياسة الخارجية، أنظر:
Colin Elman, 'Why Not A Neorealist Theory Of Foreign Policy?' Security Studies, vol. 6, no. 1 (1996), pp. 34–7; **waltz**, 'International Politics Is Not Foreign Policy,' Pp. 52–5; **Colin Elman**, 'A Response To Waltz,' Security Studies, vol. 6, no. 1 (1996), pp. 56–9; Shibley Telhami, 'A Essay On Neorealism And Foreign Policy,' In Hanami, Perspectives on Structural Realism, pp. 105–18. **Quoted from:** Liu Feng, Zhang Ruizhuang, Op.Cit.

سوف تصل علاقتهم من خلاله في نهاية المطاف إلى التطبيع، مما يحيلنا إلى الاعتقاد بأنه "من أجل فهم أكثر تفصيلا للسياسة الخارجية للدولة؛ يجب التحقيق في عوامل أخرى تتجاوز توزيع القوة" [1]، وهو ربما قد يعتبر مثال جيد لتبرير رفض أو معارضة "والتز" لإقحام "حصانه" الواقعي الجديد ضمن لعبة تفسير السياسة الخارجية بنيويا ، على أن بنية أو هيكل النظام الدولي كان مقيدا كما أنه ليس عاملا حاسما في سلوك الدولة، مع أن الضغط البنيوي للنظام أكد آثاره عبر التحليل من خلال المنافسة والتكيف بين الدول مما تسبب في وجود دول ذات مستويات متماثلة للقوة للاتجاه نحو نفس أنواع السلوك على المدى الطويل، فقط في ظل ظروف نادرة جدا يمكن أن يكون لبنية النظام الدولي أثر في تحديد عوامل سياسة خارجية معينة أو السلوكيات الخارجية للدول ، و عموما فإن ضغط بنية أو هيكل النظام الدولي و السياسة الخارجية للدول نواتج أو مخرجات بوساطة العوامل المحلية (و بالنسبة لموضوع بحثنا هنا ، يمكن اعتبار تحليل و بحث دور و رؤية و أثر فكر النخبة السياسية الروسية في تحديد توجهات و أولويات السياسة الخارجية الروسية، – المبحث الأول– باعتبارها مكون أو عامل محلي إضافة مهمة لفهم مدى واقعية هذه الأخيرة تجاه المنطقة العربية .

من جهة أخرى، يضيف كل من Liu Feng و Zhang Ruizhuang، أنه من أجل أن تتمكن النظرية من القيام بإعطاء أوصاف صحيحة وتنبؤات دقيقة حول السياسة الخارجية الخاصة للدول في نقاط زمنية محددة، يجب أن تكون العديد من المتغيرات الإضافية قد أخذت بالاعتبار، أي أنه يجب علينا المشاركة (الانخراط) في بناء النظرية وليس تطبيقها فقط، ومع ذلك، فإن إدخال تلك المتغيرات الإضافية (المحددات الداخلية وغيرها..) لن يحد أو يقلل من بخل (قصور) النظرية ذاتها، بقدر ما سيزيل ويحد من قدرتها على التعميم كنظرية السياسة الدولية، ومنه فإن الواقعية البنيوية هي نظرية للسياسة الدولية والأداة التي يمكننا استخدامها للمساعدة في فهمنا للسياسة الخارجية، ومع ذلك لا يعني أنها نظرية للسياسة الخارجية.

رغم المعارضة المنهجية الصريحة التي أقامها "**والتز**" على نظريته البنيوية (**حصان والتز حسب "كولن إلمان"**) ، فإن تلك المعارضة نفسها تنطوي على عيب الحد من قدرة النظرية على التطور خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية للدول، و في هذه المسألة تحديدا ، يقترح كل من Liu Feng , Zhang Ruizhuang عوامل تحليلية جديدة بحيث لا تمس بجوهر برنامج البحث النظري للواقعية البنيوية باعتبارها نظرية على مستوى النظام أولا كما أن المتغير الأساسي لها هو "توزيع القوة" ثانيا ، لذلك يجب ألا تتعلق تلك العوامل التحليلية بإضافة متغير على مستوى الوحدة (وحدة التحليل) أو استبدال توزيع القوة بتوزيع الهوية مثلا ، فهي مكونات مركزية للواقعية الهيكلية ، و أي تغيير على مستواها يعد إخراجا للنظرية البنيوية عن مسارها البحثي

[1] **K. Waltz**, 'International Politics is not Foreign Policy', p.57.

الطبيعي، "... و مع ذلك ، إذا باستطاعتنا اكتشاف أنماط تجريبية جديدة لسلوك الدولة و لتفاعلات السياسة الخارجية بين الدول أو النتائج الدولية التي تتأثر بها الظواهر، و إذا كان لا يزال بوسعنا شرحها من حيث هيكل القوة **(بنية القوة)** ، هذا لن يغير الاهتمام الأساسي للواقعية البنيوية ، و بدلا من ذلك ، هو امتداد صحيح للنظرية الأصلية وطريقة لأخذ الواقعية البنيوية و تطويرها من نظرية أساسية واحدة إلى بحث شامل..."[1]، و في السياق نفسه نجد ادعاءً مهماً – من قبل الباحثيْن– مفاده أن أبحاث السياسة الخارجية مجال لم تكن فيه سوى نظريات قليلة اكتشفت، ذلك أن المناقشات في هذا المجال تركز أكثر حول بحث الأساليب و الأطر التحليلية و الاستراتيجيات التي ينبغي تطبيقها في أبحاث السياسة الخارجية ، مثلا في الجامعات الغربية، هناك دورات و مقررات و دروس في ذلك ، من خلال التوجه أو الميل على الحصول على عناوين مثل "تحليل السياسة الخارجية" **Foreign Policy Analysis** بشكل عام، ذلك أنه في واقع الأمر متى يتحدث المرء عن نظرية السياسة الخارجية يفهم على أنها "نظرية" – فقط– بالمعنى الأعم.

بالرجوع في الواقع ، إلى موضوع بحثنا في جزء مهم منه حول" تفسير و اختبار مدى واقعية السلوك الخارجي الروسي تجاه المنطقة العربية لفترة ما بعد الحرب الباردة "فترة حكم بوتين"، فإننا سنصطدم مؤقتا بمعارضات "والتز" النظرية ، لكن على ما يبدو أن الجديد في الموضوع – على حد مناقشة "كولن إلمان" و كاتبي هذا الفصل كل من Liu Feng و Zhang Ruizhuang – يتمثل في بناء تلك العلاقة العارضة القوية التي يمكن أن تنشأ بين الأسباب الهيكلية (البنيوية) للنظام الدولي و السياسة الخارجية الروسية ، مع وجود صعوبات منهجية قائمة أصلا ، ذلك أن صعوبة خلق النظريات في أبحاث السياسة الخارجية تنشأ عن اثنين من العوامل: **أولًا** ، عندما يبحث العلماء في السياسة الخارجية فإنهم يميلون إلى التركيز على عملية أو نتيجة سياسة محددة ، و التي تؤدي إلى المتغيرات لتصبح محددة السياق ، مناسبة فقط للبحث عن حالة معينة ، و **ثانيًا**، أن العديد من العوامل المختلفة على مستويات مختلفة تؤثر على عملية اختيار السياسات، و صناعة و اتخاذ القرارات و تنفيذها، و لكن النظرية لا يمكن أن تكون ببساطة وصفا لجميع تلك العوامل ، و بدلا من ذلك ، يجب أن تنظر في منطق العلاقة بين العديد من المتغيرات المختلفة مع التقاطها (استخلاصها) بشكل سلس ضمن نظام مع منطق صعب (قوي أو ضيق)[2].

> *"...It Must Consider The Logic Relationship Between Many Different Variables And Opportunely Distill Them Into A System With Tight Logic".*

[1] **Liu Feng, Zhang Ruizhuang**, op.cit.

[2] Ibid.

داخل المدرسة الواقعية فرع رئيسي يهتم فعلا ببناء نظريات السياسة الخارجية ، هو " الواقعية الكلاسيكية الجديدة Neo-Classical Realism على حد وصف "Gideon Rose " ، و يعتبر كل من "راندال شيفلر" و "فريد زكرياء" و "وليم سي وولفورث"، و "توماس ج .كريستنسن" ممن يقومون بالأبحاث داخل هذا الفرع ، غير موافقين على أن هناك حاجة إلى الفصل بين المكونات الداخلية و الخارجية في تحليل السياسة الخارجية للدولة ، كما أنهم لا ينوون بناء نظرية عامة مع احترام السياسة الدولية ، بدلا من ذلك ، فإن همهم الأساسي هو شرح و توضيح السياسة الخارجية لدولة معينة ، و كذا الاهتمام بالسياسات و السلوكيات مثل الإستراتيجية الكبرى، السياسة العسكرية، السياسة الدولية الاقتصادية و الاتجاهات و التحالفات و إدارة الأزمات.

إذًا : من المبادئ الأساسية للواقعية الكلاسيكية الجديدة اعتبار السياسة الخارجية نتيجة للتفاعل المعقد بين بنية النظام الدولي و العوامل المحلية ، ذلك أنه رغم قوة الدولة كوحدة أساسية و رغم مواقف الدول في النظام الدولي كعوامل محددة لاختيار السياسة الخارجية ، في الوقت نفسه العوامل المحلية يمكن أن تؤثر هي الأخرى في التوجهات و السياسات الخارجية للدول ، و عموما فإنه بغض النظر عن ما كان المرء ينظر داخل المدرسة الواقعية أو الليبيرالية أو البنائية هناك اعتراض حول الفصل ما بين "**النظام و الوحدة**" و "**البنية و العملية**" ‘System and Unit’ And ‘Structure and Process ، و القيمة التي تحظى بها الواقعية الكلاسيكية الجديدة ضمن هذا السياق هو اهتمامها بمعالجة كيفية بناء جسر بين الجانبين و إقامة مستويات متعددة، لكن نظرا لعدم توافر إمكانية العثور على متغير توضيحي مركزي على مستوى الوحدة (الدولة) حتى الآن ، فإنه من الممكن فقط إجراء تحليل حالة للسياسة الخارجية لبلد واحد، و التي تفتقر إلى التعميم ، فالنيوكلاسيكية الواقعية ليست بعد برنامج نظري موحد ، إضافة إلى أن العديد من العلماء وضعوا مجموعة واسعة من المتغيرات على المستوى المحلي مثل النوايا الوطنية ، معرفة صانعي السياسات ، و البنية السياسية الداخلية ، و التوازنات الهجومية/الدفاعية ...، و يبقى البحث دوما عن المتغير التوضيحي المركزي الأكثر تأثيرا ، هو **هدف البرنامج البحثي و التنظيري في حقل السياسة الخارجية المعرفي** ، ومع ذلك يمكن خلق أو إيجاد تصاميم بحوث و مشاريع بحثية تجريبية أكثر ملاءمة ، فالواقعية الكلاسيكية الجديدة أخيرا بالإمكان فعلا أن تبقى قادرة على أن تكون ذات قوة إقناع أكبر كنظرية تفسيرية[1]، (يمكن للإيضاح أكثر الاستعانة بالرسم البياني المدرج في نهاية الفصل) ؛ و هذا الإقرار المنهجي من شأنه هو الآخر أن يكون على أقل تقدير بالنسبة لموضوع بحثنا ؛ بمثابة النواة الأصلية التي ينبثق عنها منهج تحليل متماسك للسلوك الخارجي الروسي تجاه المنطقة العربية

[1] Ibid.

خاصة ما تعلق منه بالقدرة على إسقاط افتراضات المدرسة الواقعية و الواقعية المشروطة **(كمقاربة تلطيف)** على واقع نظامية و حركية الفاعل (روسيا) من ناحية **امبريقية.**

الفرع الثاني: الفكر الواقعي الكلاسيكي: بحث الخلفية الفكرية وقراءة الافتراضات والأسس

يشير السياق التاريخي للتنظير في حقل العلاقات الدولية إلى أن افتراضات الواقعية الكلاسيكية كأول محاولة تنظيرية في العلاقات الدولية بنيت أساسا على خلفية إسهامات المفكرين الواقعيين الأوائل أمثال "ثوسيديدس" Thucydides (400-471ق .م) في مؤلف "**الحرب البولوبونيزية**" " (The Poloponnesdian War) و "نيكولاميكيافيلي" ((Niccollo Machiavelli)) (1469-1527م) في كتاب الأمير The Prince ، و"توماس هوبز" 1588-1679م في(Leviathan) و"هيقو غرو تيوس" Hugo Grotius"(1583-1645) في عدة مؤلفات، مثل" **قانون الحرب و السلم**" Law Of War And Peace و Law Of Prize And Pook [1]

من أهم و أبرز رواد الواقعية الكلاسيكية الأوائل ، "هانس مورغانتو" Hans Morgenthau من عنوان كتابه الشهير السياسة بين الأمم Politics Among Nations والذي يضع الدولة من خلاله في مركز العلاقات الدولية[2]، إضافة إلى إسهامات "راين هولد نايبور" الذي يتصور أن الدول مثلها مثل البشر تمتلك رغبة فطرية في السيطرة على الآخرين بما يقود هذه الدول نحو التصادم والحروب، وبذلك، فإن "مورغانتو" عمل على إبراز فضائل نظام توازن القوى التقليدي المتعدد الأقطاب، وهو يرى بأن نظام الثنائية القطبية الذي برزت فيه الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي يحمل العديد من المخاطر.[3]

يعتمد المنظور الواقعي عدة منطلقات في فهم مسار العلاقات الدولية باعتبار السياسة الدولية صراعا من أجل القوة والمصلحة القومية، وأنها تأخذ معنى "**القوة**"، وهي تركز على نظرية توازن القوى في إحلال السلم والأمن وعدم الاعتماد على القانون الدولي والمنظمات الدولية، إضافة إلى التأكيد على مسألة الأمن القومي بالنسبة للدولة.

---

[1] للاطلاع أكثر يمكن مراجعة الفصل المحقق لـ " **Timothy Dunne**» بعنوان "**الواقعية**" إضافة إلى الفصل الآخر لـ " **Stev Smith** "**مقاربات جديدة للنظرية الدولية**" في: **ستيف سميث،جون بيليس** ،عولمة السياسة العالمية، مرجع سبق ذكره.

[2] **سمير أمين وآخرون**، العولمة و النظام الدولي الجديد، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى 2014) ، ص 114.

[3] **ستيفن وولت** ،"العلاقات الدولية :عالم واحد . نظريات متعددة"، ترجمة عادل زقاغ، في: علم السياسة والعلاقات الدولية، قراءات عالمية، المجلد1، العدد1، خريف 2005، ص 3.

وعلى خلاف المثالية، فإن الواقعية الكلاسيكية استندت إلى عنصر الدولة كمنطلق لفهم تغير المصالح الدولية[1]، كما أنه رغم تعدد طروحات وأفكار دعاة المدرسة الواقعية أمثال "**نيكولاس سيبكمان و**"**ريمون آرون**" و"**مورغانتو**" و"**كينيث طومبسون**" و"**هنري كيسنجر**"، إلا أن "مورغانتو" يعتبر أوضح من دافع عن المدرسة الواقعية ، فقدم في كتابه (السياسة بين الأمم) مبادئ عامة صارت أساس الواقعية المعاصرة، وهي أدل على تشديد المنظور الواقعي على فكرة مركزية الدولة في الشؤون السياسية الدولية من خلال فكرة المصلحة، كونها حسب "مورغانتو" وسيلة أو أداة رئيسية لتحليل السياسة الدولية عبر الزمان والمكان ، ، وبالتالي لا يمكن تصور أي تطابق للقيم العامة في العالم مع قيم دولة معينة، كون السياسة الدولية تهدف إلى المحافظة على القوة، أو زيادة القوة، أو التظاهر بالقوة[2].

ما يؤيد طبيعة الطرح الواقعي(مركزية الدولة في العلاقات الدولية)، هو أن المنظور الواقعي يؤسس تفسيراته للسياسة الدولية على ثلاثة عناصر متضمنة منطق القوة، هي[3]:

1- دراسة عناصر الدولة والمتمثلة في الإقليم والشعب والسيادة.

2- سياسة القوة والتي تبرز تناقضا جوهريا بين المجتمع الدولي والمجتمع المحلي، فالمجتمع الأول يعاني الفوضى نتيجة غياب سلطة موحدة تمتلك وسائل القوة، أما المجتمع الثاني فهو مجتمع كامل ومنظم.

3- عوامل القوة: عوامل قوة الدولة متعددة ومتنوعة، وهي تشمل العوامل المادية وغير المادية، عوامل طبيعة وعوامل اجتماعية، وهي تشمل الموقع الاستراتيجي، السكان والموارد الطبيعية، ونظام الحكم ومؤسساته، ثم الوحدة الوطنية والتطور التكنولوجي والرأي العام وعامل الدبلوماسية ومستوى التسليح.

وفي سياق فكرة مركزية الدولة وفاعليتها، تتحقق جملة من الدعامات الواقعية لكل من "ريمون آرون" و"هنري كيسنجر"، فحسب "ريمون آرون" يعتبر عامل القوة أساسا وقاعدة رئيسية للعلاقات الدولية، وهو بذلك يسعى إلى تبرير شرعية استخدام القوة، وهذا من خلال قوله:"لقد بحثت عما يشكل خاصية أو خصوصية العلاقات الدولية، وأعتقد أنني لمست ذلك في مشروعية وشرعية استخدام القوة من طرف الممثلين، والممثلون هم ممثلي الدولة ممن يقبضون على السلطة"[4].

في الواقع، المقاربة التحليلية الفكرية المشتركة بين تصور "مورغانتو" و "ريمون آرون" ؛ تتضح حصرا من خلال اعتبار "هانس مورغانتو" الدولة مركزا للعلاقات الدولية مثل فاعل رئيسي، وبعد ذلك نشر ريمون

---

[1] **عدنان السيد حسين**، نظرية العلاقات الدولية، (بيروت: دار أمواج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2003)، ص 52.

[2] نفس المرجع، ص 53.

[3] المرجع نفسه، ص 55.

[4] **سمير أمين وآخرون**، المرجع السابق الذكر، ص114.

آرون في عام 1982 كتاب: السلم والحرب بين الأمم Paix Et Guerre Entre Les Nations ، ولم يستبعد نفس المفهوم من خلال قوله: "العلاقات الدولية كما يظهر من تعريفها أنها علاقات بين الأمم... في صيغة العلاقات الدولية، فالأمة تعادل أية جماعة سياسية منظمة على المستوى الإقليمي، نقول مؤقتا أن العلاقات الدولية مجرد علاقات بين وحدات سياسية"، و حسبه فإن السفير و الجندي يعيشان ويجسدان العلاقات الدولية التي باعتبارها "بين– دولتي" و التي تؤول إلى الدبلوماسية و الحرب... ، كما أن العلاقات بين الدول تتضمن في جوهرها خياري الحرب و السلم[1].

من بين المبادئ الواقعية لـ"مورغانتو"؛ اعتبار فكرة (**القوة = المصلحة**) ذات معنى غير ثابت، ففي عالم تسعى فيه دول ذات سيادة إلى امتلاك المزيد من القوة، فإن السياسة الخارجية لكل الدول يجب أن تكون قائمة على اعتبار عامل بقائها هو الحد الأدنى من أهدافها، وكل الدول مضطرة لحماية كيانها المادي والسياسي و الثقافي ضد اعتداءات الآخرين(كمثال صريح في ذلك حول روسيا ؛ تجسد فكرة "الروسوفوبيا" ضمن توجهات بعض أطياف النخبة الروسية السياسية)، و هكذا تصبح المصلحة الوطنية هي البقاء الذي يعني وحدة أراضي الدولة و مؤسساتها السياسية و ثقافتها، وطالما العالم مقسم إلى وحدات وطنية قومية، فان المصلحة الوطنية هي خاتمة المطاف في عالم السياسة، و المصلحة هي جوهر السياسة[2].

يؤكد "مورغانتو" على ضرورة سعي الدولة إلى تحقيق أمنها القومي ومصلحتها الوطنية، و ضمان استقلاليتها السياسية و الاقتصادية و الثقافية عن باقي الوحدات السياسية الأخرى في العالم السياسي، هذا ما نلمسه فعلا في توجهات روسيا الخارجية و تنافسها مع القوى الدولية الأخرى ؛ أما "هنري كيسنجر"، و من حيث تتبعه دبلوماسية القوى الأوروبية بين عامي 1812–1822 ، توصل إلى جملة من المبادئ الرئيسية من أجل تحقيق نظام مستقر و متوازن في أوروبا، و من بين هذه المبادئ والتي تخدم فكرة "الدول فاعل عقلاني و وحيد في العلاقات الدولية"، مبدأ قدرة الدول **(الوحدات السياسية)** على استخدام وسائل محددة لتحقيق أهداف محددة، وأنه لا يجب أن تجبر دولة على تقديم استسلام غير مشروط، كما لا يجب أن تحذف الدول التي تهزم في حرب محدودة من النظام الدولي .

نجد من بين الواقعيين غير المتفقين كلية مع أفكار بعض الواقعيين الآخرين، "**آرنولد وولفرز**" الذي يؤكد الفكرة السابقة **(الدول فواعل عقلانية و وحيدة)** ، و ذلك من خلال اعتبار مفتاح دراسة العلاقات الدولية

---

[1] نفس المرجع، ص 114.

[2] **جيمس دورتي**، روبرت بالستغراف، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، ترجمة وليد عبد الحي، (بيروت: كاظمة للنشر و الترجمة و التوزيع، ط 1985)، ص 70 .

هو سلوك الدول، التي تشتمل على تجمعات منظمة من الأفراد، ذات أهداف داخلية مثل الاستقلال القومي والبقاء و وحدة الإقليم، وأهداف خارجية تستدعي أسلوب "**التأثير**" على البيئة الدولية.

إذاً تتلخص طروحات المنظور الواقعي الكلاسيكي في جملة نقاط مركزية أهمها:

- الدور المركزي للدولة باعتبارها منشئة لمجتمع مدني على المستوى الداخلي، وكذا الوسيط الوحيد له في المستوى الخارجي (أي على مستوى السياسة الخارجية).
- الدولة هي الفاعل الوحيد في اللعبة الدولية.
- اعتبار سيادة الدولة حجر الزاوية في أي بناء سياسي.

تبعا لهذه الطروحات والصور الافتراضية، فإن"**روبيرت كيوهان**" يحدد ثلاث فرضيات رئيسية للواقعية الكلاسيكية في منتصف القرن العشرين:

- **الدول هي أهم فاعل في السياسة الدولية.**

> ***"States Are The Most Important Actors In World Politics "***

- **الدول هي الفاعل الوحيد والعقلاني بالرغم من أنها تدار تحت ظروف من التوتر وعدم التأكد من المعلومات وعدم اكتمالها.**

> ***" States are unitary rational actors, While Is Operating Under Conditions Of Stress, Uncertainty, And Imperfect Information"***

- **الدول تبحث عن القوة وتحسب مصالحها على أساس القوة.**

> ***"States Seek Power and Calculate Their Interests In Terms Of Power"***

تعتبر الدولة في شكلها الحديث وحدة سياسية فاعلة داخل النظام الدولي، و كما يرى معظم منظري العلاقات الدولية فإن عملية فهم وتحليل السياسة العالمية تقوم أساسًا على ضرورة فهم طبيعة العلاقات بين الدول كوحدات أساسية؛ **تحظى بموقع ملحوظ لا يمكن تعديه في القرن العشرين**. و**في نفس السياق**، تقر الواقعية الكلاسيكية بأن الحل الأفضل لمشكلة غموض الحياة الدولية المستديمة ، يكمن في ضرورة سعي

الدولة نحو تعزيز سيطرتها على البيئة الدولية من خلال التوسيع الدائم لمصالحها في الخارج[1]، مما يدعم فرضية الدولة فاعل أكيد ومحوري في العلاقات الدولية(**كمثال جيد في ذلك ما تقوم به روسيا اليوم من سلوكات خارجية خاصة في منطقة الشرق الأوسط و آسيا الوسطى...**)، كما أن المنظور الواقعي التقليدي يميز في هذا السياق بين "الدولة" بمعنى الحكومة المركزية، و"الأمة" التي تعني ذلك الكيان الأشمل الذي يتضمن الاقتصاد والمجتمع والسكان وتسيطر عليه الدولة بصورة متفاوتة.

تأسيسًا على ذلك، فإن مفهوم الدولة المستقلة ذاتيا –حسب "فريد زكرياء" – تكمن جذوره في ظهور **مبرر الدولة Raison D'état** في القرن السابع عشر، كونها "أكبر من حاكمها وأكبر من التعبير عن رغباته، وهي بذلك تتخطى التاج والأرض والأمير والسكان وأن لها مجموعتها الخاصة من المصالح، ومجموعة خاصة من الضرورات المستندة إليها"، ولهذا يتصور "هينتز أوتو" وهو من بين الواقعيين، أن الدولة ليست مجرد حكومة على الصعيد الداخلي، وإنما قوة ذات سيادة على الصعيد الخارجي .

المطلب الثاني: مقاربات المنظور النيوواقعي البنيوي: مفهوم الامن، القوة، الواقعية المشروطة.

The new structural and realistic perspective Approaches

مقابل المنظور الواقعي الكلاسيكي– التقليدي– تتبلور نظرية الواقعية البنيوية أو الجديدة أو النسقية والتي يتزعمها "كينيث والتز"**Waltz K**، من افتراضاتها الجدلية أنها لا تركز على الطبيعة البشرية في تفسير الظواهر الدولية، و تركز– بالمقابل– على تأثير النظام الدولي، الذي يتألف من مجموعة الدول الكبرى ، كل منها تسعى للحفاظ على وجودها، والنظام الدولي هو النظام المتسم بالفوضى نتيجة غياب آلية ضبط عليا آمرة، ونتيجة غياب سلطة ضبط مركزية ملزمة تحترمها الدول على المستوى الدولي، بما يدفع كل دولة طرف فيه إلى السعي نحو تحقيق مصالحها عن طريق القوة، أو التوسع حسب قدراتها سعيا إلى ضمان بقائها واستمرار وجودها، لذلك يعتقد" كينيث والتز "أن النظام ثنائي القطبية أكثر استقرارًا من النظام متعدد الأقطاب، فالمنظور النيوواقعي يعتبر مفهوم الفوضى ومفهوم توزيع القوى ضمن المكونات الأساسية للنظام الدولي، بما يفسر سر لجوء الدول إلى امتلاك المزيد من القوة، و في الواقع فإن الفوضى تشكل حسب الواقعيين الجدد قيودا قاسية على سلوك الدولة، كما أنها تتطلب أن تنشغل الدول بقضايا أمنها و بقائها .

[1] **فريد زكرياء**، من الثروة إلى القوة: الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى 1999)، ص 46.

إن تطور الحياة الدولية أبرز جملة من التغيرات الجديدة، منها ظاهرة الاعتماد المتبادل، مع ذلك ، نجد "الواقعيون الجدد" يفترضون نتيجة سلبية لهذه الظاهرة، ممثلة في درجة من الانجراحية **Vulnerability**، ومما يقر بضرورة فاعلية الدولة وتمركزها في العلاقات الدولية تأكيدهم وجوب كون الدولة مستقلة أو على الأقل تحاول التقليص إلى أقصى درجة من تبعيتها لدول أخرى ، ذلك أنه من ناحية عملية يعتبر التعاون بين الدول حالة من الصعب تحقيقها، كما هو في الواقع وضع من الصعب بقاؤه بل هو أكثر اعتمادا على عامل قوة الدولة، هذا مع تأكيد سعي الدول نحو تحقيق المكاسب النسبية دون المكاسب المطلقة، و ضمن نفس السياق يسترسل الواقعيون الجدد في طرح الأسئلة التأسيسية مثل ؛ **من الذي يكسب أكثر من التعاون الدولي؟**[1].

على الرغم من الصفة التعديلية التي اكتستها الواقعية الجديدة في نواح عديدة ، و رغم نقاط التماس داخل النقاش الجديد/الجديد **Neo-Neo** [2]، فإن الواقعيين الجدد لا يعتقدون بأن المؤسسات و الأنظمة الدولية قادرة على تخفيف الآثار المتناقضة للفوضى الدولية على التعاون، و في هذا الصدد –**بالعودة إلى موضوع بحثنا**– يمكن اعتبار العقيدة الجديدة لروسيا و مفهوم سياستها الخارجية إقليميا و دوليا خلال فترة "بوتين" مثالا جيدا يعكس سعيها نحو الاستقلالية الاقتصادية و السياسية عن الغرب ، ناهيك عن الاستقلالية القومية، الاثنية و الثقافية).

في الحقيقة، قد تجاوزت المدرسة الواقعية الجديدة **(البنيوية)** المستويين الفردي والوطني في تحليلاتها إلى مستوى بنية النظام الدولي، فهي تتبنى الاعتقاد بأن تفاعلية الدولة في النظام الدولي أساس تشكل طبيعة وبنية هذا النظام، وما يدعم ذلك أكثر اعتراف"والتز" أنه منذ قرون والحياة الدولية هي دوما نفسها رغم تغير الدول في عدة أشكال ، مما يؤكد أكثر بقاء اعتماد الواقعية الجديدة أيضا على الوحدة الممثلة بالدولة في التحليل، و بناء على ذلك يقدم كل من **Paul R.Viotti و Mark v. Rauppi** أهم الافتراضات الأساسية التي تقوم عليها أفكار وأطروحات المنظور النيوواقعي والتي تعتبر بمثابة منطلقات أساسية وهي:[3]

---

[1] **ستيف سميث**، نفس المرجع السابق، ص 361.

[2] يمكن مراجعة النقاط الأربعة التي أشار إليها **Baldwin** و التي تعكس مدى التقارب و التشارك بين منهجي النقاش الجديد/الجديد باعتباره نقاشا مركزيا في الحقل المعرفي للعلاقات الدولية، ينظر في هذا الشأن : **ستيف سميث**، نفس المرجع السابق،ص ص362-363.

[3] **Paul_R._Viotti_Mark_V._Kauppi**, International_Relations_And_World_Politics, 5th Edition, Pearson, 2012.in: http://www.academia.edu/17566799/.

1- الدولة هي الوحدة الأساسية للتحليل: ودراسة العلاقات هي دراسة العلاقات بين هذه الوحدات، وهذا رغم اعتراف الواقعيين الجدد بوجود المنظمات الدولية، الشركات المتعددة الجنسيات وغيرها، أي الاعتراف بوجود فواعل غير الدول، لكنها غير مهمة بنفس درجة أهمية الدول.

2- الدولة فاعل وحدوي **Unitary-Actor** ، ويعتبرونها وحدة مغلفة بقوقعة صلبة لمواجهة العالم الخارجي.

3 - الدولة فاعل عقلاني، أي أن صانعي القرار يختارون البدائل المعظمة للمنافع.

4- الأمن الوطني يأتي دوما في قمة سلم الأولويات، فالأمن العسكري والمسائل الإستراتيجية تمثل -السياسة العليا- **High Politics** ، أما المسائل الاقتصادية والاجتماعية فتمثل السياسة الدنيا **Low Politic** . لذلك فالواقعية الجديدة من بين أهم مبادئها الرئيسية اعتبار الدولة فاعلا رئيسيا في السياسة الدولية، لأنها الوحيدة التي تمتلك أدوات ووسائل العنف المنظم، أما الفواعل غير الدول فهي موجودة فعلا في الساحة الدولية، غير أنها تمثل شكلا جديدا للتفاعل ولكن بآليات جديدة وهذا يتطابق وتصورات "**جون مارشهيمر**" John Mearcheimer " حول كون الفاعلين الاستراتيجيين ضمن الترتيب العسكري الاستراتيجي العالمي؛ يمثلون دوما المحددات الأساسية في التأثير والتحكم في علاقات القوى الكبرى.

مع ذلك ، هناك جملة من الافتراضات و الأفكار المشتركة بين كلا المنظورين ؛ المنظور "الواقعي" و المنظور "الواقعي الجديد البنيوي" (النيوواقعي) ، ذلك أن المنطلقات التقليدية الواقعية تتمثل في[1]:

- العناصر الفاعلة الرئيسية في السياسة العالمية هي الدول.
- الدول عناصر فاعلة ذات سيادة من الناحية القانونية.
- السيادة تعني انعدام عنصر آخر فاعل فوق الدولة يجبرها على التصرف.
- تقع أفعال و سلوكات الشركات متعددة الجنسيات و المنظمات الدولية في دائرة العلاقات بين الدول.
- السياسة العالمية الدولية تعكس في مضمونها الصراع من أجل السلطة بين الدول، و من أجل تعظيم المصالح الوطنية.
- غياب كيان ذو سيادة أعلى من الدولة في السياسة العالمية ساهم بقوة في إيجاد نظام ذاتي العون Self Help System و ذلك من خلال الاعتماد على الموارد العسكرية غالبا.
- القوة تطغى على الأخلاق، والتهديد باستعمال القوة أو استعمال القوة يتفوقان على المبادئ القانونية كالحق في السيادة (الاستقلال). في حين نجد منطلقات الواقعية الجديدة (Neo-Realism)، تتضمن التركيز على أهميـة البنـية Structure [2]، بحيث تعتبر بنية النظام السياسي الدولي (الثنائية أو التعددية) ذات أثر فاعل في

[1] **Timothy Dunne & Brian C.Schmidt**, Realism, In John Baylis & Steve Smith, The Globalization Of World Politics, (Oxford: University Press Third Edition, 2001), P P 162-165.
[2] Ibid.

تصرفات الدول ، و ذلك من منطلق الواقعية البنيوية الثانية [1] بإيعاز سبب الصراع إلى التركيبة الفوضوية للنظام العالمي الذي يحول دون أمراء المقاطعات ذات السيادة أو الدول للدخول في اتفاقات تعاونية لإنهاء حالة الحرب، كما نجد أيضا أن الواقعيين الجدد– في نفس السياق – يولون اهتماما بالغا للقدرات أكثر من اهتمامهم بالنوايا و المدركات الحسية لصناع القرار.

رغم التعدد النظري الواقعي في تفسير وفهم السياسة الدولية أو العالمية، والتي تكشفت نقاط الاختلاف فيما بين توجهاته وافتراضاته ، ونظرا لتلك الخيوط المختلفة التي تسري عبر تقاليد الواقعية الفكرية على حد تعبير "Skinner"، مع تلك الاختلافات بين الواقعية التاريخية والواقعية البنيوية (Structure Realism) ، فمن الممكن التماس أساس مشترك يجمع بين أفكار الواقعيين جميعا على اختلافهم يتمثل في العون الذاتي ونظام الدولة (الدولانية) والبقاء، بحيث الدولة هي العامل والفاعل الرئيسي باعتبارها الممثل الشرعي للإرادة الجماعية للشعب، وأن الأولوية القصوى لزعماء الدول هي ضمان بقاء دولهم، والعون الذاتي (الاعتماد على النفس) مثل مبدأ للعمل ضمن ظروف نظام فوضوي، حيث لا يوجد نظام حكومة عالمية، وتعتبر هذه العناصر الثلاثة مجتمعة زوايا المثلث الواقعي.

إذًا من أجل فهم السياسة العالمية ومن ثم مجموع السياسات الخارجية للدول عبر الافتراضات النظرية الواقعية، ينبغي العمل على فهم مضامين زوايا المثلث الثلاثة.

❶ مذهب الدولاتية: Statism

معنى الدولة ذات السيادة في الفكر الواقعي يرتبط ارتباطا حتميا باستخدام القوة، و حسب تصورات Max Weber ، فإن الدولة هي من يتولى "**احتكار الاستخدام المشروع للقوة الفعلية ضمن منطقة معينة**" أما السيادة فتعني وجود سلطة عليا لإصدار القوانين وتنفيذها، و في المستوى الداخلي فإن الخطة الجوهرية الأولى حسب الواقعيين تعنى بتنظيم السلطة داخليا ، و عليه فإن كل دولة هي دولة السطوة (Mach State) و هو شرط قيام المجتمع ، أما في المستوى الخارجي فإن عامل استخدام أو ممارسة السلطة (**القوة المشروعة**)

---

[1] ينخرط هذا الصنف من أصناف الفكر الواقعي ضمن النظريات العقلانية أو ضمن النقاش الجديد/الجديد (الواقعية الجديدة و الليبيرالية الجديدة)، و الذي برز في الثمانينيات و التسعينيات من القرن الماضي ، و حسب "ستيف سميث" فقد بين **"Ole Waever"** بأن "التوليفة الجديدة –الجديدة" ترى أن الواقعية الجديدة و المؤسساتية الليبرالية الجديدة تركزان على مجموعة مشتركة من المسائل و تتنافسان فيما بينهما للبحث عن النظرية التي بإمكانها أن تقدم الأفضل ، و أنه من المهم أن ندرك بأن هذه التوليفة لم تكن ممكنة لولا وجود تيار واقعي مهيمن تحول إلى الواقعية الجديدة أو ما يسميه " **Timothy Dunne**" بالواقعية البنيوية الثانية و المنسوبة إلى" كينيث والتز" ، للاطلاع أكثر حول هذه النقطة ينظر :ستيف سميث، مقاربات جديدة للنظرية الدولية، في :جون بيليس ،ستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث،(الامارات العربية المتحدة: مركز الخليج للأبحاث ، ط1 2004)، ص ص 364-359.

داخليا يؤدي إلى قيام علاقات خارجية مع دول أخرى ، ليست أشكالا جديدة و لا تنظيمات فرعية مما يخلق نظاما فوضويا يعكس حالة من عدم الإلزام العام نتيجة غياب سلطة ملزمة؛ ما يؤدي بدوره إلى التنافس للحصول على الأمن والمال والنفوذ بعلاقة صفرية (Zero-Sum).

يقر الفكر الواقعي بأن مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة هو في الجوهر "مبدأ معلق" وليست له أية حسابات تذكر بين القوى العظمى والخارج القريب منها [1]، وكمثال جيد هنا أيضا ، توجهات روسيا الخارجية تجاه دول الجوار " الخارج القريب" بغية إعادة استثمار تلك الدوائر باعتبارها مجالا حيويا لها.

رغم أن المعالجة النظرية لمتغير القوة في فهم السياسة العالمية لدى المذهب الواقعي متعددة ومتجذرة ومتباينة من حيث طبيعة القوة المقصودة ؛ والتي لم تتطابق مع مضمون هذا المتغير حقيقة، فإنه ينبغي التركيز في هذا الجانب على ما تراه الواقعية حول عنصر الدولة، فالدول كما ورد لدى الواقعين هي العناصر الفاعلة الوحيدة التي يعتد بها حقا، أما الشركات متعددة الجنسيات والمنظمات الدولية والمذاهب الدينية مثلها مثل باقي الإيديولوجيات جميعا، لكن الدولة تبقى المعلم الدائم من معالم السياسة العالمية الحديثة[2]، فالفكر الواقعي يشكك صراحة في مصداقية العناصر الأخرى غير الدول من حيث مدى تمتعها باستقلالية ما عن سلطة الدولة .

كما يقر الواقعيون بأن مدى ترسخ هوية الدولة لدى هذه العناصر المنفصلة عن الدولة مرهون بأن توغل في نظام دولي تفرضه الدول حكما وقانونا، وقد تأسس الفكر الواقعي متمركزا حول الدولة (بين– دولتي)، كونه اعتبر الدول كيانات جغرافية تتجسد هويتها في إطار من الدم والانتماء، وهي بذلك ليست مجرد أوعية للسلطة، و منه يحدد أمثال "**مورغانتو ونيبور**" مفهوما للدولة بأنها " **الوصية على المجتمع السياسي**" وهي مهمة مرهونة في الأساس بضرورة رعاية المصلحة الوطنية[3].

❷ البقـاء Survival:

من النقاط الرئيسية التي يلتقي حولها جل مفكري الواقعية بمختلف أطيافها فكرة أو **مبدأ البقاء**، فهم يقرون بأن الغاية القصوى للدول هي ذلك السعي المنحصر في الأمن، فالبقاء شرط مسبق لتحقيق الأهداف الأخرى، وهو ما عبر عنه، "**كينيث والتز**": "بعد دافع البقاء، قد تكون الدول متنوعة بأشكال لا نهاية لها"[4]، ونجد ممثل الواقعية التاريخية من خلال كتابه "**الأمير**" The Prince **"نيكولا ميكيافيلي"**، قد سعى إلى جعل انطباعاته

[1] Idem, pp 172-173.

[2] تيموثي دن، الواقعية، في: جون بيليس، ستيف سميث، مرجع سابق الذكر، ص 241.

[3] نفس المرجع، ص 242.

[4] **Timothy Dunne & Brian C.Schmidt**, op, cit.p174.

عن فن البقاء علما قائما في حد ذاته وهو يدعو إلى أن الحاجة إلى البقاء مرهونة بتنصل الزعماء عن الأخلاقيات التقليدية الخيرة والمتعاونة وضرورة التقيد بتلك التي يستدعيها محك التوافق مع الضرورات السياسية.

كما يقر الواقعيون – تأثرا بالامتدادات الفكرية لميكيافليي– بأن ميدان السياسة الدولية يقضي بتطبيق أحكام أخلاقية وسياسية تختلف عن الأحكام المطبقة في ميدان السياسة الداخلية، والحاجة إلى حماية كيان الدولة مهما كانت العواقب حتى لو وصل الأمر حد التضحية بمواطني الدولة أنفسهم، هذا ما يشكل عبئا ثقيلا على كاهل زعماء الدول[1]، كما نجد صياغة للأكاديمي الواقعي "**هينري كسيجر**" للفكرة (البقاء) بقوله: "إن بقاء الدولة هو مسؤوليتها الأولى والقصوى، ولا يمكن المساومة عليها أو تعريضها للخطر)[2].

تتويجًا للانعكاس الكبير لصورة بقاء الدولة كضرورة ؛ فإن الواقعين أنفسهم يخلصون السياسة الدولية كلية من دعاوى إتباع نهج أخلاقي في الممارسة، فالدولة هي الخير الأسمى، وليس هناك مجتمع وراء الحدود، وأن فكرة "مجتمع دولي" **فكرة فجة وغير ناضجة** خاصة مع غياب مشترك ثقافي واحد وغياب المؤسسات المشتركة الكفيلة بالتعبير عن الهوية الجماعية[3].

❸ العون الذاتي: Self-help (الاعتماد على النفس).

تنطوي الفكرة الواقعية (العون الذاتي **Self help**) على العديد من الإثباتات والتجاذبات التحليلية ؛ المحددة لأبعادها كآلية توازن أو تهديد وعدم استقرار في بنية السياسة الدولية" ذلك أن الممثل الرئيسي لفكرة فوضى بنية النظام الدولي" **Kenneth Waltz** يقر بأن السياسة الدولية ليست فريدة بسبب انتظام مسار الحرب والصراع مادام ذلك أمرا مألوفا في السياسة الداخلية أيضا[4] ؛ وهو يقر بوجود فارق مهم في بنية كل من الداخل والخارج، ففي إطار السياسة الداخلية لا يتعين على المواطنين الدفاع عن أنفسهم، وفي النظام الدولي لا توجد سلطة أعلى تمنع استخدام القوة ومواجهتها، وهكذا نتيجة حتمية ، لا يمكن تحقيق الأمن إلا عن طريق العون الذاتي أو الاعتماد على النفس.

غير أنه وفي إطار السلسلة المتصاعدة من حالات "اللا–أمن" أو ما اصطلح عليه "بالمعضلة الأمنية" **Security Dilemma**، تصبح كل دولة في سياق سعيها لتحقيق أمنها (نظرا لمخاوفها)؛ تصبح بشكل أو بآخر

[1] تيموثي دن، المرجع السابق الذكر، ص 243.

[2] نفس المرجع، 244.

[3] Ibid**, op, cit**. pp 174-175**.**

[4] Ibid, pp175-176.

مصدر تهديد لأمن الدولة الأخرى، وللخروج وتفادي المعضلة الأمنية يطرح الواقعيون التاريخيون عرضا و لو للتخفيف من حدة المعضلة وهو تفعيل ميزان القوى ضمن عملية العون الذاتي[1].

في الواقع، انعكاسات وأعراض هذا المنهج الواقعي "**مبدأ العون الذاتي**" في مجالي الأمن والتجارة الحرة اضطرت الليبراليين نحو تبني تلك الأشكال التنظيمية المؤسساتية، التي تسعى إلى الحمائية والسعي نحو إيجاد حلول من خلال إنشاء أنظمة **Regimes** تبحث في وضع نماذج وأحكام ومعايير إجراءات مثل تلك المجسدة في الاتفاقية العامة للتعريفة الجمركية والتجارة **(GATT)** [2] ، هذا مع انتقادات مهمة و أساسية لهذا المبدأ و في جوانب كثيرة.

الفرع الأول: التمييز بين "الأمن" و "القوة" ضمن النقاش الواقعي "البنيوي": نزعة "الهجوميين" و منطق "الدفاعيين"

إذا كان هناك من أبحاث و دراسات عديدة تستأثر بفك الألغاز و الأحاجي على مستوى الحقل المعرفي للعلاقات الدولية ، وهذا من خلال بحث النقاشات القائمة – غير المنتهية على ما يبدو– و المحاورات الكثيفة ضمن لوحة مفاتيح تصورية واحدة متميزة تفسر و تنظر للعلاقات الدولية ، لعالم واحد **One World** من خلال نظريات كثيرة **Many Theories** – على شاكلة عنوان مقال "ستيفن وولت "– فإنه يجوز لنا أن نعتقد تأكيدا أن النظرية الواقعية باعتبارها نظرية للسياسة الدولية ؛ فكر واقعي واحد و افتراضات متعددة ، لذلك يعتبر التمييز بين الواقعية الهجومية (العدوانية) **Aggressive Realism** و الواقعية الدفاعية أحد أكثر أهم المواضيع النقاشية داخل النظرية الواقعية "البنيوية" في وقت مبكر من عام 1991 اعتبارا لما كتبه "سيندر" **Synder** حول " أساطير الامبراطورية " **Myths of Empire** موضحا بذلك التباين القائم بين الواقعيتين الدفاعية و الهجومية، و مضمون النقاش بين هذين الفرعين من الواقعية يتعلق أساسا بنقطة خلاف مركزية داخل المدرسة الواقعية ، و هي تضارب الافتراضات الواقعية بشأن الطريقة التي تميل الدول إلى التصرف بها في سياق الفوضى، و بعبارة دقيقة ، هل تسعى الدول في ظل الفوضى نحو تعظيم الأمن أو القوة، بما يعني التساؤل إذا ما كانت القوة وسيلة أم هدف في حد ذاتها [3].

في الواقع، و في نفس السياق هناك ممن يؤكدون أن الأهداف الأساسية التي تسعى الدول إلى تحقيقها هي البقاء و الأمن، و بالتالي القوة تصبح أداة لتحقيق هدف و ليست هدفا في حد ذاتها و هؤلاء هم الواقعيون الدفاعيون **.Defensive Realists**، بالمقابل فريق من المنظرين الواقعيين يعتقدون افتراضا أن الدول تسعى نحو

[1] تيموثي دن ، المرجع السابق الذكر ، ص 246.

[2] نفس المرجع، ص 248.

[3] **Liu Feng and Zhang Ruizhuang**, op.cit, pp 123-129.

القوة كوسيلة و غاية معا، و هؤلا ء يقبعون بدورهم حقيقة داخل معسكر الواقعية الهجومية، فهم واقعيون هجوميون **Offensive Realists** .

في الواقع كان التيار البنيوي للواقعية– كونها نظرية تحليل العلاقات الدولية –يرتكز على مستوى بنية (هيكل) النظام الذي ينظر إليه على أنه العامل الرئيسي الحاسم المحدد لسلوك الدولة على الساحة الدولية[1]، وكان الموقف البنيوي إزاء العلاقات الدولية مثيرا للاهتمام كونه أداة تفسيرية خلال الحرب الباردة ، مع توافر إمكانات هائلة لتحليل النظام ثنائي القطب ، بما في ذلك أنماط سلوك الكتل و قادتها، و تيار البنيوية من الواقعية في نفس الوقت ساهم في النقاش بين الواقعية الدفاعية و الهجومية ، وكلاهما مرتبط بالنظام ثنائي القطب ، و اقتراح وجهات نظر مختلفة للسياسة العسكرية و السياسة الخارجية للدولة، فبالنسبة للواقعية الدفاعية **Defensive Realism** كان بقاء الدولة هو الهدف الأساسي ، كما أن القوة لم تكن هدفا في حد ذاتها، و الدول في النظام بما في ذلك أقواها ينبغي أن تتبع سياسة معتدلة تتصل بضبط النفس[2]، أما الواقعية الهجومية **Effensive Realism** من جانبها فقد افترضت أن الفوضى الدولية توفر حوافز قوية للتوسع، والدول تسعى إلى تعظيم قوتها النسبية بما في ذلك قدراتها العسكرية [3]، كما تؤكد بأن الدول تميل نحو سياسات عدوانية و مع ذلك فيما يتعلق بخصائصها و سلوكاتها المحلية ، هناك اختلافات كبيرة وجدت في الأدبيات ، فمثلا نجد " **Schweller**" يدعي أنه يمكن أن تكون سمات الدول إما الحفاظ على الوضع القائم أو السمة التعديلية (تغيير الوضع القائم) Status-Quo Or Revisionist وهذا ما يؤدي بتلك الدول "التعديلية" إلى الميل مع القوى العظمى إلى أن يصبح ذلك نوع شائع من السلوك[4].

دومًا، و في نفس دائرة النقاش بين فرعين مهمين من النظرية الواقعية (الدفاعية و الهجومية)، يرى "ميرشيمر" **Mearsheimer** و هو واقعي هجومي ، أنه "لا توجد دول الوضع القائم في النظام الدولي " There Are No Status-Quo States In The International System’، كما أنه من الصعب للغاية إيجاد حالة الوضع القائم في السياسة الدولية ، و هو يحاجج بأن الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي تركت معظم الدول تعاني من عجز أمني و نظرا لذلك فإن أكثر أنواع سلوك الدول شيوعا هو " تمرير الأمور" Buck Passing‘ [5] ، غير أننا نلمس هنا اختلافا في استنتاجات كلا الطرفين كل من "شويلر" و "ميرشيمر" رغم وحدة الافتراضات

[1] **Colin Elman**, “Realism”, Compare **Kenneth Waltz**, “Neorealism: Confusion and Criticism (Guest Essay)”, *Journal of Politics & Society*, 2004, Volume XV, pp. 2-5.

[2] **Jacek Wieclawski, Contemporary Realism and the Foreign Policy of the Russian Federation**

[3]Jeffrey W. Taliaferro, “Security Seeking under Anarchy. Defensive Realism Revisited”, *International Security*, (Winter 2000/01), Vol. 25, No. 3 pp. 128-130.

[4] **Randall L. Schweller**, ‘Neo-realism’s Status-quo Bias: What the Security Dilemma Is?’Security Studies, Vol. 5, No. 3 (1996), pp. 90–121**; &Randall L. Schweller**, ‘Bandwagoning for Profit: Bringing the Revisionist State Back In,. International Security, Vol. 19, No. 1 (1994), pp. 72–107.

[5] **Jacek Wieclawski, op.cit.**

(مضاعفة القوة) ، كما أن "**والتز**" المحسوب على الواقعية الدفاعية ينحاز و يركز افتراضاته بصورة أوضح على فكرة "الوضع القائم" و هو يصف التنافس على الأمن في سياق الفوضى من حيث حالة الطبيعة الهوبزية (**الخوف الهوبزي**).Hobbesian ، و حسب رأيه فإن هناك حالة من نقص الأمن في النظام الدولي ، والدول دائما تشعر بالقلق مع ضرورة احترام وجود الدول الأخرى ، فنظرية "والتز" تعتمد على افتراضات الفوضى وأن الدول تسعى للبقاء ، و مع ذلك ، نجد بأن "شويلر" يثير استفهام جدالي (فرق حرج) يتعلق بمدى (مستوى) رضا كل من طائفة "دول الوضع القائم" و "الدول التعديلية" عن مواقفهم في النظام الدولي ، خاصة إذا ما علمنا بأن معيار خصائص أو سمات الدول، ليس بحد ذاته معيارًا ثابتًا، ذلك أننا نرى دولة ما تؤيد الوضع القائم و تسعى للحفاظ عليه و هذا في وقت ما بينما تسعى إلى تغييره في وقت آخر.

رغم الاقرار من قبل الدارسين لحقل العلاقات الدولية بأن نظرية "والتز" يجب أن تصنف على أنها واقعية دفاعية Defensive Realism ، إلا أن "والتز "نفسه يشير إلى أن الواقعية ليست هجومية أو دفاعية، فكل الدول تستخدم وسائل عديدة للحفاظ على وجودها، كاستخدام الهجوم أو استراتيجية دفاعية يتم تحديدها دائما من خلال السياق المحدد ، و مع ذلك هو لا ينكر أن الدول ستوسع قوتها عندما تسمح الظروف بذلك[1]، من جهة أخرى يعترف "ميرشيمر" بأن الدول ليست كذلك دائما و في كل الظروف التي تسعى فيها إلى زيادة القوة، على الرغم من أن بعض الدول تتبنى الاتجاه بالسعي المطلق نحو القوة، على أن ضغوط النظام الدولي غالبا ما تمنعها من تحقيق أقصى قدر من القوة، **و في النهاية يقر** "**والتز**" **مرة أخرى بأن القوة ما هي إلا مجرد وسيلة يمكن استخدامها**[2]

Power is merely a means that can be employed.

بالعودة إلى إشكالية بحثنا الرئيسية ، مثال آخر مهم يؤكد فعلا وجود علاقة عارضة بين الأنماط الافتراضية للمدرسة الواقعية و النمط التجريبي للسلوك الخارجي لروسيا ، و في الواقع سقوط اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية وانهيار النظام ثنائي القطب أثر بشكل كبير على النظرية الواقعية البنيوية، مما يبين مشاكلها الخطيرة حيال توقع التغيرات السريعة و السلمية للنظام العالمي ، وهو في الواقع يتناقض مع "**كينيث والتز**" حول المواجهة الكارثية للحرب الباردة التي كان عليها أن تنتهي[3] .

ضمن مواجهة مشاكل الواقعية البنيوية مع توقع انهيار اتحاد الجمهوريات السوفياتية ، يشير "ايريك جونــز" Erik Jones إلى أن الواقعية البنيوية فشلت في ملاحظة المحددات الداخلية لتفكك

[1] Ibid.
[2] Ibid.
[3] Ibidem.

الاتحاد السوفياتي[1]، و يشير "ويليام.س.وولفورث" **William C. Wohlforth** إلى أن سقوط الاتحاد السوفياتي لم يكن نتيجة لتراجع في القوة النسبية **Relative Power** السوفياتية فقط ، ولكن أيضا تصور هذا الانخفاض من قبل النخب السوفياتية ، و هكذا ، يبدو أن القدرة التفسيرية للواقعية البنيوية في العلاقات الدولية الديناميكية لفترة ما بعد الحرب الباردة تصادف إشكالية صغيرة ، خصوصا في ما يتعلق بمواجهة الطابع المعقد للسياسة الخارجية لروسيا، وعدم تقبل موسكو لمكانتها الجديدة في النظام ، ضف إلى ذلك تلك المشكلات المنهجية التي نوقشت أعلاه (ينظر الفرع الأول حول محاولة "كولن إلمان" تشغيل "حصان" "والتز" الواقعي القديم على مضمار السياسة الخارجية)، و مع ذلك فإنه من غير المنطقي تصور عجز هكذا نظرية بنيوية بحجم الواقعية عن تقديم اقتراحات افتراضية للإجابة عن أسئلة تتعلق بالسياسة الخارجية ، و كما جرت المناقشة أعلاه فإنه رغم كل تلك العقبات المنهجية ، في الحقيقة ذلك لا يمنع منظري السياسة الدولية ضمن الواقعية من التقييم و التفسير المستمرين لحركة الدول الانفرادية خاصة مع إقحام تحليل العوامل و المحددات الداخلية جنبا إلى جنب مع المحددات الخارجية .

الفرع الثاني: الواقعية المشروطة: "غلاسر" ومقاربة الأمن "المشروط / الأمن الناعم ".

Contingent Realism: "Glaser" and the "Contingent Security / Soft" Approach

ضمن مقالته المطولة بعنوان " الأمن الدولي في حقبة ما بعد الحرب الباردة" International Security In The Post-Cold War Era ، يشير "جون بيليس" إلى أن الرأي القائل : "إن الحرب معلم تاريخي دائم من معالم السياسات العالمية و أنها لا يحتمل أن تزول"؛ هو رأي مبني على المفهوم القائل: "إن الدول تواجه ما كان يدعى بمعضلة الأمن **Security Dilemma** ، التي لا يمكن التخلص منها "، و يضيف بأن أول من أوضح فكرة معضلة الأمن في خمسينيات القرن العشرين هو "جون هرتز"**John Hertz** الذي يقول : "إنها مفهوم بنيوي تقود فيه محاولات الدول للسهر على متطلباتها الأمنية بدافع الاعتماد على الذات، وبصرف النظر عن مقاصد هذه المحاولات ، إلى ازدياد تعرض دول أخرى للخطر ، حيث أن كل طرف يفسر الإجراءات التي يقوم بها الآخرون على أنها تشكل خطرا محتملا[2]، و انطلاقا من هكذا وضع فإن تلك البيئة المتسمة بطابع الأنانية و تغليب المصالح الخاصة لكل طرف على حساب الاطراف الأخرى يولد حالة من الشعور الجماعي بالخوف المتبادل ، كما يؤدي إلى انعدام الثقة بين الدول الأطراف مما يزج بها في دوامة من الأفعال و ردود الافعال ، وكما يقر بذلك كل من "ويلر و بوث " Wheeler And Booth : "إن الشعور بانعدام الأمن يؤدي

[1] **Erik Jones,** "Look for the Blind Spot where Structural Realism Meets Pluralistic Stagnation". *The British Journal of Politics and International Relations*, 2009, Vol. 11, pp. 225-226.

[2] **جون بيليس**، الأمن الدولي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، في: جون بيليس، ستيف سميث، مرجع سبق ذكره، ص 418.

إلى مزيد من الشعور بانعدام الأمن، مما يجعل احتمال قيام الحرب أمرا ممكنا على الدوام"[1] ، و في نفس السياق فإن أغلب الكتاب النظرية الواقعية يؤكدون أننا لا نزال نعيش في عالم (ما بعد الحرب الباردة) يسوده سوء الظن و التنافس الأمني المتواصل ، و صحيح أن التعاون بين الدول قائم، إلا أنه من الصعب تحقيقه، بل إن الحفاظ عليه أكثر صعوبة ، و حسب هؤلاء الواقعيين ، فإن تلك الصعوبة تكون نتاج عاملين رئيسيين أو لهما هو" احتمال الغش "و ثانيهما هو الاهتمام الذي تبديه الدول بما يعرف بـ "**المكاسب النسبية**" [2]

في الواقع ، رواد النظرية الواقعية البنيويين قد نظروا للمعضلة الأمنية على غرار باقي كتاب النظريات الأخرى لحقل العلاقات الدولية أمثال "جون هرتز" و غيره، و بالنسبة لـ "والتز" و" جون ميرشيمر" فإن التعاون قائم في الأصل بين الدول و في أغلب الأحيان، مع توافر فرص لتعاون الدول بعضها مع البعض الآخر أكثر من تلك التي كانت في الماضي ، غير أن هذا التعاون يبقى مهددا بحدود معينة مصدرها خوف الدول من نقض الدول الأخرى لمهاهداتها و اتفاقياتها بما يحقق سبقا على الدول الأطراف الأخرى، و ذلك من خلال عملية الغش The Problem Of Cheating و بوسائل التقانة العسكرية الحديثة ، محدثة بذلك تحولا كبيرا في ميزان القوى بين الدول ، هذا إضافة إلى ميل الدول إلى الاهتمام بالمكاسب النسبية أكثر من اهتمامها بالمكاسب المطلقة مما يصعب أكثر من عمليات التقارب و التعاون بين الدول ليبقى التعاون دائما هدفا يصعب تحقيقه[3] ، مع ذلك ، و رغم ذلك النظرة التشاؤمية للواقعيين البنيويين ، فإن هناك فريق آخر يتألف من بعض الكتاب التفاؤليين– حيال الأمن و التعاون بين الدول– داخل الواقعية نفسها ممن لا يوافقون بصورة مجملة و لا يشتركون مع الواقعيين البنيويين حول مسألة المعضلة الأمنية و صعوبات التعاون بين أطراف العلاقات الدولية أمثال "تشارلز غلاسر" Charles Glaser، إضافة إلى رواد مقاربات جديدة أخرى تعديلية أو تلطيفية للمعضلة الأمنية في العلاقات بين الدول على غرار مقاربة "الفوضى الناضجة" **Anarchy Mature** التي يطرحها "باري بوزان" Barry Buzan.

ضمن المقاربة الواقعية المشروطة ، يشير "**غلاسر**" "أنه خلافا للحكمة التقليدية، فإن النزعة العامة القوية للخصوم في التنافس ليست نتيجة منطقية حتمية للافتراضات الأساسية للواقعية البنيوية"[4]، و هو بذلك يختلف مع الواقعيين البنيويين من حيث بعض الافتراضات ، كونه يقر بتوافر مساحات و فرص للتعاون بين

[1] نفس المرجع ص 419.

[3] نفس المرجع السابق، ص ص 420–421.

[4] نفس المرجع، ص ص 421–422.

الخصوم على أفضل وجه من خلال السياسات التعاونية بدلا من السياسات التنافسية بما يعني تحقيق فكرة الأمن الناعم أو المشروط.

يؤكد "**جون بيليس**" مرة أخرى بأن الواقعيين الشرطيين يجادلون من جهة بأن الواقعية البنيوية " المعيارية" تنطوي على عيوب لثلاثة أسباب رئيسية[1]:

1- أن رواد **الواقعية المشروطة** يرفضون نزعة المنافسة المتأصلة في النظرية البنيوية، كما يرون بأن سلوك الدول ضمن عالم تتسم فيه العلاقات الدولية بنزعة العون الذاتي، لا يعني بالضرورة أن الدول مقدر عليها المنافسة الدائمة التي تؤدي إلى الحرب؛ و كمثال على ذلك سباق التسلح الذي كان قائما في سبعينيات و ثمانينيات القرن الماضي. ففي هذه الحالة تفضل الدول تلك المزايا الواضحة والمتعلقة أساسًا بالعمل معًا لخفض المخاطر المجهولة الناتجة عن ذلك.

2- ينتقد **الواقعيون الشرطيون** من جهة أخرى الواقعيين البنيويين في مسألة "المكاسب النسبية"، و هناك من يحاجج بأن الدول كثيرا ما تلجأ إلى التعاون حصرا بسبب المخاطر التي تقترن بالسعي وراء المزايا النسبية، وهنا يشير الكتاب الذين بحثوا معضلة الأمن إلى أنه من الأفضل أمنيا في غالب الأحوال، قبول التكافؤ التقريبي بدلًا من السعي لتحقيق أقصى المكاسب، الأمر الذي سيشعل فتيل جولة أخرى من سباق التسلح من شأنها أن تؤدي إلى تقليص نطاق الأمن للجميع في المدى البعيد.

3- حسب **الواقعيين الشرطيين** ، هو أن التأكيد على الغش ينطوي على المبالغة، فالغش هو مشكلة بالتأكيد ومحفوف بالمخاطر ، ولكن هذا ينطبق على سباق التسلح أيضا، و في ذلك نجد كل من "**شيللينغ**" و"**هالبرين**" يجادلان بأنه" يمكن الافتراض بأن اتفاقية تترك احتمالا لحدوث الغش هي اتفاقية غير مقبولة أو أن من شأن الغش أن يؤدي بالضرورة إلى مكاسب هامة استراتيجيا"، ذلك أن جملة الأخطار التي ينطوي عليها الحد من الأسلحة قد تكون مقبولة أكثر من الأخطار التي ينطوي عليها سباق التسلح ، و يقول الواقعيون الشرطيون أن هذا كثيرا ما تجاهله كتاب أمثال "والتز" و "ميرشيمر"، والمشاهد السلوكية للدول خاصة العظمى منها خلال فترة نهاية الحرب الباردة تعكس فعلا مثل هذه التصورات المشروطة (معاهدة INF، و معاهدتي ستارت1،ستارت 2 حول خفض الأسلحة الاستراتيجية)[2].

من جهة أخرى ، يشارك بعض الواقعيين أمثال "باري بوزان" في تقديم وصفات جديدة ملطفة للمعضلة الأمنية و مؤسسة للأمن الجماعي بين الخصوم في العلاقات الدولية، و يجادل "باري بوزان" في نفس السياق

[1] المرجع نفسه، ص ص 423- 424.

[2] نفس المرجع، ص ص 422-423.

بأن إحدى السمات اللافتة و الهامة لثمانينيات و تسعينيات القرن العشرين هي الظهور التدريجي لنوع من "الفوضى" الأكثر "نضوجا" ، تدرك فيها الدول الأخطار الشديدة التي تنطوي عليها مواصلة المنافسة الشديدة في عالم نووي[1].

زيادة على ذلك ، يرى "بوزان" أنه مع التسليم بوجود نزعة لدى الدول للتركيز على مصالحها الأمنية المحدودة الضيقة ، فإنه يسود اعتقاد متزايد بين الدول الأكثر نضوجا في النظام الدولي بان هناك أسبابا أمنية وجيهة لأخذ مصالح جيرانها بالاعتبار عند رسم سياساتها الخاصة، و يقول :"**إن الدول تزداد إدراكا أن أوضاع الأمن الوطني مترابطة و أن السياسات الأمنية المبالغ في انطوائها على الذات، بصرف النظر عن مدى إغراءاتها الشوفينية، تؤدي إلى عكس الغرض منها في خاتمة المطاف**"[2].

في الحقيقة ، بالإمكان القول على الأقل أن مرحلة الحرب الباردة لم تكن مرحلة سيئة على مسارات التنظير و النقاش في حقل العلاقات الدولية ، خاصة النقاشات التي تأتي النظرية الواقعية على أحد أطرافها، بيد أن أغلب الرواد و المسهمين و الكتاب كانوا قد انتقدوا قصورا ما ضمن المقاربة البنيوية الواقعية ، باعتبار أن مرحلة ما بعد تلك الحرب الباردة قد استحالت فيما بعد كشافًا حقيقيًا لبعض عيوبها التي تنطوي عليها ، كما قد نظر إليها من ناحية على أنه لا مجال لكي تصبح نظرية للسياسة الخارجية ، سوى أنها نظرية واقعية ذات صلاحية في مستوى النظام الدولي، و هي بذلك نظرية هيكلية للسياسة الدولية ، مع ذلك كله يحاجج الكثير فيما وراء النظرية الواقعية – **تيبولوجياً**– أنه توجد معايير أخرى للتصنيف تؤخذ من خلالها النظرية الواقعية "البنيوية الجديدة و الكلاسيكية الجديدة" على أنها الأصلح لتحليل السياسة الخارجية للدول ، لذلك سوف ننتقل بسلاسة إلى مرحلة القراءة الجيوسياسية للسلوك الخارجي الروسي في الفضاءات المختلفة تجاه المنطقة العربية ، مع الاطلاع على حدود القدرة التفسيرية للنظرية الواقعية في ذلك.

إذًا بعد التطرق إلى الشق النظري للدراسة على أهميته البالغة، و الذي تبنينا من خلاله معالجة أهم الاشكالات الابستيمولوجية حول الجيوبوليتيكا(خلال **الفصل الأول**) ، بالاضافة إلى ما تضمنه **الفصل الثاني** من مناقشات و جوانب تحليلية مهمة لدور النخبة السياسية الروسية و ابراز التعدد الفكري لتصورات تلك النخبة فيما يتعلق بتوجهات السياسة الخارجية الروسية ، كان من الضروري أن نتبنى مقاربات منهجية ومداخل تحليلية جديدة للموضوع تتعلق بالسلوك الخارجي الروسي عمليا، وهو ما يتمثله **الفصل الثالث** التحليلي بصورة امبريقية ؛ بحيث سوف يسمح لنا نسبيا بكشف وفهم ومن ثم اختبار مدى واقعية جيوسياسة روسيا الاتحادية المشروطة تجاه المنطقة العربية.

---

[1] نفس المرجع السابق، ص423.

[2] المرجع نفسه، ص 424.

الفصل الثالث:

حدود الواقعية الجيوسياسية لروسيا الاتحادية في المنطقة العربية: مقاربات تحليلية

الفصل الثالث: حدود الواقعية الجيوسياسية لروسيا الاتحادية في المنطقة العربية: مقاربات تحليلية

جرى الحديث في نهاية الفصل السابق عن ضرورة الانتقال بسلاسة نحو هذه المساحة التحليلية المهمة؛ من بحث "الواقعية الجيوسياسية الروسية الجديدة تجاه المنطقة العربية خلال فترة الرئيس "بوتين" عبر تحليل "حركة– مجال" السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية، وبعد فحص الأدبيات المختلفة في ذلك كان من الضروري أيضا الوقوف على بعض الملاحظات المنهجية المهمة.

المبحث الأول: مقاربة اقتصادية لخطاب روسيا الجيوبوليتيكي تجاه المنطقة العربية:" محددات واقعية"

تبعا لما أوردناه ضمن فرضيات الدراسة، باعتبار المصلحة القومية الروسية فوق كل الاعتبارات الأخرى و أن روسيا تتبنى في الغالب منهج القوة الصلبة لضمان تحقيق تلك المصالح ، فإن المصلحة الاقتصادية تأتي بعد المصلحة الأمنية الاستراتيجية الروسية، و مع ذلك فإن من بين عوامل تعثر روسيا و قبلها الاتحاد السوفياتي سابقا جملة من المحددات الاقتصادية ، و عليه تسعى روسيا اليوم إلى ضمان أمنها الاقتصادي دعما للأمن القومي الروسي ، على أن عملية كشف مؤشرات الفضاء الاقتصادي القائم في بعده الجيوسياسي بين روسيا و المنطقة العربية و بيان مجموع متغيراته الحقيقية ذات أولوية بالنسبة لهذا المستوى التحليلي.

المطلب الأول: اخراج بياني لعملية تحليل"حركة – مجال" السلوك الخارجي الروسي ومحدداته: ملاحظات منهجية

دراسة الموضوع ضمن هذه المرحلة تفضي إلى ضرورة الكشف أكثر عن الأدوات التحليلية المساعدة والتي من أهمها:

1– **الوقوف على الأهمية الجيواستراتيجية للمنطقة العربية ككل**، و من ثم ضبط حدود عمقها الجيواستراتيجي في بعده الجيوسياسي / الجيوبوليتيكي، لما لذلك من دور أساسي في تقريب المتلقي من المشاهد الانتقائية للتحليل، اعتبارا لمحددات التحليل الجيوبوليتيكي الثلاثة الرئيسية المتمثلة في **بيئة الحدث** (المنطقة العربية) و **جوهر الحدث** (العوامل و الأسباب) و **عامل الحدث** (الفواعل الخارجيون) ، مع تأكيد ضمنية هذا العنصر داخل عرض التحليل بصورة مجملة.

2– **بالنسبة للمنطقة العربية في "العلاقة الجيوسياسية مع روسيا"** ؛ هناك ثلاث طرق مهمة وصحيحة لمباشرة هذه الدراسة ، غير أنها مختلفة من حيث طبيعة المنهج المعتمد (المنهج التاريخي أو المسحي أو غير

ذلك من المناهج المتبعة عادة...) و من حيث النطاق الزمني المتوافر لإعدادها أي المدة الكافية في ذلك، و أيضا اعتبارا لحجم المناقشات و سعة دائرة التحليل، تتمثل فيما يلي:

أ- يمكن إخضاع بيئة التحليل تلك إلى نوع من التقسيم المناطقي ، كأن ندرس الوقائع و المشاهد في أبعادها الجيوسياسية مناطقيا ، فالمنطقة العربية تقسم في الغالب حسب أدبيات عديدة خاصة الغربية منها إلى عدة أقاليم أو مناطق أو أنظمة إقليمية فرعية ، مثلا منطقة "الشرق الأوسط" (حسب المفهوم الأنجلوساكسوني) ، هذا مع ضرورة التأكيد على أن هناك بعض الدول ليست دولا عربية مثل تركيا و إيران و غيرها، تنضوي تحت هذه التسمية و منه نصبح معنيين مباشرة بمعالجة إشكالية جزئية مقبولة منهجيا، على اعتبار وجود عدة دول عربية مهمة تحت مسمى الشرق الأوسط مثل(العراق ، السعودية ، مصر...) ، غير أنه في الواقع ينبغي التأكيد على أن الوجه الحقيقي بكل أبعاده للواقعية الجيوسياسية الروسية ماثل بصورة أكثر وضوحا داخل المشهد السوري – كجزء رئيسي من المشهد العربي العام للأحداث- و منه التدخل الروسي في سوريا باعتباره مشهدا يقبل التعميم بصورة أنجح على باقي المنطقة العربية، كما أن هناك منطقة الخليج العربي بدوله و دويلاته المتعددة و التي تشمل بصورة ما دول مجلس التعاون الخليجي و غيرها ، و هي منطقة أخرى ذات أهمية بالغة في فهم الجيوسياسة الروسية في المنطقة العربية لما لتلك الدول من أدوار "وساطة" و "تفاوض" و "تدخل" في قضايا إقليمية مختلفة، ومنها ما مثل لعقود من الزمن مسرحا للحرب و الأزمات و الصراعات مثل العراق ، إضافة إلى تقسيم آخر يتعلق بمنطقة حوض النيل تشمل مجموعة دول منها السودان و مصر و تمتد حتى جيبوتي وغيرها، و هي أيضا مهمة اقتصاديًا و جيوسياسيًا لروسيا ، إضافة إلى منطقة المغرب العربي و التي تضم دولًا عدة مثل الجزائر و المغرب و تونس و موريتانيا و ليبيا و غيرها، و هي منطقة تعج بالأزمات السياسية و الحدودية و الأمنية و هي بمحاذاة الساحل الجنوبي للمتوسط ذو العمق الاستراتيجي بالنسبة للغرب و روسيا معًا ، ومنه تصبح لدينا مجموعة بحثية موسعة لتحليل "بنى جيوسياسية" حول سلوك روسيا الخارجي على أساس مساحي مركب.

ب- إمكانية تناول الموضوع بالنظر إلى المنطقة العربية على أنها نظام إقليمي عربي واحد (و) أو موحد، ومنه نصبح معنيين ببحث «الواقعية الجيوسياسة لروسيا الاتحادية تجاه المنطقة العربية " بصورة مجملة، وهو من الناحية الموضوعية أصعب من الحالة السابقة نظرا لثلاثة اعتبارات أساسية:

- عدم تحقق تام لشرط الوحدة العربية مع صعوبة الإقرار بوحدوية المواقف العربية في القضايا المصيرية المختلفة أهمها القضية التاريخية للصراع **العربي الإسرائيلي** ومسألة غزو **العراق** ومسالة **التدخل**

الروسي في سوريا والحرب في **اليمن** وغيرها من القضايا، وهو في الواقع عامل مهم يعكس حالة عدم التجانس الاثنوي والديني والعرقي والقومي كما قد يعكس من ناحية ثانية عدم التجانس في الكثير من أنماط الهويات والقوميات.

- تذبذب السياسة الخارجية الروسية وعدم تطابقها في أغلب المناطق والأقاليم العربية انطلاقا من عدة عوامل، فضلا عن تمركزها الظاهر اليوم في سوريا تحديدا دون ما سواها من المناطق.
- أن المنطقة العربية أو كما يسمى في بعض الأدبيات بـ"الوطن العربي" تتجاذبه جيوسياستان "أطلسية "و "أوراسية" ، فجزء لا بأس به مثل دول الخليج العربي و غيرها ميالة أكثر نحو الأطلسية إما "خوفا" و إما "تبعية" ، على العكس من الأخرى التي تحذو حذو روسيا نظرا لارتباطات و عوامل تاريخية فضلا عن اعتبارات جديدة جيوسياسية قائمة.

ج- من ناحية ثالثة ، يمكن بحث الجيوسياسة الروسية تجاه المنطقة العربية جزئيا ، و كما أشرنا فإن التدخل العسكري الروسي في سوريا يعتبر قضية محورية في السياسة الخارجية الروسية اليوم، و هو مشهد متعدد الأوجه و الدلالات فيما يعكس فعلا التكتيك و الإستراتيجية و الجيوسياسة الروسية الجديدة تجاه منطقة الشرق الأوسط و النظام الدولي ككل، خاصة إذا ما لاحظنا مدى التشابك في المصالح بين دول الشرق الأوسط و روسيا، هذا النموذج يمكن الحديث عنه في إطار تخصيص الدراسة و حصر المشاهد و تلخيصها ضمن عمل جزئي لكنه يحمل جميع خصائص باقي المشاهد الأخرى و القائمة على اعتبارات قد تكون محدودة العمق من تلك القائمة ضمن مشهد التدخل في سوريا .

3- ملاحظة منهجية أخرى تتعلق أساسا بالإطار الزمني المحدد للدراسة ، و في هذا السياق يمكن بحث الجيوسياسة الروسية تجاه المنطقة العربية خلال فترة حكم الرئيس "بوتين" أي من (2000- 2008) ثم من (2012- الآن) ، لكن هناك بعض الأدبيات المهمة على غرار الورقة التي تقدم بها المحاضر الزائر في الجامعة الأوروبية في "سانبطرس بورغ" الأستاذ "نيكولاي كوجانوف"، بعنوان " **العلاقات الروسية العربية اليوم**" في مؤتمر "**روسيا و العالم العربي**" ؛ تقر بوجود فترتين زمنيتين رئيسيتين على أساسهما يمكن تقسيم تاريخ العلاقات المعاصرة بين روسيا ما بعد الاتحاد السوفياتي و العالم العربي إجمالا هما :

1 – ما قبل 2012 ، بحيث روسيا كانت تقلل من أهمية العالم العربي و تعتبره إلى حد ما سلعة للمقايضة في علاقاتها مع الغرب ، أو رافعة لكسب تنازلات في حوارها مع الولايات المتحدة و أوروبا، كما اعتبرته رافعة للتأثير على سلوك العالم الغربي و على النظرة للشرق الأوسط باعتباره ذو أهمية ثانوية أو مجرد –

أيضا– سلعة للمقايضة أو مجرد تابع، هذا مع بعض "أشكال الجهل و الغطرسة " التي أبداها رجال الأعمال الروس في بعض الأحيان و للأسف المسؤولون الروس أيضا.

2 – ما بعد 2012 ، و هي بمثابة صفحة جديدة لفترة جديدة ، بحيث توافرت عدة عوامل ومتغيرات محلية و إقليمية و دولية عالمية على مختلف الأصعدة (داخل روسيا و خارجها) ، ساعدت بدورها على عودة روسيا و صعود دورها خاصة في المستويين الإقليمي (الخارج القريب) ودوليا (الخارج البعيد) ،كما توافرت ثلاثة عوامل رئيسية أعادت روسيا إلى المنطقة العربية تمثلت في:

أ– **ظاهرة الربيع العربي** خصوصا الأزمة الليبية وما تمخض عنها من انهيار النظام وتدخل حلف شمال الأطلسي واستبعاد الدور الروسي في اتخاذ القرارات.

ب– **إعادة انتخاب** "**بوتين**" في 2012 رئيسا لروسيا وشعوره بخيبة أمل تجاه الغرب عموما.

ج– **الأزمة في العلاقات مع الغرب** (احتجاجات الميدان الأوروبي) وضم شبه جزيرة القرم وكذا الحرب في شرق أوكرانيا.

4– ضمن عمليات و منهج التحليل الجيوبوليتكي تحدد الكثير من الأدبيات و الأبحاث المتخصصة أربع فضاءات مهمة، وهذا على غرار الإسهام البارز لـ "جيرارد دوسوي" و هي كل من الفضاء الاقتصادي والطبيعي و الديمو–بوليتيك و الدبلو–استراتيجيك (أنظر الفصل الأول)، لكن تشير بعض الأدبيات المعاصرة على غرار أبحاث "كارل شميدث" و غيره (أنظر الفصل الثاني) إلى وجود فضاء آخر هو الفضاء الاليكتروني "الافتراضي" ، و هو فضاء أكثر تعقيدا من باقي تفاعلات الفضاءات الأخرى، على اعتبار أنه افتراضي و تفاعلاته تتسم بالضبابية ، و تماشيا مع المنهج التكميمي ، فإنه من الجدير بنا إذا ما ركزنا على موضوع التدخل الروسي في سوريا اليوم أن نبحث خلفيات و مسببات و عوامل الصراع هناك و ذلك عبر بحث "**العلاقة التناسبية هندسيًا**" Géométriquement، القائمة بصورة ما بين تلك الفضاءات المذكورة من أجل الوقوف على حجم و طبيعة "**نظامية و حركية الفواعل**" ضمن لعبة الشرق الأوسط في سوريا تحديدا، مع التركيز بصورة حصرية على نظامية و حركية روسيا ضمن دائرة الصراع بهدف الوقوف على حجم التفاعل الفضائي الجيوسياسي، و منه حدود الواقعية الجيوسياسية الروسية في المنطقة مع السعي نحو اختبار مدى قابلية هذا النموذج التحليلي للتعميم على باقي المناطق و الأقاليم العربية الأخرى ، فضلا عن بحث آفاق تلك الواقعية الجيوسياسية الروسية المعاصرة مستقبلا تجاه المنطقة العربية و انتهاء بحصر نقاط الصدام الجيوسياسي

و نتائجه و أبعاده بين "الأطلسية "و "الاوراسية" ، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه ما من مجال موضوعي لبحث الإشكالية الرئيسية خارج نطاق تلك الثنائية الجيوبوليتيكية القارية.

5- اعتبارًا لعوامل كثيرة و محددات معينة ، كان من الضروري تركيز عملية التحليل بصورة ما على المحددات الجيوسياسية التي تسهم بقدر كاف في بلورة السياسة الخارجية الروسية، و بناء أغلب توجهاتها الفعلية تجاه المنطقة العربية ككل ، و عليه فإن دراستنا هذه سوف تعنى بتفكيك و تحليل أحد أعقد المشاهد و أكثرها إثارة و جاذبية ؛ ألا و هو موضوع "التدخل الروسي في سوريا" و هذا ما يمكن أن يندرج تحت عنوان عريض هو "الجيوسياسة الروسية أو الجيوبوليتيك الروسي الشرق أوسطي" ، باعتبار أن أكثر دول هذا الفضاء الشرق أوسطي دول عربية ، مع التنبيه إلى أنه من المواضيع التي لها أبعاد جيوسياسية عميقة لا يمكن فهمها دون امتدادات ضرورية لمساحات التحليل خارج نطاق الجغرافيا العربية و المقصود دول أخرى صنعت أجزاء جد مهمة من الجيوسياسة الروسية الحالية في المنطقة خاصة منها "إيران و تركيا" ، هذا مع ضرورة الإشارة بصورة ما إلى الدور الذي تلعبه دولا هي الأخرى مثل "جورجيا و أوكرانيا" من خلال الأحداث التي صنعتها الأوضاع هناك فقد أسهمت بصورة بالغة كما أشرنا في بلورة النظرة الجديدة لروسيا و عودتها القوية هذه المرة إلى المنطقة العربية، و من خلال هاته المقدمة المنهجية المهمة ينبغي أن نشرح أيضا مبدأ العمل البحثي ، و في الحقيقة فإن بحثنا هذا من خلال هذا الفصل التحليلي يهدف إلى تأكيد وجود علاقة تناسبية خفية ضمن بنية جيوبوليتيكية قائمة بصورة ما بين خمسة فضاءات رئيسية هي الفضاء الاقتصادي و الفضاء الديموغرافي–السياسي و الفضاء الدبلوماسي– الجيواستراتيجي ، و الفضاء الطبيعي (الفيزيائي) ثم الفضاء السيبراني (الاليكتروني) حسب ما يوضحه الشكل الموالي:

الشكل رقم (03): فضاءات التحليل الجيوبوليتيكي.

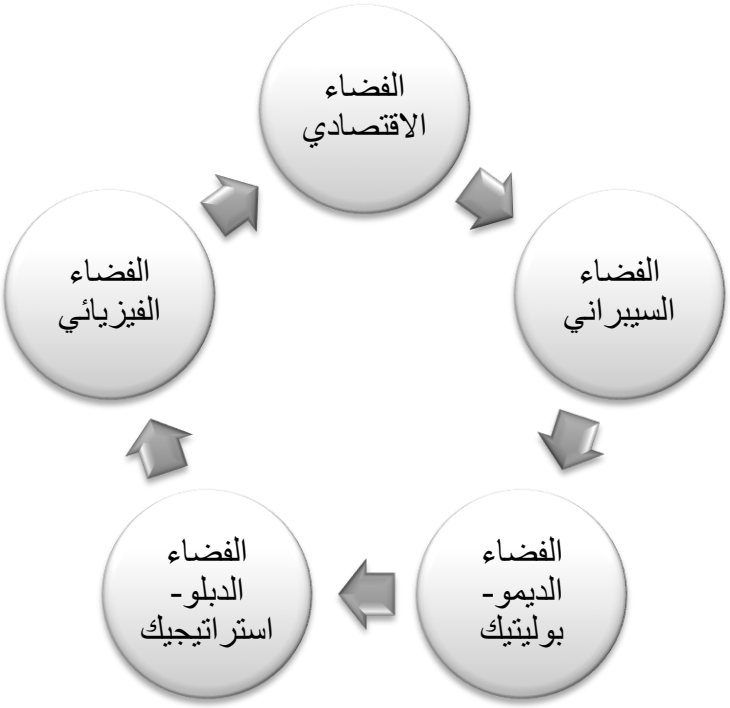

- الشكل من تصور الباحث.

نظرا لتشعب المؤشرات التحليلية وعناصر تكوين كل فضاء من تلك الفضاءات الخمسة، فإنه يجب وضع بعض الملاحظات الإرشادية المساعدة على الفهم أهمها:

1- أنه يجب النظر ابتداء إلى السياسة الخارجية الروسية باعتبارها متغير تابع في معادلة التحليل، مع تأكيد استقلالية المحددات و المؤشرات ضمن الفضاءات المذكورة.

2- أن جيوسياسة السياسة الخارجية الروسية تحتكم في توجهاتها إلى عدة محددات ينتمي جزء منها إلى البيئة الداخلية لروسيا ، و جزء ثان ينتمي إلى البيئة الإقليمية و جزء مهم آخر ينتمي إلى البيئة الدولية ، فضلا عن متغيرات البيئة السيكولوجية لصانع القرار على غرار الرئيس " بوتين" وهذا حسب ما يوضحه الشكل الموالي:

الشكل رقم (04): توضع محددات السياسة الخارجية الروسية حسب البيئات

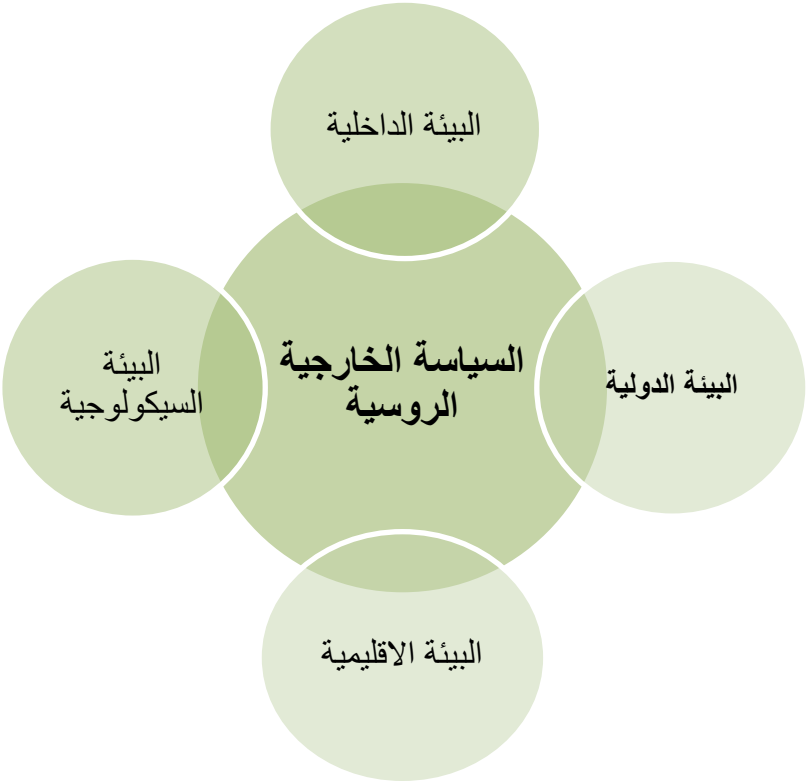

- **الشكل من تصور الباحث**

4- قياسا إلى ذلك يصبح لدينا مجموعة من الفضاءات بحيث إذا أردنا فعلا تصور إفهامات معمقة حول التوجهات الخارجية لروسيا جيوسياسيا؛ يجب أن نشير إلى أن كل فضاء نهائي من تلك الفضاءات الخمسة يحتوي بدوره على علاقات تناسبية رياضية مبرهنة لثلاثة فضاءات أخرى أصغر مساحة و أقل تعقيدا، فعلى سبيل المثال الفضاء الاقتصادي النهائي للتحليل العام للمؤشرات النهائية يوحي بوجود فضاء اقتصادي محلي (وطني) لروسيا و كذا فضاء اقتصادي إقليمي و فضاء اقتصادي دولي / عالمي ، بحيث بنفس الطريقة ينبغي النظر إلى كل فضاء من الفضاءات الخمسة المتبقاة ، و بالمحصلة يصبح لدينا خمسة عشر (15) حقلا أو فضاء ، ذلك بأن كل منها يصبح قابلا لتحليل تأثير مجموع مؤشراته الفاعلة ضمن علاقة تناسبية رياضية صغرى ثم متوسطة ثم كبرى كما يوضحه الشكل الموالي:

الشكل رقم(05): مجموع الفضاءات ضمن الفضاء الكلي/ النهائي للتحليل الجيوبوليتيكي

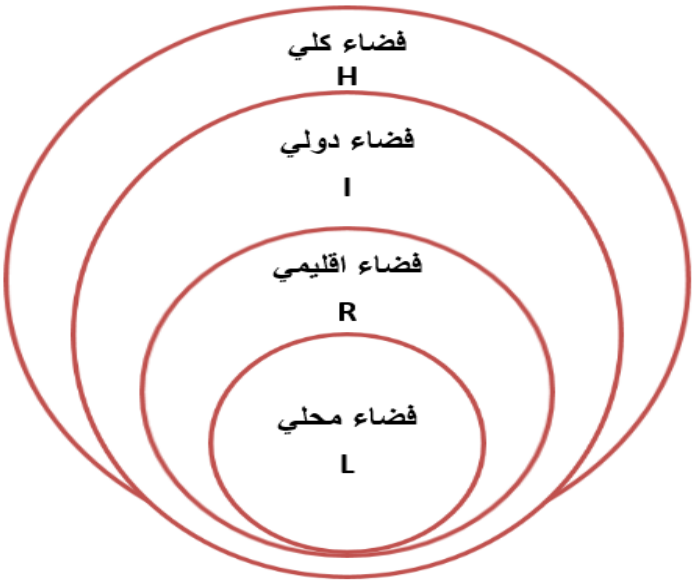

- **الشكل من تصور الباحث**

الشكل رقم(06): مؤشرات الفضاء العام المشترك المجرد G_s و نقطة المرجح Barycentre

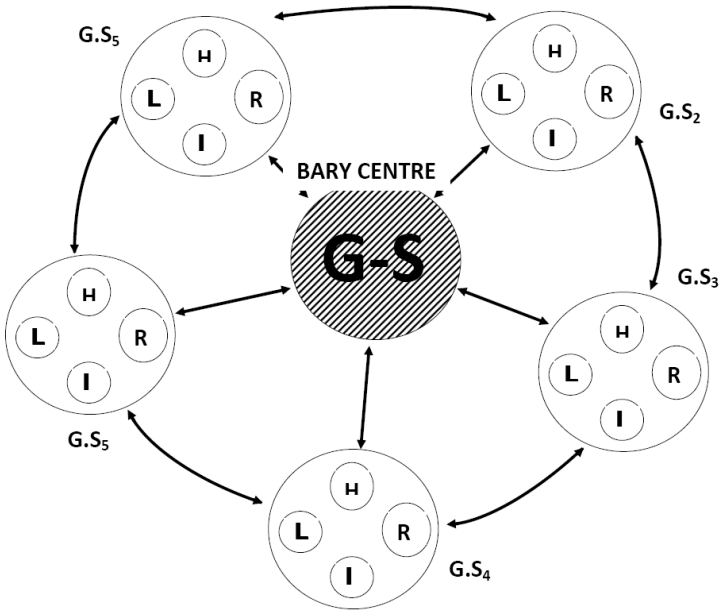

- **الشكل من تصور الباحث**

4- بالمحصلة سوف نصبح معنيين أولا باستخراج مؤشرات كل فضاء على حدا ثم نعمل على تحليل دور تلك المؤشرات ضمن فضائها الرئيسي ، بعد ذلك نحاول حساب العلاقة التناسبية القائمة ما بين الفضاء الأول (L) المحلي و الفضاء الثاني(R) الإقليمي، ثم بعد ذلك نحسب العلاقة التناسبية القائمة بين كل من الفضاء الأول

(L) المحلي و الفضاء الثالث (I) الدولي، ثم في الأخير نعين العلاقة التناسبية القائمة رياضيا بين كل من الفضاء الثاني(R) المحلي و الفضاء الثالث (I) الدولي ، و هو ما سيساعدنا على فهم أعمق لدور المؤشرات التحليلية داخل كل مجال وصولا إلى المجال الكلي ، أين ستتضح مجموعة مؤشرات ذات انتماءات مختلفة و غير محددة سلفا تتحكم بدورها بصورة مباشرة أو غير مباشرة في جيوسياسة السياسة الخارجية الروسية، أي نظامية و حركية روسيا كفاعل رئيسي في المنطقة العربية اليوم و من ثم منطقة الشرق الأوسط تحديدا و بصورة أوضح، والشكل الموالي يوضح ذلك أكثر.

الشكل رقم(07): بنية التفاعل النهائية بين الفضاءات الجيوسياسية المختلفة.

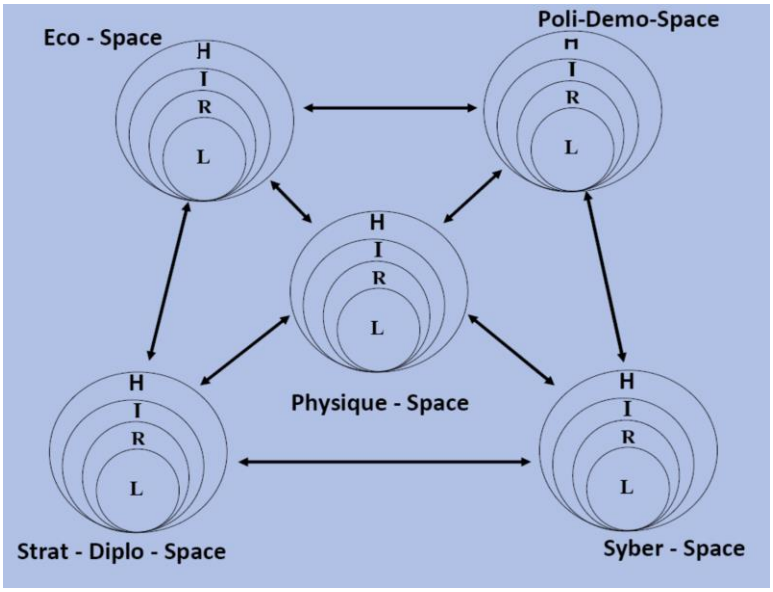

- **الشكل من تصور الباحث.**

5- لا شك أن هناك علاقة تناسبية خفية قائمة فعلا بين كل تلك الفضاءات **تشكل إلى حد ما مساحة تفاعلية مشتركة**، و هي تضم كل الأشكال التناسبية و العوامل المنشئة لـ"دينامو- جينيك" الفواعل (روسيا على سبيل المثال)، و هنا ربما ننبه إلى ضرورة استحضار ما تم التطرق إليه ضمن الفصل الأول حول ما أسماه "جيرارد دوسوي" بالمساحة "العامة **الشاملة الكلية المشتركة**"، و من وجهة نظر الهندسة الرياضية قد لا يكون من الممكن ضبط معنى ماديا لتلك العلاقة القائمة، لكن من ناحية أخرى يمكن تصور معادلة نهائية لذلك، و الأشكال التوضيحية التقريبية أعلاه قد تشرح أكثر هذه الفكرة.

في عهد بوتين حافظت روسيا على علاقات جيدة مع جميع دول الشرق الأوسط تقريبًا، سواء الحلفاء أو الخصوم التقليديين منهم، ومن خلال المبحث الموالي سوف **نحاول ضبط محددات السياسة الخارجية**

الروسية (مؤشراتها الرئيسية) و بالأحرى محددات الجيوبوليتيك (الجيوسياسة) الروسية الاقتصادية تجاه المنطقة العربية تحديدا باعتبارها متغيرات بيئية كما أوضحنا أعلاه، تتعلق بالسياق المحلي و الوضع الداخلي الروسي فضلا عن دور رد فعل الكرملين على الانتفاضات التي تلت انهيار الاتحاد السوفييتي، و كذا أحداث الربيع العربي، وفي خصوص روسيا نفسها، فإن هذا السياق يشكل فكرة حاسمة في شرح طريقة عمل وتفكير الكرملين في الشرق الأوسط، و باعتبار أن السياسة الداخلية تؤثر عمومًا في السياسة الخارجية لأية دولة – **(حسب طروحات الواقعيين الجدد)**– يتميز الكرملين – كمؤسسة سياسية كبرى – في كثير من الأحيان بعدم توضيح الخطوط الفاصلة بين السياستين ، وهذا التقييم ينطبق جزئيًا على بوتين أيضًا؛ لأنه بات مشهورًا بعدائه لأمريكا والغرب، و استطرادا للموضوع سنتطرق لاحقا لتفاصيل علاقات روسيا مع حلفائها في المنطقة، وخاصة الجهات الفاعلة منها : مصر والعراق وسوريا، و منها ضمنيا إيران، كما تشمل التحليلات كذلك علاقات روسيا مع الأردن ودول مجلس التعاون الخليجي ؛ مع بعض الإشارات التحليلية للعلاقات القائمة بين روسيا و كل من وإسرائيل وتركيا، و **ذلك محاولة منا للوقوف على أهم المؤشرات التحليلية و استخراجها من ضمن الفضاءات الجيوسياسية التحليلية المذكورة ، سعيا نحو فهم و تحليل طبيعة العلاقة التناسبية القائمة بين كل تلك الفضاءات ، و التي ستساعدنا حتما فيما بعد على الوقوف على أهم العوامل المتحكمة في تناسبية الفضاءات و تمنحنا القدرة على فهم عوامل دينامو –جينيك الفضاءات أيضا، و تأسيسا على ذلك ، ما هي أهم المحددات و المؤشرات– عبر الفضاءات المختلفة– التي تتحكم بصورة أو بأخرى في رسم الجيوسياسة الروسية الخارجية تجاه المنطقة العربية؟**

المطلب الثاني: تحليل مؤشرات الفضاء الاقتصادي: روسيا– المنطقة العربية

Analysis of Economic Space Indicators

الفرع الأول: الواقعية الجيوسياسية الروسية في الشرق الأوسط: سوريا، مصر، العراق

ضمن هذا المطلب، سوف نقتصر في دراستنا للجيوسياسية الروسية و تحديد مدى واقعيتها على مؤشرات الفضاء الاقتصادي القائم بين روسيا و المنطقة العربية، فضلا عن تحليل تلك المؤشرات القائمة بين "سوريا و روسيا"، باعتبار أن سوريا هي مفتاح الشرق الأوسط و هي المساحة الجغرافية الأولى المناسبة لاستعادة روسيا لدورها في التوازنات الإقليمية الجديدة في الشرق الأوسط خصوصا، و من ثم على مستوى الساحة الدولية عموما، و نظرا كذلك لأن **اللون الفاقع للسياسة الروسية في المنطقة العربية ككل يبدو كذلك أكثر في سوريا منه اليوم في باقي دول المنطقة**، هذا مع عدم التقليل من شأن تلك الدول في بلورة السياسة

الخارجية الروسية و تطوير توجهاتها الجيوسياسية ، و موضوع التدخل العسكري في سوريا مثل بحق نافذة بحثية و مادة تحليل لكثير من مراكز الأبحاث في العالم ، مثل معهد واشنطن و المنظمة البحثية RAND [1]، خاصة لما له من تداعيات إقليمية و دولية على الكثير من الأصعدة أهمها الصعيد الجيوسياسي، هذا مع ضرورة بحث العلاقات القائمة بين روسيا الاتحادية و كل من دولة "مصر" و "العراق"، على اعتبار الأهمية القصوى التي تمتاز بها تلك العلاقات القائمة خاصة في أبعادها الجيوسياسية .

البند الأول: متلازمة " جيو-إيكو-بوليتيك" ضمن المحور "موسكو – دمشق"

تاريخ العلاقات السوفياتية- السورية و الروسية – السورية بعد عام 1991 غني و متنوع ، و بحلول عام 2000 كانت هذه العلاقات تقوم على قاعدة حقوقية و اقتصادية واسعة بما فيه الكفاية، و هي علاقات أقيمت دبلوماسيا بين الطرفين منذ 1944[2].

بالنسبة لموسكو، فإنها منذ مطلع ستينيات القرن الماضي كانت أقرب حليف لدمشق، و ما بين عامي 1963 و1991 درس ما يصل إلى 50 ألف طالب سوري في أعلى المعاهد و المدارس الروسية، كجامعة موسكو الحكومية و جامعة صداقة الشعوب ، و خمس هؤلاء الطلاب تحديدا درسوا العلوم العسكرية في الأكاديميات العسكرية الروسية المختلفة[3].

في الواقع، و من خلال الحديث عن مؤشرات الفضاء الاقتصادي ، يمكن الإشارة إلى أنها مؤشرات كانت متوافرة انطلاقا من مساعدات الاتحاد السوفياتي الاقتصادية و الفنية السابقة، و ذلك من خلال معاهدة الصداقة و التعاون المبرمة في 1980، و مع ذلك في بداية التسعينيات قد طرأ انخفاض حاد على حجم التبادل التجاري بين البلدين و توقف التعاون في عدد من المجالات، بما دفع فيما بعد كلا الطرفين إلى التوقيع على اتفاقية جديدة حول التعاون الاقتصادي و التجاري و الفني عام 1993، و كذا التوقيع على برنامج طويل الأمد لتنفيذها في عام 2002. و في هذا الصدد حصل تطور بسيط على التبادل التجاري بين موسكو و دمشق ووصل إلى 185مليون دولار مقابل 162مليون دولار في عام 2001[4].

---

[1] مؤسسة RAND هي منظمة بحثية تعكف على تطوير حلول للتحديات التي تواجه السياسات العامة وذلك للمساعدة في جعل المجتمعات في جميع أنحاء العالم أكثر أمانا و سلامة و ازدهارا، و هي مؤسسة غير ربحية و حيادية و ملتزمة بالصالح العام.

[2] آنا بورشيفكايا، روسيا في الشرق الأوسط. الدوافع- الآثار – الآمال، مراجعة وترجمة: مركز إدراك للدراسات والاستشارات، واشنطن: معهد واشنطن، فيفري 2016.

[3] نفس المرجع.

[4] س،غ، لوزيانين، عودة روسيا إلى الشرق الكبير، ترجمة هاشم حمادي،سوريا: دار المدى للثقافة و النشر،ط 2012، ص 77.

من المؤشرات الاقتصادية أيضا، أن موسكو زودت دمشق بمعدات عسكرية خلال نفس الفترة تصل قيمتها إلى 26 مليار دولار [1]، هذا بغض النظر عن البعد الجيواستراتيجي العسكري مثل فضاء آخر مهم في التحليل، وفي إطار سياسة توازن القوى في العلاقات الدولية كان قد ساهم الاتحاد السوفياتي في بناء الأسلحة الكيماوية السورية حفاظا على التوازنات في الشرق الأوسط، و في ماي 1999 وقعت روسيا وسوريا على اتفاقية لـ"التعاون السلمي في مجالات الطاقة النووية "وبمدة تصل إلى 10 سنوات، وفي جويلية من نفس العام، قام الأسد بزيارة رسمية إلى موسكو بهدف تعزيز الروابط والصلات مع الجانب الروسي ، أعرب الرئيس السوري حينها عن دعمه جهود الكرملين لبناء" العالم متعدد الأقطاب "من دون أي إملاءات أجنبية[2]،و هو ما يحمل أبعادا سياسية و دبلوماسية– جيواستراتيجية، تتضمن هي الأخرى الكثير من الدلالات الواقعية للجيوسياسة الخارجية الروسية حفاظا على المصلحة الوطنية لروسيا و سوريا معا ، هذا فضلا عن التأكيد شبه المباشر على مبدأ "الدولة مركز العلاقات الدولية" مع تأكيد ضرورة احترام وحدة وسيادة الدول.

من أجل ضمان تحقيق مصلحتهما الوطنية في المنطقة العربية كأولوية، عارضت كل من روسيا و سوريا بشدة توجه دول التحالف البريطاني الأمريكي بالحرب على العراق و ذلك نظرا للتهديد الذي قد تشكله تلك الحرب على مصالحهما و استقرارهما على جميع الأصعدة ،خاصة مع تصاعد حملات الغرب نحو التغيير الناعم و تعزيز الديمقراطية أو كما ينعتها الرئيس "بوتين" بالثورات الديمقراطية ، و هو مؤشر فعلي على تمثل روسيا لدورها كعضو دائم في مجلس الأمن الدولي ، وهو ما قد سمح لها برفض ترخيص أو إذن دولي لبعض القضايا الأخرى و هو ما يعكس حقيقة رسوخ سياستها الخارجية في التقليد الواقعي الكلاسيكي الذي لا يعترف بالمنظمات الدولية الأخرى و الفواعل غير الدول كما هو اعترافها بدور الدول في حد ذاتها كفواعل مركزية.

من المؤشرات الأخرى في الفضاء الاقتصادي دوما، تلك الدفعة الجديدة التي شهدتها العلاقات القائمة بين الطرفين ، بعد اجتماع كل من الرئيس الروسي "**بوتين**" و "**بشار الأسد** " رئيس سوريا في جانفي 2005، فقد أقدمت موسكو على شطب معظم ديون سوريا ، و وفق الاتفاق بين الطرفين شطبت روسيا ما يصل إلى

[1] **James Brooke**, "Russia Helped Build Syria's Chemical Weapons," Moscow Times, September 11, 2013, http://www.themoscowtimes.com/opinion/article/russia-helped-build-syrias-chemical-weapons/485870.html.

[2] **Barry Renfrew**, "Syrian Visit Brings Even Closer Ties," Moscow Times, July 7, 1999, http:// www.themoscowtimes.com/news/article/tmt/275219.html .

9.8 مليار دولار من أصل 13.4مليار دولار قوام ما استدانته سوريا منها* ، وتأتي هذه الخطوة الروسية على أساس اتفاق آخر بالمقابل يقضي بمجموع معاملات و عقود منها:

- عقد صفقة بيع أسلحة لسوريا إضافة إلى سماح سوريا بإنشاء مرافق بحرية روسية دائمة في طرطوس واللاذقية.
- تمكين الشركات الروسية من إعداد آبار النفط والغاز السورية من خلال عقود تقدر قيمتها بـ1.5 مليار دولار.
- إنشاء محطة كهرومائية ومنظومات للري في الساحل السوري.
- تحسين وضع الموانئ البحرية السورية.
- توسيع تصدير السلع الصناعية والزراعية الروسية إلى سوريا.
- توقيع اتفاقيتين هامتين في مجال الغاز بقيمة إجمالية قدرها 370 مليون دولار[1]**

في الواقع، و بالنظر إلى تلك الخطوة الروسية الجديدة من زاوية واقعية، فإنه توجه يشي بالتغير في مفهوم المصلحة الاقتصادية الروسية من المفهوم البراغماتي نحو المفهوم الجيواستراتيجي و الجيوسياسي خاصة في ظل التنافس المهمين للغرب كل من أوروبا و الولايات المتحدة.

* من المفيد الاطلاع على بعض الإضافات المهمة التي تفضل بها "لوزيانين" في ذلك ، على " أن عامي 2005 و 2006 شكلا مرحلة مفتاحية في العلاقات الروسية –السورية المعاصرة حيث تم حل مشكلة الديون السورية ، و خطت العلاقات بينهما خطوات كبيرة إلى الأمام ، و لقد تجلى ذلك بشكل خاص في تحسين التعاون في المجال العسكري –الفني ...، و في كانون الثاني من عام 2005 تم التوقيع أثناء زيارة الرئيس بشار الأسد إلى موسكو على بيان حول الاستمرار في توطيد أواصر الصداقة والتعاون بن البلدين بما فيها تطوير التعاون في المجال العسكري – الفني، و في الوقت نفسه تم التوصل إلى صيغة لحل مشكلة الديون من خلال التالي : **تقوم روسيا بإلغاء ثلثي هذه الديون أما الثلث الباقي فيقسم إلى شطرين:**

– شطر يسدد بالعملة الصعبة.

– الشطر الآخر يسدد على شكل استثمارات سورية باسم روسيا في المشاريع المشتركة.

و لقد تم التوقيع على اتفاقيات على مستوى وزيري مالية البلدين في 29 ماي 2005 نصت على الشطب التام لـ 73 %من الديون (9.78 مليار دولار)، و على أن تقوم سورية بدفع 1.5 مليار دولار بالعملة الصعبة، و القابلة للتحويل في غضون عشر سنوات أما المبلغ الباقي 2.1 مليار دولار فيحول إلى العملة السورية ، و يستخدم لدفع قيمة الصادرات السورية إلى روسيا و للمشاركة في الاستثمارات الروسية في المشاريع السورية . نقلا عن: س.غ. لوزيانين، نفس المرجع السابق، ص ص 83-82.

** حول هذه المسألة ، تتولى شركة "**ستروي ترانس غاز**" من الجانب الروسي تنفيذ تلك العقود ، حيث ينص العقد الأول على أن تساهم في تنفيذ مشروع مد خط للغاز العربي في الأراضي السورية...، كما ينص العقد على أن تقوم الشركة الروسية بوضع التصميم و تقديم التجهيزات و المواد و تنفيذ أعمال البناء و المونتاج و الإقلاع بالمشروع، قيمة العقد بحدود 160 مليون دولار، و ينص المشروع الثاني على قيام الشركة نفسها ببناء مصنع لتحويل الغاز في منطقة تدمر، حيث توجد ثلاثة آبار كبيرة : أبو رباح، قمقم و الفيض، و من المتوقع أن يصل انتاج هذا المصنع إلى 2.2 مليار متر مكعب من الغاز المصفى في العام و 23 ألف طن من غاز البوتان المسال و 233 ألف طن من المكثفات و تصل مدة تنفيذ المشروعين إلى 22 شهرا منذ بداية العمل، نقلا عن : س.غ. لوزيانين ، نفس المرجع السابق ، ص ص 82-83.

مع تزايد حجم المساعدات الروسية المعتبرة لسوريا ، باتت المرافق الطاقوية التي بنيت من خلال تلك المساعدات تؤمن 20% من حاجة البلاد إلى الطاقة الكهربائية و 30% من استخراج النفط فيها، وفي هذا الإطار يشير "لوزيانين"قائلا: [...**تبقى سوريا بالنسبة لروسيا واحدا من رؤوس الجسور المفتاحية لتوسيع النفوذ الروسي السياسي و الاقتصادي و العسكري جزئيا في المنطقة**، إن بوسع روسيا أن تستخدم في سورية الساحات القديمة الباقية من العهد السوفيتي (قضية الديون، و الكوادر، القاعدة الحربية البحرية) و بناء ساحات جديدة لتقوية نفوذها][1] ، و هو تأكيد على أهمية البعد الجيوسياسي (الحركة–المجال) للعلاقات في الفضاء الاقتصادي و السياسي و الاستراتيجي العسكري بين روسيا و سوريا ، وفي نفس السياق يؤكد "لوزيانين" بأن الاتحاد السوفياتي سابقا كان قد أرسى قاعدة ضخمة للتعاون مع سورية وهي ذات طابع عقائدي إيديولوجي ، لاعتبار الاتحاد السوفياتي مصدرا أساسيا لمواجهة الولايات المتحدة الأمريكية و إسرائيل في الشرق الأدنى ، **غير أن إفلاس إيديولوجيا التحالف الاشتراكي لم تؤد إلى إفلاس إيديولوجيا التعاون الاستراتيجي**، و من وجهة نظر واقعية يؤكد ذلك رسوخ فكرة الحفاظ على سياسات تحالف استراتيجية تخلق موازنة للقوى في النظام الدولي مقارنة بما كان حاصلا في أوروبا فترة مابين الحربين العالميتين.

مع ذلك ، رغم وضوح مساعي و توجهات و أبعاد جيوسياسة السياسة الخارجية الروسية في الكثير من المواقف، هناك مواقف روسية أخرى أقل شفافية على ما يبدو يتعلق الأمر برد فعل الرئيس السوري "بشار الأسد" و موقفه الداعم للغزو الروسي لجورجيا بشكل تام، فوفقا لتقارير صحفية روسية قام الأخير بانتهاز الفرصة لطلب صواريخ "اسكندر" و بعض الأسلحة الأخرى من الرئيس الروسي "ميدفيديف"، وذلك – وفق بشار الأسد– لأن إسرائيل قامت بتوفير أسلحة و تدريب القوات الجورجية[2].

نظرا لحساسية الموضوع إقليميا و دوليا ، كانت قد نفت الحكومة السورية استعداد "الأسد" لاستلام الأسلحة ، كما أن الكريملين من جهته كان منع توريدها إلى سوريا خوفا من أن تشكل ضررا على إسرائيل في أي وقت[3]، و في ختام لقائهما في 2008، قال "سيرغي لافروف" للصحفيين: إن روسيا سوف تعمل على توريد أسلحة دفاعية في المقام الأول إلى سوريا و التي لن تضر بالتوازن الاستراتيجي في المنطقة، و مع هذا فإن روسيا ستعمل على دراسة طلبات التسليح السورية الجديدة[4] ، فقد يلاحظ من خلال ذلك تداخل شديد بين

[1] س،غ، لوزيانين ، نفس المرجع السابق، ص 78.

[2] آنا بورشيفكايا، نفس المرجع السابق.

[3] "Syria Completely Supports Russia in the Georgia-Ossetia Conflict— Bashar Assad," Regnum News Agency, August 20, 2008, http://www. regnum.ru/news/polit/1043940.html.

[4] "Russia Will Be Ready to Provide Syria with Defensive Weapons," RIA Novosti, August 21, 2008, http:// ria.ru/politics/20080821/150566193.html.

الفضاء الاقتصادي و الفضاء الدبلوماسي– استراتيجيك، ففي الحالة الأولى تتصرف روسيا تجاه المطلب السوري بنوع من السلبية المدروسة جيواستراتيجيا و هي بذلك على ما يبدو تحسب حسابات التوازن الاستراتيجي، بالأخذ بعين الاعتبار الدور الإسرائيلي في المنطقة و ذلك سعيا منها لتجنب حرب إقليمية بين جارتين قد تفسد طعم الحسابات الجيوسياسية للوجود الروسي في المنطقة ، ومن جهة قد تحسب حسابات أخرى ذات صلة بإنجاح اللقاء بين الطرفين ، و منه فهي تغلب العامل الجيواستراتيجي على العامل الاقتصادي، لكنها سرعان ما تتراجع لتتحدث عن التوازن الاستراتيجي في المنطقة من منطلق أن توافق على تسليح الأسد على أن ذلك لا يخل بالتوازن القائم جاعلة من العامل الاقتصادي عاملا ذو أولوية قصوى ، توافقا مع المبدأ الواقعي الكلاسيكي حول أولوية القوة و المصلحة الوطنية للدولة رغم بعض الاعتبارات الأخرى ، وهي معادلة تتضمن هامش التفاعل بين مؤشرات الفضاءين المختلفين و تعكس حجم التداخل الشديد بينهما.

تأكيدًا على الأهمية المتزايدة لمرحلة الرئيس "بوتين"؛ واعتبارًا من العام 2007 وحتى 2010 ، فقد وصلت مبيعات السلاح الروسي لسوريا إلى قرابة 4.7مليار دولار؛ أي أكثر من ضعف الرقم المسجل خلال السنوات الأربعة الماضية وفقًا لخدمة أبحاث الكونغرس[1]، و وفقًا لمعهد ستوكهولم لأبحاث السلام، وفرت روسيا ما يصل إلى 78% من مشتريات الأسلحة السورية ما بين عامي 2007 و 2010وتشير التقارير الصحفية إلى أن الشركات الروسية استثمرت ما يصل إلى 20 مليار دولار في سوريا منذ العام 2009 [2]، و حسب هاته الإحصائيات المهمة فإن مبيعات السلاح الروسي لسوريا تعد من بين أهم المؤشرات ضمن الفضاء الاقتصادي و التي يمكن من خلاله بناء تصورات مهمة حول طبيعة محددات التوجهات الخارجية جيوسياسيا نحو سوريا و من ثم نحو المنطقة العربية ككل.

تماشيا و مبدأ الدعم الروسي اللامحدود للرئيس السوري بشار الأسد في كل المستويات ، فمن ناحية اقتصادية قد وافق الكريملين على أخذ النفط الخام من سوريا مقابل المنتجات النفطية المكررة حفاظا على البلاد و الجيش و الاقتصاد ، هذا مع تقديم قروض للحيلولة دون إفلاس سوريا [3].

---

[1] **Richard F. Grimmett**, "Conventional Arms Transfers to Developing Nations, 2003–2010," Congressional Research Service, September 22, 2011, https://www.fas.org/sgp/crs/weapons/R42017.pdf.

-أنظر أيضا لمزيد من الايضاح:

David M. Herszenhorn, "For Syria, Reliant on Russia for Weapons and Food, Old Bonds Run Deep," New York Times, February 18, 2012, http:// www.nytimes.com/2012/02/19/world/middleeast/for-russia-and-syriabondsare-Old-and-deep.html.

[2] **Howard Amos**, "Billions of Dollars of Russian Business Suffers along with Syria," Moscow Times, September 2, 2011, http://www.themoscow times.com/business/article/billions-of-dollars-of-russian-businesssuffersalong- with-syria/443078.html .

[3] آنا بوشيفكايا، نفس المرجع السابق.

من المشاهد و الأحداث المهمة بالنسبة للفضاء الاقتصادي و الذي نحن بصدد بحث مؤشراته ، **مشاركة بعض السفن في حوادث تتعلق بسوريا في المياه الدولية؛** ففي صيف عام2009- حسب ما تورده الباحثة "آنا بورشيفكايا"-، وحتى قبل اندلاع أحداث الانتفاضة السورية، تعرضت سفينة **الشحن**" "**اركتيك سي** " التي كانت تحمل الأخشاب للاختطاف قبالة سواحل السويد، في حادثة القرصنة الأولى في بحر البلطيق منذ مئات السنين[1] سارعت روسيا حينها إلى نشر قواتها البحرية لتحديد موقع السفينة المملوكة من شركة فنلندية ويديرها طاقم روسي .وفي غياب تام لأي معلومات، تكهنت بعض الادعاءات بأن السفينة كانت محملة بأسلحة لسوريا وإيران، وأن الخاطفين يعملون لإسرائيل [2] ، و وفقا لـ"**تارمو كوتس**"، مقرر الاتحاد الأوروبي عن القرصنة، فقد قال":فقط وجود صواريخ كروز على متن السفينة، يمكن أن يفسر سلوك روسيا الغريب هذا. كما قد أشار" **كوتس**" أيضًا إلى أن استجابة روسيا لحالة الطوارئ كانت أقوى بكثير من ردها بعد" مشاركتها في أزمة القرصنة الصومالية الأخيرة [3] "و وصف كبار المدعين الإسبان الحادث بأنه" **مثال واضح** "على الاتجار بالأسلحة.

في الواقع تعكس هذه الحادثة جملة أبعاد مهمة في التحليل ، و على أساس ذلك يمكن القول بأن هذا المشهد يحمل دلالات اقتصادية تتعلق بتمرير صفقات بيع و اتجار بالسلاح بين "سوريا و روسيا" و "ايران و روسيا"، هذا بغض النظر عن الاعتبارات و المعلومات المغلوطة و المزايدات الإعلامية غير المرغوبة، و لكن المتمعن في ذلك يجد بأن البعد الاقتصادي يحمل دلالات جيوسياسية ، خاصة لما نقرأ كلام مقرر الاتحاد الأوروبي عن القرصنة و تأكيد وجود صواريخ "كروز" على متن السفينة، فضلا عن حديثه عن مقارنة مهمة عن طبيعة استجابة روسيا لأحداث القرصنة بين ما جرى في أزمة القرصنة الصومالية و حادثة القرصنة في بحر البلطيق، مثل دليل تحليلي مهم على أن تجارة السلاح هي عصب الاقتصاد الروسي و هي الأداة الفعالة لخلق توازن استراتيجي في الشرق الأوسط و العالم ككل، كما يمكن القول بأن حسابات الوجود الروسي في المنطقة العربية و الشرق الأوسط بحاجة إلى نوع من التوازن الأمني فضلا عن بحثها عن نمط آخر لإعادة توزيع القوة في المنطقة و هو ما يتوافق مع طروحات نظريات التنافس المهيمن الواقعية المعاصرة.

---

[1] "A Ship Comes Loaded with Timber...or Weapons?" Utrikesperspektiv, December 12, 2013 , http://utrikesperspektiv.se/?p=348.

[2] "Russia Denies Hijacked Ship Was Carrying Missiles," CNN, September 8, 2009, http://www.cnn.com/2009/WORLD/europe/09/08/russia. missing.ship/index.html?iref=nextin;

لمزيد من الاطلاع أنظر أيضا:

"Was the Cargo Ship Arctic Sea Really Hijacked by Pirates?" Guardian, September 23, 2009, http://www.theguardian.com/world/2009/sep/24/arctic-sea-russia-pirates

[3] Interfax, "EU Rapporteur Presumes Arctic Sea Transported Russian Missiles," August 08, 2017, https:// archive.is/RWW5z.

رغم الميل الروسي نحو سوريا أكثر منه في اتجاهات أخرى ، و اتساقا مع المشهد السابق أعلاه، تتضمن المشكلة الإقليمية في صلب الحوار الروسي –السوري إمكانية التأثير الايجابي على العلاقات السورية – الإسرائيلية، فقد أعلنت موسكو أكثر من مرة أن مستوى الثقة العالي بين روسيا و سورية ممكن بما في ذلك في حالة تغيير سياسة سورية الراديكالية تجاه إسرائيل ، إذ على دمشق أن تتوقف عن دعم مقاتلي منظمة "**حزب الله**" في لبنان [1].

إذًا في هذا السياق ، نجد من بين ما يندرج ضمن تداعيات تفاعلات الفضاء الاقتصادي السوري–الروسي ؛ أنه و قبل أحداث تموز 2006 (شن عمليات قتالية من قبل الجيش الإسرائيلي ضد مقاتلي جنوب لبنان)، كانت العقود العسكرية –السورية تثير استياء إسرائيل ، فعشية زيارة الأسد إلى موسكو في كانون الثاني من عام 2005 أثير ما عرف بفضيحة الصواريخ، حيث زعمت الصحافة الإسرائيلية أن هناك عمليا عقدا بين روسيا و سورية حول تزويد الأخيرة بمنظومات صواريخ مضادة للطيران س أ–18 "**إيغلا**" و منظومات الصواريخ التكتيكية– التعبوية **أس.أس – 26** "**إسكندر – إي**"[2] ، وقد أكدت وسائل الإعلام الغربية أن الوثيقة أصبحت جاهزة، و سوف توقع أثناء المفاوضات القادمة في موسكو بين الرئيسين **بوتين و الأسد** في عام 2005[3].

رغم الإقرار بأن تجارة الأسلحة هي بمثابة عصب الاقتصاد الروسي الحقيقي ، إلا أن تفاعلات الفضاء الاقتصادي يبدو أنها محكومة بتفاعلات أخرى ضمن فضاءات أخرى مثل الفضاء "الدبلوماسي –استراتيجيك" و كذا الفضاء السياسي ، و رغم تأكيدات وسائل الإعلام الغربية إلا أنه في الواقع لم يتم بيع روسيا لمنظومة" اسكندر" الصاروخية لسوريا رغم أن سوريا لا تزال مصرة على ذلك ، و هذا نظرا لاعتبارات عديدة ذات صلة بفضاءات أخرى من بينها أن السماح بتصدير تلك المنظومة قد أعطي لموسكو منذ خمس سنوات ، لكن عام 2005 لم يشهد إبرام أي عقد بشأن بيع هذا النوع من الصواريخ، و هذا–حسب"لوزيانين" –رغم أن كل ممثلي دول الشرق الأدنى – في لقاءاتهم السرية– دون استثناء بما في ذلك "إسرائيل" قد أعربوا عن رغبتهم في الحصول على تلك المنظومة الصاروخية، و حسبه دوما فإن من شأن تلك المنظومة أن تقوم بدور سلاح ردع العدوان على غرار منظومات الصواريخ الباليستية العابرة التي تكفل التكافؤ الروسي –الامريكي[4]، و تأسيسا على ذلك من وجهة نظر "واقعية كلاسيكية"؛ فإن تفهم روسيا لمسألة الخلل الذي قد يتعرض له توازن القوى

[1] س،غ، لوزيانين ، نفس المرجع السابق، ص 84.

[3] نفس المرجع السابق، ص ص 85-86.

[4] نفس المرجع، ص 86.

خاصة مع وجود فاعل مهم كإسرائيل في المنطقة و تزايد الإحساس بعدم الأمن من قبلها فضلا عن التأهب السوري للانخراط في الصراع في لبنان ،كل ذلك حال دون إتمام و تنفيذ عقد صفقة منظومة "اسكندر " الصاروخية، و مع ذلك خلال 2005 قد تم انجاز و توقيع البرنامج الطويل الأمد للتعاون العسكري الفني بين روسيا و سورية للفترة ما بين 2005 و 2010، و في فيفري 2005 اتفقت موسكو و دمشق على تزويد سورية بمنظومات الصواريخ متوسطة المدى من نوع " ستريليتس"، و هي منظومة دفاع جوي ذات مدى قريب[1].

في نفس السياق، تضيف "آنا بورشيفكايا" أحداثا مهمة تتعلق بالفضاء الاقتصادي ذات بعد جيوسياسي، ففي شهر جانفي من عام 2012 اعترض مسؤولو الجمارك القبرصية سفينة روسية محملة بالسلاح كانت في طريقها إلى سوريا[2]، وفي شهر جوان 2012 اضطرت سفينة روسية محملة بالأسلحة إلى العودة إلى الميناء بعد أن قامت شركات التأمين البريطانية بسحب الغطاء عنها ،و كانت محملة بعدد كبير من الأسلحة بما في ذلك حوامات هجومية من طراز MI-25[3]، وقد أكدت وزارة الخارجية الروسية أن هذه الأسلحة كانت في طريقها لنظام الأسد،هذا كما قد حقق مسؤولو الجمارك الفنلندية في شبهة تهريب أسلحة بعد اكتشافهم قطع غيار دبابات في حاويات كانت متجهة من روسيا إلى سوريا[4] وهو ما يعد انتهاكا لعقوبات الاتحاد الأوروبي المفروضة على النظام السوري ، فضلا عن أن هناك تقارير أخرى- حسب آنا بورشيفكايا- زعمت أن روسيا قامت بإرسال أسلحة إلى سوريا عبر موانئ البحر الأسود إلى ميناء طرطوس السوري.

في السياق نفسه، فإن الكرملين وفر للأسد عددًا كبيرًا من القروض كذلك؛ و وفقًا لسجلات الطيران التي حصل عليه بروبابليكا Propublica فقد أرسلت موسكو إلى سوريا ما يزيد عن مئتي طن من" الأوراق النقدية" للنظام السوري في صيف عام2011 ، خلال الفترات التي شهدت تباطؤ الاقتصاد السوري بعد تصاعد القتال . ساعدت هذه الشحنات المالية في منع إفلاس نظام الأسد، وسمحت له بدفع رواتب جنوده حتى في ظل تضاؤل احتياطات النقد الأجنبي في سوريا[5]. وهذا على الأرجح ما يعكس فعلا حجم العناد الروسي في

---

[1] المرجع نفسه، ص 87.

[2] "U.S. Embassy Cables: Russia Is Virtual 'Mafia State,' Says Spanish Investigator," Guardian, December5 , 2017, http://www.theguardian.com/world/ us-embassy-cables-documents/247712.

[3] **Luke Harding,** "Cyprus Stops Syria-Bound Russian Ammunition Ship," Guardian, January 11, 2012, http://www.theguardian.com/world/2012/ jan/11/cyprus-stops-syria-russian-ship.

[4] **Oliver Carmichael**, "Russia Confirms Cargo Ship Was Carrying Weapons to Syria," Telegraph, June 21, 2012, http://www.telegraph.co.uk/news/ worldnews/middleeast/syria/9347014/Russia-confirms-cargo-shipwascarrying-weapons-to-Syria.html.

[5] آنا بورشيفكايا ، نفس المرجع السابق ، ص 38.

مسألة حماية الأسد والعمل على فرض نمط من التوجهات الخارجية الروسية في المنطقة العربية ومهادنة الغرب في ذلك.

في الواقع، مع كون إمدادات السلاح بمثابة عوامل عسكرية هامة في العلاقة بين بوتين وسوريا، إلا أن الجانب السياسي يحتل أهمية أكبر؛ كالوقوف في وجه الغرب، ونفي العجز الروسي، في حين تستعيد روسيا منزلتها قوة عظمى، لتشير إلى أن الغرب لن يدعم الدول الصغيرة في حال حاولت الخروج من تحت نفوذ موسكو، كما فعل مع جورجيا .فالكرملين ينظر إلى الأمر أن حماية الأسد ليست عملية مرتبطة بالقائد، بل هي مرتبطة أكثر بتعزيز قدرة روسيا على التأثير في الأحداث في الشرق الأوسط [1] ، كما هو الحال في أوروبا الشرقية ومناطق الاتحاد السوفييتي سابقًا أو ما يعرف بالخارج القريب.

من وجهة نظر تحليلية، فإن ذلك يعكس وجود مؤشرات كثيرة ضمن الفضاء الاقتصادي ذات ارتباط وثيق مع مؤشرات الفضاء الاستراتيجي العسكري والسياسي، وهذا من خلال جيوسياسة مناوئة للغرب، تعكس هي الأخرى مدى التداخل الحاصل بصورة مستمرة ومعقدة، بين المؤشرات العديدة والمتغيرة فيما بين تلك الفضاءات المختلفة، وللتوضيح أكثر يمكن الاستعانة بالجدول أدناه والذي من خلاله تتضح أهم المؤشرات ضمن الفضاء الاقتصادي في العلاقات القائمة على المحور "موسكو – دمشق" مع ايضاح بعض متغيرات تلك المؤشرات.

الجدول رقم 01: أهم مؤشرات ومتغيرات الفضاء الاقتصادي على المحور "موسكو– دمشق"

الحالة/الدولة	الفضاء الاقتصادي			
	أهم المؤشرات	أهم المتغيرات	القيمة / النسبة	الفترة
سوريا	تجارة الأسلحة	معدات عسكرية	26 مليار دولار	2001
		مبيعات السلاح	4.7 مليار دولار	2007–2010
		تهريب الأسلحة	-----	2012
		التعاون العسكري الفني	-----	2005 -2010
		اتفاقيتين في مجال الغاز	370 مليون دولار	
		عقود استثمارية	1.5 مليار دولار	
		عقود أخرى	160 مليون دولار	-

[1] "Finland Probes 'Syria Arms Smuggling Attempt,'" Al Jazeera, February 16, 2013, http://www.aljazeera.com/news/americas/2013/02/20132152 24954763885.html.

	استثمارات خارجية	محصلة استثمارات الشركات الروسية	20 مليار دولار	منذ 2009
	التبادل التجاري	بضائع ، مواد غذائية و صناعية	185 مليون دولار	2001
	مسح الديون	تتم العملية على مراحل	9.8 مليار دولار من أصل 13.4 مليار دولار	2005
	منح القروض	تسليم قروض في شكل أوراق نقدية	200 طن (أوراق نقدية)	2011

- **الجدول من تصور و إعداد الباحث.**

البند الثاني: تطبيع السياسة الخارجية الروسية في السياق المصري: محور " موسكو– القاهرة"

من ضمن مؤشرات الفضاء الاقتصادي بين كل من روسيا الاتحادية و دولة مصر العربية ، ما تمخض عن الزيارة الرسمية الثانية التي قام بها الرئيس المصري السابق "حسني مبارك" إلى موسكو وتحديدا في أفريل من العام 2001[1] ، و التي جاءت على خلفية اتصال الرئيس الروسي "بوتين" بهذا الأخير في 14 أوت 2000،بحيث تمت مناقشة قضايا العلاقات الودية [2]، و قد وقع اتفاق طويل الأمد لتطوير العلاقات التجارية و الاقتصادية في المجالات الصناعية و العلوم و التعاون التقني إضافة إلى توقيع اتفاق إعلان مبادئ حول علاقات الصداقة و التعاون بين الطرفين[3]، و فيما بعد تبادل مسؤولون رفيعي المستوى من الجانبين الزيارات خلال السنوات اللاحقة[4]، و بعد زيارة الرئيس الروسي و الوفد المرافق له إلى مصر في أول زيارة من نوعها منذ أربعين عاما و تحديدا في الفترة ما بين 27–26 أفريل 2005 وقع بيانا آخر حول تعميق العلاقات الودية ، و بعد ذلك وقع البلدان اتفاقات تعاون ثنائية في مجالات التعليم و العلوم و الطاقة ، بما في ذلك الاتفاق الذي وقع في 8 مارس فيما يتعلق بالتعاون بين مصر و روسيا في صناعات محددة مثل تجارة الطاقة النووية[5]، و هنا يشير " لوزيانين" أنه الى جانب الوفد الدبلوماسي الروسي كانت هناك مجموعة كبيرة من رجال الأعمال الروس و على رأسهم " يفغيني بريماكوف" رئيس غرفة التجارة و الصناعة و المعروف بعلاقاته

[1] س.غ لوزيانين، نفس المرجع السابق، ص 70.

[2] "Vladimir Putin Had a Telephone Conversation with Egyptian President Hosni Mubarak," Kremlin, August 14, 2000, http://en.kremlin.ru/events/ president/news/38

[3] **See:** "History of Russian-Egyptian Relations," Embassy of the Russian Federation to the Arab Republic of Egypt, http://www.egypt.mid.ru/eng/hist/ Index.html.

[4] آنا بورشيفكايا ، نفس المرجع السابق ، ص 22.

[5] Idem.op cit

الجيدة و القديمة بالعرب ، و قد تم أيضا على هامش تلك الزيارة عقد عدد من الاتفاقيات بين شركات البلدين في مجال صناعة السيارات والطاقة ، كما وقعت الشركة الروسية لصناعة السيارات " غاز" عقدا مع شركة " جيك أفتو" حول تزويدها بقطع غيار سيارات " غازيل" ، ثم إن شركة " كاماز" لا تكتفي ببيع الشاحنات في مصر ، بل وتعمل على انجاز مشروع تجميع هذه الشاحنات هناك ، ثم إن شركتي " لوك أويل" و " غاز بروم" تتعاونان مع المصريين بشكل نشيط[1]، و هو ما يعكس من وجهة نظر واقعية تلك التوجهات البراغماتية الروسية تجاه مصر و من ثم المنطقة العربية عموما القائمة على حسابات مصلحية نفعية و لكن خارج الحاضنة الإيديولوجية التقليدية للاتحاد السوفياتي سابقا هذه المرة.

تشير الإحصائيات إلى أن حجم التجارة بين البلدين قد نما إلى ما يقارب 50 %، ليصل إلى أكثر من 4.5 بليون دولار في العام 2014، و هو ما يعني أن روسيا تقدم ما يصل إلى 40% من دخل مصر[2].

في نفس السياق ، يشير "لوزيانين" إلى أنه على الرغم من الموقف الودي للرئيس مبارك تجاه الرئيس "بوتين" و روسيا ؛ فإن مصر لم تصبح و من المستبعد أن تصبح في المستقبل القريب شريك روسيا الاستراتيجي المفتاحي في المنطقة، مبررا ذلك بأنه لم تعد "الأرضية" التعاونية القديمة قائمة كما أنه لا توجد بوادر لبناء أخرى جديدة، بحيث لا تزال الولايات المتحدة تشكل أحد الشركاء الأساسيين لمصر، مؤكدا بأنه من الصعب القول "كيف سيكون بوسع موسكو تغيير هذا الوضع و بالاعتماد على ماذا؟"، ذلك أن العلاقات الروسية – المصرية سوف تبقى تؤدي في المرحلة الراهنة فقط الوظائف "الموضعية" و دعم الوجود الروسي عن طريق تنفيذ المهام الاقتصادية و تطوير السياحة الروسية في مصر و غيرها.[3]

في الواقع ، على شاكلة المعضلة الأمنية و سيادة حالة من الغش و سوء النوايا بين الدول في المستوى الاستراتيجي الأمني ، هناك حالة شبيهة بذلك قائمة هي الأخرى بين روسيا الاتحادية و مصر في المستوى الاقتصادي ذلك بأن الخلفية الاقتصادية الإجمالية للعلاقات بين روسيا و مصر في غاية التناقض ، فمن جهة هناك ديناميكية واضحة تجلت بعد عام 2002، بحيث بلغت قيمة التبادل التجاري 508 مليون دولار مقابل 440 مليون دولار في عام 2001 و 469.5 مليون دولار في عام 2000، علما أن حجم هذا التبادل كان من نصيب الصادرات الروسية إلى مصر و كانت الآليات و التجهيزات تشكل 11% منها، ثم ظهرت فرص

[1] س.غ لوزيانين، نفس المرجع السابق، ص 73.
[2] آنا بورشيفكايا، نفس المرجع السابق، ص 23.
[3] س.غ لوزيانين، نفس المرجع السابق، ص ص70-71.

جديدة للتعاون في مجال الاستثمارات ففي عام 2003 اتفقت شركة الطيران الروسية" أفياستار" مع الشركة المصرية "سيروكو أيروسبيس إنترناشيونال " على تمويل إنتاج 200طائرة "تو- 12-204" و تصديرها إلى مصر، و على تأسيس شركة لاستثمارها و تصل كلفة المشروع إلى 200 مليون دولار ، و في عام 2002 تم الاتفاق في القاهرة بين ممثلي "روس أفياكوسموس" و رجال الأعمال المصريين على رصد مبلغ إضافي للاستثمار في إنتاج الطيران قدره 680 مليون دولار في عامي 2002 و 2003 مقابل 25% من أسهم "أفياستار" و " توبوليف" ، و في جانفي 2002 وقع العقد حول إنتاج 25 طائرة أخرى من نوع "تو"204-120" ، و في عامي 2000- 2001 بدأ سريان مفعول الاتفاقية بين حكومتي البلدين حول تجنب الازدواج الضريبي، و منع التهرب من دفع الضرائب عن المداخيل و رأس المال ، و حول تشجيع و حماية الاستثمارات من قبل الطرفين ، و كذا التعاون في مجال النقل البحري، و في عام 2004 وصلت قيمة التبادل التجاري بين روسيا و مصر إلى 834 مليون دولار كما قد بلغت 918 مليون دولار في عام 2005، و من جهة أخرى لوحظ أن الموارد لم تستخدم بكامل طاقتها في تطوير التعاون التجاري والاقتصادي؛ و لم يكن الجانب المصري ليكف عن اتهام روسيا ببيع السلع الروسية في مصر بأقل من سعرها في السوق الداخلية و إجراء التحقيق بشأن هذه السلع الروسية أو تلك [1]، و هو ما يعكس إلى حد ما لدى صانع القرار المصري سيادة نوع من الذهنية المترسخة تاريخيا ، في معنى أفضلية الاستعانة بالدور الأمريكي على حساب العروض و الأدوار الروسية الممكنة من حيث عامل الفعالية و الديناميكية ، و هذا رغم ما تبديه الولايات المتحدة اليوم من ضغوط و إملاءات فيما يتعلق بمصر و سياساتها العامة الحكومية، و خصوصا في قضايا احترام حقوق الإنسان و دمقرطة النظام السياسي.

خلال العام 2005 ، حدد رئيس الوزراء المصري " أحمد نظيف" ثلاثة مجالات مستقبلية للتعاون الاقتصادي مع روسيا و ذلك على هامش لقائه مع "ميخائيل مارغيلوف"، رئيس لجنة مجلس الاتحاد للشؤون الدولية مشيرا إلى أن بوسع الشركات الروسية المشاركة في تحديث مجمع أسوان و مصنع التعدين في حلوان ، كما أنه بمقدورها أن تتعاون مع مصر في بناء المرافق الغازية [2] .

في الوقت الذي تشهد العلاقات الأمريكية المصرية بعض الركود مع فراغ في الوظائف الدبلوماسية الكبرى بين البلدين، فإن العلاقات بين مصر وروسيا تشهد فصلا جديدا مع بداية الفترة الرئاسية الثانية للرئيس

[1] نفس المرجع ، ص ص 71-72.

[2] المرجع نفسه، ص 73.

عبد الفتاح السيسي [1]، وبحسب صحيفة "**تاشيونال انتريست**" الأمريكية، فإن الرئيس عبد الفتاح السيسي بدأ فترته الثانية، وبهذا فإن فصل جديد يكتب في العلاقات بين مصر وروسيا، و هذا يأتي في الوقت الذي تشعر فيه الدبلوماسية المصرية بخيبة أمل تجاه سياسة الولايات المتحدة، وتعزز علاقاتها مع موسكو.

من ناحية أخرى، أوضحت الصحيفة أنه خلال الشهر الماضي وقعت مصر وروسيا اتفاقية لإقامة منطقة صناعية روسية على المنطقة الاقتصادية لقناة السويس، وهو مشروع تنموي اقتصادي طموح أطلقه الرئيس السيسي عام 2014، والذي يهدف إلى جذب استثمارات بقيمة 70مليار دولار ويخلق 35 ألف وظيفة [2]، كما أضافت أنه في الوقت الذي تواجه روسيا عقوبات أمريكية وأوروبية، فإن المشروع سوف يمنح موسكو قدرة على تصدير منتجات لأسواق واسعة لاسيما في الشرق الأوسط وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، كما أقرت أيضا أن منطقة الصناعة الروسية ليست المشروع الوحيد الذي تم توقيعه بين مصر وروسيا، فخلال الزيارة الثانية إلى القاهرة منذ مجيء الرئيس السيسي، أشرف الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين على عقد إقامة محطة طاقة نووية بقرض روسي بقيمة 25 مليار دولار، والتي ستضم 4 مفاعلات وقدرة إنتاجية تقدر بـ: 5 جيغاوات، والتي يخطط أن تكتمل في 2029 ، إلى جانب ذلك، فإن الصادرات المصرية إلى روسيا ارتفعت بنسبة 26% خلال عام 2017، لتسجل 3.8 مليار، ويعتقد مجلس الأعمال المصري الروسي أن التجارة الثنائية بين البلدين من الممكن أن تزداد من 6 مليارات إلى 10 مليارات خلال العام الجاري[3].

أيضا من المؤشرات الدالة و المهمة في سياق بحث الجيوسياسة الواقعية الروسية تجاه مصر ضمن الفضاء الاقتصادي ؛ أبعاد و تداعيات حادث تحطم طائرة الركاب الروسية بعد أن أقلعت من شرم الشيخ مما أدى إلى مقتل جميع ركابها الـ224 و ذلك خلال شهر أكتوبر 2015،و في هذا الصدد حسب ما أقرته صحيفة " الإكونوميست" **أنه في "حين تباطأت الحكومة الروسية في الإقرار بأن الحادث كان نتيجة قنبلة زرعها إرهابي ، ذهبت الحكومة الروسية إلى أن الحكومتين البريطانية و الأمريكية هرعتا إلى الاستنتاجات المستعجلة**"[4]،و جراء ذلك و قبل السادس من نوفمبر تم تعليق جميع الرحلات الجوية إلى مصر[5]،و بعد

---

[1] حسن محرم، "**تايشيونال انتريست: العلاقات المصرية الروسية تفتح مرحلة جديدة**"، الخميس 7 جوان 2018 في: http://www.elbalad.news/3338448

[2] نفس المرجع السابق.

[3] نفس المرجع السابق.

[4] "Russia Suspends All Flights to Egypt," Economist, November 6, 2015, http://www.economist.com/news/Europe/21678112-after-berating-britain-mr-putin-follows-suit-russia-suspends-all-flights-egypt

[5] "Decree on Separate Measures to Ensure the National Security of the Russian Federation and the Protection of Citizens against Criminal and Other Illegal Activities," Kremlin, November 9, 2015, http://kremlin.ru/events/President/news/50647.

ذلك تم التلويح عبر عدة تقارير بأن رئيس الوزراء الروسي "ميدفيديف" قد أشرف على إجلاء ما يصل إلى 25 ألف سائح من أصل 80 ألف سائح روسي في مصر [1]، و في هذا الصدد فإنه و لا شك أن تعليق الرحلات الجوية أثر بشكل سلبي على الاقتصاد المصري ، و في أواخر شهر ديسمبر أعربت الحكومة المصرية عن أملها في أن يتم رفع الحظر قريبا [2]، غير أنه و تأكيدا لواقعية روسيا البراغماتية الاقتصادية المدروسة على اعتبار أنها متطابقة تماما مع بعض توجهات الحكومات العربية ، "كانت قد استأنفت روسيا رحلات الطيران المدنية بين البلدين خلال شهر أفريل الماضي ، بعد توقفها منذ" 2015[3]، و من باب الايضاح أكثر يمكن ادراج الجدول أدناه و المتضمن لبعض أهم المؤشرات التحليلية ضمن الفضاء الاقتصادي على المحور "موسكو – القاهرة".

الجدول رقم 02: اهم مؤشرات ومتغيرات الفضاء الاقتصادي على المحور "موسكو – القاهرة".

الحالة/الدولة	الفضاء الاقتصادي			
	المؤشرات	أهم المتغيرات	القيمة / النسبة	الفترة
مصر	استثمارات خارجية	عقود استثمارية بين شركة الطيران المصرية و الشركة الروسية لتمويل انتاج 200 طائرة "تو-12-204"	200 مليون دولار	2003
		رصد مبلغ اضافي للاستثمار في مجال الطيران	680 مليون دولار	2002- 2003
		اتفاقية لإقامة منطقة صناعية روسية على المنطقة الاقتصادية لقناة السويس (مشروع السيسي)	70 مليار دولار	2014
	التبادل التجاري	اتفاقات طويلة الأمد حول تطوير العلاقات التجارية و الاقتصادية و المجالات الصناعية و العلوم و الفنون و التعاون التقني	469.5 مليون دولار	2000
			440 مليون دولار	2001
			508 مليون دولار	بعد 2002
			834 مليون دولار	2001- 2004

[1] **Thomas Grove**, Tamer el-Ghobashy, and Jenny Gross, "Russia Says Bomb May Have Caused Plane Crash in Egypt," Wall Street Journal, November 9, 2015, http://www.wsj.com/articles/u-k-to-substantiall y-increaseintelligence- staff-1447085328.

[2] **Interfax**, "Egypt Hopes for a Speedy Lifting of Russia's Flight Ban," December 22, 2015, http:// tourism.interfax.ru/ru/news/articles/31090/

[3] حسن محرم، نفس المرجع السابق.

		(صادرات روسية إلى مصر بحيث تشكل 11 % منها تجهيزات و آليات)	918 مليون دولار	2001 – 2005
		اتفاقيات تعاون ثنائية في مجالات التعليم و العلوم و الطاقة والصناعة (تجارة الطاقة النووية) التعاون في مجال النقل البحري	4.5 بليون دولار	2014
		صادرات مصرية إلى روسيا	3.8 مليار دولار ارتفاع بنسبة 26%	2017
		مجلس الأعمال المصري الروسي: توقع زيادة التجارة الثنائية	من 6 مليار دولار إلى 10 مليار دولار	خلال 2017
		تعليق الرحلات و اجلاء السواح الروس بعد أحداث تحطم الطائرة الروسية في شرم الشيخ	(اجلاء 25 ألف سائح من أصل 80 ألف سائح)	2015
	منح القروض	قرض روسي بموجب عقد انشاء محطة طاقة نووية (تحت اشراف الرئيس "بوتين")	25 مليار دولار	2014

- **الجدول من تصور وإعداد الباحث.**

البند الثالث: "روسيا" و واقعية التنافس المهيمن في العراق: محور "موسكو– بغداد"

على كل المستويات ، تعود العلاقات الروسية العراقية إلى عقود طويلة ، كما قد مرت بمراحل تعاون و خلاف على حد سواء، و فور تولي بوتين الرئاسة عام 2000 سعى إلى توسيع النفوذ الروسي في العراق حيث عمل على دعم العلاقات التجارية الروسية و تطويرها مع شركائها الكبار ، لا سيما عبر شركات النفط الروسية و من ثم تأمين إحداث التأثير السياسي[1]. و في هذا الشأن ، مع ذلك فإن الاتجاه العراقي في السياسة الروسية – حسب لوزيانين– يعتبر واحدا من أكثر الاتجاهات المعقدة و غير الواعدة بالنسبة لروسيا

[1] آنا بورشيفكايا، نفس المرجع السابق، ص 31.

اليوم ، و يعود افتقارها إلى آفاق التطور إلى العملية العسكرية للولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها في العراق منذ 2003[1].

يبدو أن المفتاح الرئيسي لروسيا من أجل إعادة إحياء دورة العلاقات في مختلف المستويات تجاه الدول العربية في المرحلة الجديدة، و ذلك على اختلاف أنظمتها خاصة في المجال الاقتصادي ، هو مراجعة مسألة مديونية هذه الأخيرة ، فقد لاحظنا منذ بداية بحث المؤشرات الاقتصادية بأن روسيا تلجأ كل مرة إلى عملية مراجعة موضوع ديونها المستحقة ابتداء ، و فيما يتعلق بدولة العراق ، فقد عمل بوتين على استعادة ما يقارب 8 مليارات دولار كديون على العراق لصالح روسيا، جراء شراء صدام حسين للأسلحة السوفيتية في ثمانينيات القرن الماضي خلال حربه مع إيران، هذا ، كما تشير " **Ekaterina Stepanova**" إلى أن العامل التجاري يكتسي أهمية قصوى ...حيث كانت العقود الروسية في العراق أكثر من العقود الروسية في أي بلد عربي آخر.

من بين ثلاثة أهداف مهمة يدرجها "لوزيانين" لصالح روسيا؛ بعد فشل المشروع الأمريكي " الشرق الأدنى الديمقراطي" الذي ولد في سياق العملية العسكرية الأمريكية في العراق، هدف أساسي مهم هو أن تأخذ روسيا بعين الاعتبار أن نافذة الآفاق الطاقية(الطاقوية) و الاقتصادية و غيرها لروسيا في العراق قد أغلقت منذ العام 2003[2].

من القضايا المهمة بالنسبة لموضوع بحثنا حول **الواقعية الجيوسياسية الاقتصادية لروسيا في المنطقة العربية**، ما تعلق منها **بتداعيات الموقف الروسي الرافض لغزو العراق** على مستوى المنتديات و اللقاءات الدولية ، سواء خلال العام 2002 أو في النصف الأول من عام 2003، حينما أعلن الرئيس بوتين " نحن ضد وضع القوائم السوداء" في إشارة إلى طرح الرئيس الأمريكي جورج بوش حول "دول محور الشر" كما نفى أن تكون الحلول مقبولة من جانب واحد ، و من تداعيات ذلك على العلاقات الروسية العراقية ما قامت به الإدارة العراقية الجديدة تحت ضغط الولايات المتحدة بإيقاف مفعول العقود التي أبرمتها القيادة العراقية السابقة فترة حكم صدام حسين مع الشركات الروسية [3] مثل شركة " لوك أويل" ، هذا إضافة إلى توافر عوامل جديدة غير مساعدة على ترميم العلاقات مثل تصاعد العنف و الإرهاب و الفوضى في العراق بعد عام 2004 و خاصة بعد 2006 بعد مقتل الدبلوماسيين الروس[4].

---

[1] س.غ. لوزيانين، نفس المرجع السابق، ص 91.

[2] لوزيانين، نفس المرجع السابق، ص 92.

[3] نفس المرجع، ص 95.

[4] المرجع نفسه، ص 95.

في سياق آخر ، من **وجهة نظر واقعية** فإن روسيا تحسب مصالحها على ما يبدو انطلاقا من جيوسياستها تجاه أغلب المناطق في العالم، لذلك فقد سعى الكريملين نحو تجديد الضغط باتجاه إزالة العقوبات الدولية المفروضة على العراق[1] و هذا تأكيدا على سيادة العراق و مركزية دوره كفاعل مستقل عن باقي الأقاليم و الدول، و كما يبدو فإن فترة حكم الرئيس العراقي " صدام حسين" كانت في صالح الشركات النفطية حينما تمكنت من جني ما قيمته 70مليار دولار، من خلال الامتيازات المتحصل عليها، خاصة من حقل نفط " القرنة الثاني غربي العراق"[2]، و قد ساهم سعي رجال الأعمال الروس واهتمامهم للاستثمار في العراق على الحد من حزمة العقوبات الدولية عليه.

توافقًا مع الأهداف الجيوسياسية الروسية في المنطقة العربية ، و في حالة العراق فقد أكد أيضا الرئيس بوتين على أن العراق دولة تختلف تماما عن دول أخرى مثل أفغانستان مثلا ، و عليه فإنه لا يجب أن يصبح هدفا للعملية العسكرية الأمريكية من جانب واحد...و قد وصف "**بوتين**" العراق على أنه " **مشكلة**" و أعرب عن استعداد روسيا للمساعدة في حلها لكن تحت رعاية الأمم المتحدة فقط[3] ، وربما من المسائل المهمة للتحليل في المستوى الاقتصادي ؛ موافقة الأمم المتحدة على برنامج " **النفط مقابل الغذاء**" ، ما ساعد روسيا على اكتساب صفقة مربحة لصالح شركاتها، حيث "منح النفط العراقي لروسيا مقابل المنتجات المختلفة، ابتداء من الأرز وصولا إلى معدات تكرير النفط ووفق شروط تفصيلية، و كان أكثر من ثلث عائدات الضرائب الروسية يعتمد على أسعار النفط و استمر ذلك وصولا إلى الإطاحة بصدام حسين و هو ما تسبب في نهاية

[1] **Carola Hoyos**, "Russia in New Push to Lift Iraq UN Sanctions," Financial Times, September 3, 2016.

[2] "Global Insider: Russia-Iraq Relations," World Politics Review, June10, 2016
, http://www.worldpoliticsreview.com/trend-lines/9141/global-insiderrussia-iraq-relations

[3] لوزيانين، نفس المرجع السابق، ص 95.

المطاف في خسارة العقود المربحة خاصة في ضوء ارتفاع أسعار النفط"[1]، غير أن العلاقات الروسية العراقية على الصعيد الاقتصادي سارت فيما بعد نحو الأحسن*.

---

[1] **Jonathan Fuerbringer**, "Oil Prices Near $30 a Barrel, a 15-Month High," New York Times, August 15, 2015, http://www.nytimes.com/2002/08/20/ business/oil-prices-near-30-a-barrel-a-15-month-high.html.

* فقد شملت العلاقات الاقتصادية الروسية العراقية خلال العام 2003 وما بعده العديد من الزيارات الرسمية وإجراء عديد التبادلات التجارية والصفقات المهمة ومن ناحية كرونولوجية يمكن حصرها فيما يلي:

– زار موسكو في 22–23 ديسمبر/كانون الأول عام 2003 وفد لمجلس الحكم المؤقت في العراق برئاسة عبد العزيز الحكيم رئيس المجلس آنذاك. وقد دارت بينه وبين الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مباحثات اسفرت عن شطب الجزء الأعظم من الديون الروسية بذمة العراق. كما نوقشت في المباحثات مسألة فتح فروع لشركات النفط الروسية في العراق .

– وقد بلغ الدين العراقي لروسيا عشية سقوط نظام صدام حسين قيمة 12.9 مليار دولار. وفي اواخر عام 2004 اتخذ نادي باريس الذي تعد روسيا عضواً فيه قرارا بشطب 80% من الدين الحكومي العراقي. ولكن موسكو ذهبت ابعد من ذلك وقامت بشطب نسبة 93% من دين العراق لها .

– وفي 10 مارس/آذار عام 2004 وقعت في بغداد بين شركة النفط الروسية "لوكويل "ووزارة النفط العراقية مذكرة التفاهم والتعاون التي تم ايفاد اول مجموعة للخبراء العراقيين بموجبها يوم 7 يونيو/حزيران إلى روسيا لاخذ دورات في مجال استخراج النفط .واقتضت المذكرة تشكيل اللجنة الفنية الخاصة بتنسيق التعاون في مجال استخراج النفط والغاز في اراضي العراق .

– في 24–25 يوليو/تموز عام 2004 زار موسكو زيارة عمل وزير الخارجية العراقي" هوشيار زيباري "الذي ناقش سبل استئناف عمل الخبراء الروس في العراق .

– وقد وقع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في 26 أغسطس/آب عام 2004 مرسوما بالغاء الحظر على توريدات المعدات الحربية والأسلحة إلى العراق .

– وزار موسكو في 6–8 ديسمبر/كانون الأول عام 2004 رئيس الوزراء العراقي اياد علاوي على رأس وفد حكومي واسع. وجرت أثناء الزيارة مباحثات تخص الاستقرار السياسي في العراق وإقامة علاقات التعاون الاقتصادي بين البلدين في شتى المجالات واستئناف مفعول العقود المعلقة، لاسيما في مجال قطاع النفط التي تم إبرامها في عهد صدام حسين .

– في 18–21 سبتمبر عام 2007 زار موسكو في زيارة عمل وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري الذي وقع مع نظيره الروسي مذكرة تفاهم بشأن تأسيس القنصليات العامة للبلدين، وبصورة خاصة قنصلية روسيا الاتحادية في مدينة اربيل التي تم افتتاحها في 28 نوفمبر/تشرين الثاني عام 2007 .

– وعقد بموسكو في 11 فبراير/شباط عام 2008 الاجتماع الخامس للجنة الروسية العراقية الحكومية الخاصة بالتعاون التجاري والاقتصادي الذي أسفر عن توقيع اتفاقية تسوية دين العراق لروسيا بموجب القروض المقدمة سابقا. كما تم توقيع مذكرة التفاهم الخاصة بتطوير التعاون في مجال التجارة والاقتصاد والعلم والتقنيات .

– وتمت في أواخر مارس/آذار عام 2008زيارة وفد روسي إلى العراق ضم وحيد الكبيروف رئيس شركة " لوكويل" الروسية وألكسندر سلطانوف نائب وزير الخارجية الروسي. ونتيجة المباحثات مع قيادة العراق تم الوصول إلى تشكيل مجموعة العمل الخاصة بخلق الظروف لتفعيل مشروع حقل "القرنة الغربية"، وذلك بموجب القوانين العراقية التي يتم وضعها، بما في ذلك قانون النفط العراقي الجديد .

– وقد استأنفت شركة "**سيلوفيا ماشيني**" الروسية في مطلع يوليو/تموز عام 2008مفعول الاتفاقية الخاصة بإنجاز مشروع المحطة الكهرومائية "العظيم " التي تم عقدها في عام 2001 ومن ثم جرى تعليقها. ومن المخطط ان ينجز هذا المشروع في عام 2010. وثمة مشروع آخر تحققه هذه الشركة الروسية في العراق، وهو مشروع توريد المعدات والأجهزة الكهربائية للمحطة الكهروحرارية "**دبس**"، وجرت في 18 أغسطس/آب عام 2008 في موسكو المباحثات بين "سيرغي شماتكو" وزير الطاقة الروسي وكريم وحيد حسن وزير الطاقة الكهربائية العراقي. وقد وافق الجانب العراقي على اقتراح روسيا بتشكيل مجموعة عمل ثنائية خاصة بتطوير التعاون في مجال الطاقة. كما نوقشت خلال المباحثات مسألة إعادة اعمار المحطة الكهروحرارية "الحارثة": وذلك بمساعدة شركة "تيخنوبروم اكسبورت" الروسية الكبرى .

– كما قد زار العراق في يناير/كانون الثاني عام 2009 لأول مرة خلال السنوات الخمس المنصرمة في زيارة رسمية الوفد الروسي الرفيع المستوى برئاسة النائب الأول لرئيس مجلس الفيدرالية الروسي ألكسندر تورشين. وضم الوفد إدارة مجلس اتحاد مستخرجي النفط الروس برئاسة " **يوري شافرانيك**". وقد أجرى أعضاء الوفد مباحثات مع القيادة العراقية العليا في شتى مجالات التعاون الثنائي، ابتداء من المشاريع في مجال الطاقة والأمن، بما في ذلك استئناف التعاون العسكري التقني وانتهاء بمسائل التعاون في مجال التعليم.

نقلا عن : العلاقات الروسية العراقية، على الرابط: https://www.marefa.org

كما ورد في الإحالة ، و خلال العام 2003، فقد أخبر بوتين الوفد العراقي الزائر لروسيا أنه على استعداد لشطب الديون الروسية المستحقة على بغداد (8 مليار دولار) كما أضاف بوتين: " **نأمل بشدة في أن تبني روسيا علاقات طيبة مع القيادة الجديدة في العراق**"، و قد أكد رئيس مجلس الحكم العراقي المعين من قبل الولايات المتحدة " عبد العزيز الحكيم" أن هذا "الوعد السخي" جاء في مقابل منح الشركات الروسية فرص الوصول إلى العراق و هو ما أكدته تقارير صحفية فيما بعد[1] ،و هو ما يتفق مع **جيوايكونوميكا تنافسية** تتبناها معظم الأطراف الفاعلة في منطقة الشرق الأوسط ككل بما في ذلك روسيا مع باقي دول التحالف التي ساهمت في غزو العراق، و من ناحية واقعية نلمس فعلا سعي روسيا الحثيث نحو تغليب عامل المصلحة الخاصة على حساب طبيعة الأحداث و المستجدات في المنطقة العربية مع عدم إيلاء أي اهتمام واضح لطبيعة الأنظمة السياسية لدول المنطقة ، كما نلمس من ناحية أخرى ثبات السلوك الروسي من حيث طبيعة و سياسة التنازلات باعتبارها مفاتيح مهمة مثل مسح الديون، و الذي يعتبر بمثابة الحافز القوي المساعد على استرجاع المساحات القديمة للاستثمارات الروسية الاقتصادية في المنطقة العربية ، ففي عام 2005 ؛ وافق الكريملين على شطب جزء كبير من ديون العراق القديمة ، فضلا عن تقديم شركة "لوك أويل " Lukoil" الروسية لمساعدات إنسانية ضخمة للعراق قدرت قيمتها بملايين الدولارات ، كما تنازلت روسيا عن كل الدين العراقي الذي وصل إلى 12.9 مليار دولار[2].

حصلت كل من شركتي" **لوك أويل** "و"**غازبروم** " منذ العام2009 على العديد من العقود في العراق، وحسب أحد التقارير الصحفية المدرجة على صفحة الشركة "لوك أويل" بعنوان: "**لوك أويل توقع خريطة جديدة لتطوير حقل غرب القرنة الثاني**"، ورد فيه أن شركة "لوك أويل" وقعت مع شركة "**نفط البصرة**" على خطة تنمية غرب القرنة –2 الحقل الذي يوفر عتبة إنتاج النفط و المقدرة بـ 800 ألف برميل في اليوم، و وفقا للخطة ، فإن إنتاج النفط من 480 ألف برميل يوميا وصولا في عام 2020 إلى 800 ألف برميل يوميا حسب ما هو متوقع خلال 2025.

---

[1] **David Filipov**, "Russia Offers to Ease Iraq Debt for Oil Contracts," Boston Globe, December 23, 2003, http://www.boston.com/news/world/articles/2003/12/23/russia_offers_to_ease_iraq_debt_for_oil_contracts/; Associated Press, "Russia Set to Forgive Much of Iraq's Debt," NBCNews.com, December 22, 2003, http:// Washin.st/1QB755v.

[2] **Andrew E. Kramer**, "Russia Forgives Iraq Billions in Debt," New York Times, February 12, 2008, http:// www.nytimes.com/2008/02/12/world/ europe/12moscow.html? _r=0.

هذه المؤشرات سوف تتحقق نتيجة الحفر والتنقيب من جديد عن آبار الإنتاج والشحن و إنشاء وإطلاق معالجة النفط ، إضافة إلى عمليات التخزين ومرافق النقل لمعالجة الغاز وتوليد الطاقة، و الخبرة المكتسبة من قبل الشركة في المنطقة والبنية التحتية القائمة وتعويض التكلفة ضمن تطوير المشروع من الإنتاج الحالي سيضمن أقصى كفاءة لتنفيذ المشروع[1].

في الواقع ، قد لاحظت بعض الأطراف أنه بسبب الاتفاقيات التي تم التوصل إليها ، ستظل "لوك أويل" واحدة من أكبر المستثمرين وأرباب العمل في العراق في السنوات القادمة[2] ، أما بالنسبة لشركة "غاز بروم"، ففي أواخر عام 2009 ، فاز ائتلاف " Gazprom Neft و Kogas (كوريا) و Petronas (ماليزيا) و TPAO (تركيا) بعقد الحكومة العراقية لتطوير حقل"بدرة" الواقع في **محافظة واسط** في الجزء الشرقي من البلاد[3] Badra field located in the Wasit Province.، وتمتلك Gazprom Neft، بصفتها مشغل المشروع 30 % من المشروع Kogas 22.5 %، و Petronas 15 %، و TPAO 7.5 %،وتملك الحكومة العراقية الممثلة في المشروع من قبل الشركة العراقية للتنقيب عن النفط (OEC)25 % من الأسهم، و تبلغ دورة حياة مشروع تطوير حقل بدرة Badra field 20 عامًا ، مع إمكانية تمديدها لمدة خمس سنوات، قدرت استثمارات المشروع بنحو ملياري دولار أمريكي[4].

خلال عام 2012، وقع الكرملين على صفقة أسلحة مع الحكومة العراقية تصل قيمتها إلى4 مليارات دولار، ويعد هذا الاتفاق أكبر صفقة تمت بدفعة واحدة في عهد بوتين .ساهم هذا الاتفاق في جعل العراق ثاني أكبر مشترٍ للأسلحة الروسية بعد الهند، ومتساويًا مع الصين، وفق ما نشرته شركة" روستيك "الروسية المتخصصة في صناعة الأسلحة في تقاريرها فقد ساهم هذا الاتفاق في جعل روسيا ثاني أكبر مورد للسلاح للعراق بعد أمريكا ووفق التقارير الصحفية الروسية، فقد بدأت روسيا بتسليم الأسلحة إلى الجانب العراقي في أكتوبر 2013 ، بعد تأخير الصفقة بعض الوقت بسبب تحقيقات وادعاءات الفساد داخل مجلس النواب العراقي، و في أكتوبر 2013 أيضًا، أعلن بوتين العراق باعتباره شريكًا مهمًا لروسيا في الشرق الأوسط*، وأعلن عن استعداد روسيا لمساعدة العراق بما في ذلك المساعدة في مجال التعاون العسكري التقني . "وفي أبريل 2015

[1] Ibid.
[2] Idem.
[3] "Gazprom Neft develops the Badra field in eastern Iraq and is engaged in : geological xploration in: Iraq's Kurdistan Region , in: http://www.gazprom.com/about/production/projects/deposits/iraq/
[4] نقلا عن صفحة شركة "غاز بروم" الروسية على الرابط: http://www.gazprom.com/about/production/projects/deposits/iraq/

قال "أنري كوزايف"، رئيس العمليات في شركة "لوك أويل "خارج روسيا:" إن الشركة تخطط لجعل حقل غرب القرنة الثاني واحدًا من أكبر الحقول المنتجة في العراق سنويًا".[1]

جيوسياسيًا ، يمكن الإشارة إلى أن" **مزيدًا من مشاركة روسيا في العراق سوف تلقى استقبالًا حسنًا من قبل العرب، الذين ينظرون إلى موسكو باعتبارها منافسًا تقليديًا وثقيلًا في وجه الولايات المتحدة**"[2]، غير أنه ينبغي علينا التذكير مجددا بما لجأت إليه السياسة الأمريكية تجاه العقود القائمة عمليا في المجال الاقتصادي بين كل من الدولة العراقية و روسيا ، حينما كانت تضغط باتجاه فسخ تلك العقود و عدم السماح للشركات الروسية بالنشاط و الاستثمار هناك تحت ذرائع معروفة، هنا يمكن الإشارة من ناحية تكتيكية لما قام به ممثلو شركة "لوك أويل" ، إنقاذا لمصالح الشركة ، ففي 2003 حاولوا بدء التفاوض مع المسؤولين في وزارة النفط العراقية و تم من الناحية الشكلية التوقيع في مارس 2004 على عدد من مذكرات التفاهم .

لكن تلك الوثائق لم تؤخذ بعين الاعتبار لأنها – حسب لوزيانين– كانت [3] :

1- مجرد بيانات نوايا و ليست معاهدات و اتفاقيات مثبتة بدقة.

2- أن تنفيذها أصبح مستحيلا في أعقاب تصاعد العنف و الارهاب و الفوصى في العراق بعد 2004، و خاصة بعد مقتل الدبلوماسيين الروس في 2006.

في الواقع ، تطغى الصبغة الواقعية على السلوك الروسي الخارجي بطرق مختلفة في المنطقة العربية، و من الجدير الاشارة هنا إلى أنه ليس بمقدورنا أن نتحدث في عالم اليوم و العلاقات الدولية القائمة اليوم خارج

---

[1] **Ben Lando**, "Q&A: Lukoil Overseas President Andrey Kuzyaev," Iraq Oil Report, May 7, 2014, http:// www.iraqoilreport.com/energy/qa-lukoiloverseas-president-andrey-kuzyaev-12214/.

[2] "Global Insider: Russia-Iraq Relations," World Politics Review, June 14, 2011, http:// www.worldpoliticsreview.com/trend-lines/9141/global-insider-russia-iraq-relations.

*للاطلاع أكثر حول أهم المعطيات والتبادلات بين روسيا والعراق في المجال الاقتصادي يرجى مراجعة الروابط التالية:

-**Christopher Harress**, "India, China and Iraq Become Biggest Russian Weapons Importers amid Western Sanctions," International Business Times, July 22, 2015, http://www.ibtimes.com/india-china-iraq-becomebiggestrussian- weapons-importers-amid-western-sanctions-2019581.

- لمزيد من الاطلاع راجع الرابطين التاليين: "Russia to Become Iraq's Second-Biggest Arms Supplier," BBC, October 9, 2012, http://www.bbc.com News/world-europe-19881858.

-United Press International, "Iraq Gets Russian Arms Shipments under Landmark $4.4B Deal," October 5, 2014, http://washin.st/23s7HzF

[3] لوزيانين، نفس المرجع السابق، ص 95.

*نقرأ في مطلع الصفحة الرسمية للشركة "لوك أويل" : أما بالنسبة للشرق الأوسط ، فقد أصبح العراق النقطة المحورية في سياسة "لوك أويل" الإستراتيجية ، التي تهدف إلى زيادة إنتاج الشركة خارج روسيا .العراق هو واحد من أكثر المناطق الواعدة في العالم لبناء الإنتاج بسبب احتياطياتها الهائلة من الهيدروكربونات التقليدية .بالنسبة إلى لوك أويل ، مع تاريخها الضخم للإنتاج البري وتطوير النفط التقليدي ، فإن العراق جذاب للغاية من حيث تطوير الأعمال وتطبيق الدروس المستفادة .في عام 2014 ، أنتجت لوك أويل النفط الأول في غرب القرنة –2 ، وهو حقل في جنوب العراق .هذا هو واحد من أكبر الحقول في العالم Lukoil .هي أيضا طرف في مشروع للتنقيب تغطي(Block 10)يقع بالقرب من غرب "**القرنة–2** للاطلاع أكثر أنظر الرابط: http://www.lukoil.com/Company/BusinessOperation/GeographicReach/Asia/LUKOILinIraq

نطاق الحاضنة الثنائية الجيوبوليتيكية التي تجمع بدورها أحجام و مظاهر عديدة من التنافس المهيمن الاقتصادي و السياسي و الامني و الاستراتيجي كذلك بين روسيا و الولايات المتحدة ، و من نتائج تأثير الفكر الواقعي خاصة الكلاسيكي على السلوك الروسي ما قامت به شركة مثل "لوك أويل" محاولة العودة إلى العراق ؛ و ذلك عن طريق الشركة الأمريكية القوية **Conoco Phillips** التي أصبحت أحد المساهمين في شركة " **لوك أويل**"، بعد أن اشترت 10% من أسهمها و هي تنوي الآن رفع هذه النسبة إلى 20% . علما أن موسكو قيمت بسخاء دور الشركة الأمريكية و قدمت لها 17.5% من حصة "لوك أويل" في مشروع قرنة الغربية. و هنا يضيف "لوزيانين" بأن "لوك أويل" أصبحت عمليا أول شركة روسية حاولت تجاوز الفيتو الأمريكي غير المعلن المفروض على تلك البلدان التي لم تشارك في العملية العسكرية على العراق، وربما يمكن الإشارة أيضا إلى نوع من التوافق الجيوسياسي المؤقت في المنطقة العربية بين روسيا و الولايات المتحدة تمثل في الاستثناء الذي حظيت به "لوك أويل" مباشرة بعد محادثات الرئيس بوتين مع رئيس المجلس الأعلى لإدارة العراق "إياد العلاوي" في 2004 ، حين أعرب الرئيس الروسي عن استعداد بلاده لإلغاء 90%من ديون العراق* . كل ذلك يعكس في النهاية انكشاف حاد للمرجعية الفكرية الواقعية الروسية القائمة على بناء الحوافز و صناعة الدوافع و خلق المعيقات أمام أطراف و فواعل اللعبة الجيوسياسية في المنطقة العربية و غيرها سواء تجاه الولايات المتحدة أو تجاه أوروبا، و هي مرجعية بحسب هذا المشهد الجيوايكونوميكي في العراق؛ تحافظ من خلالها روسيا منذ الحرب الباردة على نوع من توازن الأدوار و استمرار تحقيق المصالح على حساب مجال الصراع أو التنافس و منه يمكن إثبات مدى تفهم الولايات المتحدة لرغبة روسيا في تحقيق مشهد التعددية على مستوى الاستثمارات الخارجية، غير أن تلك السياسة الروسية لم تكن دوما في صالحها و لو نسبيا و على سبيل المثال ، نجد التوجهات الجديدة لموسكو بالاستثمار في إقليم كردستان العراق – و لو أنه يظهر عزم الكريملين الجاد حسب البعض– إلا أنه لم يفوت عليها غضب بغداد من ناحية خاصة لما لموضوع الوحدة من أهمية بالنسبة للقادة العراقيين و مدى تخوفهم من تطلعات سكان الإقليم خاصة منطقة أربيل ، و ربما تجدر هنا الإشارة إلى أهمية الاستفتاء الأخير الذي كان مزمعًا إجراؤه خلال العام 2018 و موقف بغداد منه، خاصة ما قام به رئيس الإقليم " **مسعود بارازاني**" ، و ما لذلك من تداعيات على مستقبل العراق و مستقبل ثرواته النفطية على وجه الخصوص، و هو ما أدى إلى فقدان موسكو بعض العقود مع الحكومة العراقية، من ذلك مثلا ما قامت به "لوك أويل" من أدوار رئيسية، مثل مصدر مهم للطاقة في الإقليم . أما بالنسبة لشركة "غاز بروم" ؛ فقد وقعت – حسب بورشيفكايا– صفقتين مع الحكومة الإقليمية في كردستان العراق ن ما جعلها الشركة النفطية الرابعة الكبيرة التي تدخل إلى المنطقة في منافسة كل من "**شيفرون**" و "**أكسون موبيل**"

الأمريكيتين و "**توتال**" الفرنسية[1]. هذا فضلا عن جملة العقود الاقتصادية الموقع عليها من قبل موسكو و آربيل على هامش الزيارة التي قام بها "**مسعود بارازاني**" إلى موسكو في فبراير 2013، و التي مكنت شركة "**غاز بروم**" من الدخول في مشاريع نفطية في الإقليم مثل مشروع "**حلبجة**". ونظرا لتغليب بغداد لمصلحتها الأمنية و العسكرية الإستراتيجية، يحصل نوع من التوافق المصلحي برضاها الجزئي عن تلك المشاريع و الاستثمارات الروسية في الإقليم؛ فقد كانت بحاجة للسلاح الروسي. ومن زاوية تحليلية أخرى، يمكن القول بأن سياسة الحوافز و العقوبات الروسية كانت أكثر وضوحا في الشرق الأوسط منها في مناطق أخرى . معنى ذلك أنه يمكننا فعلا تلمس ما أسماه المنظرين في العلاقات الدولية بالحكمة الأزلية **للنظرية الواقعية**، وأنها النظرية التي لا يمكن أن تتناقض مع ذاتها أو مع الواقع. ومن أجل حصر أهم مؤشرات الفضاء الاقتصادي على المحور "**موسكو–بغداد**"، يمكننا إدراج الجدول التالي:

الجدول رقم 03 : أهم مؤشرات الفضاء الاقتصادي على المحور "موسكو– بغداد"

الحالة/الدولة	الفضاء الاقتصادي			
	المؤشرات	أهم المتغيرات	القيمة / النسبة	الفترة
	تجارة الأسلحة	مرسوم الغاء الحظر على توريدات المعدات الحربية و الاسلحة إلى العراق (وقعه بوتين")	–	2004
		صفقة أسلحة (أكبر صفقة في عهد " بوتين")	4 مليار دولار	2012
		العراق أكبر مشتري للأسلحة الروسية بعد الهند		
		روسيا ثاني أكبر مورد للسلاح إلى العراق(2013)		
		عقود استثمارية لصالح الشركات الروسية " حقل القرنة 2"	70 مليار دولار	2009
		صفقة مشروع تطوير "حقل بدرة"	2 مليار دولار	–
		توقيع مذكرة تفاهم و تعاون بين "لوك أويل" الروسية و وزارة النفط العراقية (دورات في مجال استخراج النفط)	–	2004
		التعاون في مجال الطاقة		

[1] آنا بورشيفكايا، مرجع سابق، ص 33.

العراق	استثمارات خارجية	مشروع انشاء المحطة الكهرومائية	-	2008
		بالنسبة لإقليم كردستان العراق: تم توقيع صفقات لصالح الشركات البترولية الروسيية الكبرى في الاقليم منافسة بذلك باقي الشركات الغربية الأخرى. انشاء مشاريع نفطية	-	-
	التبادل التجاري	روسيا: اكتساب صفقة مربحة لصالح شركاتها جراء البرنامج الأممي" النفط مقابل الغذاء"	-	-
	المساعدات الانسانية	مساعدات انسانية في مجالات مختلفة و متعددة	بملايين الدولارات	بعد سقوط نظام " صدام حسين"
	استعادة الديون القديمة	ديون مستحقة على العراق ، عمل بوتن على استعادتها (شراء الرئيس "صدام حسين" لأسلحة روسية ، استخدمها في حربه ضد ايران "حرب الخليج الأولى")	8 مليار دولار	منذ 2000
	شطب الديون الجديدة	شطب الجزء الأكبر من الديون الروسية بذمة العراق بعد سقوط نظام "صدام حسين"	11.9 مليار دولار من أصل 12.9 مليار دولار	2003
		عقود تسوية الدين العراقي، مع توقيع مذكرة تفاهم خاصة بتطوير التعاون في مجال التجارة و الاقتصاد و العلوم و التقنيات	-	2008

-الجدول من تصور وإعداد الباحث.

الفرع الثاني: الواقعية الجيوسياسية الروسية في الخليج العربي: محور"موسكو-الأردن ودول مجلس التعاون"

من الدوافع الجيوسياسية لروسيا في توجهاتها الخارجية في الكثير من المناطق في العالم ؛ دافع ملء الفراغ الغربي في الكثير منها، ذلك أن الدور المحدود للولايات المتحدة و بعض الدول الغربية في منطقة الشرق الأوسط و المنطقة العربية ككل شكل إلى حد كبير حافزا قويا لأن يبحث الكريملين عن تأسيس و بناء علاقات متميزة و استراتيجية مع أغلب دول تلك المناطق ، من بينها دويلات الخليج المعروفة و الغنية باحتياطاتها

الطاقوية خاصة منها **دولة السعودية و قطر و الإمارات العربية المتحدة وغيرها** ، فصلا عن العلاقات مع **الأردن و فلسطين و كذلك مع إسرائيل** ككيان له أبعاده الإقليمية إلى جانب فواعل النظام الإقليمي العربي.

خلال شهر فيفري 2007 قام بوتين بزيارة السعودية و قطر ، و تبعها عدد من الزيارات المتبادلة الرفيعة المستوى في السنوات اللاحقة ، و من أبعاد العلاقات الاقتصادية ذات البعد الاستراتيجي سعي روسيا لتسويق الصناعة النووية الروسية في الأردن و مصر و الخليج ، محاولة من ناحية خلق نوع من التوازن بين مستوى التكنولوجيا التي زودت بها دولة ايران؛ باعتبارها ذات حساسية زائدة مع السعودية في مواضيع عدة أهمها الصراع على **الفالق السني / الشيعي** ، و قضية الحرب في اليمن و مستوى التطور التكنولوجي لدويلات الخليج و باقي الدول العربية ؛ طبعا في مجال التكنولوجية النووية، و من ناحية ثانية ، تحاول روسيا العمل على ابعاد دول الخليج عن الغرب و خاصة السعودية منها، و الوجه الاقتصادي لتلك العلاقات تجسدت بصورة واضحة من خلال سعي شركات النفط الروسية الكبرى ، مثل "**غاز بروم**" و"**لوك أويل**" و "**روس نفط**" إلى عقد صفقات تجارية مع السعودية و قطر ؛ حيث كان بوتين يقوم بعقد صفقات كبرى من ضمنها الصيرفة الروسية ، و الصناعات الفضائية و صفقات السلاح ، و المشاريع المشتركة في النفط و الغاز[1] . و قد تطورت العلاقات السياسية بين روسيا والأردن بنجاح بسبب **مقاربات مماثلة** بين الدولتين تجاه موضوع الشرق الأوسط والعراق ، و يرجع ذلك إلى رغبة الحكومتين في مواصلة تقوية العلاقة بين روسيا والأردن في جميع المجالات[2].

في 13 فبراير 2007 ، خلال زيارة "فلاديمير بوتين" للمملكة الأردنية الهاشمية ، عقد الاجتماع المشترك الأول الذي يخصص لتنظيم مجلس الأعمال الروسي الأردني في غرفة التجارة الأردنية، و تم توقيع اتفاقية تأسيس مجلس الأعمال الروسي الأردني في نفس اليوم في قصر "**بسمان**" الملكي بواسطة السيناتور "**حيدر مراد** "، رئيس غرفة تجارة الأردن و السيد **نوفيسكي** Novistsky ، رئيس مجلس إدارة شركة Sistema-Invest [3]، هذا بالإضافة إلى الاجتماع الذي عقد في أفريل 2018 مؤخرًا ؛ و المتعلق بالتعاون و التبادل التجاري

---

[1] **Robert O. Freedman**, "Russia and the Middle East under Putin," Ortadogu Etutleri 2, no. 3 (July 2010): p33, *http://www.orsam.org.tr/en/enUploads/ Article/Files/201082_robertfeedman.orsam.etutler.PDF*

[2] « Russian-Jordanian Relations".in: http://russian-jordanian-bc.org/en/russian-jordanian-relations/

[3] « Russian-Jordan Business Council», IN: http://russian-jordanian-bc.org/en/

*في الثاني من أبريل 2018 في مقر غرفة تجارة الأردن، مجلس الأعمال الروسي الأردني (RJBC) نائب رئيس مجلس الإدارة والمدير، **السيد فاليري أ .كونونينكو**، عقد اجتماع عمل مع رئيس غرفة تجارة الأردن. **السيد نائل رجا الكباريتي**، ناقش المشاركون في الاجتماع التعاون التجاري والاقتصادي بين مؤسسات القطاع الخاص في الأردن وروسيا في المجالات التالية: الزراعة؛ السياحة .معالجة الأخشاب، الأدوية؛ الغذاء والحبوب ومنتجات الحبوب والمحاصيل الزيتية التصدير والاستيراد .وتصدير منتجات البحر الميت. كما ركز خلال الاجتماع **السيد كونونينكو** و **السيد الكباريتي** على ترتيبات وتكوين ومشاركة الوفد الأردني في المعرض الدولي الرابع " Arabia-EXPO 2018" ، والدورة الثانية عشرة لمجلس الأعمال الروسي العربي والدورة المشتركة=

الروسي الأردني في عدة مجالات مما أعطى دفعة قوية لانخراط روسيا و منتجاتها الصناعية و الزراعية في المنطقة*.

من بين مؤشرات الفضاء الدبلوماسي الاستراتيجي والفضاء السياسي، نجد جملة زيارات رسمية جرى تنفيذها من قبل الطرفين على مستويات مختلفة، ففي شهر سبتمبر 2000، أجرى الرئيس فلاديمير بوتين وملك الأردن "**عبد الله الثاني**" محادثة قصيرة خلال "**قمة الألفية**" في نيويورك .في أغسطس 2001، بحيث قام الملك عبد الله الثاني بزيارة رسمية إلى روسيا، كما أجريت عدة زيارات لرجال الأعمال إلى روسيا، فضلا عن الزيارة الرسمية للرئيس بوتين إلى المملكة الأردنية الهاشمية التي أتينا على ذكرها. هذا، كما عقدت اجتماعات على مستوى وزراء الخارجية بشكل منتظم . وعلى سبيل الذكر فقد زار **سيرجي لافروف**" دولة الأردن " في أكتوبر 2005 ونوفمبر 2006. كما زار الأردن –قبله– أيضا "**إيجور إيفانوف**" خلال شهري جوان وجويلية 2003. وبالمقابل فقد أجرى وزير الخارجية الأردني "**مروان المعشر**" زيارة مهمة إلى موسكو في فبراير 2004.

يضاف في الشأن السياسي ، أن الحكومة الأردنية تؤيد تطوير العلاقات السياسية مع روسيا في المستقبل فيما يتعلق ببعض الملفات العالقة في المنطقة العربية ، خاصة في مجال التسوية السلمية للوضع غير المستقر في كل من العراق و سوريا[1].

من ناحية أخرى ، و تأسيسًا على المناقشات التي جرت في الأمم المتحدة ، تم التوصل إلى نهج متطابق عمليا بين كل من روسيا والأردن لمعالجة قضايا دولية أخرى ، فقد أخذ الطرفان على سبيل المثال عملياً نفس الآراء بشأن مشاكل الإرهاب والتطرف الدولي ، والاستقرار الاستراتيجي ، ونزع السلاح (على المستويين العالمي والإقليمي) ، وعدم انتشار أسلحة الدمار الشامل،...، حقوق الإنسان ، والأمن الإنساني ، وأمن المعلومات ، إلخ[2].

=التاسعة للروسيين الأردنيين لمجلس الأعمال، كما قد أكد المفاوضون على ضرورة تنظيم المزيد من الفعاليات في مجال تبادل رجال الأعمال ومشاركة الشركات الروسية والأردنية في المعارض والمنتديات والمؤتمرات الدولية والمتخصصة التي تم تنظيمها في أراضي البلدين.للمزيد من الاطلاع راجع الرابط:
Rjbc deputy chairman&director mr. Kononenko meets chairman of jordan chamber of commerce h.e. Mr. Al-kabariti.in : http://russian-jordanian-bc.org/en/rabochaya-vstrecha-zam-predsedatelya-direktora-rids-v-a-kononenko-s-predsedatelem-tp-iordanii-n-al-kabariti-3/

[1]"Russian-Jordanian Relations".Op.Cit.

[2]Ibid.

على مستوى الفضاء الديموغرافي–السياسي، تنظم كل من روسيا والأردن عديد الاتصالات بين جامعات البلدين .فالجامعات الروسية ترحب بالطلاب الأردنيين، ولكن فقط 50–40 ٪ من المنح الدراسية الفدرالية مخصصة أو مستعملة لذلك الغرض. كما أن هناك من ناحية، مسألة مهمة تتعلق أساسا بدرجة الاهتمام التي خص بها كلا البلدين المسألة الشيشانية، هناك حوالي "مائة ألف" شخص من شمال القوقاز يعيشون في الأردن، ويشكلون نفوذًا في المهجر، حوالي 10 آلاف شخص من المغتربين هم من الشيشان، وكثير منهم حاولوا دعم الانفصاليين في الشيشان في الماضي .ولكن في وقت لاحق، أعاد قادة الشيشان المغتربين النظر في موقفهم تجاه حكومة جمهورية الشيشان الحالية، حيث تمثلوا بشكل خاص التدابير التي اتخذتها حكومة الأردن، مثل المفاوضات النشطة مع قادة المغتربين .كما أثرت زيارات رئيس الشيشان "**ألى ألخانوف**" Alu Alkhanov في سبتمبر 2005 ، وكذا زيارة رئيس جمهورية إنغوشيا "**مراد زيازيكوف**" Murat Zyazikov في جوان 2006 ، و في فيفري2007، فضلا عن الزيارة التي أجراها رئيس الشيشان "**رمضان قديروف**" Ramzan Kadirov خلال شهر أوت 2007 إلى المملكة الأردنية الهاشمية أيضا على موقف المغتربين إلى حد كبير[1]. وهو ما يثبت من ناحية جيوسياسية جملة التحديات التي تحسب لها روسيا كل حساب، تأتي هذه التحديات من مصادر عربية وإقليمية ولو أن عامل هجرة الأشخاص هو العامل الرئيس المساعد على بلورتها. وعلى روسيا أن تتصرف جيوسياسيا بصورة أكثر واقعية لتلافي تصعيد الأزمات في محيطها الجنوبي.

بالنظر إلى الفضاء الاقتصادي، فإن التعاون التجاري والاقتصادي بين روسيا والأردن قد تحول إلى مرحلة جديدة منذ عام 2007. و بحسب "**المجلس الروسي الأردني للأعمال** " ، فقد نما معدل التبادل التجاري الخارجي بشكل كبير و بلغ 169 مليون دولار (لمدة 10 أشهر في 2007) مقارنة بـ 64.8 مليون دولار فقط خلال 2006 . و في هذا الصدد، تشير الباحثة" آنا بورشيفكايا" إلى أن الحضور الروسي الدبلوماسي و التجاري نما هو الآخر " **بشكل مباغت**"، وصولا إلى حوار روسي استراتيجي بدءا من نوفمبر 2011، و الذي ركز – حسبها– على قضايا متنوعة من الأمن مرورا بالتجارة و الاستثمار وصولا إلى التبادل الثقافي[2]،

---

[1] Ibid.

[2] آنا بورشيفكايا، نفس المرجع السابق، ص 39.

* تمخض عن جملة المفاوضات التي أجرتها بعض الشركات الروسية حول الصفقات التجارية في الأردن ما يلي:

– اجتازت شركة "السكك الحديدية الروسية" اختبارات التأهيل للمشاركة في المناقصة الخاصة بعقد بناء خط سكة حديد عمان–الزرقاء، كما أبدت شركة Tekhnopromexortاهتمامها بمناقصة عقد بناء محطتين للطاقة الحرارية ومحطات الطاقة الكهرومائية على نهر اليرموك، كما تقوم شركة "AvtoVAZ"الآن بمفاوضات مع الشركاء الأردنيين حول إبرام اتفاقية لإنشاء شركة مشتركة لإنتاج سيارات ."LADA" وقد قامت "AvtoVAZ" بإرسال عروض تكنو تجارية للشركاء الأردنيين بشأن تسليم المنتجات النهائية من قبل مصنع تولياتي للسيارات، بالإضافة إلى تسليم مجموعات لتجميع موديلات السيارات التي من المقرر إنتاجها في أراضي الأردن. هذا كما تعتزم شركة "Stroitransgaz" طرح مناقصة لبناء خط أنابيب النفط الذي يربط حقول النفط في العراق (كركوك) ومصفاة النفط في الزرقاء بالأردن . بالاضافة إلى أن شركة "Engineering Energo Enterprises"

فقد جرت فعلا عدة مفاوضات* بين روسيا و الأردن في عدة مجالات والتي تفيدنا في دراستنا هذه من حيث تزويدنا بعدة مؤشرات مهمة لاستكمال التحليل، و في الواقع عقدت عدة صفقات تبادلية تجارية و ذلك من خلال جملة مناقصات تتعلق بمجال النقل و الطاقة و الثقافة والتصنيع.

من المؤشرات الإضافية الدالة على وجود حرص روسي أردني على رسم حدود فعالة للتعاون و التبادل الاقتصادي بينهما ، هو انعقاد الاجتماع الأول للجنة الروسية الأردنية الحكومية لتنمية التجارة و الاقتصاد و التعاون التقني العلمي بالأردن في إطار ما أسماه الملك الأردني " الحدود الجديدة" للشراكة الثنائية ، مشيرا بشكل محدد إلى خطط استخدام التكنولوجيا الروسية لبناء محطة الطاقة النووية الأولى في الأردن[1] ، وفعلا تم التصريح فيما بعد أن الأردن قد وقعت صفقة مع موسكو لبناء المحطة بقيمة 10 مليار دولار[2].

بالنظر إلى الأهمية الاقتصادية و الوزن السياسي و الدبلوماسي الذي تلعبه المملكة العربية السعودية في قضايا إقليمية، منها ما يتعلق بالخليج العربي و منها ما له صلة بالأحداث في الشرق الأوسط ، فإن التوجهات الخارجية الروسية تجاه السعودية تكتسي أهمية خاصة بالنسبة لاستراتيجياتها و أهدافها الجيوسياسية في المنطقة العربية ككل، فعلى هامش المنتدى الاقتصادي الدولي التاسع عشر في سان بطرسبرغ ، التقى فلاديمير بوتين مع ولي ولي العهد، وزير الدفاع في المملكة العربية السعودية، محمد بن سلمان

تجري تفاوضا مع شركة "الجيزان" الأردنية حول بناء جهاز لتوربينات الغاز لإنتاج الطاقة الكهربائية بسعة 400ميجاوات. نقلا عن :
"Russian-Jordanian Relations". Op.Cit.

1 "On the Outcomes of the First Meeting of the Russian-Jordanian IC [Intergovernmental Commission]," Embassy of the Russian Federation in Jordan, http://www.jordan.mid.ru/pr_130.html.
2 Associated Press, "Russia to Build Jordan's First Nuclear Power Plant," Al Jazeera, March 24, 2015, http://www.aljazeera.com/news/middleeast/2015/03/russia-build-jordan-nuclear-powerplant-150324192954416.html

في 18جوان 2015 [1]، تمت مناقشة آفاق تطوير العلاقات بين روسيا والمملكة العربية السعودية، و قد ورد في نص الخطاب (باللغة الروسية) في الجزء المهم منه و الذي ألقاه الرئيس الروسي فلاديمير بوتن ما يلي[2]

В.Путин: Ваше Высочество! Уважаемые коллеги, добрый день! Мне очень приятно встретиться с Вами в России, в Петербурге..

У нас с Королевством на протяжении многих лет складываются добрые отношения. Мы очень дорожим этим характером наших отношений..

С удовлетворением отмечаю, что растет товарооборот. Он, правда, пока скромный по абсолютным величинам, но имеет хорошую динамику..

Вы знаете, что я в телефонном разговоре пригласил Короля Саудовской Аравии посетить Российскую Федерацию с визитом. Хотел бы подтвердить это приглашение и передать Королю наилучшие пожелания.

الرئيس فلاديمير بوتين: " صاحب السمو، زملائي الأعزاء ، مساء الخير، يسعدني جدا أن ألتقي بكم في روسيا ، في سان بطرسبرغ ، لدينا علاقة جيدة مع المملكة لسنوات عديدة، نحن نقدر بشكل كبير هذه الشخصية من علاقاتنا. صحيح ألاحظ بارتياح أن التجارة تنمو ، في حين أنها تنمو بشكل متواضع من حيث القيمة المطلقة ، ولكن لديها ديناميات جيدة،أنت تعلم أنه في مكالمة هاتفية دعوت ملك المملكة العربية السعودية للقيام بزيارة إلى الاتحاد الروسي .أود أن أؤكد هذه الدعوة وأنقل أطيب التمنيات إلى الملك". أما رد ولي ولي العهد "محمد بن سلمان "في جزء مهم منه فتضمن ما يلي:

" نحن نعتبر روسيا واحدة من أهم الدول في العالم الحديث .علاقتنا تتعمق في التاريخ .كانت روسيا أول دولة أجنبية تعترف بالمملكة العربية السعودية عام 1926 .لذلك، سنسعى لتطوير العلاقات الثنائية في جميع المجالات".

في الواقع، قد تحمل تلك التصريحات من كلا الجانبين عديد الرسائل المهمة تاريخيا لكلا الطرفين، هذا رغم ما يقال عن العدائية التاريخية و بشكل كبير بين الطرفين ، فبوتين في الكثير من المرات كان ممتعضا من التحالف السعودي الأمريكي، وبرغم ذلك فقد تمخض عن ذلك توقيع 6 اتفاقيات من بينها اتفاقية تعاون نووية ، بحيث أعلنت المملكة العربية السعودية عن خطط لبناء 16 وحدة للطاقة النووية حسبما صرح به "سيرغي كيريينكو" Sergei Kiriyenko رئيس شركة "روس آتوم" Rosatom في مقابلة مع"24 Russia "، و قال: بأن التكلفة الإجمالية للعمل قد تصل إلى 100 مليار دولار،كما أشار إلى أنه قد تم التوقيع على اتفاق

1 Встреча с преемником Наследного принца, Министром обороны Саудовской Аравии Мухаммадом бен Сальманом.in : http://kremlin.ru/events/president/news/49724

2 Ibid.

* مؤسسة الطاقة الذرية "روس آتوم Rosatom تجمع حوالي 400 من الشركات والمؤسسات البحثية، بما في ذلك جميع الصناعة النووية المدنية من روسيا، مجمع الأسلحة النووية، ومنظمات البحوث وأسطول لكسر الجليد النووية الوحيد في العالم .بلغت محفظة الطلبات الأجنبية لشركة Rosatom في نهاية عام 2014 ما قيمته 101.4 مليار دولار.نقلا عن الموقع http://kremlin.ru/events/president/news/49724

حكومي دولي للتعاون في مجال الطاقة النووية السلمية بين روسيا والمملكة العربية السعودية، وبحسب Russia's Interfax فإن هذه الاتفاقية تبني أساسا قانونيا للتعاون بين البلدين لأول مرة في تاريخ العلاقات الروسية السعودية[1] .

تعددت مواضيع الاتفاقية – حسب نفس المصدر – من بينها توفير خدمات دورة الوقود النووي، بما في ذلك محطات الطاقة النووية ومفاعلات البحوث، كما تتعلق بقضايا معالجة الوقود النووي المستهلك والنفايات المشعة، وإنتاج النظائر المشعة وتطبيقاتها في الصناعة والطب والزراعة، كما شملت حتى عمليات تدريب الموظفين.

في نفس السياق؛ أضاف التصريح بأن المملكة العربية السعودية لا تملك بعد محطات نووية للطاقة النووية، ولكن لديها خططا طموحة لتطوير الطاقة النووية، ففي وقت سابق، أعلنت عن نيتها لتقديم 17 جيغاواط من الطاقة النووية بحلول عام 2032. في حين قد بدأ بناء أي من محطات الطاقة النووية المخطط لها في البلاد. والجدول أدناه يوضح بعض أهم مؤشرات الفضاء الاقتصادي التحليلية بمتغيراتها. وعلى العموم يمكن حصر أهم مؤشرات الفضاء الاقتصادي على هذا المحور مع مجموع متغيراتها ضمن جدول عام كما يتضح أدناه.

الجدول رقم 04: بعض أهم مؤشرات الفضاء الاقتصادي على المحور "موسكو–الأردن– الرياض"

الحالة/الدولة	الفضاء الاقتصادي			
	المؤشرات	أهم المتغيرات	القيمة / النسبة	الفترة
الأردن + دول مجلس التعاون الخليجي (السعودية)	تجارة الأسلحة	صفقات أسلحة	–	منذ 2000
	استثمارات خارجية	عقود استثمارية و صفقات لصالح الشركات البترولية الروسية مع كل من السعودية و قطر(مجال الصيرفة و الصناعات الفضائية + مشاريع مشتركة في قطاع النفط و الغاز)	–	منذ 2007
		توقيع اتفاق حكومي دولي للتعاون في مجال الطاقة النووية السلمية بين روسيا و السعودية	–	2015
		6 اتفاقيات تعاون نووية تشمل خطط لبناء 16 وحدة للطاقة النووية بين روسيا و السعودية	100 مليار دولار	2015
		بناء محطة الطاقة النووية الأولى في الأردن	10 مليار دولار	2010

[1]"Саудовская Аравия собралась построить 16 атомных блоков на $100 млрд ",in : http://www.interfax.ru/world/4 48582

	التبادل التجاري	تعاون تجاري اقتصادي مع الأردن	64.8 مليون دولار	2006
			169 مليون دولار	2007

- **الجدول من تصور وإعداد الباحث.**

المبحث الثاني: تحليل مؤشرات الفضاءين "ديمو-بوليتيك"-"دبلو-استراتيجيك": روسيا-المنطقة العربية

Analysis Of Political - Demographic & strategic - Diplomatic Space Indicators

المطلب الأول: الواقعية الجيوسياسية الروسية في الشرق الأوسط: سوريا، مصر، العراق.

الفرع الأول: "النموذج السوري" في الجيوبوليتيك الروسي – الشرق أوسطي.

رغم تاريخية العلاقة القائمة بين بلدين مثل روسيا وسوريا، إلا أن مرحلة حكم الرئيس "بوتين" كانت فعلا مرحلة مهمة، حملت في طياتها – من ناحية جيوسياسية – الكثير من الأبعاد السياسية والديموغرافية، فضلا عن باقي الأبعاد الأخرى الاقتصادية منها والاستراتيجية والدبلوماسية الاستراتيجية وغيرها.

ربما كان من حسن الصدف – سياسيًا– أن يتوافق استلام الرئيس السوري "**بشار الأسد**" مقاليد السلطة في سوريا تحديدا بعد ثلاثة أشهر من فوز الرئيس الروسي "بوتين" بالانتخابات الرئاسية في روسيا، و من الأبعاد السياسية للتوجهات الخارجية لروسيا خاصة تجاه الغرب و بعد الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة في سبتمبر 2011، أن توافقت الرؤى بين روسيا و الغرب حول مسألة مكافحة الإرهاب و التطرف ،اعتبارا لما كانت تقوم به روسيا من حرب في شمالي القوقاز ضد التمرد ، و في تلك الأثناء لم يتوان الرئيس "**بشار الأسد**" في تقديم نفسه للغرب على أنه زعيم علماني مكافح للتطرف السني في بلاده [1]، و هنا يمكن الحديث عن أنه يمكن تصنيف هذا المعطى التحليلي في خانة الفضاء الدبلوماسي الجيواستراتيجي أيضا ، على اعتبار أن عامل البقاء كما تشير بذلك النظرية الواقعية الكلاسيكية الجديدة كان حاسما في ذلك ، فمن وجهة نظر معينة يمكن اعتبار تخوف كلا الطرفين الروسي و السوري من تداعيات الحرب على الإرهاب في بعدها الدولي كان بمثابة الدافع الخفي لهما للإسراع بإعلان ولائهما للغرب عموما ، بالنسبة لروسيا فهي متخوفة فعلا من توسع بقعة الإرهاب ليشمل جزءا كبيرا من آسيا و أوروبا و هو ما له تداعيات على المحيط

[1] آنا بورشيفكايا، نفس المرجع السابق، ص 35.

القريب لها و حتى على الداخل الروسي علما بأنه من ناحية ديموغرافية يعيش حوالي 20 إلى 25 مليون مسلم هناك.

في الواقع و في نفس السياق ، فإن من تداعيات عملية غزو العراق من قبل قوات التحالف الدولي في 2003، و ما تمخض عن ذلك من السعي نحو دمقرطة دول الشرق الأوسط ، و استئصال الأنظمة الشمولية و التسلطية في العالم- بالمفهوم الأمريكي طبعا- ، جملة السياسات و التوجهات الخارجية لكل من روسيا و سوريا، و تأسيسا على طروحات **المدرسة الواقعية الكلاسيكية** على الخصوص، و تحديدا لما يتعلق الأمر بالمصلحة الوطنية و النفوذ و استخدام القدرة على التأثير في المحيط الدولي ، فإن سوريا كانت قد سمحت للمقاتلين السنة المتطرفين من جميع أنحاء المنطقة بالعبور إلى العراق عبر الأراضي السورية ، ما يعكس سعي النظام السوري نحو ضرورة دعم قوى التطرف والمتمردين في العراق ضد الولايات المتحدة و سياستها العدائية لحزب البعث العراقي ،و ربما هنا من حيث الأسباب يمكننا الإشارة إلى تلك العلاقات التاريخية التي كانت قائمة في مرحلة سابقة بين العراق و سوريا في شكل مشروع وحدة عربية، هذا من جهة، و من جهة أخرى عامل التصنيف الأمريكي لدولة مثل سوريا ضمن قائمة الدول المارقة ، كما أن من مصلحة النظام السوري هزيمة الولايات المتحدة في العراق من أجل ألا يطالها الضغط الغربي باتجاه تغيير أسس النظام السياسي و قناعاته ، أو من أجل الديمقراطية و احترام حقوق الإنسان ، خاصة و أن أغلب التقارير الحقوقية و الإعلامية تؤكد خنق حرية التعبير في سوريا و غير ذلك من الممارسات غير الديمقراطية في حق الأقليات و الطوائف، بالمقابل روسيا تصرفت من خلال سياسة الكيل بمكيالين، فمن جهة على المستوى الروسي الداخلي قامت بمحاربة و محاولة استئصال الاسلام الراديكالي و متابعة و تصفية الإسلاميين الجهاديين في الشيشان و غيرها (أفغانستان سابقا) ، خوفا من تفكك روسيا و انهيار النظام السياسي الروسي، و هنا تجدر الإشارة إلى أنها تحتكم واقعيا إلى مفهوم "العون الذاتي" أو "المساعدة الذاتية" للخروج من معضلة الانقسام والانفصال، إضافة إلى تأثير المفاهيم الواقعية الأخرى كالبقاء و عامل الدولاتية ، و انطلاقا من مقتربات المثلث الواقعي و مفاهيمه تصرفت روسيا في محيطها الداخلي ، أما على المستوى الخارجي و انطلاقا من تغليب عامل المصلحة الوطنية و ما دام الأمر مناسبا لروسيا و متوافقا و تطلعاتها الجيوسياسية في المنطقة العربية فإنها بدل القمع في روسيا تدعم تلك الحركات المتطرفة في العالم ككل و ليس في العراق أو سوريا ، و هو عامل مهم لروسيا من أجل صنع الفوضى من و جهة نظر تحليلية واقعية ، وعامل إحداث الفوضى بالمفهوم "**الوالتزي**" من خلال النظرية " **الواقعية الجديدة**" لا يمكن أن يدرج إلا ضمن مفهوم القوة الناعمة الجديدة لروسيا ، و على الأرجح ما تقوم به روسيا اليوم في سوريا و في العلاقة مع تركيا و إيران من دعم للميليشيات المسلحة و قوى المعارضة من جهة و جبهات عدة أخرى هناك ما هو إلا انعكاس لتمثل المدرسة الواقعية من

حيث تبني روسيا لآليات مدروسة و لو بصورة متضاربة تماما لنفس القضايا، و هنا تظهر فعليا أهمية العامل الجغرافي في فهم السلوك الروسي ففي الحالة الأولى " الداخل الروسي" والحالة الثانية" الخارج الروسي"، و هما مجالين جغرافيين تختلف بينهما مصلحة و أهداف و توجهات موسكو.

بالنسبة لروسيا، لم يكن لها لتستغني عن مسلسل التصفيات الجسدية للأشخاص و رجال الأعمال والجواسيس و بعض رجال المخابرات العاملين في جهاز KGB، آخرها حادثة اغتيال الجاسوس الروسي "سكريبال" في بريطانيا بغاز الأعصاب خلال هذا العام ، و رغم تعالي الأصوات بإجراء التحقيقات في عدة قضايا منها مثلا حادثة اغتيال أخرى سابقة تتعلق بالضابط الروسي السابق في جهاز الأمن الاتحادي KGB، و الذي قد انشق و انتقل إلى بريطانيا و هناك سرب بعض المعلومات عن علاقات بوتين بالمافيا الروسية، قبل أن يتسمم بغاز "**البولونيوم-210** " في نوفمبر 2006[1] ، و من وجهة نظر واقعية أيضا؛ و بحسب طروحات النظرية الواقعية الكلاسيكية حول ضرورة احترام كيانات و استقلالية وسيادة الدول مثل فواعل عقلانية مركزية في العلاقات الدولية ، تستخدم روسيا بصورة مستمرة حق الفيتو أو النقض باعتبارها عضوا دائما في مجلس الأمن الدولي ، فقد عملت روسيا على إضعاف أي قرار لمجلس الأمن يجبر سوريا على التعاون الكامل مع لجنة التحقيق ، فروسيا تعتبر ما تقوم به المحكمة الدولية هو انتهاك صارخ لسيادة دولة لبنان ، كما تنظر إلى تلك القرارات على أنها فرضت من جانب واحد ، و في هذا السياق نجد بأن من بين آليات روسيا في توجهاتها الخارجية تجاه عدة قضايا هو العمل على استثمار الجانب القانوني و توظيف الحق السياسي في هيئة الأمم المتحدة ، و هو ما ساعد مثلا على تعطيل عدة قضايا منها قضية التحقيق هذه ، إلى غاية تمرير مجلس الأمن القرار رقم 1757 الذي يجيز إنشاء **محكمة خاصة بلبنان***.

من الأدلة أيضا على عمق العلاقات بين روسيا و سوريا ، حادثة مهمة في تاريخ لبنان على اعتبار أنه يشكل جزءا مهماً من المنطقة العربية و الشرق الأوسط، تمثلت في حادثة مقتل رئيس الوزراء اللبناني الأسبق "**رفيق الحريري**" عام 2005، و هي الحادثة التي كانت سوريا موضع اشتباه فيها[2] ، وحول تلك المسألة ؛ فإن هناك ملاحظة جد مهمة و هي أن الفضاء الديموغرافي – السياسي بين روسيا و العالم العربي خاصة سوريا تحديدا ؛ أغلب مؤشراته تتفاعل تأسيسا على طبيعة و درجة تأثير الموقف الدولي المتميز من

---

[1] **Laura Smith-Spark and Phil Black**, "UK Inquiry into Litvinenko's Poisoning Death Wraps Up," CNN, August1, 2015, http://www.cnn. Com/2015/08/01/europe/uk-russia-litvinenko-inquiry/. On the inquiry's conclusion, Litvinenko's lawyer and his wife laid the blame on Putin. **Quoted From**: Anna Borshevkaya.ibid.

* القرار صدر عن مجلس الأمن تحت رقم 1757، و من الدول الممتنعة عن التصويت من أجل تمريره نجد كل من الصين واندونيسيا وقطر و الاتحاد الروسي وجنوب افريقيا، لمزيد من الاطلاع ينظر:

Security Council Authorizes Establishment Of Special Tribunal To Try Suspects In Assassination Of Rafiq Hariri,In : Https://Www.Un.Org/Press/En/2007/Sc9029.Doc.Htm

[2] نفس المرجع السابق، ص 36.

سوريا منذ التسعينيات و حتى مطلع القرن الواحد و العشرين، و في السياق ذاته يحصر "لوزيانين" أربعة مشاكل واجهت سوريا خلال تلك الفترة، و هي بمثابة حوافز لروسيا أغلبها ذات صناعة غربية في إطار تنافسي في منطقة الشرق الأوسط ، و على الأرجح تبقى إسرائيل المنتج الفعلي لمؤشرات ذاك الفضاء في المستوى الإقليمي و الدولي تحديدا، و تقاطعا مع ما قد تم شرحه ، فقد تمثلت تلك الحوافز / المشكلات في ما يلي[1] :

1- الضغط الأمريكي القاسي على سورية بحجة دعم الإرهابيين، والإعلان الأمريكي عن إمكانية فرض حصار على سورية، وفرض عقوبات دولية عليها.

2- التهم الموجهة من واشنطن ضد دمشق بصنع أسلحة التدمير الشامل وقيام أمريكا بالتخطيط لتوجيه ضربات وقائية لسورية حسب السيناريو العراقي.

3- الضغط الإسرائيلي على سوريا وإقامة نظام من العزلة الدولية عليها.

4- اتهام المخابرات السورية بأنها وراء اغتيال رئيس الوزراء اللبناني " **رفيق الحريري**" في شتاء 2005 و مطالبة الولايات المتحدة الأمريكية و إسرائيل بانسحاب القوات السورية من لبنان .

في الحقيقة ، منذ بداية الانتفاضة السورية بدأ دعم الأسد من قبل الكرملين بصورة أكثر وضوحا في المستوى السياسي أولًا، و ذلك عبر التصاريح المختلفة والبرامج الإعلامية العديدة و أكثر من ذلك ؛ قد ساهم الكرملين في تسليح قوات الأسد من ناحية عسكرية، كما عمل الكرملين بكل جهد على توفير الحماية القانونية و السياسية من أي من قرارات مجلس الأمن و قد دعم كل تلك المؤشرات السياسية في تفاعلاتها مؤشرات أخرى عدة في بعدها الاقتصادي، كما تم الإشارة إليها ضمن المبحث الثاني، و ليس ذلك فقط بل هناك دلالات أخرى يحملها هذا المثال ، منها ما هو ذو صلة بالحسابات الاستراتيجية والجيواستراتيجية ، و روسيا هنا تعمل على دمج و استغلال كل الوسائل المتاحة بصورة واقعية براغماتية من أجل ضمان مصلحتها في سوريا و المنطقة العربية ككل أو منطقة الشرق الأوسط ، و هي في الحقيقة تؤسس لجيوسياسة واقعية ، تضمن لها مكان في سوريا من خلال القواعد البحرية في ميناء طرطوس الدولي أو في منطقة حميميم أو غيرها ، و من جهة أخرى تحاول فرض سياسة الأمر الواقع على الغرب عموما في المنطقة و مثال استخدام الأسلحة الكيميائية في سوريا و موقف روسيا الرافض و المعارض لأي قرار يدين بصورة واسعة النطاق سوريا ، و غيرها من الأطراف المشتبه بهم وهو مثال يشرح حقيقة الدور الحمائي لروسيا حتى و لو تم استخدام تلك الأسلحة الكيميائية فعلا من قبل النظام، و في هذا الصدد يشير كل من Ernesto Londoño and Greg

[1] س،غ، لوزيانين، نفس المرجع السابق، ص 79.

Miller في دراسة بعنوان : " **مسؤولون أمريكيون يقولون إن سوريا تستخدم مخزون الأسلحة الكيميائية المتبقية كرافعة** ، "U.S. Officials Say Syria Is Using Remaining Chemical Weapons Stockpile as Leverage، أنه "في صيف 2013 ، و في أعقاب هجوم بغاز السارين السام في إحدى ضواحي دمشق ، ساهمت موسكو في التوسط لاتفاق يضع الترسانة الكيميائية السورية تحت الرقابة الدولية، لتجنيب نظام الأسد ضربات عسكرية دولية ، و مع ذلك، يقال إن نظام الأسد حافظ على بعض هذه الأسلحة لاستخدامها ورقة مساومة في مراحل لاحقة [1]".

الفضاء "**ديمو– بوليتيك**" ، فضاء حافل بالمؤشرات و التفاعلات بين روسيا و العالم العربي ، وأكثر ما يمكن تلمس هذا التفاعل؛ بين سوريا و روسيا، و من بين تلك المؤشرات ما قام به مجلس الأمن في أوت 2015 من عمليات تحقيق في مسألة هجمات "الكلور" التي نفذت في سوريا ، و في سياق التنافس الغربي الروسي في المنطقة العربية يلجأ الغرب إلى الاعتقاد بمسؤولية الأسد عن ذلك، لكن روسيا تصرفت من ناحية سياسية تجاه ذلك بالعمل على جر الغرب و معه مجلس الأمن الدولي إلى تبني مشروع إزالة ترسانة الأسلحة الكيميائية السورية و الذي كان ناجحا بشكل لا لبس فيه[2]، بعد ذلك كان قد صرح "سيرغي لافروف " قائلا:" تخرج بعض المنشورات لتتحدث عن وجود أسلحة كيميائية لم يعلن عنها في سوريا ، لقد تم تفقد كل شيء، و يجب علينا تجنب الاتهامات التي لا أساس لها ، نملك كل ثقة بأن سوريا ستواصل التعاون معنا عن كثب"[3]، هذا مع استمرار روسيا في التهديد باستعمال حق النقض بهدف منع جهود مجلس الأمن للتحقيق في هذه الهجمات*.

تجدر الإشارة هنا أيضا إلى اجتماع مجلس الأمن الدولي في التاسع من شهر أفريل 2018 ، من أجل مناقشة قرار أمريكي يقضي بالتحقيق في أحداث الهجوم الكيماوي في "دوما" بسوريا، وبالنسبة لرد فعل المسؤولين الروس، فقد أقروا بأن قوات المعارضة السورية كانت تهدد باستفزاز في "دوما"، تأكيدا على عدم قيام النظام بذلك، وتحميل المعارضة مسؤولية القيام بذلك حماية للأسد من عقوبات غربية متوقعة.

---

[1] **Ernesto Londoño and Greg Miller**, "U.S. Officials Say Syria Is Using Remaining Chemical Weapons Stockpile as Leverage," April 30, 2014, Washington Post, https://www.washingtonpost.com/world/national-security/usofficials-say-syria-is-using-remaining-chemical-weapons-stockpile-as-leverage/2014/04/30/1dd68c8ad0a8-11e3-9e25-188ebe1fa93b_story.html.

[2] آنا بورشيفكايا، نفس المرجع السابق، ص 37.

[3] نفس المرجع السابق، ص 37.

* لمزيد من التوسع والاطلاع ينظر:

Carol J. Williams, New U.N. probe of Syrian chemical weapons use to name perpetrators, in: http://www.latimes.com/world/middleeast/la-fg-syria-chemical-weapons-un-probe-20150910-story.html

حول هذه النقطة ، يتضح – **واقعياً** – مدى سعي روسيا و حرصها على توجيه الغرب في اتجاه يجنب سوريا و من ثم الرئيس السوري مغبة العقوبات أو فخ ضربة عسكرية محتملة من قبل الدول الغربية، و من ناحية هي تسعى بكل الوسائل الممكنة و الصعبة منها ، كما تتبع كل مسارات التهدئة في العلاقة الثنائية بينها و بين المؤسسات الدولية كمجلس الأمن؛ أو باقي الدول العظمى ضمانا لمصلحتها و سعيا للحفاظ على نجاح العملية التنافسية بينها و بين الغرب في المنطقة، و هذا ضمن الأطر التي تتصورها **نظريات التنافس المهيمن الواقعية** "**المعاصرة**" حول تزايد و تناقص منسوب القوة من أجل الهيمنة على النظام الدولي، و بعبارة أدق بات من الضروري اليوم الحديث عن "**دورة القوة**" و الهيمنة داخل النظام الدولي و على ما يبدو هي في مرحلة تحول صعب خاصة في ظل تعددية الأقطاب الصاعدة على غرار روسيا و الصين و الهند و غيرها.

يضيف "**لوزيانين**" نقطة مثيرة أخرى فيما يتعلق بالفضاء السياسي الديموغرافي ، مشيرا إلى " أن حساسية الموقف الروسي تكمن في أن لروسيا علاقات سياسية راسخة و متساوية جدا سواء مع سورية أو مع إسرائيل ، مؤكدا من جهة أن روسيا ليس بمقدورها عدم أخذ الموقف المعقد القائم بعين الاعتبار سواء في سوريا أو في الشرق الأدنى ككل ، و هي ترى في دمشق الحليف الأمثل و الأجدى..." [1]، ذلك بأن سوريا بحاجة الى التعاون العسكري التقني مع روسيا باعتبار سوريا سوقا واعدة لها، كما أنها بحاجة للدعم السياسي الروسي الإقليمي و العالمي **(مجلس الأمن و المنظمات الدولية ...)** لإخراجها من وضع العزلة الدولية المفروضة عليها خاصة من قبل الدول الغربية ، و تجنيبها العقوبات الدولية ، هذا فضلا عن دور و أهمية الموقع الاستراتيجي الروسي –حسب لوزيانين– الذي يسمح لروسيا بدوره بالاحتفاظ بمواقعها المتوسطية و توطيدها و توطيد نفوذها و حماية مصالحها في الشرق الأدنى [2]، وهو يؤكد ترسخ التوجهات الروسية الخارجية في المنطقة العربية في **التقليد الافتراضي الواقعي الكلاسيكي.**

من الاستنتاجات المهمة حيال سلوكات روسيا و تصرفاتها في الشرق الأوسط و المنطقة العربية ككل على المستوى الديمو – بوليتيك ، **العناد الروسي** في وجه الغرب و المبالغة في حماية الأسد ونظامه، و أن روسيا تسعى لاستعادة دور القوة العظمى بالموازاة مع القوة فوق العظمى للولايات المتحدة، و من أهدافها السياسية أيضا السعي إلى ضمان إشراكها كقطب مهم من بين تعددية قطبية تضمن دورها الفعال في القضايا ذات البعد الإقليمي و الدولي و العالمي، و في نفس السياق فإن روسيا في مسعاها ذاك تشير

[1] س،غ، لوزيانين، نفس المرجع السابق، ص 81.

[2] نفس المرجع السابق، ص 81.

– حسب بورشيفكايا– إلى " أن الغرب لن يدعم الدول الصغيرة في حال حاولت الخروج من تحت نفوذ موسكو ؛ كما فعل مع جورجيا، فالكرملين ينظر إلى الأمر على أن حماية الأسد ليست عملية مرتبطة بالقائد، بل هي مرتبطة أكثر بتعزيز قدرة روسيا على التأثير في الأحداث في الشرق الأوسط"[1]، و هو ما يتفق تماما و طروحات الفكر الواقعي الكلاسيكي حول مسألة قدرة الدول / الفواعل على "التأثير" Influence داخل النظام الدولي ، و روسيا تسعى حقيقة نحو استعادة دورها عن طريق آليات جديدة تضغط من خلالها على الغرب؛ عبر إحداث التأثير في قوة القرارات أو توجيه استعمال القوة وعقلنة وسائل حل الأزمات ، و هي كما أشرنا في تحليلات أخرى تتبنى فعلا سياسة بناء الدوافع والحوافز و المعيقات في سياستها الخارجية في الكثير من المناطق في العالم، و للتوضيح أكثر وبصورة أدق يمكن العودة إلى الجدولين أدناه.

الجدول رقم05: أهم مؤشرات الفضاء ديمو – بوليتيك على المحور "موسكو – دمشق"

الحالة/الدولة	الفضاء ديمو– بوليتيك		
	المؤشرات	**أهم المتغيرات**	**الفترة**
سوريا	**مكافحة الارهاب و التطرف**	روسيا تتخوف من الترانزيت الديني المتطرف والراديكالي باتجاه مجال نفوذها روسيا تعلن ولاءها للغرب "الولايات المتحدة وأوروبا" روسيا تسعى إلى المشاركة الفعالة في القضايا العالمية	منذ 11 سبتمبر 2001 أحداث التفجيرات في الولايات المتحدة الأمريكية
	التصفية الجسدية للأشخاص (مؤشر يخص الداخل الروسي ذو أبعاد جيوسياسية على العلاقة مع المنطقة العربية)	تتعلق التصفية برجال الأعمال و الجواسيس و بعض رجال المخابرات (ضباط سابقين في KGB...)	2006
		(قضية سكريبال)	2018
		النقض عن طريق استثمار روسيا للجانب القانوني و الحق السياسي في قضايا عدة: (غزو العراق ، قضية تدخل الناتو في ليبيا، حماية "الأسد" من مشروع قرار أممي حول مسألة استخدام السلاح الكيماوي في سوريا، مشروع ضربة عسكرية لنظام الأسد...)	2003 –2018 2013

[1] "Finland Probes 'Syria Arms Smuggling Attempt,'" Al Jazeera, February 16, 2013, http://www.aljazeera.com/news/americas/2013/02/20132152 24954763885.html. Quoted from: Anna Borshevkaya.ibid.

	استخدام حق الفيتو/ التهديد باستخدامه	السعي نحو توفير الحماية القانونية و السياسية من أي من قرارات مجلس الأمن الدولي ضد بعض القادة العرب (الأسد، القذافي ، صدام) فرض سياسة الأمر الواقع على الغرب(مسألة الأسلحة الكيماوية و معارضة روسيا لأي قرار يدين بصورة واسعة النطاق سوريا ، تنفيذ هجوم بغاز السارين السام ...)	
	الدعاية الاعلامية	استثمار روسيا للجانب الاعلامي و الدعاية و الترويج عن طريق الحصص الاعلامية و التصريحات التي تدعم بعض الرؤساء العرب مثل الرئيس السوري "بشار الاسد"	-
	السعي نحو امتلاك القدرة على التأثير في الأحداث	روسيا تسعى إلى اثبات وجودها في المنطقة العربية من خلال: اقامة علاقات ناجحة مع أغلب الدول و القوى الاقليمية ضمن منطقة الشرق الأوسط و تحديدا (ايران ، تركيا) تشجيع و اثارة الفوضى في الشرق الأوسط (سوريا تحديدا) من خلال دعم النظام السوري من جهة و دعم المليشيات المسلحة من جهة أخرى.	منذ 2011
	التنافس على موقع القوة المهيمنة	اظهار القوة و الاستخدام المباشر للقوة سواء عن طريق التدخل العسكري المباشر مثل ما جرى مع كل من "سوريا" و"جورجيا" و "أوكرانيا"، أو عبر انشاء القواعد العسكرية "أسطولها في البحر الأسود" أو " قاعدة طرطوس أو حميميم" في سوريا...	2018 -2008
	المساواة في العلاقة مع كل من "سوريا و اسرائيل"	تجنب الاخلال بالعلاقات الوثيقة تاريخيا مع اسرائيل كقوة نووية اقليمية في الشرق الأوسط تجنب وقوع مواجهة مباشرة بين اسرائيل و سوريا نظرا للخلفية التاريخية و الاحساس بالخطرمن قبل اسرائيل تجاه الطابع العلوي للنظام السوري (توجه شيعي، بما يعني نفس توجه ايران و حزب الله في المنطقة)	منذ 2015

- **الجدول من تصور و إعداد الباحث.**

الجدول رقم 06: أهم مؤشرات الفضاء دبلو– استراتيجيك على المحور "موسكو– دمشق"

الحالة/الدولة	الفضاء دبلو – استراتيجيك		
	المؤشرات	أهم المتغيرات	الفترة
سوريا	اعلان الولاء للغرب	روسيا تتخوف من تمدد الترانزيت الديني المتطرف الراديكالي باتجاه مجال نفوذها(شمال القوقاز) نتيجة العملية الدولية لمكافحة الارهاب 20–25 مليون مسلم في روسيا	منذ 11 سبتمبر 2001 أحداث التفجيرات في الولايات المتحدة الأمريكية
	استراتيجية امتصاص الفوضى	داخليا : روسيا تسعى إلى استئصال الاسلام الراديكالي ، و تصفية و متابعة الإسلاميين الجهاديين في الشيشان و أفغانستان(العون الذاتي)	–
	استراتيجية خلق الفوضى	خارجيا: روسيا تدعم الحركات المتطرفة في سوريا و العالم ككل(مثلا مع تركيا و ايران من خلال دعم الميليشيات المسلحة و قوى المعارضة) تسليح الجيش السوري النظامي	2011–2018
	الوساطة مع المؤسسات الأممية	التوسط (دبلوماسيًا) لإيجاد اتفاق يضع ترسانة الأسلحة الكيميائية السورية تحت الرقابة الدولية ، و تجنيب الأسد ضربات عسكرية دولية محتملة.	2013
	تبني مسار التهدئة (مسار استراتيجي)	1– في العلاقة الثنائية بين روسيا و المؤسسات الأممية (مجلس الأمن) 2– في العلاقة الثنائية بين روسيا و باقي الدول العظمى	بعد 2015
	الاستخدام المباشر للقوة	التدخل العسكري المباشر مثل ما جرى مع كل من "سوريا" و"جورجيا" و "أوكرانيا"، أو عبر انشاء القواعد العسكرية "الأسطول الروسي في البحر الأسود" أو " قاعدة طرطوس أو حميميم" في سوريا...	2008 –2018

- **الجدول من تصور و إعداد الباحث.**

الفرع الثاني: الخطاب الجيوسياسي الروسي تجاه مصر بين سياستين: "البراغماتيزم و ملء الفراغ"

خلال مرحلة السبعينيات ، و على الرغم من العلاقات الاستراتيجية التي كانت قائمة بين الاتحاد السوفياتي السابق و مصر خلال مرحلة الحرب الباردة ، إلا أن حدثًا سياسيًا ضمن الفضاء "**ديمو – بوليتيك**" أعتبر من أهم مؤشرات العلاقة السلبية فيما بعد بين الطرفين ، تمثل أساسا في طرد الرئيس

المصري "**أنور السادات**" المستشارين العسكريين السوفيات و أفراد القوات الجوية السوفياتية من مصر في صيف 1972[1]، و مع ذلك فقد تحسنت العلاقات خلال مرحلة حكم الرئيس **فلاديمير بوتين***.

أيضا فيما بعد تعززت العلاقات بين البلدين مطلع العام 2000، خاصة بعد الاتصال الهاتفي الذي أجراه بوتين مع الرئيس المصري "حسني مبارك" ، تم من خلاله مناقشة قضايا العلاقات الودية ، و في شهر أفريل فيما بعد زار الرئيس المصري روسيا خلال 2001 و وقع على اتفاق طويل الأمد لتطوير العلاقات التجارية و الاقتصادية ، في المجالات الصناعية و العلوم و التعاون التقني فضلا عن إعلان مبادئ حول علاقات الصداقة و التعاون بين الطرفين، ثم تلت ذلك عدة زيارات رسمية متبادلة لمسؤولين رفيعي المستوى بين الطرفين، كما أنه قد تم في شهر سبتمبر 2004 التوقيع من قبل "سيرغي لافروف" على بروتوكول تعاون استراتيجي و حوار بين وزارتي الخارجية، كما قد زار الرئيس الروسي فيما بعد مصر في أول زيارة له خلال أفريل 2005، ووقع من خلاله بيانا حول تعميق العلاقات الودية[2].

كما أشرنا في موضع تحليل مؤشرات الفضاء الاقتصادي بين مصر روسيا، فإنه من المستبعد أن تصبح مصر في المستقبل القريب **شريكًا استراتيجيًا مفتاحيًا** لروسيا في المنطقة العربية ، و السبب في ذلك هو غياب المبادرات من الطرفين و تأثير الدور الظاهر للولايات المتحدة و سياستها تجاه مصر ، و هو أمر مرتبط تاريخيا بدور الرئيس "أنور السادات" الأسبق، خاصة في علاقاته مع إسرائيل و حلفائها و توقيعه معاهدة "**كامبديفيد**" و ما انجر عنها من نتائج فيما بعد، و رغم الدور الذي لعبه الرئيس المخلوع "**حسني مبارك**" في إعادة الفرمتة و التقليل من حدة الدور الغربي نوعا ما في مصر خاصة على المستوى السياسي إلا أن الولايات المتحدة لا تزال تشكل أحد الشركاء الأساسيين لمصر ، و من الواضح أن العلاقات الروسية – المصرية سوف تبقى في المرحلة الراهنة تؤدي الوظائف الموضعية ...، و من بين تلك الوظائف – ضمن الفضاء الديمو– بوليتيك – تطلع روسيا إلى استخدام العامل المصري في جامعة الدول العربية ... و نظرا للدور المركزي لمصر داخل المنظمة فقد تم إرساء قواعد للعلاقات المنتظمة بين روسيا و الجامعة العربية في عام 2003، بما ذلك التوقيع على مذكرة تفاهم بين الخارجية الروسية و الأمانة العامة للجامعة العربية ، و خلال 2005 عقد في القاهرة مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية و دعي لحضوره مندوب روسيا و معه

---

[1] "Vladimir Putin Had a Telephone Conversation with Egyptian President Hosni Mubarak," Kremlin, August 14, 2000, http://en.kremlin.ru/events/ president/news/38896.

* في معرض حديثه عن العلاقات الروسية–المصرية يعبر لوزيانين عن **إعادة فرمتة** العلاقات بين الطرفين، مشيرا إلى أن الرئيس المصري جمال عبد الناصر القومي العربي قد انتهج سياسة التحالف مع موسكو و انه قد تلقى دعما سوفياتيا كبيرا في المجالات العسكرية و المالية و المادية–التقنية، كما قد منح لقب " بطل الاتحاد السوفياتي" من قبل الحكومة السوفياتية آنذاك، نقلا عن : لوزيانين، نفس المرجع السابق،ص 69.

[2] آنا بورشيفكايا، نفس المرجع السابق، ص 22.

مندوب تركيا [1]، و من خلال زيارة بوتين مجلس جامعة الدول العربية اعتمد المجلس سفير روسيا في مصر مفوضا ممثلا في الجامعة[2].

هنا يمكن القول بأن روسيا أصبحت تنظر لتعاظم دور الفواعل الأخرى غير الدول على غرار الأمم المتحدة ، بما في ذلك تلك المنظمات الإقليمية ، و هي تعتبرها ذات دور حساس و مهم في التفكير الجيوبوليتيكي المعاصر ، على الرغم من ممانعة أغلب قرارات مجلس الأمن الدولي، و هو ما يتطابق مع أفكار الواقعيين الجدد ، باعتبار أنهم يعترفون بأدوار الفواعل غير المنتمين للدول ضمن المفهوم "عبر –قومية" أو "عبر – وطنية" ،و لكن ينغي التأكيد على أن روسيا يبدو أنها تكيل بمكيالين، و إن كانت أغلب توجهاتها تحمل موقفا واضحا تجاه مبدأ احترام سيادة و استقلالية الدول ، وهي تعارض بشدة فكرة التدخل في الشؤون الداخلية للدول إلا أنها من جهة تضيق الخناق من ناحية قانونية و سياسية على المنظمات الدولية الحكومية و غير الحكومية داخل روسيا و حتى على الشركات الكبرى الاستثمارية[3].

من بين الآليات ضمن الفضاء ديمو– بوليتيك و التي تبنتها روسيا تجاه مصر ، خاصة بعد أحداث الربيع العربي و بعد الإطاحة بالرئيس الأسبق حسني مبارك ، محاولة الرئيس بوتين مد جسور التعاون مع جماعة الإخوان المسلمين ، " على الرغم من أن المحكمة العليا الروسية كانت قد صنفت الجماعة على لائحة الإرهاب في فيفري2003 * ، كما قامت بحظرها رسميا في روسيا ، و ذلك على خلفية الاتهامات الروسية للجماعة بتعزيز التمرد بشكل مستمر في شمالي القوقاز[4]، و هنا ينبغي الإشارة إلى قضية عدم تصنيف

---

[1] لوزيانين، نفس المرجع السابق، ص 71.

[2] آنا بورشيفكايا، المرجع السابق، ص22.

[3] **Jacek Wieclawski,"** Contemporary Realism and the Foreign Policy of the Russian Federation", *International Journal of Business and Social Science, Centre for Promoting Ideas, USA, Vol. 2,N, 1,January 2011/16.pdf* ,in: www. *ijbssnet.com*

*في هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن روسيا لا تصنف جماعة الإخوان في الأردن كجماعة إرهابية بل تعتبرها جزء من المجتمع السياسي الأردني و جزء من المعارضة المشروعة فيه، لكن بالنسبة لجماعة الإخوان المسلمين المصرية تصنف على أنها جماعة إرهابية ، و كان قد نفى السفير الروسي في الأردن "أليكسندر كالوجين" في 2006 إدراج جماعة الإخوان في الأردن على القائمة الروسية للإرهاب و قال:" إن ما تضمنته هو جماعة الإخوان المسلمين في مصر": للاطلاع على المقال كاملا ينظر:القدس العربي،"روسيا توضح أن "إخوان مصر "و ليس الأردن هم المشمولون بقائمتها للإرهاب"،السنة الثامنة عشرة، العدد 5367، الأربعاء 30 آب (أغسطس) 6–2006 شعبان 1427هـ، في:
https://www.cia.gov/library/abbottabad-compound/81/8152F4D5FD474428D91C2EBD6306530D_qds08.pdf

* في هذا الصدد تجدر الإشارة إلى أن روسيا لا تصنف جماعة الإخوان في الأردن كجماعة إرهابية بل تعتبرها جزء من المجتمع السياسي الأردني و جزء من المعارضة المشروعة فيه، لكن بالنسبة لجماعة الإخوان المسلمين المصرية تصنف على أنها جماعة إرهابية ، و كان قد نفى السفير الروسي في الأردن "أليكسندر كالوجين" في 2006 إدراج جماعة الإخوان في الأردن على القائمة الروسية للإرهاب و قال:" إن ما تضمنته هو جماعة الإخوان المسلمين في مصر": للاطلاع على المقال كاملا ينظر:القدس العربي،"روسيا توضح أن "إخوان مصر "و ليس الأردن هم المشمولون بقائمتها للإرهاب"، السنة الثامنة عشرة، العدد 5367، الأربعاء 30 آب (أغسطس) 6–2006 شعبان 1427هـ، في:
https://www.cia.gov/library/abbottabad-compound/81/8152F4D5FD474428D91C2EBD6306530D_qds08.pdf

[4] "On Suppressing Activities of Terrorist Organizations on the Territory of the Russian Federation," Resolution N3624-III, State Duma of the Russian Federation, February 12, 2015, http://www.pravo.gov.ru/proxy/ ips/?docbody=&vkart=card&link_id=5&nd=102080223

روسيا لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن على لائحة الإرهاب، عكس ما فعلته مع الاخوان المسلمين في مصر ، على أنها تحمل دلالات عميقة تتمثل في تبني روسيا لتوجهات خارجية متضاربة في الظاهر تجاه المكونات السياسية للمجتمعات العربية على اختلافها تتبني أساسا على سياسة الكيل بمكيالين ، فبالنسبة لجماعة الإخوان في مصر تخضع لتصنيف محلي و إقليمي و دولي ، و هو ما يفرض على روسيا أن تأخذه بعين الاعتبار حفاظا على المصالح طويلة الأجل في مصر و هي بذلك تساير الغرب و تحديدا الولايات المتحدة – ، و التي تنظر بنفس المنظور للجماعة – في إطار التنافس الدولي في المنطقة العربية ، وهنا يمكن تصور شكل معين من أشكال التفاعل داخل الفضاء الكلي بين مؤشرات اقتصادية و أخرى سياسية ، إذن رغم التصنيف السيء للجماعة من قبل روسيا نفسها، إلا أن بوتين قد سعى في 28 جوان 2012 إلى تهنئة الرئيس المنتخب ديمقراطيا من قبل الشعب المصري الاخواني الانتماء الرئيس " **محمد مرسي**"، فقد أرسل له برقية تهنئة بمناسبة الذكرى االسنوية لثورة 1952، و هي الثورة القومية في مصر التي أنهت الاحتلال البريطاني، و هي رسالة للغرب عموما على أن روسيا بامكانها اليوم استثمار مساحات الماضي في المنطقة العربية ، و أن روسيا لم تأت للمنطقة من أجل استعمارها ، و أنها تسعى لإثبات وجودها حيثما وجد الغرب ، كما أن هناك رسالة لأمريكا تحديدا مفادها أن روسيا تشجع كل الأطياف السياسية دون استثناء في المنطقة و تبقى الانتخابات هي الفيصل في قضايا إسناد السلطة، ومعنى هذا أن موسكو تؤمن فقط **بالديمقراطية السيادية** أو "**الممسوكة**" كما أنها لا تؤمن بالديمقراطية الغربية الليبرالية، و لذلك ، لا داعي للتغيير بالقوة و لا داعي للثورات الديمقراطية في المنطقة ، و هي بذلك تفرض ضرورة احترام سلطة الشعوب و سيادة الدول.

> *"Putin thus signaled that he welcomed the return of Egypt as leader of the Arab world. Yet a subtle anti-Western message dwelled in this outreach: Putin had chosen to congratulate Morsi on the anniversary of an event viewed by many as the overthrow of Western imperialism''.*

أما بالنسبة لجماعة الإخوان المسلمين في الأردن؛ فيبدو أن عدم تصنيفها نفس التصنيف نابع من الدور الذي يلعبه الأردن في السياسة الغربية في المنطقة ، و في قضايا السلم مع إسرائيل و في الشرق الأوسط ككل ، ناهيك عن عدم توافر إمكانية الوصول الفعلي للسلطة من قبل الجماعة و تخندقها ضمن" **حزب جبهة العمل الإسلامي**" المعارض، فضلا عن أنها لا تشكل خطرا على المملكة الأردنية،هذا مع العلاقات القائمة تاريخيا بين الأردن و الدول الغربية مثل بريطانيا ، ناهيك عن محدودية الفعالية السياسية لروسيا داخل الأردن على العكس من

باقي الدول العربية الأخرى ذات الوزن الجيوسياسي والعمق الجيواستراتيجي في المنطقة ، و على الأرجح يبقى العامل الجغرافي فعلا عاملا حاسما في بلورة جيوسياسة خارجية روسية تجاه المنطقة ، فبين تموقع مصر و موقع الأردن عوامل تباين كثيرة على الأرض، و نظرا لأهمية مصر الجيوسياسية ليس على مستوى الشرق الأوسط بل لما لها من دور فعال كذلك على مستوى شمال افريقيا ، خاصة ما يتصل بالمسألة الليبية و غيرها، فقد أعرب بوتين في رسالته إلى مرسي عن رغبته في تعزيز العلاقات بين روسيا و مصر في كافة المجالات، بالإضافة إلى بناء شراكة فاعلة بين البلدين لحل المسائل الإقليمية[1]، و في هذا الشأن تضيف "آنا بورشيفكايا": " **...و هكذا أشار بوتين إلى أنه يرحب بعودة مصر زعيمة للعالم العربي ، و أنه أراد برسالته المعادية للغرب أن يركز على هذه التوعية من خلال تهنئة مرسي في ذكرى حدث يعتبره كثيرون علامة فارقة أطاحت بالامبريالية الغربية...**"

في الواقع ، روسيا تتصرف في المنطقة العربية بنوع من التحدي المعلن للغرب ، كما تمارس بصورة أوضح نوع من العناد المدروس خارج معادلة القطب الأوحد أو حتى ضمن معادلة الادعاء بثنائية الأقطاب مع الولايات المتحدة و غيرها من الدول الأوروبية ذات المصالح المعلنة و غير المعلنة في المنطقة، و على الأرجح هي تتصرف من خلال توافر تعددية أقطاب عبر مساحات أوسع من تلك التي اشتغل من خلالها الاتحاد السوفياتي سابقا ، غير أن ذلك لا يلاحظ جغرافيا على هذا المستوى أيضا ، فقد جرى و أن تصرفت روسيا في مساحات جيوسياسية كثيرة تعتبرها مجالا حيويا لها و لنفوذها ، مثل ما حصل في جورجيا و أوكرانيا أو ما يسمى بـ "**الخارج القريب**" بالنسبة لروسيا، فالمنطقة العربية ذات خصوصيات و هي تصنف ضمن دائرة ما يسمى " **الخارج البعيد**" لروسيا، و هي المنطقة يعتبر النفوذ و الهيمنة عليها أحد أولويات السياسة الخارجية الروسية ، و بالعودة إلى أهمية مصر ؛ بالتحديد في شهر ديسمبر من العم 2017 ، فى قمة جمعته بالرئيس المصري في القاهرة عقب توقيع العقود النهائية لإنشاء محطة "الضبعة" النووية قال بوتين: "**بأنه يسعى إلى خلق مزيد من التعاون مع مصر ووصفها بأنها الشريك القديم والموثوق به في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا**[2]."

من التوجهات السياسية التي تبنتها روسيا تجاه مصر ، مبادرتها بمناقشة إمكانية تخفيف القيود المفروضة على جماعة الإخوان المسلمين في روسيا ، اضافة إلى الزيارة التي قام بها مرسي إلى موسكو في

[1] "Congratulations to President of Egypt Mohammed Morsi on the 60th Anniversary of the July Revolution," Kremlin, July 23, 2012, http://en.kremlin. Ru/events/president/news/16043.

[2] رامي عزيز، "**محاولات روسيا المقلقة لتأسيس نفوذها في مصر**"، مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، في:
http://rawabetcenter.com/archives/67723

أفريل 2013، و في نفس الاتجاه تحدث "فيودور لوكيانوف" Fyodor Lukyanov وهو محلل بارز في السياسة الخارجية قائلا: "لا أحد يعرف حقا ما الذي سيتمخض عن هذا ، لكن مصر بلد مهم للغاية ، بغض النظر عن رأينا في سلطاتها الجديدة ، نحن بحاجة إلى إجراء حوار."و أضاف: " من المنطقي لروسيا أن تراهن على مصر ، أو على الأقل أن تسعى للعلاقات معها بنشاط كبير، لذا أعتقد أنهم سيحلون القضية قريباً مع جماعة الإخوان المسلمين في روسي"[1] . وفي الواقع نلمس بعض الدلالات المهمة من خلال تصرفات روسيا الخارجية تجاه جماعة الإخوان المصريين منها:

- على الرغم من التقارب الروسي مع أغلب النخب السياسية ذات الميول الغربية و العلمانية في مصر، إلا أنها تتقبل الممثلين الجدد للسلطة و القابضين عليها و هم الإسلاميين ، هذا في ظل تجاهل كل التوجهات الروسية السابقة تجاه الجماعة ، فهناك نوع من التنازل و الخروج عن الخطوط و الأطر الفكرية للنخبة الروسية سابقا خاصة القومية منها، و هو ما يعني أن بوتن فعلا لا يزال يسحب من كل تلك الخزانات العقائدية للنخبة الروسية على حد تعبير Jean Robert Jouanny (الفصل الثاني)، مؤكدًا على أولوية تأمين النفوذ الروسي في المنطقة، و مستغلا الفراغ الجيوسياسي الذي خلفه الغرب في المنطقة خلال الفترات الأخيرة ، حتى لو كان ذلك يعني دعم منظمة تشجع الإرهاب و عدم الاستقرار في روسيا ، من وجهة نظر الكريملين على الأقل.
- سعي روسيا لممانعة الغرب في المنطقة حتى على حساب الأبعاد القومية الروسية؛ تماشيا مع مفردات الجيوسياسة المعاصرة، خارج ظلال الايديولوجيا ، و انسجاما مع طروحات و افتراضات النظرية الواقعية خاصة المقاربة "الواقعية المشروطة" التي تعترف بإمكانية التعاون بين الدول حتى في ظل حالة التنافس و سيادة عامل الغش والنوايا السيئة بينها، و الدليل على ذلك هو أنه مباشرة بعد الإطاحة بالرئيس مرسي في جويلية 2013 ؛ بدأت العلاقات المصرية الروسية بالتحسن، ما عوض ضعف و فتور العلاقات المصرية الغربية عموما خاصة تجاه الولايات المتحدة ، و من ناحية التحليل الجيوسياسي للمسألة ، فإن مصر كانت تعتقد بتخلي الولايات المتحدة عنها في حربها و صراعها سواء مع الإخوان الممسكين بالسلطة بطريقة شرعية ، أو مع الجبهة الثانية ذات الصلة بالإرهابيين في شبه جزيرة سيناء ، في ظل انكفاء المساعدات الأمريكية لمصر عسكريا ، كما أنها أوقفت الحوار الاستراتيجي المصري الأمريكي، هكذا وضع، خلق للرئيس "بوتين" الجو المناسب لممارسة سياسة ملء الفراغ الاستراتيجي و غياب الدعم

1 Gabriela Baczynska, “Russia may ease Muslim Brotherhood ban to boost Egypt ties” in: https://www.reuters.com/article/us-egypt-politics-russia/russia-may-ease-muslim-brotherhood-ban-to-boost-egypt-ties-idusbre8bh0vd20121218

اللوجيستي و العسكري الغربي لمصر في تلك الظروف ، يعتبر هو الآخر حافزا مهما فتح المجال أمام روسيا من أجل واقعية سياسية جديدة في المنطقة ذات نزعة براغماتية بحتة، والدليل على ذلك سياسة التقارب التي أبدتها موسكو تجاه الرئيس المصري الجديد"عبد الفتاح السيسي" الذي وصل إلى الحكم بعد الإطاحة بالرئيس الأسبق "**محمد مورسي**" ، في شكل انقلاب سياسي مدعم عسكريا، نعت فيما بعد بالانقلاب الكبير على مكاسب **الثورة المصرية** ، و لم تبد موسكو أي تحفظا تجاه ذلك ، بل حسب رأي بعض الخبراء ؛ كان الكريملين يتطلع لتعزيز العلاقات مع مصر لضمان نجاح مؤتمر "**جنيف**" للسلام المتعلق بسوريا ، في حين يرى البعض الآخر أن الكريملين يرى في "**السيسي**" **جمال عبد الناصر الجديد** ، الذي تحدث من منطلق القومية العربية ضد الغربية الامبريالية[1] ، و ما يفهم من ذلك هو أن السياسة الخارجية الروسية تجاه مصر مبنية أساسا على حسابات براغماتية بحيث لا يهم حتى و إن لم تكن طرق اسناد السلطة و انتقالها تمر عبر آليات غير ديمقراطية ، و من جهة أخرى ليس من الضروري تحديد انتماء و هوية من يحكم في مصر و غير مصر ، لكن بالنظر إلى قضية الحكم و هوية من يدير دفة السلطة في بعض الأقاليم الأخرى مثل أوكرانيا و جورجيا و شيشينيا و غيرها فإن الأمر يختلف تماما ، ويستمر مسلسل التحقيقات من قبل جهاز المخابرات و مؤسسة الكريملين في هوية من يستلم السلطة تحسبا للحفاظ على الهوية القومية لروسيا الأوراسية تحت المفهوم الجيوسياسي، والمفارقة هي أن سياسة الكيل بمكيالين تخدم مصالح روسيا في كل الاتجاهات ، تماما مثل ما تفعل في قضايا كثيرة ، و هو ما يؤكد المنهج البراغماتي الذي أصبحت روسيا تتبناه خارج الهوية الإيديولوجية الكلاسيكية ، تماشيا مع المفاهيم و الافتراضات الواقعية التي تؤمن بسيادة و وحدة الدول و مركزة الحكم من جهة ، كما تعترف بالدور المحدود للقوى الأخرى ، و هي بذلك تتبنى سياسة مرنة تجاه نوعية القضايا و الأحداث، مع عدم الاهتمام بإيديولوجية حكام الدول العربية ولا بطبيعة أنظمتها السياسية، فروسيا أصبحت تبحث لها عن مكان داخل بوتقة التناقضات مهما كلفها ذلك من تنازلات و مهما كانت طبيعة المعادلة التي تحكم سلوكاتها و علاقاتها مع مناطق النفوذ ، لكنها تفكر و تتصرف بطريقة مختلفة حينما تتعلق المسألة بالعلاقة مع الغرب ، و قد يكون منطق اللجوء إلى التظاهر بالقوة دون استخدامها في ساحات مواجهة مكشوفة مع الغرب؛ سياسة "**هجوم دفاعي**" تتبناه روسيا في مناطق محسوبة استراتيجيا مثل مناطق و مساحات نفوذ؛ ليس فقط من منظور تاريخي بل من

[1] **Heba Saleh and Kathrin Hille**, "Egypt Turns to Russia as Relations with Washington Sour," Financial Times, November 8, 2013, http:// www.ft.com/intl/cms/s/0/6f10930c-489a-11e3-a3ef-00144feabdc0.

منظور التنافس المهيمن الواقعي الجديد المسيطر على تفكير النخبة القائدة في روسيا ، يأتي على رأسها رجل المخابرات الألماني المنشأ الرئيس الحالي " **فلاديمير بوتين**" .

هناك من ناحية أخرى بعض المشاهد ، تحمل **مؤشرات ديمغرافية- سياسية** مهمة في العلاقات الروسية المصرية، فالجهود المصرية الحثيثة و التي تتبناها القيادة الحالية و الجيش المصري ضد الجهاديين في مصر ، كانت تعكس فعلا تراجع و فشل المشروع الغربي الأمريكي تحديدا ، المتمثل في السعي نحو دمقرطة مصر و منه كل المنطقة العربية و الشرق الاوسط، وفرضها احترام حقوق الانسان و الحريات العامة و حرية التعبير و غيرها، و من ناحية أخرى، شكلت تلك الجهود مشاهد محفزة لروسيا على الاستمرار في فرض سياسة الأمر الواقع على الغرب عموما و على دول المنطقة أيضا ، و هو ما فتح الباب موسعا أمام علاقات تعاون لوجيستي لتمكين مصر من تجاوز أزمتها، وتمكين روسيا من مزايا مالية و استراتيجية موسعة.

أيضًا ، من المؤشرات ضمن نفس الفضاء حركة الهجرات التي تحدث بين البلدين ؛ ففي عام 2014 زار أكثر من 3 ملايين سائح روسي مصر من أصل 10 ملايين سائح حول العالم ، وهو ما له علاقة مباشرة مع المؤشرات الاقتصادية ضمن الفضاء الاقتصادي، و من جهة أخرى له علاقة مهمة مع مؤشرات الفضاء السياسي أيضا، و إن كان حادث تحطم طائرة الركاب الروسية في مصر في أكتوبر 2015 و مقتل جميع ركابها الـ 244 قد أثر على العلاقات على المستوى الديمغرافي و الاقتصادي أيضا ، لكن كل الإجراءات بعد الحادث – رغم الدعاية الغربية- كانت مؤقتة و عادت العلاقات إلى مجراها الطبيعي ، و هو ما يدفعنا مباشرة إلى القول مرة أخرى بأن واقعية روسيا كانت حتما أكبر من أزماتها ، إنها تبحث فعلا من خلال قيادتها عن مصلحتها بأي ثمن ، بل خارج مشروعها القومي الإيديولوجي بعض المرات خاصة لما يتعلق الأمر بصلاحية بعض المساحات للتواجد و النفوذ الغربي، وهذا الاستنتاج قد يكون صحيحا لكن ليس دوما، فروسيا – من ناحية جيواستراتيجية و جيوسياسية- كان من الصعب عليها أن تتقبل مسألة توسع الناتو شرقا ، كما أنه كان أصعب على قيادتها من أن تتقبل مشروع الدرع الصاروخية و أي شيء آخر مؤذ لروسيا- مثل بوادر بزوغ الهوية الجديدة "الغربية" لأوكرانيا وغيرها – خارج نطاق "روسيا الأوراسية"، ذلك كله لم يكن لتستسيغه روسيا ضمن ما يعرف بالخارج القريب، وعلى الأرجح ؛ يبدو أن جيوسياسة روسيا في "خارجها القريب" لم تكن هي نفسها جيوسياسة روسيا ضمن "خارجها البعيد"، و الجدول الموالي يختصر بعض أهم تلك المؤشرات التحليلية في الفضاء"**ديمو-بوليتيك**"على المحور"**موسكو- القاهرة**".

الجدول رقم07: بعض أهم مؤشرات الفضاء" ديمو- بوليتيك" على المحور "موسكو- القاهرة".

الحالة/الدولة	الفضاء ديمو- بوليتيك		
	المؤشرات	أهم المتغيرات	الفترة
مصر	البراغماتيزم : استغلال موقع الدول الاقليمية في المؤسسات الاقليمية	تطلع روسيا إلى استخدام مصر كعضو محوري جد مهم في جامعة الدول العربية لتحقيق مصالحها في المنطقة العربية	منذ 2001
	استغلال الهيئات الاقليمية	توقيع مذكرات تفاهم	2003
		عقد مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في القاهرة بحضور مندوب روسيا	2005
	العلاقة مع الأطياف السياسية	مد جسور التعاون مع جماعة الاخوان المسلمين في مصر تهنئة "بوتين" للرئيس المصري الجديد "محمد مرسي" الاخواني الانتماء تشجيع كل الأطياف السياسية دون استثناء في المنطقة العربية روسيا تؤمن بالديمقراطية السيادية	2012
	الهجرة السياحية	أكثر من 3 مليون سائح روسي في مصر من أصل 10 مليون سائح روسي عبر العالم.	2014

الجدول من تصور وإعداد الباحث.

- أما الجدول أدناه فيوضح أيضا بصورة مختصرة بعض المؤشرات الدالة ضمن الفضاء "**دبلو – استراتيجيك**" على نفس المحور السابق.

الجدول رقم08: بعض المؤشرات ضمن الفضاء "دبلو – استراتيجيك" على المحور "موسكو- القاهرة"

الحالة/الدولة	الفضاء دبلو- استراتيجيك		
	المؤشرات	أهم المتغيرات	الفترة
مصر	سياسة البروتوكول	توقيع بروتوكول تعاون استراتيجي بين روسيا و مصر	2004
	الواقعية الفوضوية	تعيين سفير روسيا في مصر مفوضا ممثلا لها في الجامعة العربية من قبل مجلس الجامعة (الاعتراف خارجيا بدور و اهمية المنظمات و الهيئات الاقليمية في المنطقة العربية)	-
	الانضباط الذاتي	تداعيات أحداث تحطم الطائرة الروسية في شرم الشيخ (تعليق الرحلات و اجلاء السواح : 25 ألف سائح من أصل 80 ألف سائح) ، ، ثم بعد فترة وجيزة تم اعلان	أكتوبر 2015

	استئناف الرحلات بين الطرفين (نفس الشيء حصل مع تركيا بعد اسقاطها للطائرة الروسية)	

-الجدول من تصور وإعداد الباحث.

الفرع الثالث: الاتجاه العراقي في الجيوسياسة الروسية: نحو منظور تعددي." الغرب وآخرون"

تتأسس في الغالب توجهات روسيا الخارجية في المنطقة العربية – خلال فترة بوتين – على مؤشرات ذات أبعاد اقتصادية أكثر مما هي سياسية أو ديموغرافية، و هذا رغم تاريخية العلاقات القائمة بين المنطقتين ، وينطبق هذا الكلام – و هو أمر طبيعي بالنتيجة– على السياسة الخارجية الروسية تجاه دولة العراق قلب العالم العربي من ناحية جيوسياسية، و منذ انتقال روسيا نحو مرحلة الانفتاح على الغرب؛ أولت بدورها أهمية كبرى للعراق خاصة على المستوى الاقتصادي ، فقد عملت على دعم العلاقات التجارية و تطويرها في المنطقة مع شركائها الكبار لا سيما عبر شركات النفط الروسية و هذا كما تقدم في تحليل مؤشرات الفضاء الاقتصادي ، و من ثم تسعى روسيا إلى تأمين إحداث التأثير السياسي[1]، و هذا التصور لا ينبغي أن يفيد إلا أن يؤكد الواقعية الجيوسياسية البراغماتية الروسية، التي تؤمن من خلالها روسيا كامل مصلحتها الاستراتيجية في المنطقة العربية بأكملها.

ضمن الفضاء الديموغرافي السياسي، لا ينظر لروسيا في الغالب على أنها تتعامل مع العراق بعلاقات ذات مستوى عال ، و هذا على العكس مما تفعله مع باقي دول المنطقة العربية الأخرى ، فهناك من ينظر للاتجاه العراقي تحديدا في السياسة الروسية على أنه واحد من أكثر الاتجاهات المعقدة و غير الواعدة بالنسبة لروسيا اليوم– كما أشرنا آنفا – و ذلك بسبب العملية العسكرية الأمريكية للولايات المتحدة الأمريكية و حلفائها في العراق منذ عام 2003، و التي ساهمت في إعادة تشكيل مجمل العلاقات في الشرق الأدنى، و من جهة كانت قد أثرت على طبيعة العلاقات بين الطرفين قضية إعدام "الإرهابيين" *العراقيين للدبلوماسيين الروس الأربعة في 2006.[2]

---

[1] آنا بورشيفكايا، نفس المرجع السابق، ص 31.

* لم يكن ليتسنى للمجتمع الدولي/ العالمي اليوم –حسب تقديرنا– صياغة مفهوم توافقي واضح و نهائي "**للارهاب**" لأسباب كثيرة، فما يمكن أن يراه باحث مستشرق أو غيره من البحاثة و فقهاء القانون الغربيين و غيرهم من منظمات حقوق الانسان أو المنظمات الأممية "**ارهاباً**"، قد لا يكون بالضرورة مفهوما متجانسا مع طروحات و رؤى الكثير من فقهاء القانون و البحاثة غير الغربيين على غرار تصورات رواد الحركات الإسلامية و ممثلي هيئات الدفاع عن حقوق الانسان و الدعاة و المناضلين و الساسة...فهو مفهوم يخضع لحالة من التتاخم مع مفاهيم أخرى مثل الدفاع عن النفس أو الجهاد أو المقاومة أو الثورة ، أو التحرير أو صد العدوان أو الانتقام ...كلها مفاهيم و صور تحمل نماذج عنفية لكنها بسياقات دفاع و هجوم مختلفة و هي مفاهيم مؤدلجة من ناحية الفكر الغربي أكثر مما هي مفاهيم نظامية شارحة لسياق علاقات تعددية و أحادية.

[2] لوزيانين، نفس المرجع السابق، ص 91.

لذلك ، فإن العملية الأمريكية للإطاحة بصدام حسين غيرت كل المفاهيم و المحددات السياسية لروسيا في المنطقة ، خاصة مع إعادة تشكيل حكومة مدنية عراقية تحت إشراف الولايات المتحدة ، و هي حكومة مدنية موالية لها و حامية للمشاريع الغربية الاستثمارية في العراق ، و برئيس موال و معين من قبلها ، و كل ذلك في ظل وضع الأمن الخاص للشركات الأمنية الخاصة، و هو ما أثار الحركتين الشيعية و الكردية و باقي المنظمات السنية المختلفة الممانعة للغزو الأمريكي للعراق، و هو ما أدى إلى حالة من الاحتقان السياسي و العسكري ، و بالنسبة لروسيا؛ هاته الأجواء لم تكن لتناسب نشاطها السياسي في العراق ، لكن هكذا وضع متدهور خلق مهمة جديدة – حسب لوزيانين– تتعلق بمسائل ضمان الأمن من حيث درء خطر الترانزيت الإرهابي الإسلامي من العراق إلى البلدان المجاورة لروسيا في آسيا الوسطى و شمال القوقاز، على أن هناك احتمال أن تسعى الولايات المتحدة للخروج من مستنقع العراق و تغطية فشلها الاستراتيجي في العراق إلى الإسراع بتنظيم الترانزيت الإسلامي (أوزباكستان، قرغيزيا، طاجاكستان)، مع الحفاظ على الوضع القائم في أفغانستان، و ربما ما أدى إلى تأكيد الاحتمال نسبيا في تلك الفترة هو انسحاب الولايات المتحدة الأمريكية من "**خان أباد**"(أوزباكستان) و من "**ماناس**" (قرغيزيا)[1].

بالنسبة أيضا لبعض المؤشرات الأخرى ضمن هذا الفضاء؛ الموقف السياسي الروسي الرافض لعملية **غزو العراق، مؤيدا بذلك– علنًا – الموقف الفرنسي المعارض للحرب**؛ و قد عبر الرئيس الروسي حيال ذلك من خلال تصريحه " نحن ضد وضع القوائم السوداء"، كما قد وصف تلك الحرب بأنها "انتهاك مباشر للقانون الدولي و خطأ سياسي كبير"، و دعوته من جهة أخرى إلى ضرورة تفعيل الحل الأممي لمشكلة العراق مع رفضه القاطع للحلول و المبادرات الأحادية من جانب واحد.

من ناحية جيوسياسية، يمكن فهم توجهات و مواقف و مساعي روسيا تجاه عملية غزو العراق بناء على ما أوضحه "يفغيني بريماكوف" قائلا: " موقفنا من الحرب في العراق كان قائما على أساس أن الحرب هناك من شأنها أن تزيد من تقسيم العالم على أسس دينية و زعزعة استقرار العديد من الأنظمة المعتدلة في الشرق الأوسط و إضعاف الدعم الدولي الذي تتمتع به الولايات المتحدة بعد 11 سبتمبر،...، فعلت روسيا كل ما بوسعها لإيقاف غزو العراق"، و قد أكد " بريماكوف" بأن الرئيس "بوتين" قد أرسله إلى بغداد في فيفري 2003، حيث حاول إقناع صدام حسين بالاستقالة وقتها لكن دون أن يستجيب صدام لمطالبه[2] .

[1] نفس المرجع السابق، ص 93.

[2] **Yevgeny M. Primakov**, A World Challenged: Fighting Terrorism in the TwentyFirst Century (Washington DC: Brookings Institution Press, 2004), p. 91, Quoted from: Anna Borshevkaya.ibid.

و في النهاية – كما تضيف بورشيفكايا– تخلى الكريملين عن صدام حسين عندما أصبح واضحا أمام الجميع أن الحرب على الأبواب ، و هو تحول مفاجئ في السلوك الروسي يعكس امتعاض موسكو من التصرف السيئ للرئيس العراقي مع أخطائه الكثيرة ، فضلا عن صورة صدام حسين الدولية السيئة ، مع انكفاء روسيا و تراجعها عن تقديم يد المساعدة للجيش العراقي خاصة و أنه أصبح يخوض مقاومة ضد دولة فوق العظمى مثل الولايات المتحدة وجها لوجه، و مع ذلك فقد حققت روسيا مكاسب لا بأس بها جراء موقفها من الحرب على العراق خاصة في الداخل الروسي و حتى لدى زعماء الدول الممانعة و الرافضة للاستراتيجيات الغربية في المنطقة العربية و منطقة الشرق الأوسط مثل سوريا و إيران، بحيث بدا "بوتين" مثل زعيم قومي ضد الامبريالية الغربية في المنطقة.

لكن هنا، ينبغي أن نتصور تساؤلا مهما **أولًا** مفاده؛ **هل فعلا روسيا من ناحية جيوسياسية تسعى باتجاه ضمان الدعم الدولي الدائم والمستمر للولايات المتحدة الأمريكية في حربها على الإرهاب ابتداء بالإطاحة بصدام حسين رغم الندية القارية القائمة تاريخيا بينهما؟ ماذا ستجني روسيا من ضمان ذلك؟** فضلا عن أنه بالإمكان تصور تساؤل آخر مهم، **لماذا روسيا لم تتخل عن الرئيس السوري "بشار الأسد" اليوم مثلما تخلت عن الرئيس العراقي "صدام حسين"**؟ رغم توافر كل أسباب ودوافع ذلك؛ إن على مستوى علاقات شخص الرئيس و صورته الدولية ربما الأسوأ اليوم من صورة الرئيس العراقي "صدام حسين" الدولية سابقا، فضلا عن عناد بشار الأسد و تحديه الواضح لمساعي التسوية الدولية، واستعمال الأسلحة الكيميائية أو على الأقل اتهامه باستخدامها و الدعوة بالمقابل للتحقيق فيها، هذا دونما الأخذ بعين الاعتبار أغلب التحفظات و الاعتبارات الأخرى؟ لماذا روسيا توفر الحماية اليوم لـ"**بشار الأسد**" بصورة أو بأخرى و تتحدى كل الدول الغربية و العربية و غيرها من الدول و القوى الإقليمية؟، وربما الإجابة على هذه التساؤلات تتأتى من خلال النظر في الاعتبارات الجيوسياسية الواقعية للسياسة الخارجية الروسية، و أن هناك أولوية ما لمؤشرات تقوم روسيا بتشغيلها و الاشتغال عليها قبل أية مؤشرات أخرى غير ذات أولوية استراتيجية لديها.

العلاقات الروسية العراقية في المرحلة الحالية مستمرة بشكل تصاعدي، خاصة بعد الانسحاب الأمريكي من المنطقة، و نشوء نظام سياسي و حكومة مدنية عراقية ، لكن مرة أخرى ليس بالقدر الكافي خصوصا على المستوى السياسي– الديموغرافي، بل بصورة أوضح و أكثر تأكيدا على المستوى الاقتصادي البحت، ومن وجهة نظر "واقعية "فقد استمرت روسيا في نهجها البراغماتي في العراق ضمانا لمصالحها الأساسية المتعلقة أساسا بالاستثمارات في القطاعات النفطية، و هي بذلك تتعامل بصورة براغماتية مع الجميع دون استثناء سواء تعلق الأمر بالحكومة العراقية الجديدة أو بالولايات المتحدة و حلفائها أو من خلال سياسات تشاورية مع قادة إقليم كردستان العراق مستغلة بذلك دعايتها في حماية سيادة الدول و رفضها المعلن للتدخل في الشؤون الداخلية

لتلك الدول، كما تستغلها في نقد الغرب و تحميله مسؤولية ما يقع من أحداث و ينشأ من ردود أفعال من قبل اللاعبين في المنطقة العربية ككل، و ما كنا قد أشرنا إليه ضمن مبحث تحليل مؤشرات الفضاء الاقتصادي بين الطرفين كفيل بإثبات ذلك، و لمزيد من الدقة حول حصر المؤشرات الفعلية ضمن الفضاء ديمو –بوليتيك على المحور "موسكو– بغداد" يمكن العودة إلى الجدول التالي:

الجدول رقم 09: أهم مؤشرات الفضاء ديمو– بوليتيك على المحور "موسكو – بغداد".

الحالة/الدولة	الفضاء ديمو– بوليتيك		
	المؤشرات	أهم المتغيرات	الفترة
العراق	استخدام حق الفيتو/ التهديد باستخدامه	النقض عن طريق استثمار روسيا للجانب القانوني و الحق السياسي في قضايا عدة: (رفضها عملية غزو العراق من قبل قوات التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية)	2003
	الواقعية الكلاسيكية	الدعاية حول حماية سيادة الدول و تأكيد مركزيتها في العلاقات الدولية، مع رفض التدخل في شؤونها الداخلية	منذ 2003

- **الجدول من تصور وإعداد الباحث.**

- يتضمن الفضاء "**دبلو– استراتيجيك**" جملة من المؤشرات الدالة، يوضحها مختصرة الجدول أدناه.

الجدول رقم 10: أهم مؤشرات الفضاء الدبلو– استراتيجيك على المحور "موسكو– بغداد"

الحالة/الدولة	الفضاء دبلو– استراتيجيك		
	المؤشرات	أهم المتغيرات	الفترة
العراق	أولوية الامن القومي الروسي	مهام جديدة تتعلق بمسائل ضمان الامن الداخلي الروسي ، من حيث درء خطر الترانزيت "الارهابي الأصولي الاسلامي" – بالمفهوم الغربي– من العراق إلى البلدان المجاورة لروسيا في آسيا الوسطى و شمال القوقاز.	منذ 11 سبتمبر 2001 إلى غاية ما بعد غزو العراق 2003
	وقف المساندة	تراجع روسيا عن تقديم الدعم و المساعدات اللوجيستية و العسكرية للقادة العرب "صدام حسين مثلا" لأسباب تتعلق بالغرب (الولايات المتحدة الأمريكية)، و أخرى تتعلق بصورة القادة السيئة دوليًا.	منذ2003
	نقد الغرب	نقد الغرب و تحميله مسؤولية ما يقع من أحداث	منذ 2003

	التمثيل الذاتي	مذكرات تفاهم بشأن تاسيس القنصليات العامة للبلدين روسيا و العراق، قنصلية روسيا في "اربيل"	خلال 2007

- الجدول من تصور و إعداد الباحث .

المطلب الثاني: روسيا– المملكة العربية السعودية: حول التنافس الجيوسياسي وشروط التقارب الواقعي/البراغماتي.

تعد منطقة الخليج العربي من بين المناطق الحساسة جيوسياسيًا بالمقارنة مع منطقة الشرق الأوسط، لذلك وجب بحث و تحليل بعض المؤشرات الحقيقية المتحكمة في العملية التفاعلية بين كل من روسيا و دول تلك المنطقة و ذلك ضمن نفس الفضاء ، وبالنسبة للحالة الدراسية (المملكة العربية السعودية) فقد تعتبر إلى حد ما نموذجًا جيدًا في ذلك، فكما أوضح كل من **Elnur Hasan Mikail, Cavit Emre Ayteki** ضمن مقال لهما بعنوان : العلاقات بين روسيا و المملكة العربية السعودية : التنافس الجيوسياسي وشروط التقارب البراغماتي (الواقعي) Russia-Saudi Arabia Relations: Geopolitical Rivalry and the Conditions of Rapprochement Pragmatic؛ أن العلاقة بين روسيا و المملكة العربية السعودية هي بمثابة الحافز الخفي للصراعات الجيوسياسية في منطقة الشرق الأوسط ، و أيضا سياسات الشرق الأوسط الروسية، و لبحث طبيعة العملية التفاعلية و فهم مسبباتها و الوقوف على نتائجها طرح كل منهما سؤالا مفتاحيا مهما لذلك:

> "...*The main aim of this study was to explain how Russia-Saudi Arabia relations have been affected global-level developments such as the effects of 9/11 attacks, US's war on terror doctrine, Afghanistan and Iraq intervention, the Arab Spring, and the Russian involvement in Syria in September 2015 and what are the conditions of rapprochement and conflict in the dynamic nature of Middle-East politics* »

" كيف تأثرت العلاقة بين روسيا والمملكة العربية السعودية بالتطورات على المستوى العالمي مثل: آثار هجمات 11 من سبتمبر 2001، وحرب الولايات المتحدة الأمريكية على عقيدة الإرهاب، والتدخل في أفغانستان والعراق، والربيع العربي، و كذا تورط روسيا في سوريا في سبتمبر 2015؟".

" ما هي شروط التقارب والنزاع في الطبيعة الديناميكية لسياسة الشرق الأوسط؟ "

ضمن هذا المستوى التحليلي، ينبغي الإشارة إلى أننا معنيين فقط بتحليل مؤشرات مرحلة حكم الرئيس الروسي "بوتين" من لحظة مجيئه مطلع العام 2000، تقيدا بالإطار الزمني للبحث وانضباطًا مع نطاق التحليل.

الفرع الأول: روسيا و المملكة العربية السعودية: علاقات ما قبل "الربيع العربي"

خلال العام 2015 ، صدرت دراسة لـ "غريغوري كوساتش" صادرة عن "المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات"، بعنوان : "العلاقات السياسية الروسية – السعودية المعاصرة : رؤية روسية"، و ضمن سياق بحث العلاقات الروسية –السعودية بعد صعود بوتين أوضح "كوساتش" أن " مجيء "بوتين" إلى أعلى منصب في السلطة التنفيذية قد أحدث تغييرا في العلاقات الروسية – السعودية ، و أضاف بأن الوضع في جمهورية الشيشان الذي تواصلت فيه العمليات العسكرية قد اضطر القيادة الروسية إلى إجراء اتصالات مع المملكة العربية السعودية بغية إيقاف المساعدات الخارجية لـ "الانفصاليين الشيشان" بصورة نهائية[1]"، و هذا على اعتبار أن المشكلة القائمة بين الاتحاد السوفياتي / الروسي و السعودية و التي أدت في الكثير من المرات إلى تدهور و انخفاض و تراجع العلاقات القائمة بينهما هي المسألة الشيشانية ، و ما أزعج الاتحاد السوفياتي أكثر هو تلك المساعدات المقدمة من قبل المملكة للجهاديين الشيشان عن طريق ما يعرف بالصناديق الخيرية السعودية**.

هناك جملة محطات مهمة في العلاقات المنبعثة من جديد بين الطرفين، تحمل في الغالب دلالات تقارب حذر بين الطرفين خاصة على المستوى الجيوسياسي، و هذا نظرا للميل السعودي نحو الشريك الحقيقي الاقوى و المهيمن على المنطقة الولايات المتحدة الامريكية، و من جهة تبلور نظرة استراتيجية في الداخل السعودي نحو روسيا خاصة في منطقة الشرق الأوسط مع التدخل العسكري المباشر في سوريا ، إضافة إلى ملف اليمن ، هذا فضلا عن بروز تطلع روسي مدعوم على مستوى تنفيذي عالي الدقة للعب دور القطب الدولي المنافس / المهيمن في المنطقة ، من بين تلك المحطات نجد زيارة موسكو من قبل وفد من كبار الشخصيات في منظمة التعاون الإسلامي، و التي تمخض عنها الإعلان عن ثبات موقف المنظمة

---

[1] **غريغوري كوساتش**، العلاقات السياسية الروسية – السعودية المعاصرة: رؤية روسية، الدوحة: المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات ، نوفمبر 2015،ص 8.

* في هذا السياق ، فقد أدت العمليات العسكرية في جمهورية الشيشان التي بدأت في ديسمبر 1994 إلى حدوث أزمة في العلاقات الروسية – السعودية ، – حسب كوساتش– و قد كانت تلك العلاقات بين الطرفين في طور النشوء ، و حسب الوثيقة الرسمية لوزارة الخارجية الروسية فإن أي اتصالات سياسية مهمة بين البلدين لم تجر بداية منونفمبر 1994 حتى سبتمبر 2003 – حسب وزارة خارجية روسيا الاتحادية–، كما أن الرواية الرسمية الروسية بسبب هذه الأزمة تنطلق من خلال ما صرح به السفير الروسي الذي عمل في الرياض في الفترة 2000–2005 من "تباين مواقف الجانبين من الأحداث في القوقاز"، فالسعودية اعتبرت من قبل النخبة الروسية مصدرا لـ" الايديولوجية الوهابية" التي يجري غرسها بـ" أوامر أمريكية" في شمال القوقاز الروسي وكذلك في أقاليم حوض الفولغا و منطقة الأورال ،طبعا من خلال الصناديق و المنظمات الخيرية السعودية، للمزيد من الاطلاع أنظر : غريغوري كوساتش، المرجع السابق،ص ص 5–6–7.

لمصلحة صيانة وحدة أراضي روسيا الاتحادية ، كما قد أعرب الوفد عن " إدانة الإرهاب بوصفه ظاهرة تتعارض مع المبادئ الأساسية للإسلام"[1].

في نفس السياق ، استقبل "إيغور إيفانوف" وزير الخارجية الروسي في روسيا خلال شهر فيفري 2000 رؤساء الوفود العربية المشاركة في اجتماع مجموعة دعم المحادثات المتعددة الأطراف في الشرق الأوسط كان من بينهم "نزار مدني" وزير الدولة للشؤون الخارجية السعودي، و أبلغهم تدابير استعادة الحياة السلمية في المناطق المحررة من جمهورية الشيشان، كما أعرب عن امتنان الجانب الروسي إزاء المساعدات الإنسانية التي قدمتها البلدان العربية إلى الأهالي المسالمين في جمهورية الشيشان، و قد ورد في الفقرة الختامية للوثيقة أن " الوزراء العرب أكدوا الموقف المبدئي لبلدانهم في دعم وحدة أراضي روسيا الاتحادية و سلامتها و عدم التدخل في شؤونها الداخلية و دانوا الإرهاب"[2]، هذا بالإضافة إلى الزيارة التي قام بها وزير شؤون السياسة القومية الروسي إلى العاصمة السعودية السيد "رمضان عبد اللطيفوف" و ذلك بصفته المبعوث الخاص للرئيس "بوتين" أجرى لقاء مع ولي العهد الأمير عبدالله بن عبد العزيز، تعلقت أهداف البعثة المتعددة الجوانب "بآفاق تطوير العلاقات الاقتصادية و التجارية و الوضع في المنطقة ، و عملية السلام في الشرق الأوسط و الأوضاع المتعلقة بالعراق ضمنيا"، و من بين أهم ما تمخض عن تلك المشاورات حصول الوزير الروسي على تأكيدات الجانب السعودي أنه " يحترم وحدة روسيا و سلامة أراضيها و مبدأ عدم التدخل في شؤونها الداخلية، و أن الصناديق الخيرية السعودية " ستنسق الجهد" مع دوائر السلطة الروسية في أثناء تقديم المساعدة الإنسانية إلى سكان منطقة شمال القوقاز[3] ، و خلال شهر جانفي 2003، زار موسكو أيضا السيد الأمين العام لمنظمة التعاون الإسلامي "عبد الواحد بلقزيز" تلبية لدعوة من "إيغور إيفانوف" لنفس الغرض و تمخض عن ذلك استحداث وزارة الخارجية الروسية لمنصب "نائب وزير الخارجية لشؤون العلاقات مع المنظمات الإسلامية الدولية، و من خلال ذلك يمكن القول بأن هناك فضاء سياسي روسي محلي مليء بالمؤشرات يصنع التفاعل في الفضاء الاقتصادي الاقليمي لروسيا و من ثم الفضاء القائم بين روسيا و المملكة، من بين تلك المؤشرات و العوامل عامل الأمن الداخلي لروسيا و من ثم الاقليمي .

[1] "روسيا – منظمة المؤتمر الإسلامي، وفد منظمة المؤتمر الإسلامي في روسيا"، **دبلوماتيتشسكي فيستنيك** (فبراير) 2000 ، ص4 ، نقلا عن: غريغوري كوساتش، المرجع السابق، ص 8.

[2] نفس المرجع، ص 9.

[3] نفس المرجع السابق، ص 9.

اعتبرت المسألة الشيشانية إلى حد كبير عقدة العلاقات الروسية –السعودية، لذلك سعى الطرفان إلى محاولة التقليل من حدة المسألة و امتصاص نسبة التوتر العالي بينهما ، و من مظاهر ذلك على الجانب الروسي قرار الرئيس "بوتين" عام 2000 المتمثل بتعيين "أحمد قاديروف" رئيسا لجمهورية الشيشان ، فضلا عن بيان 13 ماي 2003 حول تشابه الأحداث المأساوية و العمليات الإرهابية في كل من جمهورية الشيشان و المملكة العربية السعودية[1] ، و هنا يجب أن نؤكد مرة أخرى إصرار روسيا – بكل الوسائل– على احتواء المشكلات العالقة بينها و بين شركائها في منطقتي الخليج العربي و الشرق الأوسط و هذا سواء عن طريق تقديم تنازلات أو اقتراحات أو تقديم إغراءات لصالحهم بما يمكن أن يعكس من ناحية نظرية واقعية كلاسيكية خالصة، وقراءة سريعة حول تلك السلوكات تنبئ عن تأكيد روسيا لمبدأ سيادة الدول و تأكيد رفضها لسياسة التدخل الأجنبي في الشؤون الداخلية للدول ، مع حفاظها على "متلازمة القوة" في بعض المواقع و باختصار هي سياسة بناء الدوافع و الحوافز و المعيقات مع جميع الشركاء و المنافسين في الوقت و الجغرافيا المناسبين.

تلجأ روسيا – في المستوى الديموغرافي – السياسي للعلاقات مع المملكة العربية السعودية– إلى تحسين علاقاتها مع منظمة التعاون الإسلامي ، و تعود الأسباب في ذلك إلى اعتبار تلك المنظمة أداة لتقليل تأثير المتشددين الإسلاميين في الأمة الإسلامية الروسية، و في هذا الصدد أعلن "بوتين" في شهر أفريل 2003 أن روسيا فيها "ملايين المسلمين الذين يعدونها وطنهم" ، و هو ما يمكن وصفها بأنها "جزء من العالم الإسلامي" ، و قد تكللت جهود روسيا الواقعية بزيارة ناجحة قام بها الأمير عبد الله بن عبد العزيز ، و في شهر أكتوبر 2003 خاطب الرئيس الروسي المشاركين في القمة العاشرة لمنظمة التعاون الإسلامي في "بوتراجيا" معلنا ضرورة مشاركة روسيا في نشاطها بالنظر إلى ارتباطها بالعالم الإسلامي، و في أواخر جوان 2005 انظمت روسيا في الاجتماع 32 إلى وزراء خارجية دول المنظمة المنعقد في صنعاء إلى هذه المنظمة بصفة "عضو مراقب"[2] .

من بين المشاهد ذات الصلة بالفضاء الديمو– بوليتيك أيضا، تلك الزيارة الرسمية التي أجراها الرئيس "بوتين" إلى إلى المملكة ، و من بين أهداف الزيارة سعي الدولة الروسية لإتباع نهج مقاومة "النظام الوحيد القطب القائم على أساس الهيمنة الأمريكية على العلاقات الدولية " مبررة ذلك بفرادة تاريخ روسيا خلال

[1] لمزيد من الاطلاع حول الموضوع راجع الصفحة على الرابط:

http://www.kremlin.ru/news/28624

[2] "**خطاب الرئيس الروسي أثناء لقائه أوساط رجال الأعمال في المملكة العربية السعودية**"، الكرملين، 2007 / 2 / 12 ، انظر :

http://news.kremlin.ru/transcripts/24037

ألف عام حسب ما تضمنه خطاب الرئيس "بوتين"صمن خطاب له في مؤتمر ميونيخ حول قضايا سياسات الأمن[1]، كما تم الحديث عن تعدد القوميات و الأديان في الدولة الروسية مع اعتبار روسيا "بمثابة البيت المشترك للمسيحيين و المسلمين و أبناء الطوائف الأخرى الذين يعيشون على مدى القرون في وفاق و حسن جوار"، و تأكيدا لواقعية روسيا الكلاسيكية و البنيوية قال "بوتن" ضمن نفس الخطاب على هامش نفس الزيارة: "إنّ روسيا تنوي إتباع هذه السياسة في جميع الاتجاهات، ومنها الفضاء الواسع لشبه الجزيرة العربية والخليج العربي و سائر العالم الإسلامي"[2].

من وجهة نظر تحليلية، كنا قد تحدثنا آنفا ضمن مطلب الرؤية المنهجية ، أنه يجب بحث العمليات التفاعلية من مؤشراتها داخل الفضاءات المختلفة المعروفة ، و في هذا السياق و من خلال الزيارة التي أجراها الرئيس بوتين الى الرياض في فيفري 2007، كان قد أوضح بأن المملكة العربية السعودية بمثابة "الشريك رقم واحد" في مجال تنسيق الجهد في أسواق الطاقة العالمية" و ورد ذلك خلال تطرقه لمسألة تطوير "التعاون العسكري– التقني" على أنها مجالات تعاون حساسة ، و التي لا يمكن التحدث عنها إلا بعد توقيع عقود في ذلك ، و يحلل الخبراء الروس ذلك على أن الرئيس كان يقصد في معرض حديثه أن تحقيق قدرات التعاون الاقتصادي الروسي – السعودي يتطلب "تجاوز ركود الماضي" وممارسة التأثير في شرائح السلطة السياسية [3] ، و هو ما يعكس العلاقة القائمة بين الفضاء الديمو–بوليتيك و الفضاء الاقتصادي المحققين بصورة ما في المشهد الجيوسياسي بين كل من روسيا و المملكة العربية السعودية، فبدون إعادة توجيه الرؤية السياسية للمملكة من قبل روسيا باتجاه تفهم إستراتيجية روسيا الدفاعية عن أمنها القومي، و البوابة إلى ذلك ذات منحى ديني عقائدي يجب أن يفتح عبر منظمة التعاون الإسلامي باقي الأعضاء فيها، لن تتحقق مساعي الطرفين – على أهميتهما الجيواستراتيجية و الجيوايكونوميكية– باتجاه عقد شراكة تكاملية و تحقيق الاستثمارات الموسعة في المجالات الحساسة، و هنا يجب أن نفهم بأن عودة روسيا جيوسياسيا وواقعيا إلى المنطقة العربية هي عملية محسوبة بدقة و ليس خارج نطاق أولويات محددة لروسيا ، و في هذا المشهد يبدو جليا تقدم عامل الأمن الداخلي القومي الوطني لروسيا على حساب المصالح الاقتصادية البراغماتية، و على العكس بالنسبة للمملكة العربية السعودية، من أولوياتها خلال الأزمة الشيشانية تحقيق الأهداف الدينية الإيديولوجية على حساب أهداف الشراكة مع روسيا على اعتبار أن الجانب الديني ذو أولوية قصوى، ومما يؤكد هاته الرؤية

[1] "**خطاب الرئيس الروسي والمناقشات في مؤتمر ميونيخ حول قضايا السياسة في مجال الأمن**"، الكرملين، 2007 / 2 / 10 ، انظر: http://www.kremlin.ru/transcripts/24034

[2] **خطاب الرئيس الروسي أثناء لقائه أوساط رجال الأعمال في المملكة العربية السعودية**"،نفس المرجع السابق.

[3] غريغوري كوساتش، نفس المرجع السابق، ص 13.

بعض الشيء ما قاله"إيغور إيفانوف" سكرتير مجلس الأمن القومي الروسي ووزير الخارجية الأسبق أثناء زيارته لطهران عشية زيارة الرئيس "بوتين" إلى الرياض : " إن مبادرة روسيا المتعلقة بإقامة نظام أمن جديد في الخليج يضم إيران لم يلق من الجانب السعودي أي اهتمام"[1] ، وبالإضافة إلى اعتقادنا بأن عقدة العلاقات الروسية – السعودية تتمثل أساسا في القضية الشيشانية تحديدا، فإنه ليس من قبيل التحليل الجيد أن ننسى العقدة الثانية في العلاقات بين الطرفين نتيجة الدور الرئيسي الذي يلعبه الطرف الإيراني في معادلة الشرق الأوسط ، خاصة لما نتحدث عن الصراع الديني والطائفي في مناطق و دول عربية عديدة مثل اليمن و سوريا و العراق و القائم على الفالق "السني الشيعي" و ما للمملكة السعودية من توجهات حيال تلك المناطق ، فضلا عن أن محور "موسكو – طهران" على حسب تصنيف "دوغن" الجيوسياسي هو محور جد مهم بالنسبة لروسيا ،و إيران هي بمثابة الشريك الاستراتيجي لروسيا في قضايا الاقتصاد والتجارة على مستوى السلاح و الطاقة، و الطاقة النووية ، و الأمن و الديموغرافيا من ناحية تاريخية، ما يجعلها أحد الأقاليم ذات أولويات قصوى لروسيا في محيطها الجنوبي.

الفرع الثاني: روسيا – المملكة العربية السعودية: علاقات "الربيع العربي"الخلافية

على الرغم من أن السؤال الأساسي الذي تمت الإشارة إليه مطلع هذا المطلب، و الذي يورد تساؤلات مبطنة جزئية تؤكد وجود حيرة بحثية حيال ما يدفع روسيا اليوم إلى ما تقوم به من **سلوكيات جيوسياسية** ، و **جيوايكونوميكا** و **احتواء** و **تدخل بالقوة** و غير ذلك من أشكال المعارضة للقرارات الأممية ...، فالمقال يطرح سؤالًا مهما فعلا للتحليل ، " **كيف تأثرت العلاقة بين روسيا و المملكة العربية السعودية بالتطورات على المستوى العالمي مثل: آثار هجمات 11 من سبتمبر 2001**، و حرب الولايات المتحدة الأمريكية على عقيدة الإرهاب، و التدخل في أفغانستان و العراق، و الربيع العربي، و كذا تورط روسيا في سوريا في سبتمبر 2015؟"، ثم " ما هي شروط التقارب و النزاع في الطبيعة الديناميكية لسياسة الشرق الأوسط؟ "، و على أهمية كل تلك التطورات المذكورة يبقى الربيع العربي مثل حدث مفصلي أساسي في العلاقات الروسية مع المملكة العربية السعودية، ذلك أن الكثير من الأدبيات تؤكد بأن تلك العلاقات اقتصرت فقط على الإجراءات البروتوكولية إلى غاية 2011[2].

[1] "إيغور إيفانوف :"روسيا تدعو إلى تكوين منظومة أمن إقليمي تراعي مصالح جميع بلدان الخليج العربي"، مجلس الأمن الروسي، 30 / 1 / 2007 نقلا عن : غريغوري كوساتش، المرجع السابق، ص 14، انظر:
http://www.scrf.gov.ru/searchhl?url=news/153.html

[2] غريغوري كوساتش، المرجع السابق، ص 14.

بالنسبة لروسيا، تقع العلاقات مع المملكة العربية السعودية على نفس المسافة تقريبا بالنظر إلى ما تضمنته وثيقة السياسة الخارجية الروسية 2008، و حسب – كوساتش– فإنه خلال مرحلة الرئيس "ديمتري ميدفيديف" تم التأكيد على تطوير العلاقات مع المملكة و مع ذلك فقد تضمنت تلك العلاقات دائرة أوسع من الدول الكبرى الإقليمية و منها "إيران" و ذلك على الصعيدين الثنائي و المتعدد الأطراف كما أضاف بأنه قد تم إضافة منظمة التعاون الإسلامي في إطار تنفيذ مبادرة الشركاء في" مجموعة الثماني" في منطقة الشرق الأوسط و شمال إفريقيا[1].

في الواقع، يلعب الداخل الروسي و الأوضاع في روسيا دورا مهما في بناء توجهاتها الخارجية الكبرى، خاصة ما تعلق بأحداث الخارج القريب من روسيا كالثورات الملونة و ما تبعها من نزاع عسكري مثلا مع جورجيا في 2008، و بالإضافة إلى انعكاسات الأزمة المالية العالمية التي طالت أيضا الاقتصاد الروسي ، و قد فرضت تلك التطورات في المحيط الداخلي لروسيا تحديات جديدة ساسية وامنية عسكرية و اقتصادية و حتى ديموغرافية ، بما دعا إلى تغيير شكل العلاقات مع الغرب ، و هنا يضيف أحد الخبراء الروس توصيفا مهما للعلاقات الروسية السعودية محددا من خلاله أسباب تلك العلاقات و طبيعتها و أهدافها الأساسية من وجهة نظر روسية نهاية 2010 قائلا: "إنّ روسيا تطوِّر علاقاتها بالمملكة العربية السعودية، لكنّ ذلك ليس على حساب مصالح بلدان أخرى سواء كانت إقليمية أو غير إقليمية، أو بالإضرار بمصالح أيّ طرف آخر، إنها بسبب الاكتفاء الذاتي لا تصبو إلى الحصول على قواعد عسكرية أو مراقبة إرساليات النفط في هذه المنطقة التي تنوء بها وطأة الحضور العسكري الأجنبي والنزاعات، وإنها لا تمارس الألعاب الجيوسياسية الخطرة (...) ، **إنّ موسكو تقيم علاقاتها مع الرياض على أساس القانون الدولي، وعلى قاعدة مبادئ التعاون المتكافئ والمنفعة المتبادلة، لمصلحة الاستقرار والسلام في الشرق الأوسط، وفي منطقة الخليج**[2]" ، لكن من الضروري هنا طرح بعض التساؤلات المهمة، من قبيل " **هل يجوز تعميم نموذج العلاقات "الروسية – السعودية" على كل المنطقة العربية؟**"

[1] "الرئيس الروسي، عقيدة السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية"، الكرملين، 2008 / 7 / 15 ، أنظر: http://kremlin.ru/acts/785

[2] غريغوري كوساتش، المرجع السابق، ص 15.

ربما هي بعض الأسئلة المهمة، لكن من الصعب بحثها ضمن مساحة ضيقة أكاديمية كهذه...، و لكن كان من الأجدر أن تبحث ، غير أن بحثها فعلًا لا يمكن إلا أن يثبت **أن روسيا لغزاً مغلقًا داخل أحجية** على حد تعبير البعض.

- **هل يجوز الاعتقاد قطعا بأن روسيا لا تمارس الألعاب الجيوسياسية الخطرة اليوم فعلا في سوريا مثلا؟**
- **لماذا تتصرف روسيا بتلك الطريقة "غير الخطية" في المنطقة العربية و لماذا تربط قضية سوريا و الصراع العربي الفلسطيني بصيغ علاقات ملونة و غير ثابتة سواء مع القوى الإقليمية مثل إيران و تركيا، أو مع القوى الدولية الأخرى مثل الولايات المتحدة و دول أوروبا؟**
- **ثم ؛ هل تختلف دول منطقة الخليج النفطية عن مثيلاتها في الشرق الأوسط و ضمن منطقة حوض النيل أو منطقة المغرب العربي؟ كيف للعبة الجيوسياسة الروسية أن تكتمل خارج الشروط الضرورية لذلك؟ هل المنهج التجزيئي هو الأصلح عند محاولة بحث أفعال روسيا ضمن معادلة " الحركة-المجال"؟**
- **هل يصدق الباحث "كاظم هاشم نعمة" حينما يجري توصيفا لجملة الدول العربية في المنظور الصيني مثلا على أساس وجود دولا عربية "بترولية" و أخرى "جيوبوليتيكية" ؟**

تميزت العلاقات الروسية – السعودية خلال فترة الربيع العربي بنوع من التضارب و الخلافات و التعارض، حول قضايا مهمة بين الجانبين خاصة بعد وعي روسيا و نخبها السياسية بمكانة و دور روسيا الجديدين على مستوى الساحة الدولية، و من المشاهد التي توضح أكثر تعثر تلك العلاقات أحيانا و فتورها أحيانا أخرى :

- في ما يتعلق بالجانب الديني و هو أهم نقطة خلافية بين البلدين، فقد تحدث الرئيس "ميدفيديف" في 2009 (قبيل الربيع العربي) أثناء لقاء المفتين و قادة أقاليم شمال القوقاز عن أهمية التعليم الديني في روسيا كلها ، و عن أفضلية " المشاريع التنويرية" و المؤسسات التعليمية في ليبيا و سورية و مصر، مؤكدا أن ما يمكن طرحه هو "الاتصالات مع المملكة العربية السعودية حول قضايا الحج المتفق عليها مع السلطات الاتحادية و المحلية[1]، و هنا يمكن أن نضيف دلالات الحديث المستمر للرئيس الروسي "بوتين" عن " التيارات المتشددة" التي تولد نزاعات في الأراضي الروسية بإيعاز من الخارج، و سعيه أيضا نحو تأسيس مدرسة فقهية روسية مستقلة ذات سيادة، و هو ما يتجانس مع التقاليد التاريخية الروسية و علاقات الشراكة و خاصة مع الكنيسة الأرثوذكسية الروسية.
- ينظر القادة الروس لأحداث الربيع العربي 2011-2012، نظرة تشاؤمية، فقد تغيرت سياسة روسيا و لهجة خطابها تجاه السعودية، و هو تغير نابع من الاعتقاد الروسي بأن الربيع العربي مشروع غربي أمريكي بامتياز في المنطقة العربية بل هو صيغة جديدة – حسب "**و. بافلوف**" – لـ" الثورات الملونة" ،

[1] "خطاب الرئيس الروسي في اللقاء الذي جمع المفتين ورؤساء أقاليم شمال القوقاز"، الكرملين، 2008 / 8 / 28 ، انظر:
http://www.kremlin.ru/transcripts/5296

تدار بأيدي إقليمية و السعودية يراد لها أن تكون" الراعي الإقليمي باسم الغرب" ، وقد اعتبرت روسيا ذلك ضربة قوية للاقتصاد الروسي بالنظر لما يجري في ليبيا، فضلا عن تخوف روسيا غير المبرر من وصول الراديكاليين إلى السلطة في المنطقة العربية ، و قد علق الرئيس الروسي مدفيديف بنوع من التشاؤم عن ذلك قائلا:" **إن الراديكاليين سيندفعون إلى السلطة و سيكون العمل معهم أصعب كثيرا**"[1]، و حول هذه النقطة، **هل يجوز أن نتساءل، مم تتخوف النخبة الروسية – في مجمل المنطقة العربية– إذا كانت هي من مضت في التعامل بصورة موثقة و أكثر وضوحا مع جماعة الإخوان مثلا في مصر فيما بعد ، أو حركة حماس الفلسطينية أو حزب الله في لبنان ؟**

ما هي المكاسب الكلاسيكية التي تخشى روسيا أن تفقدها؟ هل هناك من علاقة بماضي روسيا وحاضرها السياسي في المنطقة العربية خاصة وأنها قد سارعت بكل ثقة إلى استقبال أغلب القادة الراديكاليين على إقليمها وبإيعاز منها أحيانا؟ (أنظر مثلا مضامين التحليل الجيوسياسي ضمن محور "موسكو– القاهرة").

- يضيف بعض الخبراء الروس على مستوى وزارة الخارجية الروسية ، أن أحداث الربيع العربي دفعت المملكة العربية السعودية على المستوى السياسي إلى أن تحافظ على صفة "الشريك الوفي" للولايات المتحدة الأمريكية في سياستها الخارجية، و نتيجة لسقوط الأنظمة السياسية في المنطقة العربية ، روسيا تعتقد بأنه ستتشكل محلها أحزاب و منظمات إسلامية ترتبط ارتباطا وثيقا ب "الثنائي الوهابي" كل من المملكة العربية السعودية و قطر[2].
- نقطة أخرى خلافية بين روسيا والمملكة العربية السعودية، تتعلق بطبيعة مواقف الرئيس "بوتين" تجاه قضايا تهم المملكة، منها إصراره على ضرورة دعم العملية السياسية السورية العامة، واعتبار النظام السوري طرفا شريكا طبيعيا فيها، فضلا عن رؤيته حول مهمة المفاوضات بشأن البرنامج النووي الإيراني والمتمثلة في البحث بدأب وصبر عن حل شامل يضمن حقوق إيران الراسخة في تطوير صناعة الطاقة الذرية السلمية وضمان أمنها، وهو ما لا يخدم توجهات المملكة خاصة في ما يتعلق بقضية الحرب على الحوثيين في اليمن.
- أيضا من ناحية رمزية ، يمكن الحديث عن نقاط سياسية خلافية أخرى في العلاقات بين الطرفين ، تتمثل في تلك الانطباعات السلبية الشديدة التي طبعت الموقف السعودي من جراء ما تضمنه بيان مفوض

[1] مقابلة مع الرئيس الروسي، قنوات التلفزيون الروسية، الكرملين،2012 / 4 / 26 ، انظر: http://www.kremlin.ru/news/1514

[2] غريغوري كوساتش، المرجع السابق، ص 16.

وزارة الخارجية الروسية لشؤون حقوق الإنسان و الديمقراطية و سيادة القانون "قسطنطين دلوف" المنشور في 12 جوان 2012، في ما يتعلق باعتقال "**ثمر النمر**" في المنطقة الشرقية و مطالبة البيان بضمان حقوق الانسان، فضلا عن ما أعلنت عنه وثيقة العقيدة الجديدة للسياسة الخارجية لروسيا الاتحادية لعام 2013 متجاوزة بذلك ذكر المملكة العربية السعودية، أن من أولويات سياسة روسيا في الشرق الأوسط السعي لتوسيع التعاون مع دول العالم الإسلامي و تطوير العلاقات الثنائية مع دول الشرقين الأدنى و الأوسط بتوحيد العالم العربي كله و إيران، و نفس الشيء لم يتم ذكر "مبادرة السلام العربية" في سياق الشرعية الدولية خلال تناول موضوع تسوية النزاع في الشرق الأوسط ، و أكثر من ذلك موقف روسيا في مؤتمر "جنيف2" المتمثل في في ميلها إلى مناصرة أحد طرفي النزاع الداخلي في سوريا، و كذا مواقف المسؤولين الروس بعدم التعليق عن دعم ايران للنظام السوري و نفس الشيء بالنسبة لمشاركة حزب الله، و هو ما يقلق المملكة العربية السعودية أكثر فأكثر.

- من المسائل الخلافية أيضا بين روسيا و المملكة العربية السعودية؛ قضية "**عاصفة الحزم**" التي تنفذها أطراف الائتلاف المضاد للإرهاب في اليمن بزعامة السعودية ، فعلى هامش زيارة قام بها "بوتين" إلى القاهرة في 2015 صرح قائلا: " **ينبغي أن أذكر أن الأفعال التي تقوم بها أطراف الائتلاف المضاد للإرهاب غير شرعية، لأنها تنفذ من دون موافقة مجلس الأمن ، و في سورية يرفض الائتلاف التعاون مع السلطات الشرعية** "، وربما هنا يمكن أن نلمس اتساق تصريح الرئيس الروسي و طروحات المدرسة الواقعية الجديدة التي تولي الاهتمام بالأدوار الثانوية للفواعل غير الدول على غرار الأمم المتحدة، كما يمكن أن نلمس اتساق مضامين هذا التصريح مع بنود ووثائق السياسة الخارجية الروسية الجديدة الداعية إلى احترام مبادئ القانون الدولي و المواثيق الدولية و القرارات الأممية ، و غيرها كضرورة تحقق الإجماع الدولي حول قضايا تمس الأمن الدولي، و هو ما نلمسه أيضا في تعليق وزير خارجية روسيا "سيرغي لافروف" على "عاصفة الحزم" حينما نعتها بأنها " لعبة مواجهة بين السنة و الشيعة خطرة".
- خلاف سياسي آخر بأبعاد اقتصادية بين الطرفين، يتعلق باعتقاد الرئيس "بوتين" باحتمال وجود "مؤامرة" ضد روسيا و ذلك على خلفية الأزمة الأوكرانية في 2014 التي أدت إلى تصعيد الخطاب المعادي للغرب، زيادة على فرض العقوبات الاقتصادية على روسيا بعد ضمها شبه جزيرة القرم ، و تتعلق مسببات الخلاف بين الطرفين بتداعيات خفض أسعار النفط العالمية و هذا الأمر بحسب رأي الرئيس "بوتين" لا يمكن أن تقوم به سوى المملكة العربية السعودية[1].

[1] "الخط المباشر مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين"، الكرملين، 2014/4/17 ، انظر: http://www.kremlin.ru/news/20796

الفرع الثالث: محصلة التنافس الجيوسياسي و التقارب البراغماتي /الواقعي على المحور "موسكو – الرياض"

إن إجراء مقاربة شاملة حول جوانب مختلفة من التنافس الجيوسياسي و شروط التقارب البراغماتي على المحور " **موسكو– الرياض**" ، أو حتى مع باقي دول منطقة الخليج العربي، تدعو الى الاستنتاج بأن العلاقة بين روسيا و المملكة العربية السعودية تعتبر ظاهرة جديدة نسبيا كما أنها علاقة غير ودية في الأساس الجغرافي السياسي الاقليمي[1]، و بالمحصلة يمكن التأكيد على ما يلي:

- تعتمد مقاربة العلاقات بين روسيا و المملكة العربية السعودية أي على المحور "موسكو–الرياض" أحيانا على معيارين أساسيين أو مؤشرين للتقييم غير ثابتين يتمثلان أساسا في[2]:

أ– مدى دعم المملكة للأصوليين أو الجهاديين في منطقة مابعد السوفيات.

ب– مدى الدعم الروسي لإيران – كحقيقة أخرى في منطقة الشرق الأوسط– مما يؤجج التنافس الجيوسياسي بين روسيا والسعودية باعتبارها قوى كبرى إقليمية في المنطقة.

إذًا في الواقع، تلك التوترات الناجمة عن جملة الاختلافات في الإيديولوجيات و الصراع الإقليمي على المصالح أصبح العامل الرئيسي في تحديد طبيعة العلاقة على المحور "موسكو– الرياض"، و ذلك في كل من الحقبة السوفياتية أو في زمن الاتحاد الروسي، و مع ذلك خاصة فيما يتعلق بتلك التغيرات التي تمس التوازن السياسي العالمي و التطورات المتغيرة للعبة المصالح في الشرق الأوسط ، فقد أصبحت لدينا مجموعة أخرى من المؤشرات اليوم و التي باتت تحدد فعلا مفهوم و طبيعة العلاقة غير الودية التقليدية بين روسيا و السعودية .

- واجهت المملكة العربية السعودية إمكانية التقارب ، خاصة في فترة وصول بوتين إلى السلطة مطلع العام 2000، لكن ذلك لم يكن ليعني توافر إمكانية التقارب السياسي الحقيقي، لأن قضايا الانقسام و التنافس التقليديين كانت قائمة، و لهذا فإن روسيا و المملكة لا تزالان مثيرتين للجدل في العلاقة بينهما خاصة في قضايا مهمة و جوهرية و حرجة مثل سوق الطاقة و مستقبل سوريا و صعود الاسلاماوية ....، لذا فإن العلاقة الروسية السعودية تعتمد بشكل طبيعي على اختلاف المصالح في القضايا المثيرة للجدل مثل سوق الطاقة و الطبيعة الديناميكية للوضع السياسي للشرق الأوسط.
- أن روسيا تهدف إلى إعادة تأكيد وجودها في العالم العربي من خلال استعادة صورتها وتأثيرها في القضايا الإقليمية، من خلال زيادة حجم العلاقات مع دول الخليج كقوى رئيسية في المنطقة.

---

[1] **Elnur Hasan Mikail, Cavit Emre Ayteki**, Russia-Saudi Arabia Relations: Geopolitical Rivalry and the Conditions of Pragmatic Rapproachment , Kafkas University, Kars, Turkey,IN: https://www.davidpublisher.org/Public/uploads/Contribute/58355212e1113.pdf

[2] Ibid.

- العلاقة القائمة على المحور "موسكو– الرياض" ؛ علاقة تحت تأثير السياسة العالمية و بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ؛ أول حدث تحولي عالمي مهم كان هجمات 11 سبتمبر في الولايات المتحدة، و منه في المستوى الدولي – بالمحصلة– حدث تحول جذري في مفهوم السياسة الخارجية الأمريكية تجاه الحرب على الإرهاب*(**إحالة حول سياسة الدفاع الهجومي للولايات المتحدة كعقيدة...**) ، جنبا إلى جنب مع روسيا ذات التوجه الغربي على خلفية سياسة الرئيس الأسبق "بوريس يلتسين"، و هي فرصة لروسيا للخروج من عزلتها الجيوسياسية و الانصراف عن النهج غير الواقعي – باعتبار أن التنمية الاقتصادية لا يمكن أن تنجح في روسيا المنهكة خارج الحاضنة البراغماتية الواقعية على حساب الايديولوجيا– هذا بالإضافة إلى أن روسيا و باقي القوى الكبرى بعد تلك الأحداث باتت تعي جيدا بأن تشكيل الشرق الأوسط لن يحصل خارج توجهات بناء التنمية الشرق أوسطية، و مع كل ذلك ، في الوقت نفسه، و في ظل سياسة القطب الأوحد كانت توجهات السياسة الخارجية الروسية تقع حصرا ضمن سياق منع الإرهاب الدولي و حركات الإسلام الأصولي من الدخول إلى الاتحاد الروسي ، فقد اعتبرت تلك بمثابة "**قضية أمن قومي**" لروسيا ، على أن تلك الحركات الإسلامية و الانفصالية بإمكانها زعزعة استقرار الاتحاد الروسي خاصة من ناحيته الجنوبية عبر إيران و تركيا.
- أيضا من بين العوامل الأخرى في المستوى الدولي و المؤثرة بدورها على العلاقة بين الطرفين، مسألة مهمة و حساسة خاصة بالنسبة للاقتصاد الروسي ، تتعلق بضرورة الحفاظ على القطاعات الحساسة الرئيسية الإستراتيجية مثل قطاع الطاقة و الوقود و الطاقة النووية و إنتاج الأسلحة، هذا فضلا عن عامل آخر مؤثر يتعلق أساسا بالانخفاض النسبي للقوة الأمريكية خاصة مع صعود قوى جديدة على الساحة الدولية و ذلك منذ بداية 2000، فقد منحت تلك العوامل فرصة مواتية لروسيا لأن تشتغل في سياق التطلعات الجيوسياسية لاستعادة قوة روسيا الاتحادية العظمى، و أصبح التأكيد على التأثير السياسي لروسيا على المناطق ما بعد السوفياتية أقوى في روسيا على مستوى المشهد السياسي، و من منظور الواقعية المعاصرة و نظريات التنافس المهيمن الواقعية ، فإنه بإمكان روسيا من خلال " زيادة علاقاتها مع العالم العربي الوصول إلى تحقيق مكسب إضعاف مصداقية الولايات المتحدة و نفوذها في المنطقة ، كما اكتسبت روسيا بذلك فرصة لتقديم نفسها على أنها ثقل موازن للسياسات الدولية التي يسيطر عليها الغرب؛ و باختصار – حسب "تسيغانكوف" Tsygankov – "فقد برزت العلاقات بين روسيا والمملكة العربية السعودية كفرصة تعد بالمصالح لكل طرف ، و كانت تلك العلاقة المتزايدة موازية للتوجهات الجديدة للسياسة الخارجية الروسية ، التي تنظر إلى الشرق الأوسط كمجال جغرافي سياسي للتأثير في دعم الأهداف الجديدة للسياسة الخارجية الروسية ، مثل إعادة التأكيد على حالة القوة الفائقة ومواجهة أحادية القطب من قبل

الولايات المتحدة"، و هو ما ينسجم مع ادعاء تمثل روسيا اليوم – من خلال سلوكياتها الخارجية– النهج الواقعي الكلاسيكي على اعتبار "متلازمة القوة" موضوعية في حد ذاتها.

- على الرغم من حجم التنافر في توجهات السياسة الخارجية الروسية على المحور "موسكو– العالم العربي / الإسلامي" – حسب كل من **Elnur Hasan Mikail, Cavit Emre Ayteki** – فإن إمكانية التقارب بين روسيا و المملكة العربية السعودية تؤثر أحيانا على بعض التناقضات وعلى حدود السياسة الروسية، و مع ذلك فإن التعاون التقليدي بين روسيا و إيران أي على المحور " موسكو– طهران"؛ لا يزال يحظى بأولوية على النطاق الإقليمي سواء للطرفين، و– كما أشرنا ضمن سياق استراتيجية روسيا حول بناء الدوافع و الحوافز و المعيقات ضمن سياستها الخارجية – هي دومًا تسعى اليوم في الشرق الأوسط إلى تبني و تطبيق "**سياسة تحفيز المصالح ، مما يجعل أرصدة الشرق الأوسط أكثر تعقيدا**"[1] .

> "*briefly, russian-saudi Arabia relations emerged as an Opportunity that promises interests for each side. And that increased relationship was parallel with the new orientations of Russian foreign policy which sees the middle-east as a geopolitical sphere of influence for pursuing the new goals of Russian foreign Policy such as reasserting super-power status and confronting the us's unipolarity* »

- من المشاهد التي تعكس صورة التناقض الجيوسياسي على المحور"موسكو– الرياض" تلك المعارضة المتبادلة و العداء بين الجهات المدعومة من قبل السعودية في الجنوب (قضايا دعم التمرد الإسلامي في اليمن و العراق و سوريا و إثيوبيا و باكستان و أفغانستان)، و تلك المدعومة من قبل الاتحاد السوفياتي في الشرق الأوسط، و كانت أفغانستان في عام 1979 أحد الأمثلة البارزة في ذلك، و بعد تلك الفترة بقليل أدى انهيار الاتحاد السوفياتي إلى تحقيق ميزة لصالح الجانب السعودي بأن يتم استخدام المال و المورد البشري لتشجيع الأصوليين في مناطق ما بعد الاتحاد السوفياتي وحتى داخل روسيا ذاتها، في حين أن إنتاج النفط و أسعاره في قضايا السوق العالمية لا تزال تعتمد على المملكة العربية السعودية و دول الخليج الأخرى، فيما بعد أدى التطور في الأحداث مثل أحداث هجمات 11 سبتمبر و التدخل العسكري في العراق 2003، إلى آثار اقتصادية ايجابية خاصة على سوق الطاقة و ارتفاع أسعار النفط بشكل كبير ، و نظرا لتحسن العلاقات الإقليمية العربية نوعا ما كانعكاس مباشر و طبيعي لما يجري من تطورات على الساحة الدولية، فضلا عما جلبته تلك الطفرة لقطاع الطاقة و ما حققته من مزايا مهمة لكل من روسيا و السعودية على حد سواء، فقد انتعشت العلاقات الروسية السعودية و بدأت تنتهي

[1] **Elnur Hasan Mikail, Cavit Emre Ayteki**,op.cit

الخلافات الأخرى، و هنا يمكن تأكيد المنهج الواقعي ودور الحسابات العقلانية في السياسة الخارجية الروسية ، من خلال البراغماتيزم و تقديم المصلحة الاقتصادية لروسيا على قضايا أخرى أقل أهمية من أجل **إعادة فرمتة** العلاقات البينية مع المملكة، فبعد فترة التناقض و التنافس الجيوسياسي بين الطرفين؛ توافرت عدة أسباب و عوامل رئيسية لكلا الطرفين، وفرت **مساحات تقارب إستراتيجي و أسباب مصالحة محتملة** جد مهمة ، من بينها تدخل الولايات المتحدة في أفغانستان و العراق على أساس مبدأ الحرب على الإرهاب، فقد "**كانت قضيتي "أفغانستان و العراق" بمثابة المجالات الرئيسية المثيرة للجدل من التنافس الجيوسياسي بين روسيا و السعودية منذ الحرب الباردة**"[1]، و العامل الآخر هو أنه منذ تولي "بوتين" السلطة في روسيا ، بدأت تتوتر العلاقات بين كل من روسيا و الولايات المتحدة ، مما جعل روسيا تبحث عن فاعلين بديلين و "**فتحات أو منافذ**" أخرى ضد هيمنة الولايات المتحدة و النفوذ الغربي في مناطق ما بعد الاتحاد السوفياتي ففي بداية العالم مابعد 11 من سبتمبر ، كان بمقدور المملكة العربية السعودية أن تقدم البديل المطلوب للسياسة الخارجية الروسية[2] .

من جانب آخر ، فقد اعترضت مسألة التدخل الأمريكي في العراق كل من روسيا و السعودية على حد سواء، هذا على الرغم من وقوف روسيا – سابقا–إلى جانب الولايات المتحدة الأمريكية في حربها ضد الإرهاب و التطرف الديني (الإسلامي) من خلال دعمها لعملية غزو أفغانستان من أجل جعل واشنطن تنظر لروسيا باعتبارها شريكا استراتيجيا ضد الشيشان مثلا، وهو ما دفع روسيا من خلال الرئيس "بوتن" إلى التخلي عن أفكار الغربيين و تصوراتهم الفكرية في سياستها الخارجية، و أصبحت أكثر تشككا في السياسة الخارجية الأمريكية و القوى الغربية، ضمن ذلك المشهد أصبحت المملكة العربية السعودية حليفا محتملا لروسيا ضد الهيمنة الأمريكية خاصة مع" **سياسة الوجه الحسن**" الذي تبديها واشنطن مع طهران، مما ساهم في توتر العلاقة أكثر بين المملكة و الولايات المتحدة الأمريكية، و هو عامل آخر مهم أقنع بدوره المملكة على تحسين علاقاتها مرة أخرى مع روسيا ، باعتبارها طرفا مفيدا في عدة قضايا مشتركة مستقبلًا، و في هذا السياق يمكن من وجهة نظر تحليلية القول بواقعية السلوك الروسي الخارجي، ذلك أن ما تتبناه روسيا من سلوكات منسجمة و السلوك الخارجي للولايات المتحدة، ما هو إلا انعكاس واضح لأفكار و طروحات النظرية الواقعية الكلاسيكية الجديدة، و التي تركز بدورها على أهمية **و دور الدولة كفاعل عقلاني**، كما أنها تولي أهمية قصوى للعوامل الداخلية ، مع ضرورة عدم الفصل بين **المستويات الخارجية – النظامية و الداخلية– المحلية** ، على أن تحليل السياسة الخارجية قائم على تحليل كل من تلك العوامل مجتمعة **(البنية الدولية و العوامل المحلية)**،

[1] Ibid.
[2] Ibid.

بالإضافة إلى التأكيد على تصور الدولة لقوة خصومها و النوايا و قدرة نخب الدولة على تعبئة الدور الاجتماعي لصالح تحقيق أهدافها السياسية ، فضلا عن تماهي السلوك الخارجي الروسي و **افتراضات النظرية الواقعية المعاصرة للهيمنة(التنافس المهيمن)**؛ ذلك – بأن روسيا من خلال سلوكها الخارجي مع الولايات المتحدة – تنظر إلى العوامل المحلية الداخلية (عسكرية ، سياسية، اقتصادية أو تكنولوجية أو ديموغرافية...) مثل قضية الأمن الروسي الداخلي(قضية الشيشان)، على أنها قضايا مؤثرة بصورة مباشرة على عملية توزيع القوة داخل النظام الدولي، وهذا ما وعته روسيا جيدا من خلال التوجهات الغربية في المحيط القريب منها على ما يبدو.

في الحقيقة يمكن استخلاص بعض النتائج و المؤشرات المهمة، و المتعلقة أساسا بتطور مسار وطبيعة العلاقات بين كل من روسيا و المملكة العربية السعودية أهمها[1]:

- أن العلاقات بين الطرفين – بعد توافر محددات تقارب براغماتي ومساحات تفاهم استراتيجي بدل التنافس– انتقلت مباشرة من مستوى التفاهم النسبي إلى تطابق أهم الرؤى حول أعقد القضايا مثل قضية محاربة الإرهاب والتطرف الديني.
- ابتداء من 2007 بعد زيارة "بوتين" إلى المملكة، تحسنت العلاقات التجارية بين الطرفين كما بدأت الرحلات الجوية المباشرة بينهما.
- من ناحية واقعية براغماتية، كانت روسيا بحاجة إلى استثمارات أجنبية لدعم النمو الاقتصادي والاستقرار الداخلي، كما أن المملكة كانت تبحث عن المناطق الاقتصادية المحمية والمستقرة من أجل الاستثمار، وبالتالي زيادة حجم التجارة المتبادلة والاستثمار كان مقبولا من كلا الطرفين.
- في المستوى الاقتصادي أيضا، و كما هو معلوم عن روسيا ، كان المدخل الروسي إلى اقتصاد المملكة العربية السعودية في الغالب هو قطاع الطاقة، و ذلك بالنظر إلى مقولة "بوتين": " **أنه إذا كانت صحة قطاع الطاقة بخير فإن صحة الاقتصاد الروسي بخير**"، فمن ناحية براغماتية واقعية لكلا الطرفين تم توقيع اتفاقيات متبادلة و عقود بينهما ، و كملاحظة مهمة في هذا الشأن، هو أن روسيا من خلال تلك العقود كانت على استعداد للاستفادة من ميزتها في مجال السلاح والقطاع النووي محاولة بذلك بيع الأسلحة و التكنولوجيا النووية للمملكة، أما بالنسبة للمملكة قد يكون شراء الأسلحة الروسية بمثابة ورقة رابحة و مفيدة ضد مبيعات شركات الأسلحة الأمريكية، خاصة و أن توتر العلاقات بين كل من المملكة و إيران حول مسألة الوصول إلى امتلاك السلاح النووي قد شجع كل منهما على التقارب مع الطرف الروسي، على أن روسيا – خضوعا منها لتأثير العامل الجيوسياسي– قد عملت بحذر على حماية التوازن بين

[1] **Elnur Hasan Mikail, Cavit Emre Ayteki**,op.cit

علاقاتها مع كل من إيران و المملكة العربية السعودية، فقد تمكن "بوتين" بشكل براغماتي واقعي من استغلال التنافس بين الطرفين لغرض بيع الأسلحة لكليهما، و ضمن نفس السياق ، فإن المساعدة الروسية لإيران حول برنامج الطاقة النووي، كانت تحمل بدورها حالة من عدم الثقة في العلاقات بين روسيا والمملكة، فضلا عن وجود مؤشر آخر ضمن منطقة الشرق الأوسط يشي بحالة من التناقض بينهما، اعتبارا لبيع روسيا للأسلحة لسوريا التي تعتبر قوة إيرانية بالوكالة في نظر السعودية، مما أدى إلى تدهور العلاقات السورية السعودية، و هو ما يؤكد مرة أخرى على قدرات الرئيس الروسي على استثمار التنافس البيني بين القوى الإقليمية في الشرق الأوسط و بطريقة واقعية مع الحفاظ على التوازن القائم بين جميع الأطراف فضلا عن ضمان المصلحة الروسية العليا على أغلب الأصعدة.

- دفعت أحداث الربيع العربي روسيا ابتداء من 2010 لأن **تعيد التفكير في الهوية الإقليمية الروسية المبعدة في الشرق الأوسط**[1] ، خاصة و أن النفوذ الروسي قد تراجع بصورة متزايدة في منطقة الشرق الأوسط بعد انهيار الاتحاد السوفياتي– و كما قد أشرنا سابقا – فقد كانت روسيا تنظر لثورات الربيع العربي على أنها محصلة عملية مدارة غربيا من أجل توسيع النفوذ الغربي ضد روسيا في المنطقة(**الثورات الديمقراطية حسب تعبير "بوتين"**) ، خاصة و أن روسيا كانت قد مرت بتجربة "الثورات الملونة" في أوكرانيا و جورجيا سابقا و كانت تنظر إليها نفس النظرة تقريبا، على أنها ثورات مدعومة من قبل الغرب من أجل تمكين الحركات الموالية للغرب من الوصول إلى السلطة و هذا ضد الحكومات ما بعد السوفياتية، و لهذه الأسباب فإن رفض روسيا أحداث وثورات الربيع العربي كان موقفا نهائيا و واضحا.
- من صور التناقض الجيوسياسي بين روسيا و المملكة العربية السعودية ، وقوف روسيا إلى جانب الرئيس بشار الأسد و قواته النظامية في سوريا – باعتبارها الحليف التقليدي له في المنطقة– ، كما أنها تنظر لحكومته على أنها الممثل الشرعي الوحيد للشعب السوري ، وهذا ضد المعارضة بأطيافها المختلفة، و قد يفسر الموقف الروسي هنا بأن موسكو كانت تعتبر كل ما يجري من أحداث في سوريا ما هي سوى "**جلبة مدنية**" مدعومة من قبل الغرب ضد روسيا، بالمقابل كانت السعودية تقف إلى جانب قوات المعارضة ضد بشار الأسد من خلال دعم الجبهة السنية، هذا الاختلاف في المواقف ساهم في خلق مستوى من التناقض الجيوسياسي على المحور" **موسكو– الرياض** "، و مع الصورة السيئة للرئيس السوري – المروج لها إعلاميا– ، خاصة مع تصاعد الحرب الإعلامية و الإشاعات و الأخبار التي باتت تعكس تطرف الرئيس "بشار الأسد" ، فقد بادرت المملكة العربية السعودية و دول الخليج بدعم الجماعات المناهضة

[1]Ibid.

للأسد ، غير أن القضية السورية لم تجد لها حلا بحيث استمر الصراع قائما بين الأطراف المتضاربة و المختلفة بين جماعات المعارضة و المنظمات الإرهابية و الحكومة السورية إلى غاية التدخل العسكري الروسي المباشر في سوريا، في سبتمبر 2015، مما أضعف الجبهة السنية المدعومة من قبل المملكة العربية السعودية ، و هو ما أجبرها على السعي نحو التوصل إلى حل وسط للأزمة السورية ، كما أن التدخل الروسي لم يواجه برد فعل قوي من قبل الجامعة العربية، فضلا عن أن كل من قطر و المملكة العربية السعودية ليس بإمكانهما إلا استصدار بيان لدعوة روسيا لإنهاء عمليتها ضد جماعات المعارضة، و منه فقد أضحت مسألة تسوية الحرب في سوريا أحد أهم القضايا **على الإطلاق** في العلاقات على المحور "**موسكو–الرياض**" خلال هذه الفترة، و هو ما لا ينفي وجود مسائل أخرى أكثر "**فعلية**" على نفس المحور.

- رغم حالة التناقض و الاحتقان الجيوسياسي القائم بين الطرفين جراء قضايا عدة أولها المسألة السورية، إلا أن هناك عوامل تقارب جيوسياسي أيضا قد لاحت في الأفق ، و كان من القضايا المهمة في ذلك حسب قاعدة العلاقات الدولية الشهيرة "...**في العلاقات الدولية لا يوجد هناك عدو دائم و لا صديق دائم، إنما هنالك مصالح دائمة**"، ووفقا للمقاربات الواقعية للعلاقات الدولية فإن كلا الطرفين – خاصة بعد الحملة الجوية الروسية في سوريا– قد أجريا عديد اللقاءات وأبرما جملة عقود و اتفاقيات ذات طابع مالي تجاري اقتصادي ، و من أوجه التقارب الاستراتيجي على هذا المحور عقود شراء المملكة لسفينتين روسيتين و تقريرها إنشاء صندوق إنمائي بقيمة 10 مليار دولار و ضخها في الاقتصاد الروسي ، فضلا عن إدراج روسيا للمملكة على جدول أعمالها فيما يتعلق بشراء الأسلحة الروسية، و من وجهة نظر تحليلية فإن هذا التقارب الاستراتيجي الجيوسياسي بين موسكو و الرياض يستند إلى هدف روسيا المتمثل في رفض زيادة إنتاج النفط بالتعاون مع منظمة الدول المصدرة للنفط "أوبك"OPEC ومنه السعي إلى التحكم في أسعار النفط و السيطرة على السوق، و هنا يمكن أن نلمس التوجه الروسي الواقعي الجديد "الواقعية الفوضوية لـ "**والتز**" ، حينما تولي روسيا بعض الأهمية لمنظمة دولية مثل

"أوبك" مع الإقرار بدورها الفعال في خلق التوازن في سوق النفط، بالإضافة إلى سعي موسكو دوما نحو ضمان تحقيق مصلحتها الاقتصادية و السياسية بما يدعونا للاستنتاج بأن روسيا أيضا تتبنى النهج الواقعي الكلاسيكي الجديد و ذلك من خلال ما يعكسه تفهم القادة الروس لدور و أهمية الاستقرار الاقتصادي و السياسي في روسيا– كعوامل داخلية– في بناء سياسة خارجية متزنة والعكس صحيح، و عليه فهم

يقرون بوجود علاقة قوية بين البنية الدولية و العوامل المحلية القائمة، هذا بالإضافة إلى أن أولئك القادة الروس و على رأسهم الرئيس "بوتين" يتفهمون من ناحية أخرى طبيعة الشروط الأساسية لبناء مشروع الهيمنة في إطار

التنافس الدولي ، على أن العوامل الداخلية أدوات مؤثرة بصورة أوضح على عملية توزيع القوة داخل النظام الدولي ، و من أجل الفهم الجيد للعلاقات القائمة ضمن كل من الفضاء "**ديمو- بوليتيك**" و الفضاء "**دبلو- استراتيجيك**" على المحور "موسكو- الرياض" في أبعادها الجيوسياسية يمكن مراجعة الجدول أدناه.

- **الجدول رقم 11: أهم المؤشرات و المتغيرات ضمن الفضاء "ديمو –بوليتيك" على المحور "موسكو– الرياض"**

الحالة/الدولة	الفضاء ديمو– بوليتيك		
	المؤشرات	أهم المتغيرات	الفترة
السعودية	الاحتواء بالتقارب	استحداث منصب نائب وزير الخارجية لشؤون العلاقات مع المنظمات الإسلامية الدولية. تحسين العلاقات مع منظمة التعاون الإسلامي) تأكيد ضرورة مشاركة روسيا في نشاط منظمة التعاون الإسلامي، وذلك بالنظر لارتباط روسيا بالعالم الإسلامي انضمام روسيا إلى وزراء خارجية دول المنظمة بصفة عضو مراقب تبادل الزيارات الرسمية ممارسة التأثير في شرائح السلطة السياسية للمملكة العربية السعودية و غيرها من دول المنطقة العربية اضافة منظمة التعاون الإسلامي في اطار تنفيذ مبادرة الشركاء في مجموعة الثماني في منطقة الشرق الأوسط و شمال افريقيا.	اعلان بوتن 2003 (خطاب بوتن)2003 الاجتماع 32 2005
	استخدام حق الفيتو أو التهديد باستخدامه (واقعية كلاسيكية)	رفض مشروع الربيع العربي و اعتباره صيغة جديدة للثورات الملونة تدار اقليميا ، و السعودية يراد لها أن تكون الراعي الاقليمي لها باسم الغرب. اصرار "بوتين" على دعم العملية السياسية في سوريا و اعتبار النظام السوري طرفا شريكا طبيعيا فيها، على الرغم من الموقف السعودي. المنظور الروسي حول المفاوضات بشأن البرنامج النووي الإيراني و المتمثل في البحث عن حل شامل يضمن حقوق ايران الراسخة في تطوير صناعة الطاقة الذرية السلمية و ضمان أمنها، رغم حساسية الموضوع في المنظور السعودي. رفض عملية "عاصفة الحزم" و اعتبارها غير شرعية. الدفاع عن الديمقراطية السيادية.	2011– 2018
	التعاون الدولي (واقعية فوضوية)	الاهتمام بأدوار المؤسسات الدولية (UN). احترام مبادئ القانون الدولي و المواثيق الدولية و القرارات الأممية.	2001–2018
	بناء الحوافز و الدوافع و المعيقات	سياسة تحفيز المصالح في الشرق الأوسط. رفض زيادة انتاج النفط – على المستوى السياسي– خاصة من قبل الطرف السعودي و السعي الروسي نحو السيطرة على أسواقه. اعطاء أولوية للمصالح الاقتصادية و الأمنية بعد فترة العلاقات الخلافية.	

- **الجدول من تصور وإعداد الباحث**

الجدول رقم 12: أهم المؤشرات و المتغيرات ضمن الفضاء "دبلو-استراتيجيك" على المحور "موسكو- الرياض"

الحالة/الدولة	الفضاء دبلو- استراتيجيك		
	المؤشرات	أهم المتغيرات	الفترة
السعودية	تبادل الزيارات (قوة ناعمة)	زيارة وفد عن منظمة المؤتمر الإسلامي إلى موسكو، زيارة الوفود العربية المشاركة في اجتماع مجموعة دعم المحادثات متعددة الأطراف في الشرق الأوسط ، زيارة وزير شؤون السياسة القومي الروسي إلى الرياض ، و تأكيد الجانب السعودي احترام وحدة روسيا و سلامة أراضيها و مبدأ عدم التدخل في شؤونها الداخلية، و غيرها من الزيارات	2003-2000
	الاحتواء بالإغراء و التنازل (قوة ناعمة)	امتصاص حدة التوتر في قضية الشيشان بين روسيا و المملكة العربية السعودية. تقديم تنازلات و اعطاء اقتراحات و اغراءات بغرض احتواء المشكلات بينها و بين شركائها في المنطقة العربية(حالة المملكة العربية السعودية). استخدام العامل الديني في هويتها لإغواء الدول الإسلامية	2003-2000
	استراتيجية نظام أمن العدو (واقعية مشروطة)	السعي نحو اقامة نظام أمن جديد في الخليج يضم **دولة ايران**. مطالبة روسيا بضرورة احترام حقوق الانسان و ضمان ذلك من خلال بيان مفوض وزارة خارجيتها لشؤون حقوق الانسان و الديمقراطية و سيادة القانون ، و ذلك فيما يتعلق بقضية اعتقال " نمر النمر" توسيع التعاون مع دول العالم الإسلامي و تطوير العلاقات الثنائية مع دول الشرقين الأدنى و الأوسط و ذلك بتوحيد العالم العربي كله و ايران. منع الارهاب الدولي و حركات الإسلام الأصولي من الدخول إلى الاتحاد الروسي. القدرة على توظيف قوى التمرد في مناطق من الشرق الأوسط كاستراتيجية مضادة لبعض التوجهات الاقليمية.	منذ2000- 2018- 2012
	تفعيل المشاركة الاقليمية	استعادة صورة روسيا و تأثيرها في القضايا الاقليمية من خلال زيادة حجم العلاقات مع دول الخليج كقوى رئيسية في المنطقة.	منذ 2000

	هيمنة ملء الفراغ التنافسي (واقعية مشروطة)	الحفاظ على القطاعات الحساسة الرئيسية الاستراتيجية، كقطاع الطاقة والوقود و الطاقة النووية و انتاج الأسلحة. الانخفاض النسبي للقوة الأمريكية خاصة مع صعود قوى جديدة على الساحة الدولية (البحث عن فاعلين بديلين ضد هيمنة الولايات المتحدة والنفوذ الغربي في مناطق ما بعد الاتحاد الروسي. محاولة روسيا الاستفادة من ميزتها في مجال السلاح والقطاع النووي. استناد روسيا إلى جغرافيتها الآسيوية مع الشرق (منطقة الأورال)، و استثمار ذلك جيوسياسيا في المنطقة العربية	منذ 2003

- **الجدول من تصور و إعداد الباحث.**

على العموم ، فإن "موسكو – في علاقاتها الجيوسياسية المعاصرة مع دول المنطقة العربية وغيرها من دول العالم– لم تعد تهتم بالقيود الإيديولوجية ، **فالدبلوماسية الروسية أصبحت تدافع عن حق "الديمقراطية وتعطي الأولوية للمصالح الاقتصادية و الأمنية**[1]**، و** بالمقابل نجد بأن دول "**الخارج البعيد**" أصبحت لا تراعي حساسية عودة روسيا على الساحة الدولية؛ فدول أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية لديها إلمام جيد من ناحية موسكو بأن يسمح لها بموازنة سياساتها الخارجية وتقدير مستوياتها مع القوى العظمى التي تلاحقها ، و لكي تصغي تلك الدول لروسيا ؛ فإن روسيا تستخدم نموذجًا حمائيا في ذلك، فهي تشير إلى تراث الروابط التي نسجها الاتحاد السوفييتي مع إفريقيا جنوب الصحراء وأمريكا اللاتينية ، حيث تستند إلى جغرافيتها الآسيوية مع الشرق (ثلثي أراضيها تقع خارج الأورال)، أو تستخدم العنصر الإسلامي في هويتها لإغواء البلدان العربية الإسلامية، بيد أن هذا النمط من الاندماج في العولمة حسب Jean Robert Jouanny يحمل أهدافا متضاربة تجعله هشًا على المدى الطويل، فمن ناحية ، تريد روسيا استعادة وضعها الكبير و اكتساب الاحترام وتقديم مساهمتها في مجابهة التحديات الدولية في المستقبل ؛ و من ناحية أخرى ، فإن البحث عن الموارد والفرص لاقتصادها يؤدي بروسيا إلى الحفاظ على اتصالات غير متميزة مع أولئك الذين يريدون شراء أسلحتها أو تبادل المواد الخام، من ناحية أخرى، فقد تم الإشارة إلى أن روسيا بحاجة إلى الدول الغربية لتحييد الأخطار التي تواجهها (الإرهاب و انتشار التسلح)، ومن جانب آخر ، نجد بأن روسيا تهدد باستخدام حق النقض في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لإحباط خططه التي تعتبرها مناقضة لمصالحها، وللحصول في المقابل على ورقة مساومة في القضايا ذات الأولوية[2].

[1] **Jean Robert Jouanny** ,Que Veut Poutine ?, Editions Du Seuil, 25, bd Romain-Rolland, Paris XIVe Mars 2016.PP144-148.
[2] Ibid.

في الواقع، " إن دعم "**فلاديمير بوتين**" للنظام السوري أصبح يضعف موقف روسيا في العالم العربي والإسلامي، و إذا كانت روسيا اليوم تصالحية مع إيران الشيعية وتدافع عن النظام العلوي لـ "**بشار الأسد**" (العقيدة العلَوية مرتبطة بالعقيدة الشيعية) ، فقد سعت موسكو تقليديًا إلى جذب تعاطف الأنظمة السنية ، خاصة وأن سكانها المسلمين مرتبطين إلى حد كبير بهذا التيار من الإسلام.

الفصل الرابع:

حدود العلاقة التناسبية العاملية وآفاق الواقعية الجيوسياسية الروسية المعاصرة:

نحو إعادة هندسة الوضع القائم.

Limits Of The Proportional Relationship Of Factors And Prospects Of Modern Russian Geopolitical Realism: Towards Re-Engineering The Status quo

الفصل الرابع: حدود العلاقة التناسبية العاملية وآفاق الواقعية الجيوسياسية الروسية المعاصرة: نحو إعادة هندسة الوضع القائم.

Limits Of The Proportional Relationship Of Factors And Prospects Of Modern Russian Geopolitical Realism: Towards Re-Engineering The Status Quo

إذا كانت الجيوبوليتيكا هي العلم الذي يختص بدراسة "**الحركة – المجال**" لكل فاعل من فواعل النظام الدولي القائم – الحديث عن المجال يتضمن إشارة لجملة الفضاءات المذكورة أعلاه على أنها خمس فضاءات– فإن دراستنا هذه اقتصرت على تحليل "**حركة – مجال**" روسيا من خلال مؤشرات **ثلاث فضاءات فقط**، و هي كل من الفضاء الاقتصادي و الفضاء "الديمو–بوليتيك" و الفضاء "الدبلو–استراتيجيك" تجاه المنطقة العربية، و من أجل استخراج أهم مؤشر حقيقي مشترك و الذي ليس بالضرورة أحد المؤشرات بل ربما قد يكون مؤشر غير محدد الأبعاد و المفهوم ، لكنه مزيج من كل تلك المؤشرات أو أحدها أو بعضها أو غير ذلك، و هو أمر نلمسه فعلا من خلال أغلب التحليلات و الدراسات سواء المتخصصة منها أو غير ذلك ؛ ما يدعونا إلى ضرورة تبني الاتجاه نحو التكميم أو المنهج الكمي و تحديدا المجرد منه، و الذي يتعلق بمنظور الهندسة الرياضية Géométrie. بإعتبارها التخصص الوحيد الذي يمكن أن يضبط بصورة مجردة شكلية هيكلية (هندسيا) "حركة–مجال" روسيا نحو المنطقة العربية، كما بإمكانه أن يعكس بصورة أكثر وضوحا صعوبة التحليل التي يعانيها أغلب المهتمين والدارسين لموضوع الجيوبوليتيك الروسي تجاه المنطقة العربية أو تجاه غيرها من الأقاليم في العالم.

المبحث الأول: حدود العلاقة التناسبية العاملية بين الفضاءات الجيوبوليتيكية: مدخل جيومتري إحصائي

ضمن هذا المبحث، سوف نحاول ابتداء تقديم معطى نظريا سواء في ذلك المعطى الرياضي أو الاحصائي، مع ضرورة الإقرار بأن هذين المعطيين هما في الحقيقة عبارة عن جملة براهين رياضية أو إحصائية ثابتة و مجردة ، و أننا سوف نتقبل كل تلك القوانين و المعادلات الرياضية خصوصا كما هي دون التعقيب عليها أو تغيير مسارها البحثي باعتبار أنها مبرهنة، و مع ذلك، فإن محاولة الاستفادة منها في موضوع بحثنا تعد محاولة تجريبية لاثبات وجود نافذة بحثية مهمة و صحيحة ، عبر اعتماد المنهج الاستنباطي من خلال الهندسة الرياضية ، بالإضافة إلى المنهج الاستدلالي بالاعتماد على الإحصاء الاستدلالي.

المطلب الأول: مضامين نظريات المرجح / نقطة المرجح Barycentres[1]

يبحث هذا المطلب جملة التعاريف و النظريات والمعادلات التي تتعلق بمركز ثقل أو ما يعرف بالنظمة المتزنة لنقطتين أو ثلاث نقاط أو أربع نقاط ضمن فضاء واحد **(نظريات المرجح)**، وبالنسبة لموضوع بحثنا فإننا بحاجة إلى تبين مضامين مثل تلك المعادلات والمخططات البيانية، التي بالإمكان الاستعانة بها فيما بعد على بناء معادلات مماثلة تستوعب التفاعل الحاصل بين مجموع الفضاءات البحثية المختلفة التي تبنينا دراستها من ناحية جيوبوليتيكية، مع ملاحظة أن التمثيل الفضائي رياضيا للأجسام و النقط يلجأ دوما إلى استعمال الشعاع و القيس الجبري في تصوير المسافات والأبعاد.

1. Définition

Un point pondéré est un couple (A, a) formé d'un point A et d'un coefficient réel a .

2. Barycentre d'un système de plusieurs points pondérés

On se place par exemple dans le cas de trois points pondérés $(A, a), (B, b), (C, c)$

a/ Théorème

Si $a + b + c \neq 0$ alors il existe un unique point G vérifiant $a\,\overrightarrow{GA} + b\,\overrightarrow{GB} + c\,\overrightarrow{GC} = \overrightarrow{o}$.

Démonstration

On prend un point O comme origine .

$a\,\overrightarrow{GA} + b\,\overrightarrow{GB} + c\,\overrightarrow{GC} = \overrightarrow{0}$ *s'écrit* $a\left(\overrightarrow{GO} + \overrightarrow{OA}\right) + b\left(\overrightarrow{GO} + \overrightarrow{OB}\right) + c\left(\overrightarrow{GO} + \overrightarrow{OC}\right) = \overrightarrow{o}$

puis $(a + b + c)\overrightarrow{OG} = a\,\overrightarrow{OA} + b\,\overrightarrow{OB} + c\,\overrightarrow{OC}$.

Comme $a + b + c \neq 0$, on obtient $\overrightarrow{OG} = \dfrac{1}{a + b + c}\left(a\,\overrightarrow{OA} + b\,\overrightarrow{OB} + c\,\overrightarrow{OC}\right)$

ce qui définit un unique point G .

b/ Définition

G s'appelle le barycentre des points pondérés $(A, a), (B, b), (C, c)$

c/ Formule à retenir

Si G est le barycentre de $(A, a), (B, b), (C, c)$ alors pour tout point O , $\overrightarrow{OG} = \dfrac{1}{a + b + c}\left(a\,\overrightarrow{OA} + b\,\overrightarrow{OB} + c\,\overrightarrow{OC}\right)$

[1] Cours 2 - Barycentres –au : http://www2.ac-lyon.fr/lyc01/cotiere/IMG/pdf/Cours_2_-_Barycentres.pdf ,Accédé le: 10-08-2018.

3. Propriété d'homogénéité

Si G est le barycentre de $(A,a)(B,b)(C,c)$ alors, pour tout réel k non nul, G est aussi le barycentre de $(A,ka)(B,kb)(C,kc)$.

➢ *On ne change donc pas le barycentre en multipliant ou en divisant les coefficients par un même nombre non nul.*

Démonstration

Si G est le barycentre de $(A,a)(B,b)(C,c)$

alors $a\overrightarrow{GA} + b\overrightarrow{GB} + c\overrightarrow{GC} = \overrightarrow{o}$ *avec* $a+b+c \neq 0$.

Par suite, pour tout réel k non nul, on obtient

$ka\overrightarrow{GA} + kb\overrightarrow{GB} + kc\overrightarrow{GC} = \overrightarrow{o}$ *avec* $ka+kb+kc \neq 0$.

Ceci montre que G est le barycentre de $(A,ka)(B,kb)(C,kc)$.

4. Transformation de $a\overrightarrow{MA} + b\overrightarrow{MB} + c\overrightarrow{MC}$ dans le cas où $a+b+c \neq 0$

a/ Théorème

Dans le cas où $a+b+c \neq 0$, en notant G le barycentre de $(A,a)(B,b)(C,c)$, on a

$$a\overrightarrow{MA} + b\overrightarrow{MB} + c\overrightarrow{MC} = (a+b+c)\overrightarrow{MG} \quad \text{pour tout point } M.$$

Démonstration

En prenant M comme origine, on peut écrire

$$\overrightarrow{MG} = \frac{1}{a+b+c}\left(a\overrightarrow{MA} + b\overrightarrow{MB} + c\overrightarrow{MC}\right)$$

ce qui donne bien $a\overrightarrow{MA} + b\overrightarrow{MB} + c\overrightarrow{MC} = (a+b+c)\overrightarrow{MG}$

5. Cas particulier d'un barycentre de deux points pondérés

a/ Formules

On considère le barycentre G d'un système $(A,a)(B,b)$ avec $a+b \neq 0$.

- *G est l'unique point tel que* $a\overrightarrow{GA} + b\overrightarrow{GB} = \overrightarrow{o}$
- *Pour tout point O pris comme origine, on a* $\overrightarrow{OG} = \frac{1}{a+b}\left(a\overrightarrow{OA} + b\overrightarrow{OB}\right)$
- *Pour tout point M, on a* $a\overrightarrow{MA} + b\overrightarrow{MB} = (a+b)\overrightarrow{MG}$
- *En prenant A comme origine, on obtient* $\overrightarrow{AG} = \frac{1}{a+b}\left(a\overrightarrow{AA} + b\overrightarrow{AB}\right)$

  c'est-à-dire $\overrightarrow{AG} = \frac{b}{a+b}\overrightarrow{AB}$

Cette dernière égalité montre que $\overrightarrow{AB}$ *et* $\overrightarrow{AG}$ *sont colinéaires et par conséquent* A, B, G *sont alignés .*

On retient ce résultat sous la forme d'un théorème .

b/ Théorème

Si G *est le barycentre de* (A, a) (B, b) *avec* $a + b \neq 0$ *alors* $\overrightarrow{AG} = \frac{b}{a+b}\ \overrightarrow{AB}$ *et par suite* A, B, G *sont alignés .*

c/ Exemples

- *Avec* $a = 2$ *et* $b = 3$, $\overrightarrow{AG} = \frac{3}{5}\ \overrightarrow{AB}$

- *Avec* $a = 5$ *et* $b = -2$, $\overrightarrow{AG} = -\frac{2}{3}\ \overrightarrow{AB}$

- *Avec* $a = -3$ *et* $b = 5$, $\overrightarrow{AG} = \frac{5}{2}\ \overrightarrow{AB}$

6. Propriété d'associativité

a/ Explication dans le cas de trois points pondérés

On considère un système de trois points pondérés : (A, a) (B, b) (C, c)
On suppose $a + b + c \neq 0$ *et* $a + b \neq 0$.

On peut donc envisager le barycentre G *de* (A, a) (B, b) (C, c) *et le barycentre* H *de* (A, a) (B, b) .

- *Le point* G *est défini par*

$$a\ \overrightarrow{GA} + b\ \overrightarrow{GB} + c\ \overrightarrow{GC} = \overrightarrow{o} \qquad \text{égalité 1}$$

- *Pour le point* H , *on a* $\overrightarrow{GH} = \frac{1}{a+b}\left(a\ \overrightarrow{GA} + b\ \overrightarrow{GB}\right)$ *c'est-à-dire*

$$a\ \overrightarrow{GA} + b\ \overrightarrow{GB} = (a + b)\ \overrightarrow{GH} \qquad \text{égalité 2}$$

Avec les égalités 1 et 2 on obtient $(a + b)\ \overrightarrow{GH} + c\ \overrightarrow{GC} = \overrightarrow{o}$.

Cette dernière égalité signifie que G *est le barycentre de* $(H, a+b)$ (C, c) .

Conclusion :

Si G *est le barycentre de* (A, a), (B, b), (C, c) *et si* H *est le barycentre de* (A, a), (B, b) *alors* G *est le barycentre de* $(H, a+b)$ (C, c).

b/ Principe général

On ne change pas le barycentre G *d'un système de points pondérés , lorsqu'on remplace plusieurs points pondérés par leur barycentre* H *affecté de la somme de leurs coefficients .*

c/ Exemple

On considère un triangle ABC .
On note G *le barycentre de* $(A,3)(B,1)(C,-2)$
H *le barycentre de* $(A,3)(B,1)$
K *le barycentre de* $(A,3)(C,-2)$
L *le barycentre de* $(B,1)(C,-2)$

- *D'après la propriété d'associativité , on peut dire que*
  G *est le barycentre de* $(H,4)(C,-2)$
  G *est le barycentre de* $(K,1)(B,1)$
  G *est le barycentre de* $(L,-1)(A,3)$

- *On en déduit que* C,H,G *sont alignés*
  que B,K,G *sont alignés*
  que A,L,G *sont alignés*

Par conséquent G *est à l'intersection des droites* (CH), (BK), (AL) .

- *Pour réaliser une figure , on commence par préciser les positions de* H,K,L *à l'aide de relations vectorielles :*

H = barycentre de $(A,3)(B,1)$ donc $\overrightarrow{AH} = \frac{1}{3+1}\overrightarrow{AB} = \frac{1}{4}\overrightarrow{AB}$

K = barycentre de $(A,3)(C,-2)$ donc $\overrightarrow{AK} = \frac{-2}{3-2}\overrightarrow{AC} = -2\overrightarrow{AC}$.

L = barycentre de $(B,1)(C,-2)$ donc $\overrightarrow{BL} = \frac{-2}{1-2}\overrightarrow{BC} = 2\overrightarrow{BC}$

Puis , on construit G *à l'intersection des droites* (CH) , (AK) , (BL) .

الشكل رقم 08: يوضح ثبات نقطة المرجح G في حال وجود نقطة رابعة H

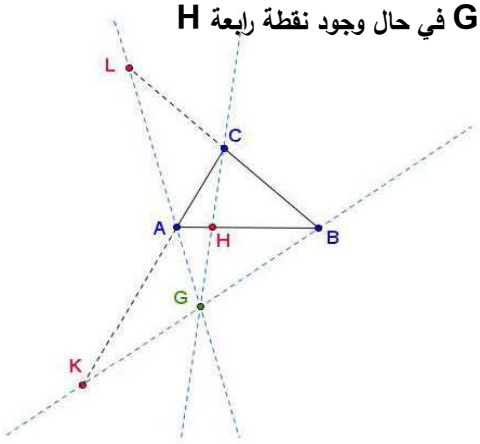

Source : Cours 2 - Barycentres –au : http://www2.ac-lyon.fr/lyc01/cotiere/IMG/pdf/Cours_2_-_Barycentres.pdf

بالنسبة للشكل رقم 08، فإنه يصور بيانيا مضمون العلاقة أعلاه، بحيث إذا كانت لدينا نقطة مرجح G لكل من النقاط A .B.C و كانت H نقطة مرجح لكل من A و B فإن G هي نقطة المرجح بالنسبة للنقطتين H و C.

7. Isobarycentre

a/ Définition

Le barycentre G de points pondérés (A, 1), (B, 1), (C, 1) .... ayant tous le même coefficient 1 , s'appelle l'isobarycentre des points A, B, C, ...

b/ Remarque

G est aussi le barycentre de (A, k) (B, k) (C, k) , ... avec k non nul .

c/ Isobarycentre de deux points A et B

L'isobarycentre G de deux points A et B est le barycentre de (A, 1) (B, 1).
Il est défini par $\overrightarrow{AG} = \frac{1}{2}\overrightarrow{AB}$. *G est le milieu du segment [AB] .*

d/ Isobarycentre de trois points A, B, C non alignés

L'isobarycentre G de trois points A, B, C est le barycentre de (A, 1) (B, 1) (C, 1).
Si l'on note K le milieu de [AB] c'est à dire le barycentre de (A, 1) (B, 1) ,
la propriété d'associativité permet de dire que G est le barycentre de (K, 2) (C, 1) .
On en déduit que $\overrightarrow{CG} = \frac{2}{3}\overrightarrow{CK}$ *et que G appartient à la médiane (CK)*
du triangle ABC .

Par des explications analogues , en notant I le milieu de [BC] et J le milieu de [AC],
on montrerait que G vérifie $\overrightarrow{AG} = \frac{2}{3}\overrightarrow{AI}$ *et* $\overrightarrow{BG} = \frac{2}{3}\overrightarrow{BJ}$
et que G appartient aux médianes (AI) et (BJ) .

En définitive , G est à l'intersection des trois médianes .

G est le centre de gravité du triangle ABC .

الشكل رقم 09: يوضح G كمركز ثقل للمثلث ABC

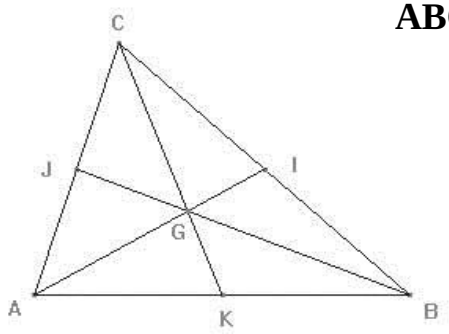

Source : Cours 2 - Barycentres –au : http://www2.ac-lyon.fr/lyc01/cotiere/IMG/pdf/Cours_2_-_Barycentres.pdf

نفس الشيء بالنسبة لهذا الشكل البياني، و الذي يوضح نقطة المرجح لثلاث نقاط متوضعة بحيث تشكل مثلثا ABC، و عليه فإنه من ناحية هندسية يعتبر مركز ثقل المثلث ABC هو نقطة المرجح G للنقاط C،B،A ، على حساب احداثيات G من خلال تعيين احداثيات النقط J ، I، k، على أن كل نقطة من هاته النقاط هي منتصف أحد أضلاع المثلثABC.

8. Coordonnées d'un barycentre

On se place dans un repère $(O ; \vec{i} , \vec{j})$.

Si G est le barycentre d'un système $(A,a)(B,b)(C,c)$ avec $a+b+c \neq 0$ alors , en prenant l'origine O du repère , on peut écrire

$$\overrightarrow{OG} = \frac{1}{a+b+c} \left(a\,\overrightarrow{OA} + b\,\overrightarrow{OB} + c\,\overrightarrow{OC} \right)$$

En passant aux coordonnées , on obtient tout de suite

$$x_G = \frac{a\,x_A + b\,x_B + c\,x_C}{a+b+c}$$

$$y_G = \frac{a\,y_A + b\,y_B + c\,y_C}{a+b+c}$$

Exemple :

Avec $A(5;3)\ B(-1;2)\ C(3;1)$,

le barycentre G de $(A,3)\ (B,2)\ (C,2)$ a pour coordonnées :

$$x_G = \frac{3\times 5 + 2\times(-1) + 2\times 3}{7} = \boxed{\frac{19}{7}}$$

$$y_G = \frac{3\times 3 + 2\times 2 + 2\times 1}{7} = \boxed{\frac{15}{7}}$$

الشكل رقم 10: معلم بياني يوضح إحداثيات G

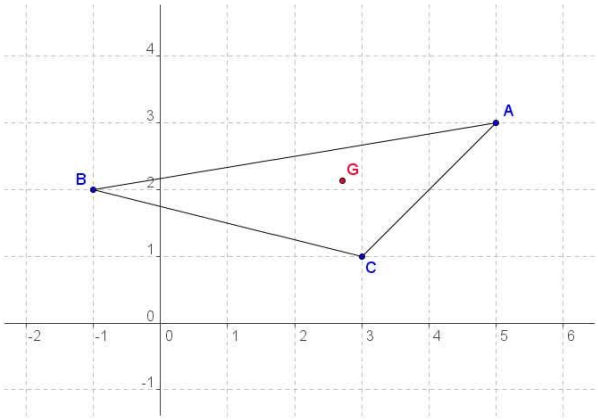

Source : Cours 2 - Barycentres –au : http://www2.ac-lyon.fr/lyc01/cotiere/IMG/pdf/Cours_2_-_Barycentres.pdf

يوضح هذا الشكل البياني نقطة المرجح G للنقاط الثلاث A.B.C، من خلال احداثياتها ضمن معلم بياني متعامد متجانس.

المطلب الثاني: مرجح مؤشرات العلاقة التناسبية بين الفضاءات الجيوبوليتيكية: محور "موسكو–المنطقة العربية"

انطلاقًا من مضامين المعطى النظري أعلاه (معادلات و نظريات المرجح أو مركز الثقل) و(**مرجح نقطتين متزنتين و خاصياته و مرجح ثلاث نقط متزنة و مرجح أربع نقط متزنة ...**)، (أنظر المطلب الأول)، فإن وجود ثلاث فضاءات (إقتصادي، ديموبوليتيك، دبلواستراتيجيك) ، و تأسيسًا على مضامين جداول المؤشرات المدرجة ضمن المباحث السابقة، تعكس فعلا حالة من التعدد و التعقد و التداخل بما لا يدع مجالا للشك في أن هناك مجال مشترك أو على حد تعبير "دوسوي" توجد بالضرورة مساحة **شاملة كلية مشتركة عامة** بين كل تلك المؤشرات و من ثمة توجد مساحة أيضا مشتركة بين كل تلك الفضاءات الرئيسية التي تمت دراستها، و للوقوف على مفهوم رياضي مجرد لتلك المساحة المشتركة يجب الإستعانة بالمنهج الرياضي الهندسي من خلال معادلة **Barycentres** أو مركز الثقل أو المرجح، بحيث يجب ابتداءا تحديد المساحة المشتركة (المؤشر المشترك) بين جميع مؤشرات الفضاء الإقتصادي الخاص بحالة العلاقات الروسية السورية أي (المجال – الحركة) الخاص بالمحور الأول (موسكو – دمشق)، بحيث و تأسيسا على مضامين المعطى النظري أعلاه حول معادلة حساب مركز الثقل أو المرجح Gs_1 بحيث Gs_1 هو مرجع الفضاء الإقتصادي الخاص بالمحور "موسكو–دمشق" :

لدينا 5 مؤشرات رئيسية:

تجارة الأسلحة ⟵ A_1

إستثمارات خارجية ⟵ B_1

التبادل التجاري ⟵ C_1

مسح الديون ⟵ D_1

منح القروض ⟵ E_1

ولدينا 11 متغيرا أساسيا ضمن المؤشرات المذكورة موزعة بشكل غير متعادل بحيث:

متغيرات مؤشر تجارة الأسلحة A_1 ⟵ $x1$

متغيرات مؤشر الإستثمارات الخارجية $B1$ ⟵ $y1$

متغيرات مؤشر التبادل التجاري C_1 ⟵ z_1

متغيرات مؤشر مسح الديون D_1 ⟵ n_1

متغيرات مؤشر منح القروض E_1 ⟵ t_1

بحيث نقرأ: A_1x_1 هو دلالة المؤشر A_1 إلى متغيراته x_1 وباقي النقط يعبر عنها رياضيا كما يلي:

E_1t_1 ،D_1n_1 ،C_1z_1 ،B_1y_1

فإن معادلة حساب المرجح الخاص بالمؤشرات ضمن الفضاء الاقتصادي فقط هي:

$$Gs_1 = \frac{x_1A_1 + y_1B_1 + z_1C_1 + n_1D_1 + t_1E_1}{A_1 + B_1 + C_1 + D_1 + E_1}$$

بحيث Gs_1 هي المساحة المشتركة التي تحمل خصائص كل المؤشرات أو بعضها أو أحدها مرة واحدة ضمن الفضاء الاقتصادي الخاص بالمحور "موسكو – دمشق"

ومنه تصبح Gs_1 بمثابة فضاء جديد مشترك بين جميع المؤشرات المذكورة حصرا في الجدول الخاص بالمحور الأول (موسكو–دمشق) بالنسبة للفضاء الأول الاقتصادي على نفس المحور، واستمرارا في بحث المساحة المشتركة مع باقي الفضاءات الأخرى يصبح Gs_1 بمثابة مؤشر جديد نهائي خاص بنفس المحور.

بالنسبة للفضاء الثاني: "الديمو – بوليتيك" على نفس المحور نجد:

لدينا 7 مؤشرات حقيقية:

مكافحة الإرهاب والتطرف ⟵ A_2

التصفية الجسدية للاشخاص ⟵ B_2

إستخدام حق الفيتو / التهديد بإستخدامه ⟵ C_2

الدعاية الإعلامية ⟵ D_2

السعي نحو امتلاك القدرة على التأثير في الاحداث ⟵ E_2

التنافس على موقع القوة المهيمنة ⟵ F_1

المساواة في العلاقة مع كل من سوريا واسرائيل ⟵ V

ولدينا 14 متغيرا أساسيا تابعا للمؤشرات المذكورة **(أنظر الجدول أعلاه)** بحيث:

متغيرات مؤشر مكافحة الإرهاب والتطرف A_2 ⟵ x_2

متغيرات مؤشر التصفية الجسدية B_2 ⟵ y_2

متغيرات مؤشر C_2 ⟵ z_2

متغيرات مؤشر D_2 ⟵ n_2

متغيرات مؤشر E_2 ⟵ t_2

متغيرات مؤشر F_1 ⟵ r_1

متغيرات مؤشر V ⟵ k

تصبح Gs_2 نقطة المرجع الخاصة بالفضاء "ديمو – بوليتيك" على المحور "موسكو– دمشق" كالتالي:

$$Gs_2 = \frac{x_2A_2 + y_2B_2 + z_2C_2 + n_2D_2 + t_2E_2 + r_1F_1 + kV}{A_2 + B_2 + C_2 + D_2 + E_2 + F_1 + V}$$

ومنه تصبح Gs_2 بمثابة فضاء جديد مشترك أو نقطة جديدة كمركز ثقل أو مؤشر جديد نهائي للفضاء "ديمو–بوليتيك" على نفس المحور.

بالنسبة للفضاء الثالث "دبلو–استراتيجيك" على المحور ذاته نجد:

لدينا: 6 مؤشرات مهمة هي:

إعلان الولاء للغرب ⟵ A_3

استراتيجية امتصاص الفوضى ⟵ B_3

استراتيجية خلق الفوضى ⟵ C_3

الوساطة مع المؤسسات الاممية ⟵ D_3

تبني مسار التهدئة ⟵ E_3

الاستخدام المباشر للقوة ⟵ F_2

ولدينا9 متغيرات مهمة ضمن نفس المؤشرات كالتالي:

متغيرات A_3 ⟵ x_3

متغيرات B_3 ⟵ y_3

متغيرات C_3 ⟵ z_3

متغيرات D_3 ⟵ n_3

متغيرات E_3 ⟵ t_3

متغيرات F_2 ⟵ r_2

ومنه تصبح لدينا Gs_3 بمثابة مؤشر جديد أو فضاء جديد مشترك ضمن نفس المحور "**موسكو–دمشق**" على نفس الفضاء "دبلو–استراتيجيك" كالتالي:

$$Gs_3 = \frac{x_3A_3 + y_3B_3 + z_3C_3 + n_3D_3 + t_3E_3 + r_2F_2}{A_3 + B_3 + C_3 + D_3 + E_3 + F_2}$$

إذا أصبح لدينا ثلاث نقاط أو فضاءات أو مؤشرات جديدة بحيث يجب حساب مرجح كل نقطة من هذه النقاط Gs_1، Gs_2، Gs_3 بدلالة متغيراتها لكن مع تجانس الفضاءات أي يجب حساب مرجح Gs_1 مع المرجحات الخاصة بالحالات الأخرى لباقي الدول، بحيث يجب حساب مرجح الفضاء الإقتصادي المشترك العام ثم مرجحات باقي الفضاءات الأخرى، ذلك أن:

$Gs_1\grave{x_1}$ هي مرجح الفضاء الإقتصادي.

$Gs_2\grave{x_2}$ هي مرجح الفضاء "ديمو–بوليتيك"

$Gs_3\grave{x_3}$ هي مرجح الفضاء "دبلو–استراتيجيك"

بحيث: $\grave{x_1}$، $\grave{x_2}$، $\grave{x_3}$ هي مجموع متغيرات المؤشرات Gs_1، Gs_2، Gs_3، على التوالي، و بنفس الطريقة نستمر في تحديد الفضاءات أو النقاط أو المؤشرات الجديدة المشتركة بالنسبة للمحاور المتبقات الخاصة بالحالات الدراسية الاخرى كالسعودية و مصر و العراق.

بالنسبة لحالة مصر مثلا **(المحور: موسكو–القاهرة)** وبالنسبة للفضاء الاقتصادي لدينا:

ثلاث مؤشرات أساسية:

استثمارات خارجية ⟵ B_1

التبادل التجاري ⟵ C_1

منح القروض ⟵ E_1

ومن خلال الجدول الخاص بالمحور "موسكو–القاهرة" للفضاء الإقتصادي لدينا عشر متغيرات موزعة على مجموع المؤشرات بحيث:

B_1 ⟵ y

C_1 ⟵ z

E_1 ⟵ t

تصبح لدينا $\grave{G_{E1}}$ نقطة المرجح الخاص بالفضاء الإقتصادي على المحور "موسكو–القاهرة" كالتالي:

$$\grave{G}_{E1} = \frac{yB_1 + zC_1 + tE_1}{B_1 + C_1 + E_1}$$

إذًا: $\grave{G}_{E1}$ بمثابة مرجح أو مؤشر جديد خاص بنفس المحور.

ملاحظة:

للإشارة فإننا اعتمدنا نفس الترميز في حالة وجود نفس المؤشرات، حتى وإن اختلفت من حيث متغيراتها سواء فيما يتعلق بالقيم أو النسب أو الصيغ وغير ذلك وهذا اعتبارا لوحدة المؤشرات من حيث طبيعتها وليس صيغها، وهذا ينسحب على كل الفضاءات والحالات المدروسة، كحالات دراسية أو نماذج قياسية غير أن هذا الامر يختلف تماما مع المتغيرات في حالة اختلافها.

بالنسبة للفضاء الثاني "ديمو–بوليتيك" على المحور "موسكو–القاهرة" لدينا أربع مؤشرات مهمة:

البراغماتيزم (استغلال موقع الدول الإقليمية في المؤسسات الإقليمية) ⟵ $\grave{A}$

استغلال الهيئات (المنظمات) الإقليمية ⟵ $\grave{B}$

العلاقة مع الأطياف السياسية ⟵ $\grave{C}$

الهجرة السياحية ⟵ $\grave{D}$

ولدينا 7 متغيرات على سبيل المثال لا الحصر بحيث:

متغيرات $\grave{A}$ ⟵ $\grave{x}$

متغيرات $\grave{B}$ ⟵ $\grave{y}$

متغيرات $\grave{C}$ ⟵ $\grave{z}$

متغيرات $\grave{D}$ ⟵ $\grave{n}$

و منه تصبح $\grave{G}_{E2}$ المرجح للفضاء (ديمو–بوليتيك) على المحور "موسكو–القاهرة" كالتالي:

$$\grave{G}_{E2} = \frac{\grave{x}\grave{A} + \grave{y}\grave{B}` + \grave{z}\grave{C}` + \grave{n}\grave{D}}{\grave{A}` + \grave{B}` + \grave{C} + \grave{D}}$$

$\grave{G}_{E2}$ بمثابة مرجح أو مؤشر جديد كلي عام بين مجموع المؤشرات السابقة لنفس الفضاء و على نفس المحور.

بالنسبة للفضاء الثالث "دبلو–استراتيجيك" على نفس المحور و نفس الفضاء نجد ثلاث مؤشرات رئيسية:

سياسة البروتوكول ⟵ $\grave{A}$

الواقعية الفوضوية ⟵ $\grave{B}$

الإنضباط الذاتي ⟵ $\grave{C}$

كما نجد لدينا ثلاثة متغيرات مهمة:

متغيرات $\dot{A}$ ⟵ $\dot{x}$

متغيرات $\dot{B}$ ⟵ $\dot{y}$

متغيرات $\dot{C}$ ⟵ $\dot{z}$

إذًا: تصبح لدينا $\dot{G}_{E3}$ مثل مرجح أو مركز ثقل على المحور "موسكو–القاهرة" و بالنسبة للفضاء "دبلو–استراتيجيك" كالآتي:

$$\dot{G}_{E3} = \frac{\dot{x}\dot{A} + \dot{y}\dot{B} + \dot{z}\dot{C}}{\dot{A} + \dot{B} + \dot{C}}$$

تصبح لدينا على المحور "موسكو–القاهرة":

$\dot{G}_{E1}\dot{x}_1$ ⟵ مرجح الفضاء الإقتصادي Eco–space

$\dot{G}_{E2}\dot{x}_2$ ⟵ مرجح الفضاء ديمو–بوليتيك Po–demo–space

$\dot{G}_{E3}\dot{x}_3$ ⟵ مرجح الفضاء دبلو–استراتيجيك Str–dip–space

بالنسبة لحالة **العراق** يمكن ترجمة معطيات الجدول أعلاه بالنسبة **للفضاء الإقتصادي** على المحور "موسكو–بغداد" كمايلي:

لدينا 6 مؤشرات تحليلية رئيسية هي:

تجارة الأسلحة ⟵ A_1

استثمارات خارجية ⟵ B_1

التبادل التجاري ⟵ C_1

المساعدات الإنسانية ⟵ E_4

استعادة الديون القديمة ⟵ F_3

شطب الديون الجديدة ⟵ D_1

كما لدينا 16 متغيرا مهما بحيث:

متغيرات A_1 ⟵ l

متغيرات B_1 ⟵ w

متغيرات C_1 ⟵ h

متغيرات D_1 ⟵ m

متغيرات E_4 ⟵ o

متغيرات F_3 ⟵ u

ومنه تصبح نقطة المرجح بين جميع المؤشرات G_{I1} في الفضاء الإقتصادي على المحور موسكو بغداد كالآتي:

$$G_{I1} = \frac{lA_1 + wB_1 + hC_1 + mD_1 + oE_4 + uF_3}{A_1 + B_1 + C_1 + D_1 + E_4 + F_3}$$

بالنسبة للفضاء الثاني "ديمو–بوليتيك" على المحور "موسكو–بغداد" لدينا ثلاث مؤشرات رئيسية:

استخدام حق الفيتو/ التهديد باستخدامه ⟵ C_2

الواقعية الكلاسيكية ⟵ I

الهجرة السياحية ⟵ J

وترد تحت تلك المؤشرات 3 متغيرات مهمة بحيث:

متغيرات C_2 ⟵ z_4

متغيرات I ⟵ $\grave{v}$

متغيرات J ⟵ $\grave{v}$

تصبح لدينا نقطة مرجح جديدة G_{I2} بين مؤشرات هذا الفضاء كالآتي:

$$G_{I2} = \frac{z_4 C_2 + \grave{v} I + \grave{v} J}{C_2 + I + J}$$

بالنسبة للفضاء الثالث "دبلو–استراتيجيك" فإنه يمكن حساب المرجح بين مجموع مؤشراته على المحور "موسكو–بغداد" كمايلي:

لدينا 4 مؤشرات مهمة:

أولوية الأمن القومي الروسي ⟵ **a**

وقف المساندة ⟵ **e**

انتقاد الغرب ⟵ **p**

التمثيل الذاتي ⟵ **β**

ولدينا أيضا 4 متغيرات موزعة بصورة إنتقائية على مجموع المؤشرات:

متغيرات **a** ⟵ à

متغيرات **e** ⟵ è

متغيرات **P** ⟵ P̀

متغيرات **β** ⟵ β̀

و منه تصبح لدينا نقطة المرجح بين مجموع المؤشرات G_{I3} على النحو:

$$G_{I3} = \frac{a\mathbf{a} + e\mathbf{e} + \grave{P}\mathbf{P} + \grave{\beta}\boldsymbol{\beta}}{\mathbf{a} + \mathbf{e} + \mathbf{P} + \boldsymbol{\beta}}$$

بعد تعيين النقاط الثلاث كنقاط مرجح للفضاءات الثلاث على المحور "موسكو–بغداد" أصبح لدينا :

$G_{I1}x_{I1}$ ⟵ مرجح الفضاء الإقتصادي Eco-space

$G_{I2}x_{I2}$ ⟵ مرجح الفضاء ديمو–بوليتيك Po-demo-space

$G_{I3}x_{I3}$ ⟵ مرجح الفضاء دبلو–استراتيجيك Str-dip-space

بالنسبة لحالة "الأردن + دول مجلس التعاون الخليجي" وبإعتبار السعودية كنموذج دراسي على مستوى الفضاء الإقتصادي المحور:"موسكو–الأردن–الرياض"

لدينا ثلاث مؤشرات رئيسية:

تجارة الأسلحة ⟵ A_1

استثمارات خارجية ⟵ B_1

التبادل التجاري ⟵ C_1

كما لدينا 6 متغيرات مهمة:

متغيرات A_1 ⟵ x_4

متغيرات B_1 ⟵ y_4

متغيرات C_1 ⟵ z_4

تصبح نقطة المرجح G_{AG1} على نفس المحور و الفضاء كالآتي:

$$G_{AG1} = \frac{x_4 A_1 + y_4 B_1 + z_4 C_1}{A_1 + B_1 + C_1}$$

بالنسبة للفضاء الثاني "ديمو–بوليتيك" على المحور "موسكو–الرياض" تحديدا بإعتبار السعودية نموذج ناجح ومساعد على التحليل الإنتقائي لدينا 4 مؤشرات مهمة:

الإحتواء بالتقارب ⟵ $\grave{E}$

استخدام حق الفيتو أو التهديد بإستخدامه (واقعية كلاسيكية) ⟵ C_2

التعاون الدولي (واقعية فوضوية) ⟵ k

بناء الحوافز والدوافع والمعيقات ⟵ d

كما لدينا أيضا 17 متغيرا مهما ضمن مجموع المؤشرات بحيث:

متغيرات $\grave{E}$ ⟵ n

متغيرات C_2 ⟵ z_5

متغيرات k ⟵ α

متغيرات d ⟵ φ

و منه يصبح لدينا G_{AG2} كمرجح لمجموع النقاط أو المؤشرات السابقة كالتالي:

$$G_{AG2} = \frac{n\,\grave{E} + z_5 C_2 + \alpha\,\mathrm{k} + \varphi \mathrm{d}}{\grave{E} + \mathrm{C}_2 + \mathrm{k} + \mathrm{d}}$$

أما بالنسبة للفضاء دبلو–استراتيجيك على المحور "موسكو–الرياض" نجد لدينا 5 مؤشرات رئيسية مهمة:

تبادل الزيارات (قوة ناعمة) ⟵ $\grave{M}$

الاحتواء بالإغراء و التنازل (قوة ناعمة) ⟵ $\grave{S}$

استراتيجية نظام امن العدو (واقعية مشروطة) ⟵ $\grave{R}$

كما لدينا أيضا جملة متغيرات موزعة على المؤشرات المذكورة انتقائيًا:

متغيرات $\grave{M}$ ⟵ $\grave{m}$

متغيرات $\grave{S}$ ⟵ $\grave{s}$

متغيرات $\grave{R}$ ⟵ $\grave{r}$

يمكن حساب أو تحديد المرجح G_{AG3} الخاص بالفضاء "**دبلو–استراتيجيك**" على المحور "**موسكو–الرياض**" كما يلي:

$$G_{AG3}=\frac{\grave{m}\,\grave{M}+\grave{s}\,\grave{S}+\grave{r}\,\grave{R}}{\grave{M}+\grave{S}+\grave{R}}$$

من خلال نقاط المرجح للفضاءات المختلفة المذكورة على المحور "موسكو–الأردن– الرياض" ثم المحور "موسكو–الرياض" كل من النقاط G_{AG1}،G_{AG2}،G_{AG3} و التي يمكن اعتبارها فضاءات أو نقاط أو مؤشرات جديدة بحيث تصبح ذات متغيرات بصيغ جديدة على الشكل التالي:

$$G_{AG1}x_{K1}$$
$$G_{AG2}x_{K2}$$
$$G_{AG3}x_{K3}$$

بعد تعيين هاته النقاط و التي هي أيضا بمثابة مراكز ثقل بالمفهوم الفيزيائي أو بمثابة مرجح النظمة المتزنة لمجموع المؤشرات **Barycentres** بالمفهوم الهندسي الرياضي و هذا ضمن الفضاءات المذكورة، و بعد تعيين معادلات المرجحات المختلفة للفضاءات الثلاث كل فضاء على حدا ، و كذلك كل حالة على حدا،و باعتبارها مؤشرات أو فضاءات جديدة تعكس كل منها المساحة العامة المشتركة بين أهم المؤشرات التي يحتويها كل فضاء بحسب حالات الدراسة المعينة أو المنتقاة و ذلك بحسب المستويات المختلفة كل من المستوى المحلي و الإقليمي و الدولي ثم الكلي (أنظر الشكل أعلاه) .

إذًا: السؤال المطروح: هل هناك من مساحة عامة مشتركة تحمل خصائص ومميزات كل مساحة من المساحات المعبر عنها رياضيا من خلال نقاط المرجح النهائية أعلاه بالنسبة لكل فضاء على حدا؟

بعبارة أدق. ماهي العوامل الجوهرية ذات الأبعاد الجيوبوليتيكية التي على أساسها تضبط روسيا خارطة توجهاتها تجاه المنطقة العربية؟ أو ما هامش الواقعيات المشتركة ضمن مساحات التصرف الروسي من خلال السلوك الخارجي نحو المنطقة العربية؟

الجواب عن هذا التساؤل الختامي (ضمن المدخل الجيومتري)، يتحدد من خلال وضع معادلات نهائية، أو بتعبير آخر هندسي رياضي؛ من خلال تعيين معادلة المرجح النهائية بين النقاط المذكورة والتي تعكس بصورة مجردة تصورية تلك المساحة العامة المشتركة ذات المؤشرات غير محددة المفهوم، غير أنها موجودة فعلا من ناحية رياضية، وقد تكون عبارة عن خليط أو مزيج من كل أو بعض المؤشرات المحددة وربما قد تشمل كل المؤشرات وليس أحدها بالضرورة.

إذاً: ينبغي القيام بتعيين معادلات المرجحات المختلفة للفضاءات المختلفة، بحيث يجب:

أولاً: تعيين معادلة المرجح الخاصة بالفضاء الاقتصادي العام المشترك للمنطقة العربية من خلال الحالات الدراسية المنتقاة، بحيث لدينا:

$G_{S1}x_{n1}$ ⟵ مرجح الفضاء الاقتصادي على المحور "موسكو – دمشق"

$G_{E1}x_{n2}$ ⟵ مرجح الفضاء الاقتصادي على المحور "موسكو–القاهرة"

$G_{I1}x_{n3}$ ⟵ مرجح الفضاء الاقتصادي على المحور "موسكو–بغداد"

$G_{AG1}x_{n4}$ ⟵ مرجح الفضاء الاقتصادي على المحور" موسكو – الرياض"

ومنه يتحدد لدينا مرجح الفضاء الاقتصادي العام المشترك للمنطقة العربية كالآتي:

$$G_{E.S} = \frac{x_{n1}G_{S1} + x_{n2}G_{E1} + x_{n3}G_{I1} + x_{n4}G_{AG1}}{G_{S1} + G_{E1} + G_{I1} + G_{AG1}}$$

$G_{E.S}$ ⟵ Global. Economic. Space Barycentre

ثانيا: تعيين مرجح الفضاء المشترك الكلي بين جميع الحالات الدراسية (جميع الدول) بالنسبة للفضاء **ديمو–بوليتيك**. بحيث لدينا:

$G_{S2x_{n5}}$ ⟵ مرجح الفضاء ديمو–بوليتيك للمحور "موسكو–دمشق"

$G_{E2x_{n6}}$ ⟵ مرجح الفضاء ديمو–بوليتيك للمحور "موسكو–القاهرة"

$G_{I2x_{n7}}$ ⟵ مرجح الفضاء ديمو–بوليتيك للمحور "موسكو–بغداد"

$G_{AG2x_{n8}}$ ⟵ مرجح الفضاء ديمو–بوليتيك للمحور "موسكو–الرياض"

إذا تصبح معادلة المرجح للفضاء ديمو–بوليتيك للمنطقة العربية كمايلي:

$$G_{De.P} = \frac{x_{n5}G_{S2} + x_{n6}G_{E2} + x_{n7}G_{I2} + x_{n8}G_{AG2}}{G_{S2} + G_{E2} + G_{I2} + G_{AG2}}$$

بحيث: $G_{De.P}$ ⟵ Global. Political-demographic. Space Barycentre

ثالثا: يجب تعيين معادلة المرجح بالنسبة للفضاء "دبلو–استراتيجيك" لدينا:

$G_{S3x_{n9}}$ ⟵ مرجح الفضاء ديمو–بوليتيك للمحور "موسكو–دمشق"

$G_{E3x_{n10}}$ ⟵ مرجح الفضاء ديمو–بوليتيك للمحور "موسكو–القاهرة"

$G_{I3x_{n11}}$ ⟵ مرجح الفضاء ديمو–بوليتيك للمحور "موسكو–بغداد"

$G_{AG3x_{n12}}$ ⟵ مرجح الفضاء ديمو–بوليتيك للمحور "موسكو–الرياض"

إذاً: تصبح لدينا معادلة المرجح للفضاء الكلي "دبلو–استراتيجيك" لجميع الحالات والنماذج المدروسة كمايلي:

$$G_{Di.S} = \frac{x_{n9}G_{S3} + x_{n10}G_{E3} + x_{n11}G_{I3} + x_{n12}G_{AG3}}{G_{S3} + G_{E3} + G_{I3} + G_{AG3}}$$

ذلك أن:

$G_{Di.S}$ ⟵ Global. Strategic-diplomatic. Space Barycentre

إذاً: أصبح لدينا 3 مرجحات من خلال ثلاث معادلات رئيسية كلية:

$G_{E.S}$ ⟵ Global.economic. Space Barycentre

$G_{De.P}$ ⟵ Global.political-demographic. Space Barycentre

$G_{Di.S}$ ⟵ Global.strategic-diplomatic. Space Barycentre

ومنه يجب حساب أو تعيين المعادلة العامة التي من خلالها نحدد المرجح الحقيقي الكلي لمجموع الفضاءات الثلاث الكبرى؛ كل من الفضاء الإقتصادي والفضاء ديمو–بوليتيك والفضاء دبلو–استراتيجيك

والخاصة بالمنطقة العربية ككل في علاقاتها الجيوسياسية مع روسيا وذلك من خلال حالات الدراسة المنتقاة، وشكل المعادلة كالاتي:

$G_{E.S}x_{G1}$ ⟵ مؤشرات الفضاء "الاقتصادي" المشترك إلى مجموع متغيراته المشتركة الجديدة x_{G1}

$G_{De.P}x_{G2}$ ⟵ مؤشرات الفضاء "ديمو–بوليتيك"المشترك إلى مجموع متغيراته المشتركة الجديدة x_{G2}

$G_{Di.S}x_{G3}$ ⟵ مؤشرات الفضاء دبلو–استراتيجيك المشترك الى مجموع متغيراته المشتركة الجديدة x_{G3}

ومنه تصبح معادلة المرجح الكلية النهائية بين الفضاءات الثلاث المذكورة كمايلي:

$$G_{GS} = \frac{x_{G1}G_{ES} + x_{G2}G_{De.P} + x_{G3}G_{Di.S}}{G_{ES} + G_{De.P} + G_{Di.S}}$$

يمكن وضع شكل مبسط للمشهد العام والمرجحات والحالات النموذجية للدراسة (الفواعل أو الدول) وكذا الفضاءات.

الشكل رقم 11: مخطط الفضاء المشترك G_{GS}

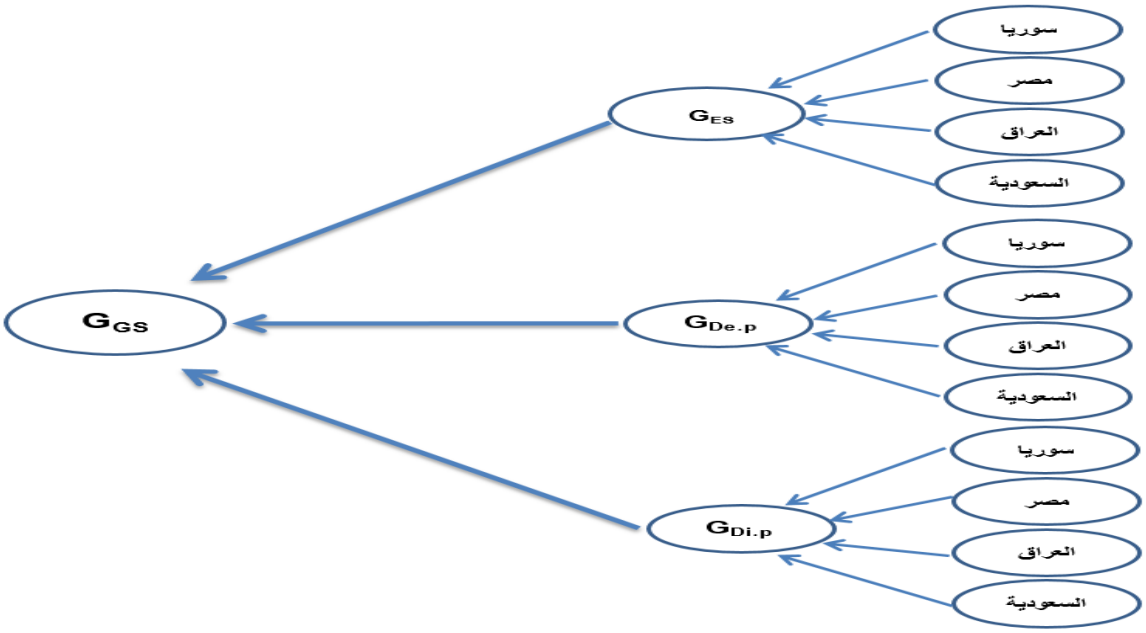

- الشكل من تصور الباحث.

هذا الشكل يعكس في الحقيقة صورة تصورية على أساسها تم استخراج المرجحات المختلفة من خلال المعادلات أعلاه، و ذلك اختصارا لمسار تلك العملية المعقدة، على أه تجدر هنا ملاحظة مهمة هي أن عملية حساب و تعيين معادلات المرجحات المختلفة قد تأخذ منحيين مختلفين لكنهما مهمين مع وجود اختلافات طفيفة في دقة النتائج المحققة، أما الطريقة الأكثر دقة فهي الطريقة التي يعكسها هذا الشكل و المتمثلة في

تعيين نقاط المرجح بين الفضاءات دون الخلط بينها بالنسبة للحالات الدراسية الأربعة، أي نماذج الدول التي على أساسها قمنا بتعيين المعادلات الصماء، مثلا ضرورة حساب مرجح الفضاء الاقتصادي بين كل الحالات المبحوثة(سوريا و العراق و مصر و السعودية)، و بالنسبة للطريقة الثانية فهي تشمل عملية حساب نقاط المرجح و تعيين معادلاتها لكن ليس بصورة متجانسة بين نفس الفضاءات المماثلة لبعضها كأن نحسب مرجح الفضاءات الثلاث المختلفة لحالة دراسية واحدة في نفس الوقت، و هو يحد من دقة المعادلة النهائية، و السبب في ذلك هو أن الطريقة السابقة تلجأ إلى التقليل من حدة التضارب و درجة تعقد علاقة المؤشرات المختلفة إلى متغيراتها ، لأن أغلب الفضاءات متجانسة من حيث المؤشرات و المتغيرات، و الشكل الموالي يعكس الوضع البياني الافتراضي للفضاء النهائي المشترك ؛ و الذي يفترض أن يحمل خصائص عامة شاملة و مشتركة على أساسها يمكن فهم السلوك الروسي جيوسياسيا تجاه المنطقة العربية دون ما سواها من الأقاليم و المناطق، و هذا الأمر يحتكم إلى خصوصية متغيرات و مؤشرات الفضاءات الخاصة بالتفاعل المساحي ضمن المنطقة العربية تحديدًا و التواصل الجيوسياسي مع روسيا لفترات محددة.

الشكل رقم 12: معلم بياني إفتراضي يوضح الفضاء المشترك G_{GS}

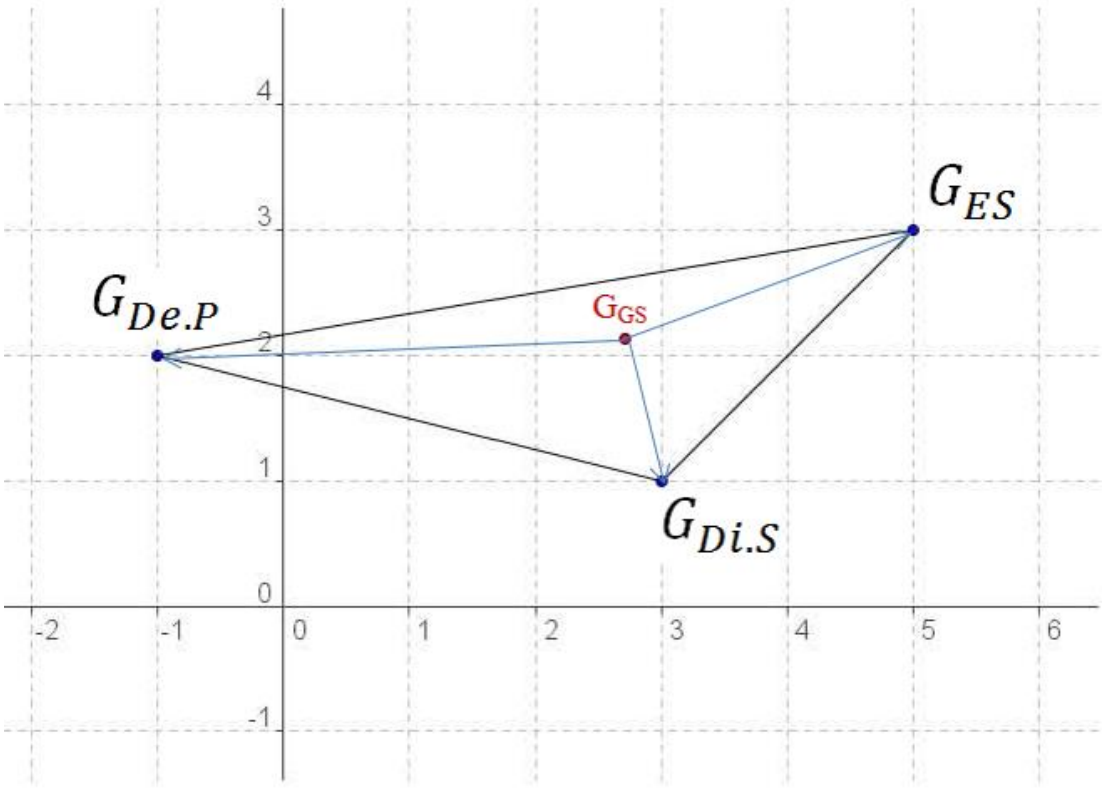

– **الشكل من تصور الباحث.**

في حال توافر لدينا قيم حقيقية عن متغيرات المؤشرات المحددة سلفا ضمن الجداول التخطيطية **(أنظر الفصل السابق)**، خاصة ما يتعلق منها بمتغيرات مؤشرات كل من الفضاء "ديمو–بوليتيك" و الفضاء

"دبلو–استراتيجيك" ، مع ضبطها عن طريق قيم عددية ، سوف يكون من السهل وضع رسم بياني فضائي ضمن معلم واحد يحدد نقاط تفاعل مشتركة كمكونات مشتركة لجميع الفضاءات التحليلية مهما كان عددها، لأن القيم العددية تمنحنا إمكانية وضع احداثيات فعلية لمجموع الفضاءات كنقط مختلفة التوضع في فضاء واحد، و مع ذلك يمكننا القول بأن جملة معادلات المرجحات المصاغة أعلاه تشبه إلى حد ما المعادلات الرياضية التفاضلية و هي معادلات صماء تعكس وجود طريقة بحثية مهمة تختزل الأبعاد التحليلية الأخرى؛ الأكثر ضبابية لموضوع الجيوبوليتيك الروسي في المنطقة العربية، كما أنها تمنحنا تأكيدات صريحة حيال الصعوبات التي تحتملها أغلب العلوم الاجتماعية النسبية جراء انتقالها الضروري نحو هوامش الدقة و التجريد في دراسة الظواهر البحثية المختلفة.

المطلب الثالث: معامل الإرتباط (جانب احصائي)[1]

STATISTIQUES[2]-

La corrélation

On utilise les nuages de points pour connaître le signe et l'intensité de la corrélation.

Pour le signe, on utilise la pente de la droite de régression.

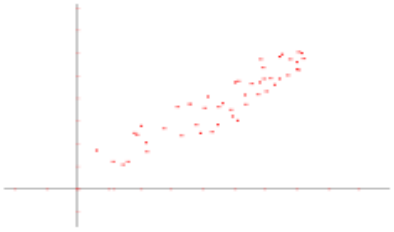

Corrélation positive

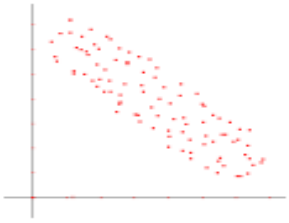

Corrélation négative

Pour l'intensité, on regarde la densité du nuage de point.

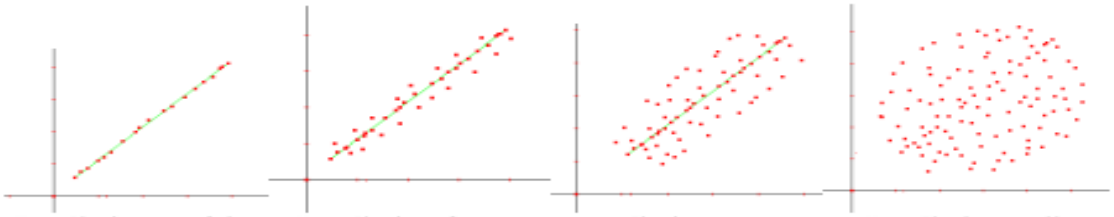

Corrélation parfaite Corrélation forte corrélation moyenne Corrélation nulle

Le coefficient de corrélation (r)

Il suffit de reproduire les données d'un tableau dans un plan cartésien. Par la suite, nous rassemblons tous les points dans un rectangle. Il suffit de tracer une droite au milieu du nuage de point et de former un rectangle. Nous mesurons sa longueur (D) et sa largeur (d). Nous insérons ces valeurs dans la formule suivante :

$$r \approx \pm (1 - \frac{d}{D})$$

On utilise + si la pente est positive et – si la pente est négative (concept de secondaire 3)
Voir http://sylvainlacroix.ca/ESW/Files/306_EquaTauxVariation.pdf

Il ne faut pas tenir compte des données éloignées (aberrantes) lors de la conception du rectangle.

[1] تفيدنا الدراسة الإحصائية من خلال تعيين معامل الإرتباط في تحديد درجة تماسك العلاقة بين الفضاءات المختلفة، غير أن هذا يبقى مجرد اقتراح افتراضي من قبل الباحث، وصعوبة تحصيل قيم و نسب إحصائية سيما في الفضاءين الآخرين دون الفضاء الإقتصادي؛ لا يقلل من شأن الإقتراح بقدر ما يلفت عناية الباحثين في نفس التخصص الى التفكير أكثرفي ضرورة إيجاد أدوات منهجية جديدة تضفي على الدراسة جانب من الدقة.

[2] **Sylvain Lacroix.** Statistique, , in : http://www.sylvainlacroix.ca. 2010.

Exemple 1:
Trouver le coefficient de corrélation.

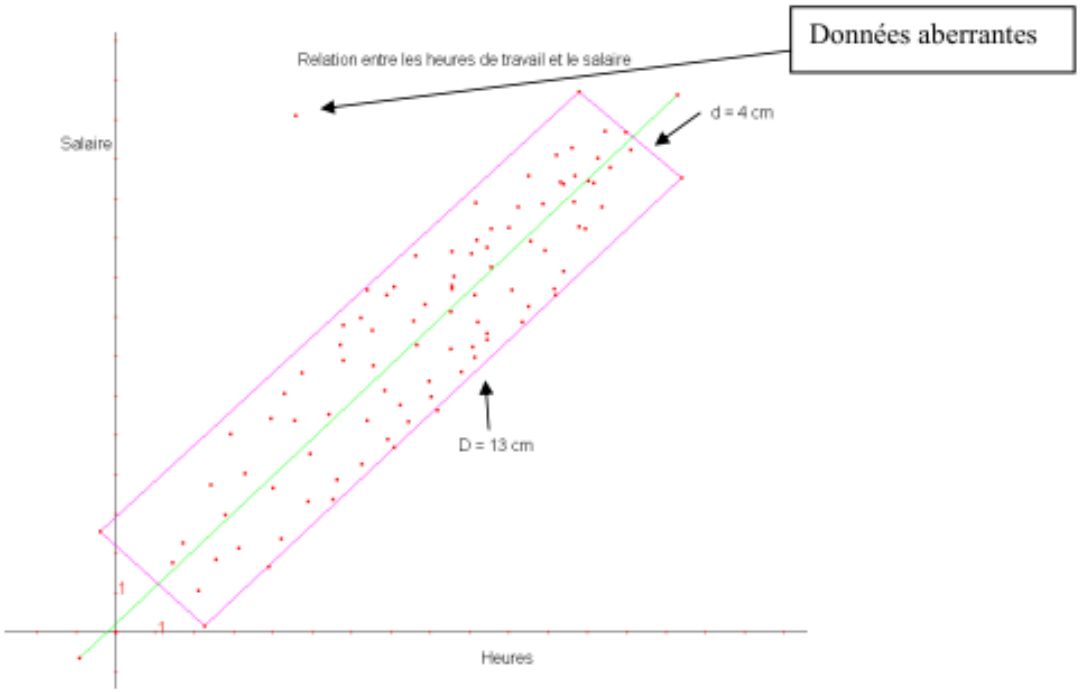

La pente est positive. Alors, la corrélation sera positive.

$$r \approx (1-\frac{4}{13}) = (\frac{9}{13}) \approx 0{,}69$$

Interprétation du coefficient de corrélation

Lorsque le coefficient est calculé, reportez-vous sur la droite suivante pour interpréter le résultat.

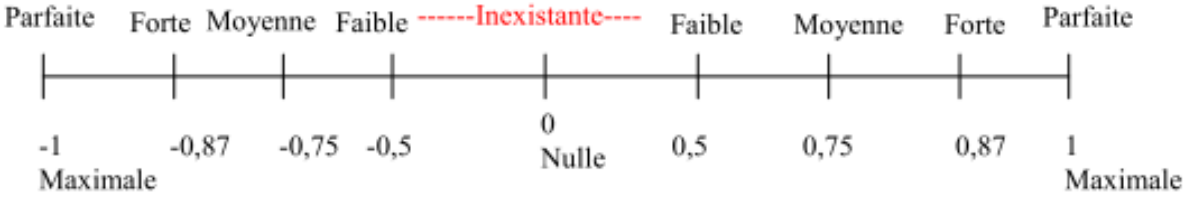

Interprétation :
Si r = 0 : corrélation nulle
Si r = 1 : corrélation positive et parfaite
Si r = -1 : corrélation négative et parfaite

Dans l'exemple 1, le coefficient de corrélation est de r = 0,69. Selon la droite, la corrélation serait moyennement positive.

اقحام **الإحصاء الاستدلالي** مثل منهج دراسي في موضوع بحثنا، يأتي من باب التوضيح فقط على أنه بالإمكان بحث درجة تماسك أو عدم تماسك أو ضعف تماسك الفضاءات المختلفة، من خلال حساب معامل الارتباط le Coefficient De Correlation بين الفضاءات و بالتالي معرفة درجة ترابط و منه درجة تأثير كل

مؤشر من خلال متغيراته ، كمؤشر مشترك عام يتحدد من خلاله السلوك الروسي الخارجي، مع تبين من ناحية عملية مدى ترابط المؤشرات ضمن الفضاء الاقتصادي مع مؤشرات الفضاء "ديمو–بوليتيك" أو الفضاء "دبلو–استراتيجيك" و غير ذلك ، مع ضرورة لفت الانتباه إلى أن هذا المدخل قد يساعد في فهم حجم تداخل التخصصات العلمية في المجالات العديدة ، فضلا عن أنه مدخل مهم قد يجيب عن **التساؤل المعرفي العام الراسخ : لماذا لم يعد بمقدورنا أن نفهم مثلا ما هو اقتصادي خارج الدائرة السياسية؟** من ذلك مثلًا تداخل أمور وقضايا الاقتصاد السياسي الدولي/العالمي بأمور وقضايا السياسة الدولية /العالمية، ومن جهة ربما قد ينظر إلى المنهج الاستنباطي الرياضي على أنه يشجع باحثي العلوم الاجتماعية الانسانية على الاعتقاد مجددا بأنه مثل ما **هناك رياضيات علمية مجردة؛ هناك أيضا رياضيات اجتماعية علمية مجردة نفهم على أساسها مختلف الظواهر الاجتماعية الانسانية.**

يمكن أن يصبح **موضوع الجيوبوليتيك الروسي الواقعي تجاه المنطقة العربية** باعتباره موضوعًا ذو أبعاد جيواستراتيجية سياسية دبلوماسية واقتصادية متعددة؛ أكثر تماسكا ودقة من حيث النتائج إذا ما توافرت استعدادات بحثية أخرى جديدة تباشر تحليل مؤشرات ما تبقى من فضاءات جيوبوليتيكية على غرار الفضاء الفيزيائي المادي والفضاء الاليكتروني السيبراني، لتؤسس بذلك لحدود ومسار"حركة –مجال" روسيا عبر بناء افهامات متماسكة لما يجري جيوسياسيا في المنطقة العربية ابتداء من مطلع القرن الحادي والعشرين.

المبحث الثاني: آفاق الواقعية الجيوسياسية الروسية المعاصرة: نحو إعادة هندسة الوضع القائم

رغم أنه لم يكن من الضرورة و لا من قبيل الحتمية بمكان على دراسة مثل هاته الدراسة أن تتبنى مشقة تبين و استشراف مستقبل اللغز الروسي في المنطقة العربية و لو بصورة نسبية ، و ذلك اعتبارا و تقيدا بشروط و خصائص منهج التحليل الجيوبوليتيكي و الذي ينأى بنفسه بعيدا عن ابداء البدائل و الحلول لأي كان من القضايا النقاشية العالقة جيوسياسيا أو جيواستراتيجيا، بيد أنه لم يكن بوسعنا التخلص من وعودنا ابتداء ضمن متن البحث، خاصة و أن قلقا كبيرا يعتري الملاحظين و الساسة و صناع القرار في أكثر من مساحة بحثية و لا مركز بحث و لا مؤسسة حكومية خاصة ممن يعنيهم ذهاب أو بقاء روسيا في المنطقة العربية، و ضمن نفس الاهتمام دفعتنا نتائج البحث و أكثر من ذلك مضمون فرضياته إلى إعادة مراجعة شاملة لما ورد في جسم البحث من طروحات و تصورات و مقولات و مقالات تختص في اهتماماتها البحثية بفهم و تحديد انعكاسات و رهانات الفعل الروسي "حركة – مجال" بصفة عامة ما لا يجعلها تنحصر بصورة ما في العلاقة مع المنطقة العربية، و هنا يمكن الإشارة من ناحية توضيحية أنه قد تم اعتماد – نسبيا– تبني طروحات لرواد و باحثين و مهتمين بالشأن الروسي على غرار Jean Robert Jouanny و "وولتر لاكوير"

والباحثة آنا بورشيفكايا" و الباحث "بسام مقداد" و كذا الباحث "مازن العزي" و آخرين ، و الشيء الأهم ضمن هذا العمل هو عملية فرز المعطيات و إعادة بعض الصياغات و ترجمة البعض الآخر، فضلا عن إعادة تصنيفها كمعطيات تحليلية عبر كل من معيار "**مدخلات السيناريو**" و هو المعيار الذي يعكس محددات و مجموع مؤشرات "**حركة – مجال**" روسيا و التي تضبط بدورها – من ناحية تصورية– نوع السيناريو و مضمونه و شكله التركيبي، بالإضافة إلى المعيار الثاني و هو معيار "**مخرجات السيناريو**" و هو بدوره معيار يحمل دلالات و محصلة السلوك الخارجي الروسي ، هذا بالإضافة إلى محاولة اخراج سيناريو مستقبلي "**تأليفي**" للواقعية الجيوسياسية الروسية في المنطقة العربية و هو يحمل الكثير من الصعوبات و يعكس من ناحية نظرية فهوم قد تبدو نزعوية أو تناقضية أكثر مما تشي بشيء آخر خاصة إذا ما حاولنا اثارة نقاط اللاتماس بين منظورات حقل العلاقات الدولية و تحديدا على مستوى نقاش التأمليين و اللاتأمليين، أما من ناحية عملية فقد يجب على الأقل أن يفهم هذا السيناريو على أنه سيناريو إعادة تفكيك الوضع القائم و إعادة التوليف/التأليف، هذا بالإضافة إلى إعطاء تصور مهم عن قائمة أعداء روسيا و قائمة أخرى لأصدقائها المحتملين ضمن كل سيناريو من السيناريوهات الأربعة **(الخطي و الراديكالي و الإصلاحي و التأليفي)**، و هو ما يحدد مبدئيا بالنسبة لقادة و دول المنطقة العربية الرواق السياسي الأنسب داخل أو خارج حاضنة الهيمنة في بعدها العالمي، و من خلال الجداول ضمن المطالب أدناه يمكن أن نتبين مجموع مؤشرات آفاق ما يمكن أن تتجه إليه السياسة الخارجية الروسية في أبعادها الواقعية الجيوسياسية .

المطلب الأول: استمرارية توجهات "الحفاظ على الوضع القائم": سيناريو خطي: سيناريو خطي

من خلال مجموعة من الرؤى والتحليلات والتصورات التي ترد ضمن العناصر التحليلية المبحوثة في عرض البحث، فإن هذا السيناريو يحدد ملامح ومشاهد التوجهات الخارجية الروسية مستقبلا وذلك في أبعادها الجيوسياسية، وبدرجة أولى على المستوى الخطابي ذي النزعة الواقعية، ووقوفا على ذلك يمكن افتراض سيناريو أول خطي يعكس استمرارية الوضع القائم ، أي أن روسيا تسعى باتجاه إبقاء أغلب الدول العربية خاصة دول الشرق الأوسط مثل ورقة ضغط على توجهات الغرب في المنطقة ، مع محاولة استغلال فرص توافق السياسات العربية مع توجهاتها من أجل استعمالها كنطاق صحي ضد المد الديني الراديكالي و حركات الإسلام السياسي المتطلع إلى التوسع خارج النظام الإقليمي العربي باتجاه الخارج القريب لروسيا خاصة باتجاه القوقاز و جمهوريات آسيا الوسطى ، و من ناحية اقتصادية فإن روسيا تسعى إلى ذلك بغرض ضمان حصتها من مبيعات السلاح و كذا ضمان الحصص الاستثمارية لشركاتها النفطية المنافسة للشركات الغربية الأخرى في المنطقة و ذلك كله حفاظا على جملة المكاسب النسبية تماشيا مع المقاربة الواقعية المشروطة ، و على مستوى الشأن السوري الداخلي فإن البعد الجيوسياسي للسياسة الخارجية الروسية يتضمن إبقاء النظام السوري

قائما و السعي إلى تبرير و حماية الأسد كضلع ثابت في كل من المعادلتين الثلاثية و الرباعية مع إيران و تركيا، ويمكن حصرهذا السيناريو بصورة أكثر تقنية ودقة ضمن الجدول البياني أدناه .

- الجدول رقم (13): السيناريو الخطي

السيناريو	مدخلات السيناريو	مخرجات السيناريو	الأصدقاء	الأعداء
خطي	-يحاول الدبلوماسيون الروس كشف الخوف الفارغ حول ابطال الرخصة الروسية، فخسارة موسكو لتصفية الموروثات التي تم تلقيها من الماضي وخيانة الالتزام متعدد المعالم الذي دافعت عنه الإمبراطورية القيصرية والاتحاد السوفياتي، وعلى النقيض مما تشير إليه التأثيرات البصرية والتغطية الإعلامية للأزمة الأوكرانية، فإن سياسة روسيا تجاه الجمهوريات الأربع عشرة السابقة ثابتة منذ تسعينيات القرن الماضي. -جعلت القيادة الروسية الراهنة "بوتين" من العداء- للغرب- وخلافا لكل القيادات الروسية السابقة- سياسة داخلية و ليست سياسة خارجية كما تقول صحيفة "دويتشة فيلة"، و يتوقف كثيرون من الساسة الروس و رجالات الدولة عن الوجود كسياسيين و رجال دولة إذا هم توقفوا عن القاء خطاباتهم المعادية للغرب ، فالصراع مع الغرب تحول منذ زمن بعيد إلى مهنة و معنى حياة بالنسبة إلى هؤلاء(بسام مقداد). من جملة مشكلات وتحديات وصعوبات السياسة الخارجية الروسية في المنطقة العربية محدودية القدرة الروسية نظرا لـ: 1-أن أخطاء الغرب المستغلة من قبل روسيا آيلة إلى الضمور بسبب الدور الأكثر نشاطا للسياسة الخارجية الأمريكية في المنطقة (يمكن الإشارة هنا إلى تصرفات وسلوكيات الرئيس الحالي دونالد تامب) 2-لن تكون قدرات روسيا المالية والاقتصادية والسياسية ندا لقدرات الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي. 1-الفشل في التنوع وكذا مشاكل الاقتصاد الروسي التي باتت تحد من عدد الأمكنة التي تستطيع روسيا التواجد فيها على مستوى الشرق الأوسط مثلا (إيران، الجزائر). -ترفض روسيا في تقديرها للاستقرار في سوريا والشرق الأوسط عموما عمليات تغيير الأنظمة الموجه غربيا كاستراتيجية، بل انها تعلي من قيمة الحوار الداخلي من دون التدخلات الخارجية لحل النزاعات ضمن الحدود الوطنية وبذلك فإن روسيا تبدو في مقاربتها الرسمية الخطابية للشأن السوري حاملة عهدة اتفاقية «واستفاليا" وتقدير سيادة الدولة-الأمة. -بالنسبة لمضمون نظرية الاحتواء المنسوبة إلى الرئيس الأمريكي "جورج كينان" خلال الحرب الباردة فإنه" لا تزال أفكار نظرية الاحتواء التي كانت سائدة خلال الحرب الباردة والتي تقول: " **إن روسيا لديها فقط أتباع أو أعداء على حدودها" صالحة**. Jean Robert - السياسة الخارجية الروسية انحصرت في السنوات الأولى من وجودها بعد انهيار الاتحاد السوفياتي في محاولة الحفاظ على قبضتها على محيطها وحرمان الدول التي تتشكل مباشرة من السيادة الجيوسياسية مما يعكس الصراع الروسي على النفوذ في الخارج القريب.	**بقاء الوضع القائم (الاستمرارية)** نظرا لصمت الغرب. وبداية انسحاب الجيش الأمريكي من سوريا وبقاء التهديدات قائمة تجاه سوريا والنظام السوري -بقاء جزء مهم من القوات الروسية على الأرض السورية، مع الإبقاء على القواعد العسكرية الروسية في سوريا (ميناء طرطوس) تزايد الأهمية الاستراتيجية والجيواستراتيجية للمنطقة العربية بالنسبة للغرب عموما. -إقامة تحالفات جديدة ذات أبعاد اقتصادية و استراتيجية مع أطراف خارج في الشرق الأوسط معادلة "**روسيا الغرب**" ، و **خارج المحور "موسكو-المنطقة العربية".** - **استمرار الأسد في السلطة.**	النظام السوري (سوريا) مجموعة "البركس" اسرائيل إيران+تركيا جزئيا "الأعقاب السوداء" الصين+الهند	دول حلف شمال الأطلسي المعارضة داخل سوريا بعض الدول الإقليمية العربية (السعودية..) كوريا الجنوبية.

- الجدول من اعداد وتصور الباحث

المطلب الثاني: استراتيجية التحول نحو"تعديل الوضع القائم": سيناريو إصلاحي

يعكس السيناريو الاحتمالي الثاني (السيناريو الإصلاحي) حالة تغير جزئي و تعديل استثنائي للوضع القائم ، فروسيا تسعى من خلال أهدافها االاستراتيجية و الاقتصادية و السياسية في المنطقة العربية و من خلال التواجد العسكري في سوريا إلى تغيير معادلة القوى مستقبلا لصالح النظام السياسي السوري إبقاء للأسد في السلطة ؛ و هذا ما تسعى إليه مستقبلا مع الضغط على المعارضة بأشكالها المختلفة من أجل مصالحة سياسية تضمن قابلية النظام للتواجد الروسي خاصة القواعد العسكرية ، بالإضافة إلى حماية مصالحها الاستراتيجية مع الغرب و احداث توازن نسبي مع إسرائيل في المنطقة و امتصاص شدة توتر العلاقة بين هاته الأخيرة و النظام القائم في سوريا ، فضلا عن اشراك الطرف الثالث في المعادلة و هو دولة ايران نظرا للضغط الذي تلعبه الميليشيات الإيرانية في سوريا.و الجدول أدناه يوضح بصورة جلية مؤشرات المشهد الاحتمالي المرتقب.

الجدول رقم (14): السيناريو الاصلاحي –

السيناريو	مدخلات السيناريو	مخرجات السيناريو	الأصدقاء	الأعداء
اصلاحي	-لا يتعلق الأمر – فيما يخص التوجهات الجديدة للسياسة الخارجية الروسية - بإعادة تشكيل الاتحاد السوفياتي ولا بهدف انشاء دولة قومية روسية كبرى، بل الاحتفاظ بحق في المراقبة كمساهم تاريخي في التطورات الجيوسياسية لهوامش روسيا. (Jean Robert Jouanny) (فكرة تناقض جزئيا مشروع "تجميع الإمبراطورية" ضمن رؤية دوغين). - يبدو أن جيوسياسة روسيا في "خارجها القريب" لم تكن هي نفسها جيوسياسة روسيا ضمن "خارجها البعيد". - سوريا هي المنصة التي خاطبت منها روسيا الغرب و انتزعت اعترافه بها من جديد كدولة عظمى تشاركه في تقرير مصائر شعوب المنطقة و دولها، و الحرب السورية بالنسبة لروسيا هي «لعبة كمبيوتر" كما وصفها احد المعلقين الروس و هي حرب لا مخاوف فيها و لا مخاطر و لا ضحايا (بسام مقداد، المعطيات الجيوسياسية القومية الروسية). - " الرئيس الروسي "بوتين" لا يزال "الرفيق بوتين" بالنسبة للشيوعيين وغيرهم من الأحزاب والهيئات والمنظمات ذات الأصول القومية واليسارية في هذه المنطقة، وهو «القيصر بوتين" بالنسبة للكثيرين من المؤمنين المسيحيين الأرثوذكس .... وأصبح «بوتين " بالإضافة إلى كونه رفيقا وقيصرا «أبو علي بوتين" لدى الكثيرين من الشباب الشيعي والعلوي الذين يتداولون على وسائط التواصل الاجتماعي أغاني باللغة الروسية مع ترجمة لها بالعربية في أسفل الصورة تمتدح " أبو علي بوتين".	**تعديل الوضع القائم (العقلانية الواقعية):** -مؤتمر ميونيخ للسياسات الأمنية 2007 -قمة بطرسبورغ 2008 - مؤتمر جنيف -مؤتمرات استانا - مؤتمر سوتشي -مؤتمر إيطاليا 2018 -G8/G20 - اجتماع موسكو للدول الضامنة 2018. -قمة هلسنكي بفنلندا 2018 بين "بوتين" و "ترامب". - بقاء روسيا بالوكالة وعن طريق امدادات الأسلحة والدعم اللوجيستي للنظام السوري منذ 2015.	النظام السوري+ جزء من المعارضة المعتدلة إيران+ تركيا الصين+الهند دول الربيع العربي إسرائيل	بعض دول حلف شمال الأطلسي أوكرانيا

الجدول من اعداد وتصور الباحث –

المطلب الثالث: الاندفاعية الواقعية نحو "تغيير الوضع القائم": سيناريو راديكالي

يحتمل السيناريو الراديكالي اجراء عملية تغيير جذري لمعالم معادلة الوضع في الشرق الأوسط، على النحو الذي تلعب من خلاله روسيا دور حكم و لاعب شطرنج مرة واحدة ، فهي من يخلق الفوضى و يشجع الأجسام غير الويستفالية داخل سوريا و المنطقة العربية ككل (العراق، مصر...)، و هي من يبحث عن أعداء للنظام السوري القائم و هي من يخلق مشاكل نوعية للأنظمة العربية على غرار ما تفعله الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ، و في المستقبل المنظور حسب هذا السيناريو قد تسعى روسيا ضمانا لمصالحها إلى توسيع صلاحيات النظام السوري ، و سوف تؤسس لإسرائيل قوية و مسالمة و هي بذلك تحتوي المد الإيراني و تهذب الدور التركي في المنطقة.و الجدول أدناه يتمثل المؤشرات الدالة في ذلك.

الجدول رقم (15): السيناريو الراديكالي

السيناريو	مدخلات السيناريو	مخرجات السيناريو	الأصدقاء	الأعداء
راديكالي	-الرئيس "بوتين" له هدفان جيوسياسيان في الشرق الأوسط على الأرجح هما: 1-استعادة مكانة روسيا كأول مصدر للسلاح. 2-استعادة دور روسيا كلاعب أساسي على الساحة الدولية. -تتحدد دعائم المشروع الروسي الجديد من خلال الدور الحقيقي الذي تلعبه الكنيسة الأرثوذكسية الروسية فضلا عن النظرة الراديكالية لرواد ومفكري التيار اليميني الروسي وكذا الدور الذي تلعبه الجيوبوليتيكا الروسية (مشروع تجميع الإمبراطورية ومنه تحقيق هدف روسيا المستقلة في القارة المستقلة). -قامت القوات التركية بإسقاط الطائرة الروسية في 24 فيفري 2015 بالقرب من الحدود السورية وقال «فلاديمير بوتين" حينها: "يبدو أن الله قد قرر معاقبة الطغمة الحاكمة في تركيا وحرمانها من العقل والمنطق"، وبعدها قامت روسيا ردا على هذه "الطعنة في الظهر" "Coup De Poignard Dans Le Dos" كما أسمتها بفرض سلسلة من العقوبات الاقتصادية (Jean J Robert) -الحرب السيبرانية تتضمن نقل الصراع من مستوى الفضاءات المعهودة إلى مستوى الفضاء الاليكتروني، ذلك أن الولايات المتحدة الامريكية تتهم روسيا اليوم بأنها تلجأ إلى أساليب جديدة للتخريب. -وصف الرئيس " بوتين " سقوط الاتحاد السوفياتي على أنه " أكبر كارثة جيوسياسية في القرن العشرين". -مثل التدخل العسكري الروسي المباشر في سوريا سبتمبر 2015 توجهًا في السياسة الخارجية الروسية نحو تعزيز طموح روسيا إلى لعب دور أكبر في عالم متعدد الأقطاب وصولا إلى اعتبار روسيا شريكًا للغرب في تقرير السياسات الدولية، كما اعتبر تكريسًا لسياسة "بوتين" القديمة المتشددة و الهادفة إلى الدفاع عن مصالح "العالم الروسي" و إلى ممارسة النفوذ بما يتعدى المدى الحيوي التقليدي، هذا، كما أنه قد يمثل من زاوية أخرى إصرارًا روسيًا على عدم تكرار سيناريو "ليبيا" في سوريا ، و يأتي ذلك في إطار من دعم الحوار الداخلي و الحفاظ على سيادة كل دولة و رفض كل تدخل خارجي ، ما يعكس مدى تمسك روسيا بفكرة الديمقراطية السيادية بدل الديمقراطية الليبرالية ،و بالإضافة إلى ذلك كله فإن روسيا تسعى إلى تحقيق نفوذ سياسي أكبر مع استعادة دورها كشريك للغرب في عالم متعدد الأقطاب و الموسوم بطابع الحنين الواضح إلى الحقبة السوفياتية (هوية روسيا الأوراسية).	**تغيير الوضع القائم (الاندفاعية)** -التصدي للجماعات المسلحة. - التصدي لهجمات إسرائيل على مواقع الدفاع السوري. - استنكار الهجوم الصاروخي الثلاثي على سوريا أواخر 2018. - خطة الرئيس "ترامب" لانسحاب الجنود الأمريكيين من سوريا. - قضية سكريبال - اغتيال السفير الروسي في تركيا.	النظام السوري + جزء من المعارضة إيران بعض دول الربيع العربي الصين+ الهند جزئيا اسرائيل جزئيا ألمانيا جزئيا	. تركيا الولايات المتحدة الأمريكية فرنسا+بريطانيا تنظيم الدولة الإسلامية " داعش" إسرائيل جزئيا

	-منطقة الشرق الأوسط هي الساحة التي تتحدى فيها روسيا الغرب، وتفرض فيها نفسها شريكا في محاربة الإرهاب ورسم السياسات الخاصة بالمنطقة. -عزز الرئيس "بوتين" شعور "القلعة المحاصرة" لدى مواطنيه من أجل توسل أكبر للمشاعر القومية في السياسة الخارجية الروسية. أهداف الجيوسياسة الروسية في المنطقة العربية: 1-تتضمن الجيوسياسة الروسية نقل الخطوط الدفاعية من الحدود الروسية إلى مناطق أبعد. 2- تهدف الجيوسياسة الروسية إلى تقويض الوحدة الأوروبية –الأطلسية وتفكيك الاتحاد الأوروبي وفرض مقايضة النفوذ الروسي بالاعتراف الغربي بمناطق المصالح الروسية ما بعد السوفياتية. -يرى "دوغين" أن روسيا تحارب في سوريا دفاعا عن المصالح الأوروبية، ويرى في "الدولة الإسلامية" تهديدا مباشرا للاتحاد الروسي؛ بوصفها منتجا أمريكيا صمم لخلق الفوضى وتزويد واشنطن بأسباب تخدم تدخلها العسكري في أية لحظة. -تسعى الجيوسياسة الروسية إلى مد الصراع في الشرق الأوسط بين السنة والشيعة بعوامل تأجيج تبقي توافر إمكانية اندلاع حرب كبرى وهي تسعى من خلال تحالفها مع إيران والنظام السوري إلى إعادة هندسة الشرق الأوسط على الفالق السني-الشيعي. -تبدو أفعال روسيا في سوريا مناقضة للكليشيهات الرسمية، فقد تسعى روسيا على المستوى التكتيكي إلى تشجيع الأجسام غير الويستفالية (الفواعل الجدد دون أو فوق الدول) من جماعات وفصائل مسلحة وميليشيات على التورط في حروب استنزاف طويلة المدى تتخلص من الحدود القائمة ومن سيادة الدولة دفاعا عن أغراض موسكو. -تسعى روسيا إلى تطبيق نموذج الحرب "غير الخطية" في سوريا وفق تنظير "فلاديسلاف سوركوف" الأوراسي ما يعني "خلق حرب بدائية بين أمتين" أي حرب الجميع ضد الجميع، و كاستنتاج توضيحي هنا تجدر الإشارة إلى أن سلوك روسيا عبر العمليات التكتيكية في سوريا و في بعض المساحات الأخرى من المنطقة العربية؛ يعكس إلى حد ما مخرجات الصراع البرادايمي في حقل العلاقات الدولية وروسيا هنا تسعى - بصورة مغايرة لما تتبناه فعلا - إلى طمس مقومات واستفاليا (سيادة الدولة و مركزيتها و تجريم التدخل في شؤونها) و ذلك من أجل ضمان أهداف و أغراض الوضع القائم ظرفيا، على أنها ليست بدولة الوضع القائم (صور و حلول لأهداف واقعية). -خوف موسكو من التغيير الخارجي دفع بدوره إلى تغذية "نظرية المؤامرة" بالكثير من المغالط، من خلال تصنيف ثورات الربيع العربي و الثورات الملونة على أنها مؤامرات أمريكية، كما دفعتها قوى التغيير الناعم و حراك المجتمع المدني لانتهاج طرق التغيير الخشن عبر دعم الحركات الانفصالية في أوكرانيا مثلا و دعم ميليشيات شيعية في سوريا، و هنا يمكن الاستنتاج جزئيا أن روسيا تتبنى استراتيجيا جيوبوليتيكا خارجية واقعية عبر سياستها الخارجية في المنطقة العربية، بالمقابل تكتيكيا(ديناميكيا) روسيا تتبنى جيوبوليتيكا إقليمية داخلية (داخل المنطقة العربية) دون واقعية و ما يشرح ذلك بصورة أوضح عمليات دعم و تحريض الميليشيات و الجماعات الأخرى لإثارة الفوضى و إطالة عمر الأزمة السورية اثباتا للدور الروسي الدائم و المحوري ضد توجهات غربية تنافسية في المنطقة، و كأن روسيا من خلال صناعتها للفوضى تسعى إلى تجسيد المنظور الواقعي عبر بناء أحداث ئ\\و علاقات دولية جديدة عمليا، وهي من خلال ذلك تتمثل هدف اختبار مدى واقعية سلوكاتها الخارجية.		

- **الجدول من اعداد وتصور الباحث**

المطلب الرابع: نحو إعادة هندسة الوضع القائم: سيناريو تأليفي/توليفي

تعكس مضامين هذا السيناريو بصورة أدق مزيج من السياسات و التوجهات الخارجية و القناعات على مستوى هيئات صنع القرار الروسية، و هو تصور احتمالي يحمل جزئيا بعض من توجهات الحفاظ على **الوضع القائم و أخرى حول تغيير الوضع القائم والبعض الآخر حول اصلاح الوضع القائم** ، و هو ما يثبت فعلا أن جيوسياسة روسيا و توجهاتها الخارجية بشأن المنطقة العربية و الأزمة السورية كانت بمثابة اختبار محوري يكشف عن نمط أكثر عمومية لتفكير و سلوك السياسة الخارجية الروسية، و أنها تتمحور حول عامل الفاعلية و ليس الأسباب الثابتة أو المصالح المحددة جيدا ، و بالتالي لا بد من تحليل مجموع العوامل و التأثيرات الرئيسية بما في ذلك التطورات و القيود الخارجية و الداخلية ، و الجدول الموالي يوضح بشيء من الدقة دور بعض المؤشرات المهمة حول هذا المشهد ، على أن من العوامل التي ينبغي أن يفهم من خلالها هذا السيناريو جيدا –على صعوبة تصوره– ثلاثة عوامل رئيسية هي :

1– تحليل مدى الحاجة إلى الاستجابة الروسية الفورية للعمليات الديناميكية عبر الوطنية والتطورات ذات الأهمية العالمية.

2– الوقوف على مصالح السياسة الخارجية الروسية الحقيقية كدولة وكدولة ومجتمع، وفهم المضامين المتضاربة والمختلفة ضمن الأجندات السياسية المحلية (على مستوى النخبة السياسية الروسية).

3– تحليل وفهم دور الدوافع السياسية الغريزية التي تمليها طبقة ضيقة مهيمنة داخل النخبة السياسية الحاكمة.

الجدول رقم (16): السيناريو التأليفي/التوليفي

السيناريو	مدخلات السيناريو	مخرجات السيناريو	الأصدقاء	الأعداء
تأليفي	-التغير الذي طرأ على أولويات روسيا جاء في سياق تأزم نتج عن المشكلات السياسية والاقتصادية بفعل تدخل روسيا في أوكرانيا الشرقية بعد ضم القرم؛ وهو ما يعكس رسوخ التوجهات الخارجية الروسية في التقليد الواقعي خاصة المعاصر منه، ما له صلة بواقعية التنافس المهيمن المعاصرة والتقليد الواقعي الكلاسيكي الجديد والمشروط منه تحديدًا. -عامل تأثير البعد الديني لعقيدة "بوتين" القومية وتأييد الكنيسة الروسية لها. -من جملة الأهداف الاقتصادية لروسيا أنها تسعى إلى تعويض الأثر السلبي للعقوبات والعقوبات المضادة على الاقتصاد الروسي وذلك عن طريق توقيع عقود استثمارية جديدة حماية منها لمصادر دخلها القائمة فضلا عن سعيها إلى حماية مصالح شركاتها الطاقوية الكبرى في المنطقة. و من جملة الأهداف السياسية و المتأثرة بالأزمة مع الغرب، نظرا لوجود تجمعات مناهضة لروسيا و توجهاتها في المنطقة العربية فإنها تسعى إلى تجنب العزل الدولي الكامل لها في مناطق مهمة من العالم أجمع، كما أنها تبحث عن رافعة أخرى للتأثير على الولايات المتحدة	**إعادة هندسة الوضع القائم (الواقعية المشروطة)** -الانتخابات الرئاسية الروسية مارس 2018، و صعود "بوتين" لولاية جديدة. اعتماد سياسة المركب الثلاثي يضم كل من روسيا والنظام السوري وفصائل	النظام السوري أغلب دول حلف شمال الأطلسي جزئيا. الولايات التحدة الأمريكية جزئيا. -بعض دول الاتحاد الأوروبي. -اللاعبين الإقليميين النشطين داخل سوريا	بعض دول الخارج -القريب الروسي+أوكرانيا بعض دول حلف شمال الأطلسي تيارات الإسلام الراديكالي. التنظيمات الجهادية

	و الاتحاد الأوروبي، مع محاولة اثباتها للغرب بأنه ليس بمقدوره التعامل مع قضايا الشرق الأوسط تحديدا بمفرده دون روسيا، و هي من خلال ذلك تحذر الغرب بألا يستمر في الضغط على الروس في قضايا مثل أوكرانيا و قضايا العقوبات و قضايا أخرى شبيهة، ما يؤثر بحسب زعمها على سلوك الدول الغربية. - مسألة الدعاية لمفهوم موسكو حول ما تعتقده صحيحا ومحقًا، بحيث يجب التمييز بين المقاربات السوفياتية وقرينتها الروسية، ذلك أن الجزء الأيديولوجي من استراتيجية الروس في الشرق الأوسط محدود جدا، بالمقابل تسعى موسكو حاليا إلى ما وصفه السفير "زاسيبكين" باستراتيجية "التوازن مع الدول الرائدة"، ليست كل الدول الرائدة في الشرق الأوسط سعيدة بأن تكون جزءا من هذا الخطاب بين روسيا والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي حول الشكل الأمثل للنظام العالمي. من الأهداف السياسية لتوجهات روسيا أيضا : تشكيل الرأي العام داخل روسيا لصالح الرئيس الحالي "بوتين"؛ وهذا من خلال اثبات الدور القيادي لروسيا في الشرق الأوسط. -بالنسبة لمجموع الأهداف والقضايا الأمنية فقد تتمثل في المشاركة الروسية بشكل نشيط وفعال مع الغرب في مواجهة التحديات التي يمثلها الجهاديون (تيارات الإسلام الراديكالي)، بالإضافة إلى انتشار أسلحة الدمار الشامل والجرائم الأخرى العابرة للحدود. - من بين عوامل فعالية السياسة الخارجية الروسية في المنطقة العربية (قدرات وحدود روسيا) نجد: 1-أظهر الروس بأن لديهم خطوطا حمراء في المنطقة العربية وبأنهم مستعدون للدفاع عنها، وقد يعكس ذلك حجم العناد الذي أظهرته موسكو في الدفاع عن الرئيس السوري "بشار الأسد"، بحيث حققت اعتراف خصومها بها في المنطقة خاصة بعد 2013 وأصبحت لاعبا قويا وأساسيا ضمن معادلة الشرق الأوسط. 2-القدرة على استغلال أخطاء الغرب وعدم اللجوء إلى مواجهته مباشرة. 3-القدرة على استخدام الخطاب الايديولوجي عند مناقشة الوضع المحلي في بلدان العالم العربي، وبالتالي روسيا غير مهتمة بالحرية أو الديموقراطية في مصر كما أنها تطرح مسألة حقوق الانسان في السعودية بحذر وعند الضرورة فقط للضغط عليها. -بالنسبة للجهود الاقتصادية فإنه خلال 4-5 سنوات الأخيرة نجح الكرملين في صياغة استراتيجية ناجحة تتمثل في: 1-زيادة دعمه للحكومات والشركات الخاصة التي تبحث عن فرص لها في الشرق الأوسط. 2-التركيز على المناطق التي تكون لها أفضلية في السوق (مجال التجارة الخارجية) 3-اختيار استراتيجية اقتصادية في قطاع الصناعات البتروكيماوية والطاقة النووية وقطاع الأسلحة تحت مبدأ "**السعر الصيني والجودة الأوروبية**". -ما يذهب إليه "دوغين" و الجيوسياسيون الأوراسيون يبدو مختلفا تماما عن نظرة الخبراء الروس ، فمثلا يرى المحلل الروسي "فيودور لوكيانوف" أن القيادة الروسية لا تعتقد بأن سوريا مازالت موجودة ، لذا فهو يرى النجاح الروسي في عملية واقعية تقيم "إسرائيل علوية" في الساحل السوري، تدافع عن نفسها عن طريق الدعم الخارجي و	المعارضة في الداخل السوري. اعتماد نفس المركب الجيوسياسي الثلاثي ضمن منطقة الشرق الأوسط و يضم كل من روسيا(كقاسم مشترك يمثل قطب جديد على غرار سوريا) و كل من القطب الإيراني و القطب التركي. مؤتمر ميونيخ للسياسات الأمنية 2007 -قمة بطرسبورغ 2008 - مؤتمر جنيف -مؤتمرات استانا - مؤتمر سوتشي -مؤتمر إيطاليا 2018 G8/G20- - اجتماع موسكو للدول الضامنة 2018. -قمة هلسنكي بفنلندا 2018 (لقاء تاريخي) بين "بوتين" و "ترامب". - انتهاج سياسات بالمثل (مطلع 2019) و الرد على سلوك الولايات المتحدة الامريكية بالإنسحاب من معاهدات و اتفاقيات تاريخية خفض التسلح و الحد منه) .	- تركيا+إيران -الصين+الهند	

	باستعراض أنواع الأسلحة (مثل طائرات سو-25 و حوامات مي-24) و الهدف منها هو تأمين دعم جوي لصيق للقوات البرية في عملياتها ضد قوات المعارضة ، في حين أن طائرات سو-34 تهدف لحماية أجواء المنطقة الساحلية و التي سرعان ما أضيف لها منظومة صواريخ s-400، كما تحركت قطع من أسطول البحر الأسود الروسي إلى شرق المتوسط و جلبت معها منظومات أسلحة لا علاقة لها بقتال المعارضة و لا الدولة الإسلامية، بل تهدف إلى خلق منطقة حظر جوي فوق مناطق النظام السوري، فالأمر يحمل استجابة روسية – على ما يبدو- لدرس الحرب في البوسنة بعد ما شنت الولايات المتحدة في العام 1996 حملة جوية أجبرت صرب البوسنة و بلغراد و موسكو على القبول بتوقيع اتفاق "دايتون" للسلام.(مازن العزي) -نقطة خلافية أخرى بين الخبراء الروس و الساسة الرسميون لروسيا هو أن الخبراء يرون بأنه من مصلحة روسيا إدارة علاقات متنوعة و جيدة مع اللاعبين الإقليميين المتحاربين، و البحث عن فرص جديدة يتيحها النزاع الإقليمي داخل الفوضى القائمة و التي مصدرها هم الجيوسياسيون، ذلك بأن الخطاب الرسمي الروسي أصبح يميل إلى تجنب الدخول في مزالق اليمين المتطرف ، لذا فإن التدخل الروسي في سوريا - حسب "فيتالي نومكين" الخبير و المستشرق و مستشار المبعوث الدولي إلى سوريا-يأتي بمثابة وضع حد لنمو التنظيمات الجهادية التي تشكل خطرا عظيما على الدولة الأمة (خلق صراع بين/مع الجهاديين في سوريا) .	القمة التركية – الروسية أفريل 2018 في أنقرة		

الجدول من اعداد وتصور الباحث –

أخيرا تبقى تلك السيناريوهات مجرد افتراضات و تكهنات و آفاق متوقعة مستقبلا، بالنسبة لروسيا، غير أنه في الحقيقة ما من بعد جيوسياسي جديد تتمثله روسيا عبر توجهاتها الخارجية الواقعية تجاه مناطق كثيرة من العالم على غرار المنطقة العربية إلا و يحمل في طياته استجابة كافية لدعائم و مقومات المشروع الروسي الجديد القائم على الميسيانية المسيحية الأرثوذكسية و طروحات رواد مفكري اليمين الروسي و مقاربات الأوراسيين الروس و الأوراسيين الروس الجدد الجيوبوليتيكية فضلا عن البوتينيزم كاستراتيجية متعددة التوجهات تحتمل تساؤلات جوهرية أخرى جديدة حول ما إذا كان باستطاعة الرئيس "**فلاديمير بوتن**" أن يستمر في السحب من كل تلك الخزانات العقائدية لمدارس النخبة السياسية لروسيا؟ ثم هل ستستمر تلك التغيرات البنيوية التي طالت أغلب الدول العربية خاصة بعد أحداث ما سمي «**بثورات الربيع العربي**" في القدرة على أن تكون مصدرا جديدا لمحددات جيوبوليتيكية مختلفة لسياسة روسيا الخارجية مستقبلًا؟

خـــــاتمة

تأسس لدينا مباشرة بعد اختبار الفروض العلمية لهاته الدراسة: ***جيوبولتيكا السياسية الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية: نحو فهم واقعية روسيا المشروطة*** – وبعد تفكيك اشكالية الموضوع محل البحث– اطارًا عامًا يتضمن بدوره جملة نتائج تتلخص في الآتي:

1– يعتبر القرن الحادي والعشرين **قرن الجيوبوليتيكا بامتياز**، ولا يمنع ذلك من القول بأن انتعاش القصة الرمزية للنظرية الجيوبولتيكية المعاصرة يكاد ينهي بصورة بنائية التفكير بالاقتراب المتعدد الأوجه لدى أغلب النماذج المعرفية لحقل العلاقات الدولية، بل يستمر النقاش لكن ربما دون جدوى. فالنظرية الجيوبولتيكية المعاصرة طيف فكري متجدد يخنق جزئيا أغلب الرؤى والاقترابات.

2– النظرية الجيوبولتيكية المعاصرة وأغلب الخطابات الجيوبولتيكية العالمية الكبرى؛ تنقل الجغرافيا من الجغرافيا الفيزيائية **(المادية)** إلى الجغرافيا **السياسية** ثم إلى **الجيوسياسة**. ومنه فإنها تفند مقولة "**نهاية الجغرافيا**" وتستبدلها بمقولة: "**بداية الجيوسياسة**".

3– إلى حد ما، يعكس **خطاب الأوراسية الجديدة الجيوبولتيكي** القائم على التفسيرات **الاثنوجينيتكية** وأفكار **الفلسفة العضوية**، أغلب قناعات النخبة السياسية الروسية تجاه أغلب المواقع الحيوية في العالم، رغم تعدد ميول ورؤى هذه الأخيرة، وتأتي المنطقة العربية كأحد تلك المواقع التي أضحت تتحدد وتضبط مصالح روسيا الاتحادية الحيوية من خلالها.

4– من ناحية **تيبولوجية**. توجد تعددية تصنيف نموذجي لمدارس النخبة السياسية الروسية، وهذا نابع بالأساس من تعدد زوايا نظر الباحثين والدارسين لدور ومسار النخبة الروسية، وتأثيرها على صناعة القرار الخارجي لروسيا الاتحادية؛ وكذا تحديد أولويات روسيا تجاه اقليمها الخارجي سواء القريب منه أو البعيد.

5– رؤى و توجهات النخبة السياسية الروسية الخارجية متعددة تأتي على رأسها المدرسة الجيوبولتيكية الأوراسية التي يعتبر **ألكسندر دوغن** أحد أشهر منظريها ، وومضمونها روسيا أولا "تجميع الامبراطورية" "روسيا المستقلة في القارة المستقلة"، بالإضافة إلى مدارس و تيارات أخرى والتي يحصرها بعض الدارسين في ثلاث مدارس أساسية هي: **المدرسة الواقعية والمدرسة الليبرالية والمدرسة القومية "الشيوعية"**، فالمدرسة الليبرالية مدرسة اصلاحية راديكالية تتبنى التوجه غربا ومن روادها الرئيس "**ميدفيديف دتميري**" ، أما المدرسة الواقعية فتتبنى

منظور "تعددية الأقطاب" ويتزعمها الرئيس الحالي: "**فلاديمير بوتين**"، أما بالنسبة للمدرسة القومية الوطنية الشيوعية فروادها هم اليساريون والمحافظون فتتبنى طرح "**أولوية روسيا القومية الأصلية Russkiy**".

6- حول مسألة تفسير واختبار مدى واقعية السلوك الخارجي الروسي تجاه المنطقة العربية لفترة ما بعد الحرب الباردة "**فترتي حكم بوتين**"، اصطدمنا فعلا بمعارضات "**والتز**" النظرية، لكن رغم ذلك توصلنا إلى وجود علاقة عارضة قوية تنشأ بين الأسباب الهيكلية **(البنيوية)** للنظام الدولي والسياسة الخارجية الروسية، لكن ذلك لم يلغ بعض الصعوبات المنهجية.

7- توافقًا مع طروحات ورؤى رواد الواقعية الكلاسيكية الجديدة Neo-classical Realism كل من: "راندال شيفلر" و"فريد زكرياء" و "وليم وولفورت" و "توماس ج. كريستنسن"، والذين لا يوافقون على الفصل بين المكونات الداخلية والخارجية في تحليل السياسة الخارجية للدول، فإنه فعلا من الصعب فصل الفضاء المحلي، لروسيا عن باقي الفضاءات الأخرى كل من (R) و(I) وصولا إلى الفضاء الكلي (H) أي وجود اعتراض حول الفصل بين "**النظام والوحدة**" و "**البنية والعملية**".

8- الواقعية البنيوية فشلت في ملاحظة المحددات الداخلية لتفكك الاتحاد السوفياتي، وحسب William C. Wohlforth فإن زوال الاتحاد السوفياتي لم يكن نتيجة لتراجع **القوة النسبية** Relative Power السوفياتية فقط، بل بسبب تصور ذلك الانخفاض من قبل النخب الروسية أيضا.

9- القدرة التفسيرية للواقعية البنيوية على تحليل العلاقات الدولية الديناميكية لفترة ما بعد الحرب الباردة تصادف اشكالية جزئية، خصوصا فيما يتعلق بمواجهة الطابع المعقد للسياسة الخارجية لروسيا، وعدم تقبل موسكو لمكانتها الجديدة في النظام الدولي، إضافة إلى المشكلات المنهجية الأخرى، ورغم ذلك فإن القدرة التفسيرية للنظرية الواقعية تدفع منظريها أكثر إلى القيام بعملية تقييم وتفسير مستمرين لحركة الدول الانفرادية، خاصة مع اقحامهم تحليل العوامل والمحددات الداخلية جنبا إلى جنب مع المحددات الخارجية.

10- تعد السياسة الخارجية الروسية في جزء كبير منها، خاصة من ناحية جيوسياسية تجاه المنطقة العربية من السياسات الخارجية الراسخة بعمق في التقليد الواقعي بمختلف أطيافه ، و هذا عكس ما يعتقد عادة تجاه السلوك الروسي الخارجي على أنه إيديولوجي بحت أو قومي بحت، على **أن الواقعية الكلاسيكية والواقعية البنيوية والواقعية المشروطة أكثر وضوحا من باقي الواقعيات الأخرى.**

11-الجيوسياسة الروسية تجاه المنطقة العربية تتماهى بشدة وتصورات الواقعية المشروطة، خاصة فيما يتعلق بالغش والتنافس ومسألة المكاسب النسبية. وهو ما يظهر جليًا في مسألة التقارب البراغماتي الواقعي مع أغلب دول المنطقة مثل السعودية ومصر، ما يتوافق مع طروحات "تشارلز غلاسر"، بالإضافة إلى تأثرها وتمثلها لتنويعات و مقاربات أخرى جديدة تعديلية أو تلطيفية **للمعضلة الأمنية** في العلاقات بين الدول على غرار مقاربة "**الفوضى الناضجة** Anarchy Mature التي يتصورها باري بوزان Barry Buzan.

12- الجيوسياسة النفعية تتأسس أيضا عقلانيا على مرتكزات الواقعية الأساسية ، مثل اعتبار الدول أهم فاعل في السياسة الدولية، والدول الفاعل الوحيد العقلاني رغم ظروف التوتر وضبابية المعلومات، وأن الدول تبحث عن القوة وتحسب مصالحها على أساس القوة، بالإضافة إلى المقاربات الواقعية الأخرى المؤسسة لوجود مثلث واقعي أضلاعه تتمثل في العون الذاتي والبقاء والدولاتية. كل ذلك **تترجمه روسيا في سلوكاتها الخارجية تجاه دول عربية مثل سوريا والعراق وليبيا وغيرها.**

13- أن روسيا في علاقتها الجيوسياسية مع المنطقة العربية **لم تعد دولة الوضع القائم** No Status- Quo State في النظام الدولي الجديد ، ومنه روسيا أحيانا هي من خلال **عنادها الجيوسياسي** واستعمالها **القوة (الهجوم أو الدفاع الهجومي)** هي في الواقع تتبنى **سياسة** " **تحرير الأمور**" Buck Passing ، ومرات أخرى تسعى إلى تغيير الوضع القائم، ومثال ذلك ما حصل في سوريا (التدخل العسكري الروسي المباشر في سبتمبر 2015)، وكذا رفض غزو العراق وليبيا وغيرها.

14- توافقًا مع طروحات وتصورات "**باري بوزان**" فإن روسيا من خلال توجهاتها الخارجية جيوسياسيًا تجاه المنطقة العربية – باعتبارها من بين الدول الأكثر نضوجا في النظام السياسي الدولي- تتوافر لديها أسبابًا أمنية وجيهة لأخذ مصالح جيرانها **(الخارج القريب + الخارج البعيد)** بالاعتبار عند رسم سياساتها الخاصة، وهو ما حصل ويحصل فعلًا في موضوع أكرانيا أو مسألة التدخل في سوريا.

15- مقاربة خطاب روسيا الجيوبولتيكي تجاه المنطقة العربية واختبار مدى واقعيته، ينم عن وجود جملة محددات أساسية للجيوسياسة الروسية الجديدة، تنحصر في جملة عناصر بمثابة أسباب عودة مهمة لفهم السلوك الروسي في الوقت الراهن، تتمثل في **ظاهرة الربيع العربي**، خصوصا **الأزمة الليبية** وما تمخض عنها من إعادة انتخاب بوتين **(صعود بوتين)** في 2012 رئيسًا لروسيا؛ وشعوره بخيبة أمل تجاه الغرب عموما ثم

الأزمة في العلاقات مع الغرب **(احتجاجات الميدان الأوروبي)** وضم **شبه جزيرة القرم** وكذا الحرب في **شرق أوكرانيا**.

16- تختلف أهمية المنطقة العربية بالنسبة لروسيا خلال مرحلة حكم "**بوتين**" بين فترتين: ما قبل 2012 أين كانت **المنطقة العربية أقل أهمية بل و مهملة في الحسابات الروسية ، ثم مرحلة** ما بعد 2012، أين اكتست المنطقة العربية **أهمية جيوسياسية جيواستراتيجية كبرى** في نظر روسيا، نتيجة التحولات في الأحداث والبنى وظهور متغيرات جديدة مثل التطرف والارهاب والحركات الانفصالية (داعش، التنظيم الإسلامي) والتدخل في سوريا، غزو العراق، أحداث ليبيا...، توسع الناتو شرقًا، أحداث أوكرانيا، (الثورات الملونة)... وغيرها، بالإضافة إلى بعض التغيرات الحاصلة على مستوى الداخل الروسي.

17- عمليًا، في العلاقات بين روسيا والمنطقة العربية؛ هناك خمسة فضاءات قائمة تفاعليا من خلال علاقات نمطية وغير نمطية، يتبنى منهج التحليل الجيوبولتيكي- نظريا - تحليل مؤشراتها ومتغيراتها وبحسب الأدبيات والأبحاث المتخصصة تتحدد تلك الفضاءات في: الفضاء الفيزيائي (المادي الطبيعي) والفضاء ديموبوليتيك والفضاء دبلو-استراتيجيك، والفضاء الاقتصادي، كما تضيف بعض الدراسات الحديثة فضاء خامسا هو الفضاء السيبراني (الإليكتروني).

18- اللون الفاقع للسياسة الخارجية الروسية في المنطقة العربية ككل؛ يبدو كذلك أكثر في سوريا منه اليوم في باقي دول المنطقة. فموضوع **التدخل العسكري في سوريا** مثل بحق نافذة بحثية ومادة تحليل لكثير من مراكز الأبحاث في العالم مثل معهد واشنطن والمنظمة البحثية RAND، خاصة لما له من تداعيات اقليمية ودولية على الكثير من الأصعدة أهمها الصعيد الجيوسياسي.

19- أن الجيوسياسة الروسية تجاه المنطقة العربية عموما قائمة على سياسة المحاور الثنائية، مثل محور "**موسكو-دمشق**"، "**موسكو-بغداد**" "**موسكو-القاهرة**"، "**موسكو-الرياض**"، وهذا نابع من حالات التضارب في المكونات المحلية لكل دولة تجاه الدول العربية الأخرى، بيد أن الأمر يختلف في الداخل السوري أين لجأت روسيا إلى انتهاج سياسة ثلاثية أو رباعية الأقطاب.

20- جيوسياسية روسيا تجاه المنطقة العربية لم تعد قائمة على **الايديولوجيا الشيوعية القومية** بقدر ما هي اليوم تتأسس على **البراغماتية الواقعية النفعية الدفاعية الهجومية المشروطة**، ذلك أن افلاس ايديولوجيا

التحالف الاشتراكي لم تؤد إلى افلاس ايديولوجيا التعاون والتحالف الاستراتيجي والتي تسعى روسيا من خلالها إلى خلق موازنة للقوى في النظام الدولي.

21- لا يمكن من ناحية تحليلية ترجيح أي المؤشرات أكثر رسوخا وتحكما في الجيوسياسة الروسية تجاه المنطقة العربية، سواء في ذلك مؤشر تجارة الأسلحة أو الاستثمارات الخارجية أو غيرها، بل يجب اللجوء إلى المنهج الهندسي الرياضي والذي يزودنا بنظريات المرجح Barycentres ، ويحدد لنا جملة معادلات نهائية تحدد المساحة العامة المشتركة بين أغلب الفضاءات ، ما يسمح باستخراج المؤشرات الجديدة، وهي مؤشرات غير ذات مفهوم لغوي محدد بل تخضع للمفهوم الرياضي، كما بالإمكان اعتماد **المنهج الاحصائي** والذي يزودنا من خلال حساب **معامل الارتباط** أيضا Le Coefficient De Corrélation، بقيم معينة تحدد درجة التفاعل والتماسك بين الفضاءات و مؤشراتها المختلفة ، كما يعطينا نتائج مهمة حول طبيعتها .

22- من دوافع الجيوسياسية الروسية وتوجهاتها الخارجية في الكثير من المناطق في العالم وخاصة **المنطقة العربية**، دافع **ملء الفراغ** والسعي إلى **إشراك روسيا** في حل ومعالجة القضايا المطروحة على الساحة الدولية، واعتبارها **شريكا مهما وأساسيا**، بالإضافة إلى سعيها نحو بناء **عالم متعدد الأقطاب** بدلا من السماح باستمرار هيمنة القطب الأوحد بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية.

23- تحتكم توجهات السياسة الخارجية الروسية تجاه المنطقة العربية إلى عاملين أساسيين:

أولا: طغيان **العقيدة الجيوبوليتيكية** وتحكمها التاريخي في رسم سلوك ومصير روسيا اتجاه محيطها الخارجي، وذلك لدى فصيل لا بأس به من نخبة روسيا السياسية؛ عبر ثنائية ضدية كونية قارية قائمة مسبقا بين الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا.

ثانيا: عامل **ترسخ لا مشروط** للسياسة الخارجية الروسية وبعمق في **التقليد والمنظور الواقعي للعلاقات الدولية والنظام الدولي.**

24- تعد **سوريا بوابة روسيا** إلى المنطقة العربية والشرق الأوسط؛ وهي مثل ما تم اعتبارها تمثل "**أوكرانيا مصغرة في الوطن العربي والشرق الأوسط**"، بحيث تدير روسيا من خلالها علاقاتها بالولايات المتحدة الأمريكية والغرب قضيةً وهدفًا وآليةً، من منطلق كونها **(روسيا)** قوة كبرى لها مصالح وطنية في الوطن العربي –الشرق الأوسط؛ ينبغي الحفاظ عليها. ذلك أنه على الصعيد السوري الداخلي هناك مثلث **روسيا –النظام السوري– المعارضة السورية** بمشاربها المختلفة، وروسيا هي **القاسم المشترك** الحاضر دائمًا.

25- أن توجهات السياسة الخارجية الروسية نحو المنطقة العربية و تحديدا بشأن سوريا ؛ كانت في بعدها الجيوسياسي خاصة بمثابة اختبار محوري يكشف عن طبيعة أكثر عمومية لتفكير و سلوك السياسة الخارجية الروسية، و أن محاولة فهم تلك السياسة بمجرد اعتبارها نتائج لأسباب معينة "ثابتة" أو بايعازها لبعض المصالح المحددة جيدا فحسب ؛ ما هي سوى سلوك باثولوجي ، ذلك أنه بدلا من ذلك يجب النظر اليها مثل عملية تتمحور حول الفاعلية ، يتم تفعيلها و قيادتها من خلال مجموعة من العوامل و التأثيرات الرئيسية بما في ذلك التطورات و القيود الخارجية و الداخلية ، و على الأرجح هناك ثلاث عوامل رئيسية متحكمة بقوة في منحى تلك التوجهات الخارجية لموسكو تتمثل في عامل بطء التحرك و الحاجة بالمقابل إلى الاستجابة الفورية و المرونة في التعامل مع العمليات الديناميكية عبر الوطنية و التطورات ذات الأهمية العالمية ، بالإضافة إلى محدد طبيعة المصالح الحقيقية لروسيا كدولة و كدولة و مجتمع معا، فقد تملي الأجندات السياسية المحلية المتضاربة اختلافات كبيرة في كيفية فهم هذه القوى السياسية المختلفة لهذه المصالح و مع ذلك يبدو أن هناك اجماعا وطنيا واسعا على بعض المبادئ الأساسية لتشكيل علاقات روسيا مع العالم الخارجي، فضلا عن عامل ثالث و المتمثل أساسا في تلك الدوافع السياسية الغريزية تمليها طبقة ضيقة مهيمنة داخل النخبة السياسية الحاكمة في روسيا (السيلوفيكي) و هو العامل الأكثر غموضا بين العوامل الثلاثة مجتمعة ، و ذلك نظرا لتعدد المدارس الفكرية لتلك النخبة السياسية و اختلاف قناعاتها و المتمثلة أساسا في كل من المدرسة الليبرالية و القومية و الواقعية على أن الرئيس "بوتين" استطاع بحنكته السياسية و خبرته في قطاع المخابرات الروسي استطاع أن يصنع توجهات توليفية بين كل تلك الخزانات العقائدية .(أنظر الفصل الثاني).

26- أن هناك جملة تحديات تواجه الجيوسياسة الروسية في المنطقة العربية ، أهمها المحتوى **الجيوديني** للمنطقة خاصة ما تعلق بالإسلام السياسي و حركات الإسلام الراديكالي و تخوفها من انتقال هذا المد الديني عبر منطقة القوقاز و آسيا الوسطى باعتبار وجود مورثات لذلك في المنطقة و حتى داخل روسيا نفسها (أكثر من 20 مليون مسلم)، و كذا عامل التنافس المهيمن للغرب في المنطقة ، و الانقسامات الأيديولوجية لأغلب دول /مكونات المنطقة العربية باتجاه ولاءات محسوبة لصالح أجندات غربية أطلسية، فضلا عن تحدي التعدد الاثنوغرافي ، و ثقل بعض الدول الخليجية ذات القدرات النفطية الهائلة مثل السعودية و قطر و دورها في تحديد أسعار السوق الدولية ما يؤثر على الاقتصاد الروسي، ناهيك عن تحدي التدخل الخارجي في المنطقة العربية لبعض القوى الإقليمية مثل ايران و تركيا.

27- أن مستقبل الجيوسياسة الروسية في بعدها الواقعي فضلا عن آفاقها في المنطقة العربية يتمثله السيناريو الافتراضي التأليفي/التوليفي ، و الذي يتضمن مشهدا متعدد الأوجه يحتمل سياسة خارجية روسية خطية تعكس

بقاء الوضع القائم مع تغييره جزئيا على مستوى أسس الأنظمة السياسية العربية و أهدافها على غرار النظام السوري القائم وذلك من خلال الطريقة الروسية أي الديموقراطية السيادية الممسوكة و ليست الديمقراطية الليبرالية الغربية عن طريق ما أسماه "بوتين" بالثورات الغربية الديموقراطية"، بالاضافة إلى تغيير موازين القوى الحالية في المنطقة بصورة جذرية لصالح روسيا خاصة فيما يتعلق ببعض القضايا التي على أساسها ينتعش الدور الروسي إقليميا و دوليا اقتصاديا و سياسيا و جيوسياسيا كالقضايا الأمنية و الاقتصادية .

الملاحق

LE DOSSIER

AVRIL 2014

Le vrai Poutine

**Crise ukrainienne aidant, la Russie est à nouveau considérée en Occident comme la principale menace pour la paix mondiale, et son président comme un dangereux dictateur.
Cependant, Vladimir Poutine se révèle plus complexe que la caricature qu'en livrent les médias de l'Ouest.**

LE PROPOS de *La Revue* n'est pas, dans les pages qui suivent, de prendre le contrepied systématique de la presse occidentale ou du discours officiel des chancelleries, pour le simple plaisir d'aller à rebours du discours dominant. Ni d'adopter par principe le parti des « autres » – les pays émergents, les pays de l'Est, l'Afrique… – contre celui des nations les plus riches. Simplement, le parfum de guerre froide qui se répand depuis le début de la crise ukrainienne nous paraît hors de propos. Les prises de position martiales, les accusations portées contre le président russe et ses supposés alliés en Ukraine, les appels vibrants au respect du droit international nous semblent bien partiaux. Orientés. Tronqués. Incomplets.

Vladimir Poutine, né au temps de l'Union soviétique, souffre de voir son pays perdre son statut de grande puissance. Les Russes partagent cette vision.

Nous avons demandé au professeur Georges Sokoloff, spécialiste de la Russie contemporaine, conseiller du Centre d'études prospectives et d'informations internationales, de nous livrer sa vision de la situation. Membre du Conseil scientifique du Haut Collège d'économie de Moscou, le professeur a rencontré plusieurs fois Vladimir Poutine. Il explique combien le président est à l'image du peuple russe lui-même. Dans le long portrait qu'elle lui consacre, Juliette Morillot dépeint aussi un jeune Vladimir Poutine inattendu, qui a fait tout son possible pour « devenir espion » mais qu'on ne saurait résumer aux photos de propagande montrant ses muscles saillants ou sa maîtrise de la pêche en eaux vives et des sports de combat. ■ **OLIVIER MARBOT**

Poutine et son peuple

Nostalgique de la puissance soviétique, convaincu que l' Occident lui est hostile par principe, Vladimir Poutine reflète fidèlement les aspirations et les états d'âme du peuple russe. ***Par Georges Sokoloff***

Le président Poutine participant à une messe de Noël en 2005, durant son deuxième mandat.

ÉTÉ 1999. Les dirigeants russes se trouvent plongés dans un état proche de la panique. L'expérience libérale qu'ils avaient lancée au début de la décennie – associer franchement démocratie, économie de marché et partenariat avec les Occidentaux – tourne au désastre.

L'économie soviétique était bien trop rigide, trop fragile aussi pour supporter la « thérapie de choc » imaginée à Washington pour la guérir de son caporalisme. Après le krach financier d'août 1998, le PIB par habitant tombe au cinquième de celui des États-Unis, au quart de celui du duo franco-allemand ! Du coup, la « démocratie de marché » lancée par le Kremlin comme preuve de la capacité des Russes à se moderniser eux aussi se présente, aux yeux de ces derniers, comme une calamité.

La mendicité apparaît d'ailleurs dans les rues de Moscou, où l'opulence entraperçue d'un oligarque montant dans sa limousine rend plus choquante encore la misère ambiante. Plus mordante que jamais (elle

© ROGOZINOV VLADIMIR/ITAR-TASS/KOPPIS

fait partie du « package » libéral), la glasnost pousse les Russes à se demander si le président et sa famille ne se trouvent pas personnellement compromis dans les divers scandales financiers que dénoncent les médias. Des réquisitoires repris de façon tonitruante par une opposition nationaliste (Vladimir Jirinovski) et communiste (Guennadi Ziouganov) clamant son intention de faire condamner Eltsine pour « génocide ».

En Occident, les médias font leurs choux gras de cette ambiance délétère. Quant aux dirigeants, ils tirent avantage de la déchéance frappant l'ancien ennemi communiste. Oubliant sans doute qu'ils avaient refusé, en 1980, de participer aux Jeux olympiques de Moscou en raison de l'intervention de l'URSS en Afghanistan (où ils n'ont pourtant pas tardé à s'engager eux-mêmes...), les Américains condamnent la guerre que les Russes mènent contre une rébellion tchétchène pourtant déjà teintée de jihad. Ils dénoncent les vieux accords par lesquels ils s'étaient interdits, avec Moscou, de construire des boucliers antimissiles. Ils font bombarder la Serbie le 12 mars 1999, sachant que le Kremlin est hors d'état de soutenir ses traditionnels alliés des Balkans. Autrement dit, pour la Russie, l'humiliation internationale accompagne la faillite économique.

Propulsé par Boris Eltsine

Avec un tel bilan, Eltsine est d'autant moins en mesure de se présenter aux prochaines élections présidentielles qu'il est cardiaque. Mais où trouver celui qu'il pourrait charger à sa place de « consolider » (superbe euphémisme !) son œuvre ?

La providence finit par se présenter sous les traits de Vladimir Vladimirovitch Poutine. Un homme encore jeune, arrivé il y a peu de Saint-Pétersbourg où il a quelque temps été le bras droit de son ancien professeur de droit devenu maire de la prestigieuse cité : Anatoli Sobtchak.

Sous Boris Eltsine, l'humiliation internationale accompagne la faillite économique.

Cette caution libérale est sans doute importante pour Boris Eltsine. Mais, à ses yeux, la carrière antérieure du nouveau venu compte au moins autant : entre 1975 et 1990, Poutine avait en effet travaillé au KGB. Une spécialité sécuritaire que le président russe se garde bien d'oublier ! Peu après l'avoir fait entrer dans son cabinet, il nomme Poutine à la tête du FSB (la nouvelle appellation du KGB). Avant de carrément en faire, le 9 août 1999, son Premier ministre. Puis de lui confier, •••

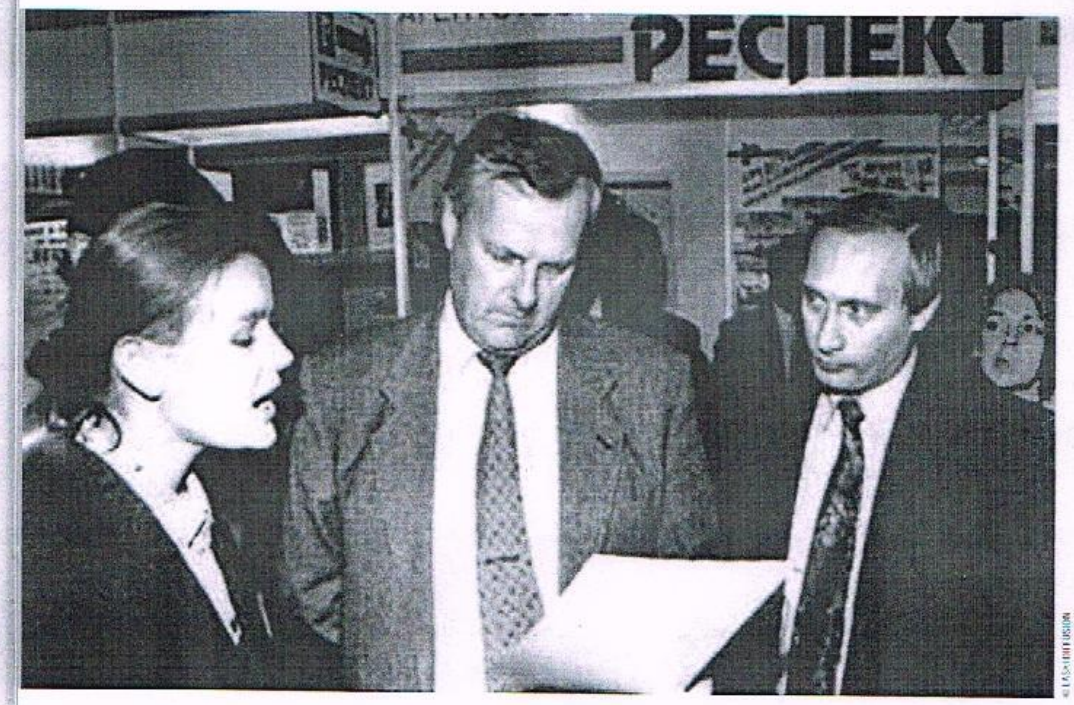

Anatoli Sobtchak (au centre), maire de Leningrad, et Vladimir Poutine au milieu des années 1990. Sobtchak, à qui l'on reprocha d'avoir pris pour plus proche collaborateur un agent du KGB, se justifiait ainsi : « Je n'ai pas choisi un officier du KGB mais mon ancien élève à la faculté de droit. »

••• au dernier jour du millénaire, l'intérim de la présidence.

Une fonction que Poutine, une fois élu le 26 mars 2000, remplira au cours de deux mandats successifs, puis à nouveau en 2012. Carrière éclair, présidence record. La réussite politique de Vladimir Poutine (assisté de son alter ego, Dimitri Medvedev) tient beaucoup, dans un premier temps, à un heureux concours de circonstances économiques. Les réformateurs des années précédentes avaient fini par mettre au point les rouages d'une économie de marché ; mais pour qu'ils tournent, il fallait pouvoir les lubrifier à l'aide de l'argent en provenance du marché mondial de l'énergie. Or, après s'être tarie pendant près de quinze ans en raison des faibles prix du brut, la manne pétrolière est de retour ! D'où le très beau rebond de l'économie russe dans les années 2000.

Économiquement, le pays s'enlise

Interrompue par le contrecoup, fort mais bref, de la crise mondiale en 2009, la croissance du PIB russe semble ensuite ne plus pouvoir se relever que pour s'enliser dangereusement aussitôt après : 3,4 % puis 1,3 % au cours des deux dernières années... (Pour la petite histoire, VVP, les initiales de Vladimir Vladimirovitch Poutine, sont l'équivalent en russe de PIB, *Vnutrenniï Valovoï Produkt*). Vraiment pas des bulletins de victoire que Poutine (redevenu président en 2012 après avoir passé le relais à Medvedev pendant quatre ans) puisse brandir !

En revanche, il a largement eu le temps de faire valoir auprès des Russes d'autres raisons de remporter leurs suffrages. Son look athlétique, ses exploits sportifs mais surtout la réputation qu'il s'est vite forgée d'être bien assez dur (*kroutoï*, dit-on en russe) pour correspondre à l'idée que le peuple se fait d'un bon chef d'État. Cette idée n'est pas partagée, il est vrai, par la fronde « bourgeoise » des plus grandes villes du pays : elle le prouve par ses amples manifestations de l'hiver 2011-2012. Une façon de rappeler au maître du Kremlin que le legs libéral qu'il gère à sa façon comportait non seulement le marché, mais aussi la démocratie.

Cela voudrait-il dire, se sont demandé les sociologues russes, que l'opinion publique se scinde désormais en deux « sphères parallèles », conservateurs poutinistes d'un côté, « novorusses » de l'autre ? Les mêmes sociologues soulignent en tout cas que la première sphère pèse nettement plus que la seconde. Ce que montrent à l'envi les sondages (réalisés de la façon la plus honnête) ayant pour but de mesurer la popularité de Poutine. Elle était tombée (si l'on peut dire) à 54 % après les irrégularités constatées lors des législatives de 2011 ; mais elle a rebondi à près de 69 % en mai 2012, après son élection à un troisième mandat présidentiel. Quant au tout récent sondage que le VTsIOM (centre panrusse d'étude de l'opinion publique) a réalisé les 22 et 23 février 2014 dans 130 agglomérations russes, il situe la cote d'amour du président à 67,7 %.

Unis par le patriotisme

Frappante par son ampleur, cette majorité est, à juste titre, qualifiée par les sociologues de « morale » en raison de ses motivations. Certaines sont ordinaires : le bon dirigeant est le père de la nation, il doit posséder la poigne nécessaire au maintien de l'ordre, il lui faut aussi savoir diriger un État calme et fort, garant d'une saine justice sociale…

Plus remarquables – surtout dans les circonstances présentes – sont les principes chers à deux bons tiers du public russe en politique internationale. Se méfiant d'un Occident qu'ils jugent toujours prêt à critiquer leur pays et à marcher sur ses brisées, ils souhaitent que la Russie montre qu'elle est encore une grande puissance. Surtout lorsqu'il s'agit de protéger les peuples frères ukrainiens et biélorusses ; l'Ukraine, ajoute un sondage spécial réalisé l'année dernière, n'étant même pas « l'étranger » pour 61 % des Russes.

De son côté, Poutine rend incontestablement à son peuple l'affection que celui-ci lui porte. Il l'a notamment montré à l'occasion du discours tenu aux membres du « club Valdaï » à l'automne dernier. Si la Russie est célèbre dans le monde entier pour sa littérature, ses arts, ses découvertes, ●●●

REPÈRES

1952 Naissance à Leningrad dans une famille ouvrière.

1975 Diplômé de droit de l'université de Leningrad. Son mémoire, sous la direction de son professeur et superviseur académique, Anatoli Sobtchak, porte sur la politique des États-Unis en Afrique.

1976 Entre à la direction du KGB de Leningrad.

1983 Épouse Lioudmila Alexandrovna Chkrebneva, diplômée de la faculté des lettres de Leningrad.

1984 Suit un cours annuel à l'Institut Andropov du KGB (anciennement Institut du Drapeau rouge) à Moscou.

1985 Naissance à Leningrad de sa première fille, Maria (Macha).

1985 Est envoyé par le KGB à Dresde en RDA.

1985 Arrivée au pouvoir de Mikhaïl Gorbatchev et début de la perestroïka.

1986 Naissance à Dresde de sa seconde fille, Ekaterina (Katia).

1990 Retourne à Leningrad en février, trois mois après la chute du mur de Berlin.

1991 Toujours lieutenant-colonel du KGB, Poutine devient le bras droit et plus proche conseiller de son ancien professeur de droit, Anatoli Sobtchak, élu démocratiquement à la tête du soviet de Leningrad, puis maire de la ville dès 1994.

1992-1996 Responsable des relations extérieures de la mairie de Saint-Pétersbourg, il devient, à partir de 1994, premier adjoint du maire, Anatoli Sobtchak.

1996-1999 Rejoint le gouvernement de Boris Eltsine.

1998 Nommé directeur du FSB, le Service fédéral de sécurité (qui a succédé au KGB), il occupe ce poste un peu plus d'un an.

1999 Nommé Premier ministre par Boris Eltsine, il devient finalement, après la démission de ce dernier, le 31 décembre, président par intérim.

2000 Officiellement élu président de la Fédération de Russie le 26 mars, avec 52,52 % des suffrages.

2004 Réélu à la tête de la Russie avec 71,22 % des voix.

2008 La Constitution russe interdisant à un président de faire plus de deux mandats consécutifs, Vladimir Poutine ne peut être candidat à l'élection de 2008. C'est le vice-président Dimitri Medvedev qui lui succède alors à la tête de l'État, avec 70,3 % des voix. Poutine devient Premier ministre.

2012 Élu pour un nouveau mandat présidentiel le 4 mars, avec 63,6 % des voix au premier tour.

2013 Le couple Poutine annonce son divorce.

2014 Signe, le 18 mars, un accord historique avec les dirigeants de la Crimée sur le rattachement de la péninsule à la Russie.

* « Le glaive et le bouclier » était le nom donné au KGB à l'époque de Lénine.

••• ses triomphes militaires et ses exploits scientifiques, elle le doit, dit-il, à la qualité exceptionnelle des êtres qui l'habitent. Bref à l'identité culturelle russe. Cette dernière ne crée pas nécessairement l'unité. Le désir d'assurer le meilleur des avenirs possibles à leur pays peut amener les Russes à se quereller, voire à se faire la guerre. Capable de diviser, la culture russe peut aussi rassembler, et cela bien au-delà des frontières nationales. Jusqu'en Asie centrale et dans le Caucase – peut-être. Vers la Biélorussie et l'Ukraine – sûrement.

Ce qui unit donc le président russe à son peuple, c'est le patriotisme. Un sentiment sans doute présent ailleurs dans le monde, mais rarement avec l'intensité qu'on lui trouve en Russie. Ce terrain d'entente suggère *a priori* que Poutine dispose d'une grande marge de manœuvre intérieure dans la conduite de sa politique étrangère. Au point de l'autoriser à faire usage de moyens militaires ? La question n'est pas si simple.

J'ai eu l'occasion de rencontrer le président russe à plusieurs reprises. Lorsqu'il vous salue, il claque légèrement des talons, vous serre virilement la main en vous regardant droit dans les yeux ; son attitude comme les propos qu'il échange avec vous font indéniablement penser à la formation militaire que Vladimir Poutine avait reçue pour servir « le glaive et le bouclier * ».

Viktor Ianoukovitch, président de l'Ukraine (ici au Kremlin le 17 décembre 2013 avec Vladimir Poutine), a été destitué par le Parlement le 22 février 2014.

© MIKHAIL KLIMENTYEV/THE NEW YORK TIMES-REDUX-REA

Sébastopol à tout prix

Cette formation ainsi que les compétences qu'il a ensuite acquises au Kremlin qualifient le président russe pour apprécier les risques stratégiques que font peser sur son pays les prolongements vers la Crimée de la crise ukrainienne. Il a notamment eu de bonnes raisons de penser que le nouveau gouvernement de Kiev ne respecterait pas l'accord (conclu en 2010 par Viktor Ianoukovitch) autorisant la flotte russe de la mer Noire à utiliser les facilités portuaires de Sébastopol jusqu'en 2042. Aussi, l'une au moins des raisons du référendum organisé le 16 mars en Crimée (ni plus ni moins légal que le changement de pouvoir de la fin février à Kiev) était bel et bien « militaire » : lever tout obstacle à la présence navale de la Russie dans les mers du Sud.

Encore faut-il bien souligner un autre point commun, nettement plus pacifiste, entre Poutine et son peuple. Le premier a répété très clairement qu'il entendait placer le reste de sa carrière politique sous le signe du développement économique, son pays n'étant plus, selon lui, une superpuissance. Le second avoue quant à lui qu'il apprécie toujours davantage les agréments d'une vie quotidienne confortable et paisible ; tout en gardant certains principes, il n'est plus prêt à « mourir pour des idées ».

En somme, voilà qui prédéfinit bien les limites de l'action de la Russie dans une crise ukrainienne où elle tente surtout de sauver les meubles ; mais pour laquelle elle mérite d'autant moins d'être sanctionnée qu'elle ne l'a pas provoquée. Et qu'elle ne cherchera certainement pas à l'aggraver. ■

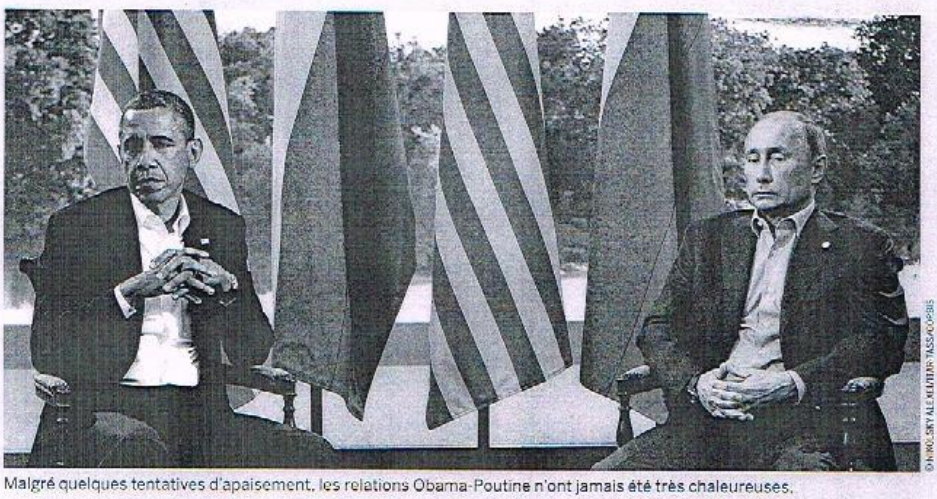

Malgré quelques tentatives d'apaisement, les relations Obama-Poutine n'ont jamais été très chaleureuses.

Plus puissant que Barack Obama ?

Coup de tonnerre le 30 octobre 2013. Comme chaque année, le magazine américain *Forbes* publie son classement des hommes et femmes les plus puissants de ce monde et, comme chaque année depuis 2009, chacun s'attend à ce que Barack Obama occupe la tête du classement. Stupeur : c'est Vladimir Poutine que le magazine, pas spécialement russophile, a placé sur la première marche du podium. Le maître du Kremlin précède, dans l'ordre, Barack Obama, Xi Jinping, le pape François, Angela Merkel et Bill Gates. David Cameron est onzième, Warren Buffett treizième. Jeff Bezos, le PDG d'Amazon, est quinzième et précède François Hollande (dix-huitième).

Pour justifier son choix, *Forbes* argumente : en 2013, Poutine a clairement renforcé son pouvoir sur son pays, mais aussi sur la scène internationale. Notamment en Syrie, où ses initiatives visant à soutenir le régime de Bachar al-Assad ont été jugées habiles et efficaces. À l'inverse, Obama a connu une année compliquée sur le plan intérieur, culminant avec le fameux épisode du *shutdown* durant lequel plusieurs services publics ont dû fermer leurs portes, les fonctionnaires ne pouvant momentanément plus être payés du fait du conflit opposant parlementaires républicains et démocrates sur le vote du budget et le relèvement du plafond de la dette publique. Obama a aussi souffert sur le plan international (le classement a été établi avant le succès des négociations sur le nucléaire iranien) avec les tergiversations sur la Syrie ou le scandale des écoutes de la NSA.

Il n'empêche : pour les Anglo-Saxons, le choc est rude, et les réactions d'hostilité ne se font pas attendre. *Forbes* a dû apporter quelques précisions, expliquant notamment que son classement établissait une hiérarchie entre des individus et non entre des pays. « Par choix, rappelle Steve Forbes, le rédacteur en chef du groupe, Obama a décidé de se mettre en retrait sur le plan international. Les diplomates sont étonnés de voir à quel point il prépare peu les grandes rencontres internationales. C'est délibéré : le président estime que les États-Unis ont fait plus de mal que de bien en intervenant dans les affaires de la planète. C'est pourquoi il a laissé nos alliés français et anglais prendre l'initiative en Libye tout en pratiquant le *lead from behind* [diriger depuis l'arrière]. » L'ambition d'Obama, ajoute Steve Forbes, serait « de réduire l'influence américaine sur la scène mondiale à celle d'un pays comme la Belgique ou l'Albanie ».

Vladimir Poutine, lui, est visiblement dans un tout autre état d'esprit. ■ O.M.

« Quand je serai grand, je serai espion »

Qui est Vladimir Poutine ? C'est souvent dans l'enfance que se trouvent les clés de la personnalité. Un livre de Mémoires, inédit en France, évoque un gamin bagarreur, fasciné par les romans d'espionnage et peu enclin à exprimer ses émotions. Retour sur la jeunesse de l'un des hommes les plus puissants du monde.

Par Juliette Morillot

ON A TOUT LU sur l'homme fort de la Russie, son passé au KGB, son ascension vers le pouvoir, son goût pour le sport. Les photos ne manquent pas : qui n'a pas admiré la musculature virile du maître du Kremlin, un jour fier cavalier, l'autre nageur émérite, dévalant les pistes noires de Sotchi ou encore sauvant une équipe de journalistes de l'attaque d'un tigre féroce ? Et pourtant, que sait-on de cet homme qui, soutenu par son peuple, défie l'Occident et attise le spectre d'un retour à la guerre froide ?

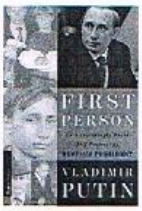

First Person - An Astonishingly Frank Self-Portrait, by Russia's President, Vladimir Putin, de Nataliya Gevorkyan, Nataliya Timakova et Andrei Kolesnikov, éd. Public Affairs Reports, 2000.

Un étonnant recueil de souvenirs de Poutine, sous forme d'interviews fidèlement retranscrites par trois journalistes, *First Person - An Astonishingly Frank Self-Portrait*[1] évoque la jeunesse peu connue du président russe. Dans cet autoportrait, publié à l'origine en russe à la veille des élections présidentielles de 2000, Poutine s'exprime, mais aussi ses amis d'enfance, son institutrice, son épouse (dont il a depuis divorcé, en 2013), apportant un éclairage peu connu sur la jeunesse du petit Volodia (diminutif de Vladimir que nous adopterons dans ce texte pour parler de l'enfant et de l'adolescent), qui, selon ses propres termes, était un « pur produit de l'éducation patriotique soviétique ».

Un grand-père au service de Staline

Vladimir Poutine parle volontiers de son enfance, même s'il reconnaît ignorer en grande partie le passé de ses parents. « Ma famille paternelle était très modeste. Mon grand-père Spiridon était cuisinier. Un simple cuisinier. Mais sans doute était-il plutôt doué car, après la Première Guerre mondiale, il a travaillé pour la famille de Lénine, dans la banlieue de Moscou. » À la mort de Lénine, en 1924, Spiridon est embauché par sa femme, Nadejda, avant d'être, quelques années plus tard, transféré dans l'une des datchas de Staline, dont il aurait été le cuisinier. Spiridon est l'un des hommes que Poutine admire le plus. « Je me souviens bien de lui, dit-il, pour lui avoir souvent rendu visite des années plus tard, dans le sanatorium d'Ilinski, où il travaillait. » De quelle nature était la relation entre le grand-père et le petit-fils ? Le vieil homme lui parla-t-il de Staline ? Poutine balaie l'idée. « Mon grand-père ne parlait pas du passé. Mon père non plus. À cette époque-là, les gens ne parlaient pas du passé. » •••

Le petit Vladimir Poutine (5 ans et demi) et sa mère Maria Ivanovna, à Leningrad, en juillet 1958.

Les photos de ce dossier, pour la plupart inédites, proviennent de la collection personnelle de Vladimir Poutine.

© EASTNEWS

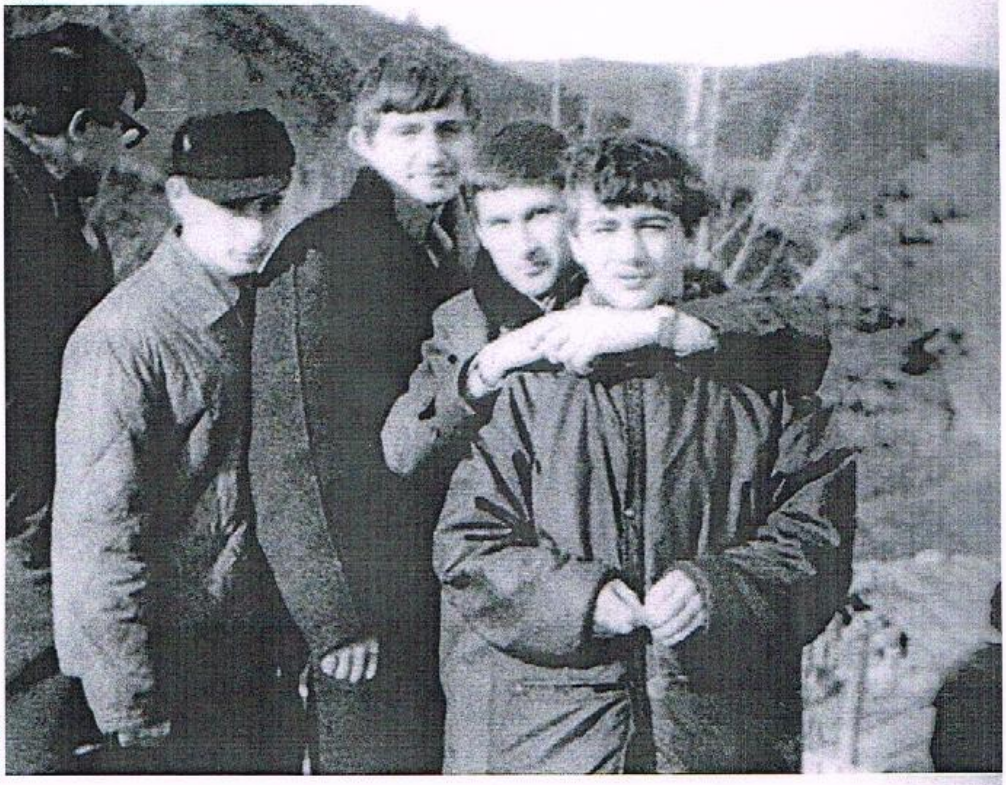

© EASTNEWS

Vladimir Poutine (à gauche avec la casquette) en 1969, lors d'un voyage à Tbilissi, en Géorgie, à l'occasion d'une compétition de judo.

••• Et embraie sur ses parents. « Mon père, Vladimir Spiridonovitch, est né à Saint-Pétersbourg en 1911. Au lendemain de la Première Guerre mondiale, la vie était difficile dans les villes. Sa famille a déménagé dans le village de ma grand-mère, à Pominovo, dans la région de Tver. C'est là que mon père a rencontré ma mère, Maria. »

En 1932, le jeune couple est envoyé dans le cadre de la collectivisation à Leningrad, où il reçoit un appartement. Une distinction appréciée à l'époque. Maria Ivanovna Chelomova est ouvrière et Vladimir Spiridonovitch Poutine est enrôlé dans l'armée.

« Quand la Grande Guerre patriotique [c'est ainsi que les Russes désignent le conflit qui les oppose à l'Allemagne nazie de 1941 à 1944] a éclaté, mon père est parti au front, comme volontaire. Ma mère n'a pas voulu fuir. Elle est restée chez nous avec mon grand frère Oleg, encore nourrisson. La vie était dure, mais ils n'ont pas fait appel à mon grand-père parce que, en ce temps-là, les gens ne demandaient pas de passe-droits. Mon oncle, officier naval, l'a aidée en lui donnant ses rations. Lorsqu'il a été transféré hors de Leningrad, ma mère s'est retrouvée seule. Elle a connu la famine. Je n'exagère pas. Un jour, elle a perdu connaissance. Les gens, croyant qu'elle était morte, ont jeté son corps sur une pile de cadavres. Par miracle, elle a survécu. »

Deux parents survivants

Tandis que Maria Ivanovna meurt de faim, Vladimir Spiridonovitch combat sur le front. Assigné dans un premier temps dans les « bataillons d'extermination » du NKVD (ancêtre du KGB), il participe à de dangereuses opérations de sabotage derrière les lignes ennemies. Puis il est envoyé dans la poche Nevski, sur la rive gauche de la Neva.

sorte de Stalingrad en miniature que jamais les Allemands ne purent prendre malgré leurs efforts. Vladimir Spiridonovitch est grièvement blessé par une grenade.

« Ce fut un massacre monstrueux, précise Poutine. – Mais le prix à payer n'était-il pas démesuré pour un si petit terrain ? », lui demande la journaliste Nataliya Gevorkyan. « Pendant une guerre, répond alors Poutine, les erreurs sont inévitables. Au combat, si on passe son temps à se dire que les autres font des erreurs, on ne peut pas gagner. Il faut rester pragmatique et garder à l'esprit que l'on va gagner. »

Le siège de Leningrad se poursuivra encore plus de neuf cents jours. Pendant lesquels Vladimir Spiridonovitch donne en secret ses rations alimentaires à Maria Ivanovna quand elle vient le voir à l'hôpital. Sans nourriture, lui continue de s'affaiblir. À la fin du blocus, en 1944, sur les 3 millions d'habitants que comptait la ville, 1,5 million sont morts de faim et de maladie ; 200 000 ont péri sous les bombes et 560 000 ont été évacués. Parmi les survivants : Vladimir Spiridonovitch et Maria Ivanovna.

Quand Volodia chassait les rats

C'est dire que, lorsque le petit Volodia pousse ses premiers vagissements à Leningrad le 7 octobre 1952, il est accueilli comme l'enfant de l'espoir. Le symbole d'une vie qui doit reprendre, coûte que coûte. Ses parents ont tous les deux 41 ans. Ils ont souffert, beaucoup souffert, et portent les stigmates de la guerre : Vladimir Spiridonovitch, handicapé, boite et Maria Ivanovna se bat contre les carences dues à la malnutrition. Ils ont déjà perdu deux petits garçons, le premier né – et mort – peu après leur mariage en 1928, le second, Oleg, emporté par la diphtérie pendant le siège de Leningrad, en 1942.

Après la démobilisation, Vladimir Spiridonovitch, désormais ouvrier qualifié à l'usine Egorov de pièces détachées pour le rail et l'automobile, se voit attribuer en 1944 une pièce dans un appartement communautaire, 12, chemin Baskov, au centre de Leningrad. « L'appartement qu'ils partagent avec deux autres familles, raconte Vera Dimitrievna Gourevitch, l'institutrice de Poutine, est sombre, glacial et insalubre. Il n'y a ni eau chaude, ni toilettes décentes. » On accède à la pièce des Poutine, au cinquième étage, par un escalier branlant auquel il manque des lattes. C'est là, sur ses marches, que le petit Volodia passera une bonne partie de son enfance. Avec les gamins du coin. Petit caïd parmi les petits caïds du quartier.

Ses souvenirs sont vivaces. « Sur ces escaliers, j'ai compris une bonne fois pour toutes ce que signifiait être acculé. L'immeuble était envahi de hordes de rats, jusque devant l'entrée. Mes copains et moi passions nos journées à les chasser avec des bâtons. Un jour, j'en ai repéré un énorme que j'ai réussi à coincer dans un angle. Il était piégé. Mais tout à coup il a filé comme une flèche et s'est précipité sur moi. Tout s'est inversé. C'était le rat qui me poursuivait. Il a sauté sur le palier et a dévalé les marches. Heureusement j'ai été plus rapide que lui et je lui ai claqué de justesse la porte au nez. Je n'ai jamais oublié cette leçon. »

Le petit Volodia a déjà 8 ans quand il entre à l'école. D'une part parce qu'il est né en octobre, d'autre part parce que l'école primaire démarre traditionnellement en Russie après l'anniversaire des 7 ans.

« Je n'avais aucune envie d'aller à l'école. Je préférais jouer dans la cour de l'immeuble. Ma mère me laissait m'amuser dehors, à la condition que je ne m'éloigne pas. Je n'ai jamais désobéi. Sauf une fois. C'était en plein hiver et j'ai pris le train avec des copains. Nous avons quitté la ville et nous nous sommes perdus. » À son retour, le jeune vaurien reçoit une monumentale raclée paternelle à coups de ceinturon de cuir.

« Contrairement à son mari, sévère et autoritaire, Maria Ivanovna était une femme douce et dévouée », tempère l'institutrice Vera Dimitrievna Gourevitch. Très •••

> « Pendant une guerre, les erreurs sont inévitables. Il faut rester pragmatique et convaincu de sa propre victoire. »

••• pieuse, elle a insisté pour que le petit Volodia soit baptisé. Vladimir Spiridonovitch, communiste convaincu, membre du Parti, fermait les yeux devant les escapades de sa femme à l'église. Des années plus tard, alors que Vladimir Poutine s'apprête à partir en voyage officiel à Jérusalem, sa mère lui glissera un petit objet dans la main : sa croix de baptême pour la faire bénir. « Je l'ai mise autour de mon cou et depuis je ne l'ai jamais quittée[2] », raconte Poutine qui, aujourd'hui encore, demeure profondément croyant.

« Il traînait avec les petites frappes du quartier. Quand il y avait une bagarre, il était toujours de la partie. » Vera Gourevitch, institutrice

« Je ne détestais pas l'école. Tout du moins aussi longtemps que j'ai réussi à me faire respecter et à garder ma position de "leader silencieux". Je n'essayais pas de commander aux autres. Je préférais garder mon indépendance. Si je devais aujourd'hui qualifier mon rôle de l'époque, je dirais que je privilégiais le judiciaire à l'exécutif ! Mais cela n'a pas duré. J'ai vite compris que mes talents en cour de récréation et dans les rues ne suffiraient pas à m'assurer le statut social que je convoitais. J'ai donc décidé de travailler et de devenir bon élève. Avant, je n'étais qu'un cancre, un petit voyou. J'ai commencé à faire du sport vers 10 ou 11 ans. J'avais compris que ma simple nature combative ne ferait jamais de moi le roi de mon quartier. J'ai donc démarré la boxe. Je me suis fait casser le nez. La douleur était insupportable mais j'ai refusé de voir un médecin. Je savais que cela guérirait tout seul. J'ai arrêté la boxe et démarré le sambo, une invention soviétique, mi-judo, mi-lutte... C'est à cette époque que j'ai commencé à m'entraîner régulièrement dans un gymnase près de chez moi. Sans le sport, je ne sais pas ce que j'aurais fait de ma vie. C'est le sport qui m'a sorti de la rue. »

Vladimir Poutine à 18 ans lors d'une fête en 1970. Adolescent plutôt timide avec les filles, il apparaît ici avec Elena, une camarade.

Une graine de voyou

Vera Dimitrievna Gourevitch se souvient bien des mauvaises fréquentions du petit Volodia : « Il traînait tout le temps avec les petites frappes du coin. Notamment les deux frères Kovcho... Ils faisaient les quatre cents coups ensemble, escaladaient les garages, les maisons. Quand il y avait une bagarre, on pouvait être sûr qu'il était de la partie. Cela aurait pu mal tourner. Cela mettait le père de Volodia dans une colère noire. Et puis, d'un jour à l'autre, à partir de la sixième, Volodia s'est calmé. De toute évidence il s'était donné un but et s'y tenait. C'est à cet âge-là qu'il est entré dans les Jeunesses communistes : il a enfin été accepté chez les Pionniers. Il ne lui a pas fallu longtemps pour devenir un leader respecté. Les autres se tournaient vers lui pour lui demander conseil.

Mais, pour autant, Volodia n'était pas un ado typique. Il traînait avec les autres. Il prenait volontiers sa guitare pour chanter du Vyssotski, dont il connaissait toutes les chansons, à l'époque encore interdites, mais il jouait pour son propre plaisir. La danse, les fêtes, l'alcool, ce n'était pas son truc. Les filles lui tournaient autour mais cela ne l'intéressait pas. Volodia est quelqu'un qui n'aime pas la précipitation. Il est fondamentalement

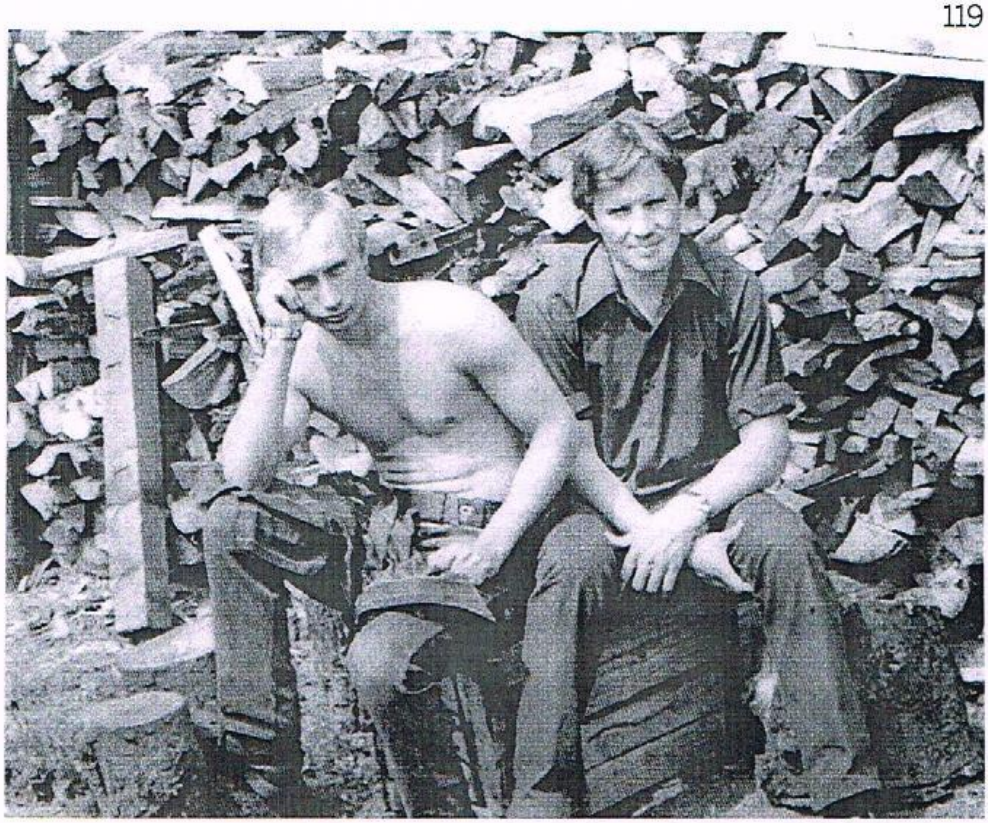

© EASTNEWS

Photo non datée de Vladimir Poutine et Alexandre Grigoriev (sans doute dans les années 1980). Alexandre Grigoriev dirigea l'antenne du FSB (qui succéda au KGB) à Leningrad de 1995 à 2001.

bon, mais je crois qu'il n'est pas du genre à pardonner à ceux qui le trahissent. A la fin du lycée, il nous a annoncé qu'il voulait faire du droit. Du jour au lendemain. Là encore, rien ne le laissait présager. »

Poutine décide donc. Sans consulter personne. Et sans que personne ne comprenne pourquoi, tout à coup, il décide de faire du droit alors qu'il avait une carrière de sportif, d'ingénieur, voire de pilote toute tracée. Il s'obstine. Lui seul sait où il veut aller et comment il y parviendra.

Fasciné par les romans d'espionnage

« Dès le collège, j'ai su que je voulais devenir agent secret. Entrer au KGB. Les terribles purges en 1937 ? Je n'y ai jamais pensé. J'étais un fan de romans d'espionnage. Un de mes livres préférés, c'était *Le Glaive et le Bouclier*[3]. Ou encore la série télévisée *Dix-Sept Moments du printemps*, l'histoire d'un espion soviétique au cœur du régime nazi. Ce qui me fascinait, c'était l'idée qu'à lui seul, un homme pouvait accomplir ce que des armées ne réussiraient jamais à faire ! Un espion peut décider du sort de milliers de gens. Ça me plaisait. Tout cela était si clair dans ma tête qu'en classe de troisième j'ai décidé de voir par moi-même comment on devenait agent secret. Je suis donc allé au centre du KGB à Leningrad. Un type m'a demandé ce que je voulais. J'ai répondu tout de go : "Je veux travailler pour vous." Ce à quoi il a rétorqué : "Fort bien, mais sache que, d'une part, on ne prend jamais de candidatures volontaires et que, d'autre part, il faut avoir fait l'armée ou bien avoir un diplôme supérieur en poche. De préférence de droit." Dès lors, ma décision était prise. Personne n'aurait pu m'arrêter, même ● ● ●

[2] In *Putin's Choice*, de Richard Sakwa, éd. Routledge, 2008
[3] Roman de Vadim Kojevnikov paru en 1965.

••• si mes parents et mes coachs sportifs ont tout fait pour m'en dissuader. »

Poutine s'inscrit donc, contre l'avis de sa famille, à la faculté de droit. Sans abandonner le sport pour autant. En 1976, il devient même champion de judo de Leningrad.

Un jour, sa mère gagne à une loterie une voiture, une Zaporojets 966. La famille ne roule pas sur l'or et aurait pu en tirer au moins 3 500 roubles, une petite fortune pour l'époque. Mais Maria Ivanovna décide d'en faire cadeau au jeune homme, en troisième année de droit. Un bon souvenir pour Poutine : « Je conduisais comme un fou. Je n'avais qu'une peur : avoir un accident et ne pas pouvoir payer les réparations. » De fait, quelques mois plus tard, alors que le jeune conducteur s'en donne à cœur joie dans les rues de Leningrad, il renverse un homme. Le reste de l'histoire est entouré de mystère. L'homme, raconte-t-on, se serait relevé pour être aussitôt pourchassé par la Zaporojets.

« Ce n'était pas ma faute. Il s'est jeté sous mes roues, explique Poutine, manifestement irrité par les questions de la journaliste qui l'interroge sur la fameuse rumeur. Il a sans doute voulu mettre fin à ses jours. C'était un imbécile. Il s'est enfui après l'accident. Mais je ne l'ai pas pourchassé. Comment peut-on imaginer que je renverse un homme et le poursuive ? Je ne suis pas une bête furieuse ! » Un peu plus tard, Poutine ajoute : « Je sais rester calme dans toutes les situations. Même trop calme. On m'en a d'ailleurs fait le reproche pendant mes années de formation au KGB. J'ai eu un commentaire très négatif sur mon évaluation de personnalité : "Sous-estime le danger".

© EASTNEWS

Vladimir Poutine travailla pour le KGB de 1975 à 1991. Ayant perdu ses illusions après la chute du mur de Berlin en novembre 1989, il décida dans un premier temps de reprendre ses études et de passer son doctorat. Mais se lança finalement dans la politique.

« Je sais rester calme dans toutes les situations. Au KGB, on m'a reproché de sous-estimer le danger. C'est un véritable défaut. »

C'est un véritable défaut, sur lequel j'ai beaucoup travaillé. La peur, comme la douleur, est un indicateur. »

On ne connaît guère d'amourettes à Poutine. Volodia fréquente toutefois pendant plusieurs années une jeune étudiante en médecine. L'affaire est sérieuse et les deux tourtereaux décident de se marier. Mais à la veille du mariage, Poutine rompt.

« Tout était prêt. Nous avions obtenu notre licence de mariage. Nos parents avaient tout préparé : la robe, le costume, la bague. Cette annulation a été l'une de choses les plus difficiles que j'aie jamais faites de ma vie. Je me suis senti vraiment nul. Mais j'ai décidé qu'il valait mieux souffrir tout de suite que plus tard. »

Pour l'un des meilleurs amis de Poutine, Serguei Roldouguine (qui est aujourd'hui le parrain de sa première fille, Macha, née en 1985 de son mariage avec Lioudmila Alexandrovna Chkrebneva, une hôtesse de l'air rencontrée quelques années plus tôt), cet

épisode est caractéristique de l'incapacité de Poutine à exprimer ses émotions.

« Poutine n'a jamais su montrer ses sentiments, et pourtant c'est quelqu'un de très émotif. À cette époque-là, se souvient Serguei, il parlait vite, bien trop vite, en avalant ses mots. En tant que violoncelliste, et donc habitué au trac de la scène, j'ai essayé de lui apprendre à se contrôler et à gérer ses flux d'émotions. Mais cela n'a jamais marché. Aujourd'hui, il est devenu un excellent orateur, mais j'ignore où et comment il a appris à parler. »

Ses amis se souviennent encore d'un bon copain qui aimait bien parler de politique mais ne s'intéressait ni aux grands discours, ni à l'idéologie. Un pragmatique, « russe jusqu'au cœur », qui excellait dans l'art des blagues antisoviétiques... les plus nulles !

Enfin agent secret !

Le jeune Poutine, quant à lui, piaffe d'impatience. Il est inquiet : et si le KGB ne se manifestait pas ? Lui seul sait pourquoi il s'est lancé dans des études de droit. Cependant les années passent. Il s'en veut d'être allé les voir quand il était lycéen. Et si le KGB avait mal interprété sa démarche ? Mais le grand jour arrive enfin : il est en quatrième année de droit quand un homme se présente à lui, énigmatique : « Je voudrais parler avec vous de votre future carrière, mais je ne peux être plus précis aujourd'hui. » Poutine comprend. D'autres se sont laissé piéger par cette incertitude et ont demandé des précisions : quel poste ? où ? Assez pour que le KGB ne leur propose plus jamais rien. Poutine, lui, « sait » et répond sobrement « d'accord ». Quand, plusieurs semaines plus tard, l'homme revient et lui annonce enfin que c'est au KGB qu'il travaillera, Poutine, qui n'a pas oublié la mise en garde de l'homme à propos des candidatures volontaires, cache sa joie. Et se garde bien dire qu'il attend ce moment depuis l'âge de 16 ans...

En 1975, il passe son diplôme de droit avec, comme superviseur académique, un certain Anatoli Sobtchak, le futur maire de Saint-Pétersbourg. L'année suivante, Poutine entre au KGB. Le chemin du gamin qui se rêvait en James Bond est enfin tracé. ■

LA CHUTE

C'est seul que Poutine arrive en Allemagne de l'Est en août 1985. Âgé de 32 ans, il vient de terminer ses études au KGB et attend que sa famille le rejoigne : Lioudmila, épousée en 1983, une jeune hôtesse de l'air diplômée d'espagnol, et Macha, leur première fille. Le bébé est né en avril à Leningrad, alors que son père, renommé Platov – le KGB donne des pseudonymes à ses membres –, perfectionnait sa formation au prestigieux Institut du Drapeau rouge à Moscou. Poutine, qui parle remarquablement bien allemand, langue apprise dès l'école primaire, est chargé de recruter des agents pour infiltrer les secteurs scientifiques occidentaux. Rien de très spectaculaire pour ce premier poste à l'étranger, qui aurait pu se dérouler tranquillement entre parties de pêche et chopes de bière (Poutine prit une dizaine de kilos pendant son séjour en Allemagne) si la chute du mur de Berlin, en novembre 1989, n'y avait brutalement mis fin.

« 1985, c'est le début de la perestroïka, raconte Lioudmila, on savait bien que tout changeait mais on croyait encore à l'URSS. » Poutine, lui, est choqué par cette Allemagne qu'il découvre : « La RDA de l'époque, c'était un pays violemment totalitaire. Comme l'URSS, mais trente ans auparavant. » En décembre 1989, un mois après la chute du mur de Berlin, le bâtiment du KGB où il travaille est assiégé. La foule est agressive. Poutine et ses collègues s'inquiètent et décident d'appeler Moscou à la rescousse. Mais Moscou ne répond plus. Pour Poutine, les choses sont désormais claires. « Ce jour-là j'ai compris qu'une politique fondée sur des murs et des divisions était vouée à l'échec. »

Quelques années plus tard, à Saint-Pétersbourg, Poutine évoquera la chute du Mur avec Henry Kissinger. Les deux hommes sont seuls, dans une voiture, avec un interprète. Kissinger interroge Poutine sur son passé. Son poste à Dresde. Ses études. L'armée. Et, bien sûr... le KGB ! Sujet sur lequel Kissinger met aussitôt Poutine à l'aise : « Tous les gens bien commencent dans le renseignement ! C'est ce que j'ai fait moi aussi. »

« Ensuite, se souvient Poutine, Kissinger m'a dit quelque chose de complètement inimaginable : "Je pense que l'Union soviétique n'aurait pas dû abandonner l'Europe de l'Est aussi vite. Nous avons modifié l'équilibre du monde trop rapidement, ce qui ne pouvait que conduire à des conséquences indésirables. Aujourd'hui, je ne comprends toujours pas pourquoi Gorbatchev a fait cela." »

« Je n'aurais jamais pu imaginer entendre cela de la part de quelqu'un comme lui, conclut Poutine, et, pour tout vous dire, je suis persuadé que, si les Soviétiques n'avaient pas fait une sortie si précipitée de l'Europe, nous aurions évité des tas de problèmes. » ■ J.M.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر والمراجع باللغة العربية

الكتب

1. أمين، سمير ، إمبراطورية الفوضى، بيروت: دار الفارابي، شركة المطبوعات اللبنانية الطبعة الأولى،1991.
2. أمين، سمير وآخرون، العولمة والنظام الدولي الجديد، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى 2014.
3. اسكندر، مروان، الدب ينقلب نمرا. روسيا: الولادة الجديدة، بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ط1 2011.
4. إدريس، محمد السعيد، تحليل النظم الإقليمية، دراسة في أصول العلاقات الدولية الإقليمية، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، 2001.
5. الحاج، علي، سياسات دول الاتحاد الأوربي في المنطقة العربية بعد الحرب الباردة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى: فيفري 2005.
6. السيد حسين، عدنان، نظرية العلاقات الدولية، بيروت: دار أمواج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2003.
7. السيد سليم، محمد، تحليل السياسة الخارجية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، 1998.
8. العيسوي، محمد فايز، الجغرافيا السياسية المعاصرة، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى، 2003.
9. الشيخ، نورهان، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية–الروسية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.
10. بريجينسكي، زيبغنيو، الاختيار: السيطرة على العالم أم قيادة العالم، ترجمة: عمر الأيوبي، بيروت: دار الكتاب العربي،2004.
11. بلقزيز، عبد الإله، حرب الخليج والنظام الدولي "الجديد"، الوطن العربي إلى أين؟ لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، جويلية 1993.
12. بونيفاس، باسكال، الحرب العالمية الرابعة، ترجمة وتقديم: أحمد الشيخ، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، المركز العربي للدراسات الغربية، الطبعة الأولى، جانفي 2006.
13. بيليس جون، سميث ستيف، عولمة السياسة العالمية، الإمارات العربية المتحدة: مركز الخليج للأبحاث، الطبعة الأولى، 2004.

14. دوغين ألكسندر، أسس الجيوبوليتيكا، مستقبل روسيا الجيوبوليتيكي، تعريب وتقديم الدكتور عماد حاتم، بيروت: دار الكتاب الجديد، ط 2004.
15. دورتي جيمس، بالستغراف روبرت، النظريات المتضاربة في العلاقات الدولية، بيروت: كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع، ديسمبر 1985.
16. ديريك لوتربيك، جورجي إنغلبريخت، الغرب وروسيا في البحر الأبيض المتوسط: نحو تنافس متجدد، الامارات العربية المتحدة: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1 2010.
17. هاس ريتشارد، أوسوليفان ميجان،□محرران□، العسل والخل: الحوافز والعقوبات والسياسة الخارجية، ترجمة: إسماعيل عبد الحكم، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى،2002.
18. ويلكنسون، بول، مقدمة قصيرة جدا. العلاقات الدولية، ترجمة لبنى عماد تركي، القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2013.
19. زكرياء، فريد، من الثروة إلى القوة: الجذور الفريدة لدور أمريكا العالمي، القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، الطبعة الأولى، 1999.
20. زبيغنيو، بريجينسكي، رؤية استراتيجية. أمريكا وأزمة السلطة العالمية، ترجمة فاضل جتكر، بيروت: دار الكتاب العربي،2012.
21. زيدان ناصر، دور روسيا في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا من بطرس الأكبر حتى فلاديمير بوتين، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1 2013.
22. طحان أحمد، حتمية التغيير في الشرق الأوسط الكبير، العراق، سوريا، السعودية، مصر، إيران، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 2006.
23. لاكوير، وولتر، البوتينية. روسيا ومستقبلها مع الغرب، ترجمة: فؤاد زعرور، بيروت: دار الكتاب العربي، ط 2016.
24. مليتشين، ليونيد، تاريخ روسيا الحديثة من يلتسين إلى بوتين، ترجمة وإعداد: طه الولي، دمشق: دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، ط1 2001.
25. ناي، س، جوزيف□الابن□، مفارقة القوة الأمريكية، تعريب: محمد توفيق البجيرمي، الرياض: مكتبة العبيكان ،الطبعة الأولى ،2003.
26. س.غ. لوزيانين، عودة روسيا إلى الشرق الكبير، ترجمة هاشم حمادي، سورية: دار المدى للثقافة والنشر، ط1 2012.
27. ستيف سميث،" مقاربات جديدة للنظرية الدولية"، في جون بيليس، ستيف سميث، عولمة السياسة العالمية، ترجمة مركز الخليج للأبحاث، الإمارات العربية المتحدة: مركز الخليج للأبحاث، ط1 2004.
28. عبد الحي، وليد، وآخرون، آفاق التحولات الدولية المعاصرة، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، مؤسسة عبد الحميد شومان، الطبعة الأولى، 2002.

29. عمارة، سامي، بوتين. صراع الثروة والسلطة، الجيزة: دار نهضة مصر للنشر، ط 2016.
30. ريحانا، سامي، العالم في مطلع القرن 21، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1998.
31. رزيق المخادمي، عبد القادر، القواعد العسكرية الأمريكية الروسية ومخاطرها على الأمن الدولي، القاهرة/الجزائر: نشر مشترك بين الدار الجزائرية للنشر والتوزيع ودار الفجر للنشر والتوزيع، ط1 2015.
32. ـــــــــ، ـــــــــ، مشروع الشرق الأوسط الكبير، الحقائق والأهداف والتداعيات، بيروت: الدار العربية للعلوم، ط1 2005.
33. شكري كتن، جورج، العلاقات الروسية–العربية في القرن العشرين وآفاقها، الامارات العربية المتحدة: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط1 2001.
34. تلحمي، شبلي، المخاطر: أمريكا في الشرق الأوسط. عواقب القوة وخيار السلام، نقله إلى العربية ثائر ديب، الرياض: مكتبة العبيكان، ط1 2005.
35. خليل قلعجية، وسيم، روسيا الأوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط2 2017.
36. ذنون الطائي، طارق محمد، الفكر الاستراتيجي الروسي في القرن الواحد والعشرين، (دراسة تحليلية في ضوء الوثائق الرسمية الروسية)، عمان: شركة دار الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1 2016.
37. غليون، برهان، العرب وتحولات العالم: من سقوط جدار برلين إلى سقوط بغداد، حوار أجراه رضوان زيادة، المغرب: المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2003.

المجلات والدوريات

1. بورشيفكايا آنا، روسيا في الشرق الأوسط، الدوافع – الآثار – الآمال، مراجعة وترجمة مركز إدراك للدراسات والاستشارات، واشنطن: معهد واشنطن،2016.
2. بارتولد، ف.ف، معرفة العرب بالروس، نقلها عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم، في مجلة دراسات، مجلد 14، العدد 10، 1987.
3. زاسيبكين ألكسندر، وآخرون، روسيا والعالم العربي، بيروت: معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية في الجامعة الأمريكية، 2017.
4. فرح، سهيل، "الجيوبوليتيك الروسي: ملامح القوة والضعف"، في: شؤون الأوسط، بيروت، مركز الدراسات الاستراتيجية، ال عدد112، خريف 2003.
5. فولينيك أليكسندر، المصالح الاقتصادية الروسية في الشرق الأوسط، في: مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد26، ربيع 1996.

ثانيا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

1-Books

1-Andrew Moravcsik, « Robert Keohane: Political Theorist » in: Helen V. Milner, Andrew **-1** Moravcsik, Power, Interdependence, And Non state Actors in World Politics

2-Arnaud Leclercq, La Russie Puissance D'Eurasie, Histoire Géopolitique Des Origines à .Poutine, ellipses Edition marketing S.A. paris 2012.

3-Baylis, john. smith, Steve, The Globalization Of World Politics, London.Oxford University Press, Third Edition, 2003.

4-Beaud, Michel, L'Art De La Thèse : Comment Préparer Et Rédiger Une Thèse De Doctorat, De Magister Ou Un Mémoire De Fin De Licence, Guides Approches, Alger : Casbah Editions, 2005.

5-Bertrand Badie Et Gyy Hermet, Politique Comparee, paris,puf,coll. » theme , » le dialogue de l'ordre et du desordre, » in : la querelle du determinisme,dossier reuni par k.pomain, paris, le debat/gallimard,1990.

6-Colin Elman, 'Why Not a Neorealist Theory of Foreign Policy?' Security .Studies, Vol. 6, No. 1, 1996

7-David Teurtrie, Géopolitique De La Russie, Intégration Régionale, Enjeux Energétiques, Influence Culturelle.

8-Eugène Berg . La Russie Pour Les Nuls.

9-Erik Jones, "Look for the Blind Spot where Structural Realism Meets Pluralistic Stagnation". *The British Journal of Politics and International Relations*, Vol.11.2009.

10-Fréderic Lasserre, Emmanuel Gonon, Manuel De Geopolitique.Enjeux De Pouvoir Sur Des Territoires, Armand Colin, Paris,2008, 2009 Pour La Présente Impression.

11-Fareed Zakaria, From Wealth to Power: The Unusual Origins of America's World Role Princeton, NJ: Princeton University Press, 1998.

12-Gérard Dessoy, Quelle Géopolitique Au XX^{e} Siècle ?, Paris : les éditions complexa, collection1
Théorie politique, 2001.

13-Giesen ,g ,k,L'ethique,anglo-americaine,les theories des relation internationales contemporaines. Bruylant,bruxelle. 1992.

14-Georges Mutin, géopolitique du monde arabe, Ellipses Edition Marketing S.A., Paris, 2009.

15-Hélène Blanc, Goodbye, Poutine. Union Européenne- Russie- Ukraine, (ouvrage collectif sous la direction éditoriale d'Hélène blanc), Collection « Pencée Sans Frontières », Ginkgo Editeur Pour La Présente Edition, Paris 2015.

16-HERVE COUTAU-BEGARIE, **MARTIN MOTTE**, Approches De La Géopolitique De L'antiquité Aux XXI^{e} Siècle, Ecoles De Saint-Cyr Coetquidan, 2^{e} Edition.

17-Jean Robert Jouanny ,Que Veut Poutine ?, Editions Du Seuil, 25, bd Romain-Rolland, Paris XIV^{e} Mars 2016.

18-Jean-Louis Martes, « L'utilisation De La Notion Systeme En Relations Internationales : L'autoregulation Et Le Changement Du Systeme International », Bordeaux,Actes Polycopies Des Seminaires Du Dea De Science Politique,1976.

19-Jean-Claude,« L'etude Experimentale Des Representation Sociales », In Les Representations Sociales, Sous La Direction De Deminse Jodelet , Paris ,Puf,1991.

20-Jean Jacques Roche ,Theorie Des Relations Internationales, Paris, Montchrestien,Coll »Clefs Politique, »1994.

21-Karine Bennafla Et Autres, Géopolitique Du Maghreb Et Du Moyen-Orient, Armand Colin Editeur., Editions Sedes, Paris, 2007.

22-Kenneth n. Waltz, Theory of International Politics (Reading, Ma: Addison–Wesley, 1979).

23-Morin Edgar, « Le Dialogue De L'order Et Du Desorder »,In La Querelle Du Determinisme,Dossier Reuni Par K.Pomian,Paris, Le Debat/Gallimard,1990.

24-Pierre lellouche, le nouveau monde. De l'ordre de yalta au desordre des nations, Paris,Grasset,1992.

25-Pascal Boniface, La Géopolitique, 42 Fiches Thématiques Et Documentées Pour Comprendre L'actualité, Groupe Eyrolles, Paris, Troisième Edition2016.

26-Pascal Marchand, Géopolitique De La Russie, Ellipses Edition Marketing S.A., Paris 2007.

27-Randall L. Schweller, 'Neo-Realism's Status-Quo Bias: What the Security Dilemma Is?' Security Studies, Vol. 5, No. 3 .1996.

28- ----------, ------- 'Bandwagoning for Profit: Bringing the Revisionist State Back in,' International Security, Vol. 19, No. 1.1994.

29-Stéphane Rosière Et Autres, Penser. L'espace politique, Ellipses Edition Marketing S.A., Paris, 2009.

30-Viatcheslav avioutskii, Geopolitique Continentales : Le Monde Au Xxie Siecle, Armand Colin, Paris 2006.

2- Periodicals & Articles

1-Anna Borshchevskaya, "Russia in Syria (part 1): Declining Military Capabilities Won't Hold Moscow Back," The Washington Institute for Near East Policy, September 8, 2015. http://www.washingtoninstitute.org/policy-analysis/view/russia-in-syria-part-i-declining-military-capabilities-wont-hold-moscow-bac.

2-Alpha Alhadi Koina. (2016). La Politique Étrangère De Vladimir Poutine. Scuola di scienze politiche. Url: https://www.researchgate.net/publication/295010997

3-Anthony, I. (1998). Economic dimensions of Soviet and Russian arms exports. *Russia and the Arms Trade*, 71-92. URL: https://www.sipri.org/sites/default/files/files/books/SIPRI98An/SIPRI98An04.pdf

4-Απριλίου (2015). Geopolitics & Daily News Magazine "Δίμηνη έκδοση Μαρτίου". URL: http://geopolitics.iisca.eu/?m=201504
5-Δεκεμβρίου (2015). Geopolitics & Daily News Magazine "Δίμηνη έκδοση Νοεμβρίου". URL: http://geopolitics.iisca.eu/?m=201512

6-Bacon, E. (2012). Public political narratives: developing a neglected source through the exploratory case of Russia in the Putin-Medvedev era. *Political Studies*, *60*(4), 768-786. URL: https://doi.org/10.1111/j.1467-9248.2011.00939.x

7-Bishara, A. (2015). Russian intervention in Syria: Geostrategy is paramount. *Arab Center for Research and Ploicy Studies. Research Paper*. URL: www.dohainstitute.org

8-Blandchard, C. M., Humud, C. E., & Nikitin, M. B. D. (2015). *Armed conflict in Syria: Overview and US response* (No. CRS-RL33487). Congressional Research Service Washington. URL: www.crs.gov

9-Blank, S. J. (2012). *Perspectives on Russian Foreign Policy*. ARMY WAR COLL STRATEGIC STUDIES INST CARLISLE BARRACKS PA. ISBN: 1-58487-536-4. URL: http://www.StrategicStudiesInstitute.army.mil/

10-Choumiline A. (2016). La diplomatie russe au Moyen-Orient : retour à la géopolitique Russie.Nei.Visions, n° 93. URL:

https://www.ifri.org/sites/default/files/atoms/files/rnv93_version_fr_final_protege_0.pdf

11-Deriglazova, L., Makarychev, A. S., & Reut, O. (2012). *Russian Foreign Policy: What is not seen from the Kremlin*. Centre for European Policy Studies, No. 365. ISBN: 978-94-6138-208-5. http://www.ceps.eu

12-Deudney, D. (2000). Geopolitics as theory: Historical security materialism. *European Journal of International Relations*, *6*(1), 77-107. URL: http://journals.sagepub.com/doi/abs/10.1177/1354066100006001004

13-Dussouy, G. (2001). *Quelle géopolitique au XXIe siècle?*. Editions Complexe. URL : http://classiques.uqac.ca/contemporains/dussouy_gerard/quelle_geopolitique_au_21e_s/dussouy_geopolitique_21e_s..pdf

14-Έκδοση επετειακή (2016). Geopolitics & Daily News Magazine "Ταυτότητα Περιοδικού". URL: http://geopolitics.iisca.eu/?m=201609

15-Estelle MENARD, Jean-Robert RAVIOT. (2018). Russie : la reconstruction du « hard power » et du « soft power » URL: https://www.diploweb.com/Web-radio-Diploweb-Russie-la-reconstruction-du-hard-power-et-du-soft-power.html

16-Evans, D., Gruba, P., & Zobel, J. (2011). *How to write a better thesis*. Melbourne Univ. Publishing. ISBN 978-3-319-04285-5 URL: https://DOI.org/10.1007/978-3-319-04286-2

17-Evans, M. (2011). Power and paradox: Asian geopolitics and Sino-American relations in the 21st century. *Orbis*, *55*(1), 85-113. URL: https://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S0030438710000645

18-Facon I. (2017). Le jeu d'influence de la Russie en zone Afrique du Nord / Moyen- Orient. URL : https://www.frstrategie.org/web/documents/...du...et.../8.pdf

19-Foucher, M. (1997). La fin de la géopolitique? Réflexions géographiques sur la grammaire des puissances. *Politique étrangère*, 19-31. doi : 10.3406/polit.1997.4609. URL: http://www.persee.fr/doc/polit_0032-342x_1997_num_62_1_4609

20-Gafarli, O. (2012). Russian foreign policy in light of changing balances in the Middle East. *Turkish Policy Quarterly*, *11*(1), 141-149. URL: http://turkishpolicy.com/dosyalar/files/orkhan_gafarli-10_4.pdf

21-Glaser, C. L. (1994). Realists as optimists: Cooperation as self-help. *International security*, *19*(3), 50-90. URL : https://doi.org/10.2307/2539079

22-Gökmen, S. R. (2010). Geopolitics and the study of International Relations. *Middle East Technical University.-2010.–226 p*. URL: http://citeseerx.ist.psu.edu/messages/downloadsexceeded.html

23-Jan H. Kalicki. (2015). GLOBAL ENERGY FORUM REVOLUTIONARY CHANGES AND SECURITY PATHWAYS. Wilson Center Washington, DC. ISBN: 978-1-938027-51-2. URL: www.wilsoncenter.org

24-Jawan, S. N. (2013). Geopolitics of the Islam World and world leadership in the post-Cold War geopolitical developments. In *International Conference on—Leadership and Social Science Change in the Muslim World: Prospects and Challenges‖ in International Islamic University Malaysia*.

25-Jones III, J. P., & Hanham, R. Q. (1995). Contingency, realism, and the expansion method. *Geographical Analysis*, *27*(3), 185-207. URL: https://doi.org/10.1111/j.1538-4632.1995.tb00905.x

26-Jonsson, A., Erixon, F., & Laruelle, M. (2009). *Russia in a 10-20 Year Perspective*. Institute for Security and Development Policy. ISBN: 978-91-85937-69-1. URL: www.isdp.eu

27-Jacek Wieclawski," Contemporary Realism and the Foreign Policy of the Russian Federation",
International Journal of Business and Social Science, Centre for Promoting Ideas, USA, Vol. 2,N, 1,January 2011/16.pdf ,in: www. *ijbssnet.com*

28-Lazareva, I. (2012). Bear Trap: Russia's Self-Defeating Foreign Policy in the Middle East. *Henry Jackson Society,(http://henryjacksonsociety.org/wp-content/uploads/2012/07/HJS-Bear-Trap5.pdf ,10 Ağustos 2013'te erişildi)*.

29-Levon Petrosyan. (2018) La Russie et le monde islamique : le contexte culturel, les alliances politiques et les guerres géopolitiques. Mémoire de fin d'études. Université Ottawa.

30-Liu Feng , Zhang Ruizhuang, "*The Typologies of Realism*", Chinese Journal of International Politics, Vol. 1, 2006, doi:10.1093/cjip/pol006

31-Merritt, R. L. (1975). *Foreign policy analysis* (Vol. 9). Transaction Publishers. URL : https://books.google.fr/books?hl=fr&lr=&id=eCasyiZC61gC&oi=fnd&pg=PP11&dq=foreign+policy+analysis&ots=au7hCUqBEU&sig=0Q7PfmSzgBIR6R4aA5rzoQWhgy0#v=onepage&q=foreign%20policy%20analysis&f=false

32-Monaghan, A. (2015). *A'new Cold War'?: Abusing History, Misunderstanding Russia*. London: Chatham House. URL: http://www.pmln.us/wpontent/uploads/2015/06/20150522ColdWarRussiaMonaghan1.pdf

33-Naumkin, V., Aksenenok, A. G., & Zvyagelskaya, I. D. (2013). Russia and the Greater Middle East. *Russian International Affairs Council*, M. Spetskniga (9), p40. ISBN: 978-5-91891-228-7.

34-Oliker, O., Crane, K., Schwartz, L. H., & Yusupov, C. (2009). *Russian foreign policy: Sources and implications*. Rand Corporation. RAND. ISBN 978-0-8330-4607-9. URL: http://www.rand.org

35-Orkhan Gafarli, Russian Foreign Policy In Light Of Changing Balances In The Middle East, Turkish Policy Quarterly, Volume 10 Number 4,In: www.Turkishpolicy.Com

36-Paul R. Viotti Mark V. Kauppi, International Relations and World Politics, 5th Edition, Pearson,
2012.In: Http://www.Academia.Edu/17566799/

37-Stephen M. Walt, "International Relations: One World, Many Theories", Foreign Policy No. 110, Special Edition: Frontiers of Knowledge (Spring, 1998), In: https://people.ucsc.edu/~rlipsch/migrated/pol160A/Walt.1998.pdf

38-Saeid naji & jayum a. Jawan , " Geopolitics of the Islam World and world leadership in the post-Cold War geopolitical developments", Article was already presented in the International conference on \Leadership and Social Science Change in the Muslim World: Prospects and Challenges" in International Islamic University Malaysia, in February 2012.

39-Stepanova, E. (2012). The Syria crisis and the making of Russia's foreign policy. PONARS Eurasia Policy Memo No, 199. URL : http://www.ponarseurasia.org/sites/default/files/policy-memos-pdf/pepm199.pdf

40-Timothy Dunne & Brian C.Schmidt, Realism, In John Baylis & Steve Smith, The Globalization Of World Politics, (Oxford: University Press Third Edition, 2001).

41-Tandilashvili Dana. (2015). Analysis of Russia's Invasion of Ukraine and Annexation of Crimea Russian, In: Classical Realist and Norm-Based Constructivist. (49)1.

42-Taoufik Ayadi. (2018). Le retour de la Russie au Moyen-Orient et en méditerranée : Les enjeux et les répercussions. URL: http://www.leaders.com.tn/article/24706-les-enjeux-et-les-repercussions-du-retour-de-la-russie-au-moyen-orient-et-en-mediterranee-synthese-d-une-analyse-geopolitique.

43-Thomas Gomart. (2006). « Politique étrangère russe : l'étrange inconstance », Politique étrangère (Printemps), p. 25-36. RUL: https://doi.org/10.3917/pe.061.0025

44-Toal, G., Tuathail, G. Ó., Dalby, S., & Routledge, P. (Eds.). (1998). *The geopolitics reader*. Psychology Press. ISBN 0-203-44493-0.

45-Tsygankov, A. P. (2012). Change and continuity in Russia's foreign policy. *Russian analytical digest, 109*, 9-11. URL:

https://www.researchgate.net/publication/267424735_Change_and_Continuity_in_Russia's_Foreign_Policy_The_Formation_of_Russia's_Foreign_Policy

46-Walter Russell Mead, "The Return of Geopolitics. The Revenge of the Revisionist Powers", *FOREIGN AFFAIRS, May/June 2014.*

47-Zakaurtseva,T. (2007). *The Current Foreign Policy of Russia*. na. URL: https://s3.amazonaws.com/academia.edu.documents/44942690/Russia.pdf?AWSAccessKeyId=AKIAIWOWYYGZ2Y53UL3A&Expires=1541174786&Signature=6Atmh8yPzClVqOeLIAipu3WhhLI%3D&response-content-disposition=inline%3B%20filename%3DThe_Current_Foreign_Policy_of_Russia.pdf

فهرس المحتويات

شكر وعرفان
اهداء
ملخص
خطة البحث.....I
مقدمة 1
الفصل الأول:
الجيوبوليتيكا: مدخل إلى "النظرية" و" الخطاب" المعاصرين 19
المبحث الأول : النظرية الجيوبوليتيكية المعاصرة : رؤية ابستيمولوجية 20
المطلب الأول: العلاقات الدولية بين وهج الخطاب الجيوبوليتيكي و فوضى النقاشات 20
الفرع الأول: حدود الحاجة إلى "نظرية جيوبوليتيكية" في مطلع القرن الحادي و العشرين 21
الفرع الثاني: الجيوبوليتيكا و"فوضى" التنظير " في حقل العلاقات الدولية.....26
المطلب الثاني : النظرية الجيوبوليتيكية : إشكالات ابستيمولوجية.....29
الفرع الأول: خاصية"Relativisation" الفاعل و إشكالية "الدينامو- جينيك".....29
الفرع الثاني: التكوين و الديناميكية المكانين للنظام الدولي.....34
الفرع الثالث: الجيوبوليتيكا علم الفضاء – السياسي / Systémographie الفضاء العالمي.....36
المبحث الثاني : الخطابات الجيوبوليتيكية الكبرى المعاصرة : مرحلة الحرب الباردة و ما بعدها.....41
المطلب الأول: مضامين الخطابات الجيوبوليتيكية الأطلسية المعاصرة.....41
الفرع الأول: "تمييع الوسط" و تطور "نوموس البحر" ضمن خطاب "كارل شميدت".....42
الفرع الثاني: بين نبوءتين: "الغرب و البقية"و"العالم واحد".....44
" The West And The Rest " و " One World "
الفرع الثالث: صدام الحضارات : أطلسية هنتنغتون الجديدة.....45
المطلب الثاني: خطاب العولمة : تحدي التحول نحو تعددية جيوبوليتيكية.....47
الفرع الأول: رؤية الدور المزدوج و منظور التقارب ضمن خطاب " بريجينسكي" الجيوبوليتيكي..... 48
الفرع الثاني: نهاية التاريخ ضمن خطاب فرانسيس فوكوياما.....50
الفرع الثالث: التحول من الثنائية إلى التعددية الجيوبوليتيكية: سيناريو "كارلو سانتورو".....51
الفرع الرابع: تراجع تنافسية الخطاب الأيديولوجي : " الجيوايكونوميكا " بديلا.....51
المطلب الثالث: نحو اعادة منهجة الخطاب الجيوبوليتيكي: تعدد الرؤية الأوروبية.....52
الفرع الأول: الجيوبوليتيكا التطبيقية الداخلية : مدرسة Yves Lacoste 52
البند الأول: الجيوبوليتيكا الإلكترونية و ثقل الميدياكراتيا.....53

البند الثاني:" بير ماري" و آخرون :" الجيوايستوريك بديلا .."..... 54
الفرع الثاني: الخطاب الجيوبوليتيكي الأوروبي: "اليمينيون الجدد" و مشروع الجيوبوليتيكا القارية..... 55
البند الأول: خطاب " آلين دي بينوا" : أوروبا الرايات – المئة 55
البند الثاني: خطاب " جون تيريار " الجيوبوليتيكي : أوروبا من " فلاديفوستوك حتى دوبلن "..... 56
البند الثالث: العودة إلى الجيوبوليتيكا التقليدية ضمن خطاب " يورديس فون لوهاوزين"..... 57
البند الرابع: معركة الختام" Endkampf" و رومانسية الخطاب الجيوبوليتيكي عند " جان بارقوليسكو" 58
البند الخامس :أهمية المحيط المتوسط / الهندي و دول العالم الثالث ضمن خطاب "روبير ستويكيرس"..... 59
البند السادس:" كارلو تيراتشانو" و الدعوة إلى تأسيس حلف ثلاثي قاري..... 59
المطلب الرابع : خطاب " الأوراسية الجديدة " الجيوبوليتيكي 60
الفرع الأول: دورة "الأثنو- جينيتيك" و ملامح الفلسفة العضوانية لدى "ليف غوميليوف"..... 60
الفرع الثاني: تنويعات خطاب " الأوراسيون الروس الجدد " الجيوبوليتيكي..... 61
الفرع الثالث : نظرية " الثنائية القطبية الجديدة " الأوراسية..... 62

الفصل الثاني:

الأطر النظرية و الفكرية للسياسة الخارجية الروسية: جدل الأولويات والمحددات، الواقعية و الواقعية المشروطة..... 63
المبحث الأول: جدل أولويات و محددات السياسة الخارجية الروسية: مدخل إلى الأطر الفكرية الكبرى..... 64
المطلب الأول : جدل النخبة السياسية الروسية "الجيوسياسي" حول توجهات و أولويات السياسة الخارجية..... 65
الفرع الأول: تعددية التصنيف النموذجي لمدارس النخبة السياسية الروسية..... 65
الفرع الثاني : المدرسة الجيوبوليتيكية : أولوية أوراسيا و معضلة الشرق و الغرب..... 67
البند الأول : في ضرورة التأصيل المنهجي : "دوغن" و منظور الواقعية التاريخية..... 67
البند الثاني: المدرسة "الجيوبوليتيكية الأوراسية" الروسية الجديدة : أوراسيا أولا..... 70
البند الثالث: جيوسياسة خطاب النخبة الروسية : معضلة ثنائية " الشرق والغرب"..... 72
المطلب الثاني: أولويات و محددات السياسة الخارجية الروسية: ثلاث مدارس فكرية رئيسية..... 76
الفرع الأول: "ميدفيديف " والمدرسة الليبرالية: "الإصلاحيون الراديكاليون" و التوجه غربا..... 76
الفرع الثاني: المدرسة الواقعية : "بوتين" و مبدأ "التعددية القطبية" 80
الفرع الثالث: "القوميون" و "القوميون المعاصرون": أولوية روسيا القومية الأصيلة *"Russkiy"*..... 82
المبحث الثاني: الواقعية/ الواقعية المشروطة و تحليل السياسة الخارجية: رؤية مفهومية..... 85
المطلب الأول: العقلانية التفسيرية "التأسيسية" ضمن الفكر الواقعي : مدخل تيبولوجي 85
الفرع الأول: "المدرسة الواقعية" بين اتجاهين "تفسير السياسة الدولية " و "تحليل السياسة الخارجية"..... 85

الفرع الثاني: الفكر الواقعي الكلاسيكي: الخلفية الفكرية، الافتراضات و الأسس.....92
المطلب الثاني: مقاربات المنظور النيوواقعي البنيوي: مفهوم الأمن، القوة، الواقعية المشروطة.....94
Neo Structural Realism
الفرع الأول : التمييز بين "الأمن" و "القوة" ضمن النقاش الواقعي "البنيوي" : نزعة "الهجوميين" و منطق "الدفاعيين".....99
الفرع الثاني: الواقعية المشروطة : "غلاسر" و مقاربة الأمن "المشروط / الأمن الناعم " 102

الفصل الثالث:

حدود الواقعية الجيوسياسية لروسيا الاتحادية في المنطقة العربية: مقاربات تحليلية.....106
المبحث الأول: مقاربة اقتصادية لخطاب روسيا الاتحادية الجيوبوليتيكي تجاه المنطقة العربية: محددات واقعية 107
المطلب الأول: اخراج بياني لعملية تحليل"حركة – مجال" السلوك الخارجي الروسي ومحدداته: ملاحظات منهجية.....107
المطلب الثاني: تحليل مؤشرات الفضاء الاقتصادي: روسيا – المنطقة العربية.....116
Analysis Of Economic Space Indicators
الفرع الأول: الواقعية الجيوسياسية الروسية في الشرق الأوسط: سوريا، مصر، العراق.....116
البند الأول: متلازمة " جيو-إيكو-بوليتيك" ضمن المحور "موسكو – دمشق".....117
البند الثاني: تطبيع السياسة الخارجية الروسية في السياق المصري: محور " موسكو- القاهرة".....126
البند الثالث: "روسيا" و واقعية التنافس المهيمن في العراق: محور "موسكو- بغداد".....131
الفرع الثاني: : الواقعية الجيوسياسية الروسية في منطقة الخليج العربي: الأردن و دول مجلس التعاون 140
المبحث الثاني: تحليل مؤشرات الفضاءين "ديمو- بوليتيك"- "دبلو- جيواستراتيجيك": روسيا- المنطقة العربية 147
Analysis Of Political - Demographic & Geostrategic - Diplomatic Space Indicators
المطلب الأول: الواقعية الجيوسياسية الروسية في الشرق الأوسط: سوريا، مصر، العراق.....147
الفرع الأول: "النموذج السوري" في الجيوبوليتيك الروسي – الشرق أوسطي.....147
الفرع الثاني: الخطاب الجيوسياسي الروسي تجاه مصر بين سياستين: "البراغماتيزم / ملء الفراغ" 155
الفرع الثالث: الاتجاه العراقي في الجيوسياسة الروسية : نحو منظور تعددي " الغرب و آخرون" 164
المطلب الثاني: روسيا- المملكة العربية السعودية: في التنافس الجيوسياسي و شروط التقارب الواقعي /البراغماتي.....168
الفرع الأول: روسيا – المملكة العربية السعودية: علاقات ما قبل "الربيع العربي".....169
الفرع الثاني: روسيا- المملكة العربية السعودية: علاقات "الربيع العربي"الخلافية.....173
الفرع الثالث: محصلة التنافس الجيوسياسي و التقارب البراغماتي /الواقعي على المحور"موسكو –الرياض".....178

الفصل الرابع:

حدود العلاقة التناسبية العاملية وآفاق الواقعية الجيوسياسية الروسية المعاصرة: نحو إعادة هندسة الوضع القائم.....197
Limits Of The Proportional Relationship Of Factors And Prospects Of Modern Russian Geopolitical Realism: Towards Re-Engineering The Status quo
المبحث الأول: حدود العلاقة التناسبية العاملية بين الفضاءات الجيوبوليتيكية: مدخل جيومتري احصائي.....198
المطلب الأول: مضامين نظريات المرجح/ نقطة المرجح Barycentres.....199
المطلب الثاني: "مرجح "مؤشرات العلاقة التناسبية بين الفضاءات الجيوبوليتيكية: محور "موسكو-المنطقة العربية".....205

المطلب الثالث: معامل الإرتباط.Coefficient De Corrélation 220
المبحث الثاني: آفاق الواقعية الجيوسياسية الروسية المعاصرة : نحو إعادة هندسة الوضع القائم..... 222
المطلب الأول: استمرارية توجهات "الحفاظ على الوضع القائم" : **سيناريو خطي**..... 223
المطلب الثاني: استراتيجية التحول نحو"تعديل الوضع القائم" : **سيناريو إصلاحي**..... 225
المطلب الثالث: الاندفاعية الواقعية نحو "تغيير الوضع القائم": **سيناريو راديكالي**..... 226
المطلب الرابع: نحو إعادة هندسة الوضع القائم: **سيناريو تأليفي/توليفي**..... 228
خاتمة..... 231
الملاحق 239
قائمة المصادر و المراجع..... 256
فهرس المحتويات..... 267
قائمة الجداول و الأشكال البيانية..... 272

قائمة الجداول والأشكال البيانية

قائمة الأشكال

الرقم	عنوان الشكل	رقم الصفحة
01	الفضاءات حسب الدراسات المتخصصة	32
02	دينامو-جينيك الفضاءات التحليلية	33
03	فضاءات التحليل الجيوبوليتيكي	112
04	توضع محددات السياسة الخارجية الروسية حسب البيئات	113
05	مجموع الفضاءات ضمن الفضاء الكلي/ النهائي للتحليل الجيوبوليتيكي	114
06	مؤشرات الفضاء العام المشترك المجرد G_s و نقطة المرجح Barycentre	114
07	بنية التفاعل النهائية بين الفضاءات الجيوسياسية المختلفة	115
08	ثبات نقطة المرجح G في حال وجود نقطة رابعة H	202
09	G كمركز ثقل للمثلث ABC	203
10	معلم بياني يوضح إحداثيات G	204
11	الفضاء المشترك G_{GS}	217
12	معلم بياني إفتراضي يوضح الفضاء المشترك G_{GS}	218

قائمة الجداول

الرقم	عنوان الجدول	رقم الصفحة
01	أهم مؤشرات و متغيرات الفضاء الاقتصادي على المحور "موسكو- دمشق"	125
02	اهم مؤشرات و متغيرات الفضاء الاقتصادي على المحور "موسكو- القاهرة".	130
03	أهم مؤشرات الفضاء الاقتصادي على المحور "موسكو- بغداد"	139
04	بعض أهم مؤشرات الفضاء الاقتصادي على المحور "موسكو-الأردن- الرياض"	146
05	أهم مؤشرات الفضاء ديمو – بوليتيك على المحور "موسكو – دمشق"	153
06	أهم مؤشرات الفضاء دبلو- استراتيجيك على المحور "موسكو- دمشق"	155
07	بعض أهم مؤشرات الفضاء ديمو- بوليتيك على المحور "موسكو- القاهرة".	163
08	بعض المؤشرات ضمن الفضاء دبلو – استراتيجيك على المحور "موسكو- القاهرة"	163
09	أهم مؤشرات الفضاء ديمو- بوليتيك على المحور "موسكو – بغداد".	167
10	أهم مؤشرات الفضاء الدبلو- استراتيجيك على المحور "موسكو- بغداد"	167
11	أهم مؤشرات و متغيرات الفضاء ديمو-بوليتيك على المحور "موسكو- الرياض"	186
12	أهم المؤشرات و المتغيرات ضمن الفضاء "دبلو-استراتيجيك" على المحور "موسكو- الرياض"	187
13	السيناريو الخطي	224
14	السيناريو الاصلاحي	225
15	السيناريو الراديكالي	226
16	السيناريو التأليفي	228